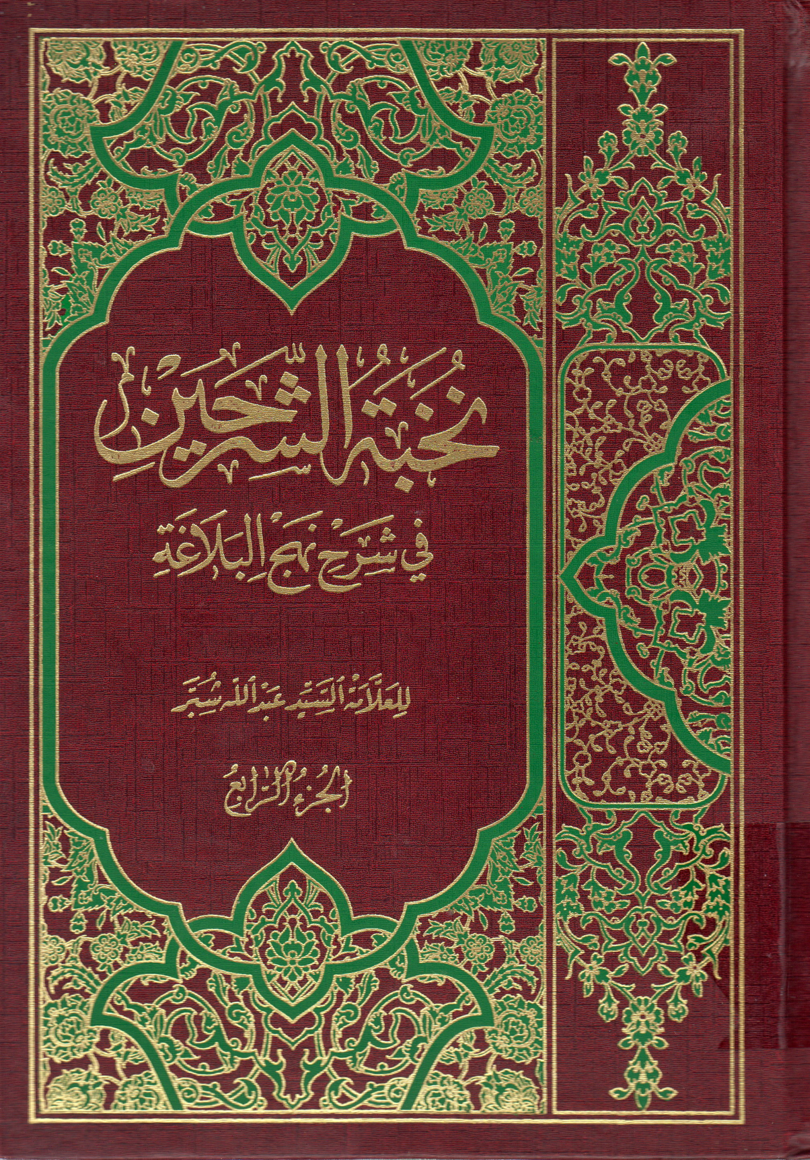


نخبة الشرحين
في شرح نهج البلاغة
للعلامة السيد عبد الله شبر
الجزء الرابع


نخبة الشرحين
في شرح نهج البلاغة


بسم الله الرحمن الرحيم

نخبة الشرحين

في شرح نهج البلاغة

الجزء الرابع



للعلامة السيد
عبد الله شبر

نخبة الشرحين

(شرح نهج البلاغه)

للعلامة السيد عبدالله شبر (ره)

الناشر : انتشارات محبين
الكمية : ۱۰۰۰ دوره (۱-٤)
تاريخ الطبع :١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
الطبعة :الأولى
الزينكغراف : مدين
المطبعة : النهضة
شابك ج ٤: ٧-٦٩-٧١٠٣-٩٦٤
شابك الدوره : ٠-٧٠-٧١٠٣-٩٦٤



انتشارات محبين للطباعة و النشر تلفون : ٧٧١٣٦٩٩

مراكز التوزيع : ايران / قم / سوق القدس / رقم ٩٢ / تلفون ٧٧٣٧٦١٩ / مكتبة المصطفى
ايران / قم / سوق القدس / رقم ٥٧ / تلفون ٧٧٤٢٣٤٦ / انتشارات انوار الهدى

فإذا كانت الهزيمة منهم بإذن اللّه فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا مُعْوراً

أحدهما: أنّهم إذا بدئوا بالحرب فقد تحقّق دخولهم في حرب اللّه وحرب رسوله صلى الله عليه وآله لقوله صلى الله عليه وآله: «يا علي حربك حربي» وتحقّق سعيهم في الأرض بالفساد بقتلهم النفس التي حرّم اللّه ابتداء بغير حقّ وكلّ من تحقّق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى: ﴿إنّما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ الآية.

الثاني: أنّ البادىء بالحرب معتدٍ ابتداءً، وكلّ معتدٍ كذلك فيجب الاعتداء عليه لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ فوجب الاعتداء عليهم إذا بدئوا بالحرب.

ثمّ قال عليه السلام: [**فإذا كانت الهزيمة منهم بإذن اللّه**] إشارة وتنبيه على عدم اغترارهم بأنّهم هم الذين همزوهم بل ذلك من اللّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما النصر إلا من عند اللّه﴾ وتذكاراً لقوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنّ اللّه رمى﴾.

[**فلا تقتلوا مدبراً**] أي: مولّياً هارباً.

[**ولا تصيبوا مُعْوراً**] وهو الذي أمكنتهم الفرصة من قتله بعد انكسار العدوّ كالمعور من الصيد يقال: أعور الصيد أي: أمكن من نفسه، وأعور الفارس ظهر فيه موضع خلل الضرب فهو معورٌ، وقيل: أراد بالمعورّ المريب وهو الذي وقع فيه الشكّ أنّه محارب أم لا أي: لا تقتلوا إلا من علمتم أنّه

ولا تجهزوا على جريح ولا تهيّجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمرائكم فإنّهن ضعيفات القوى الأنفس و العقول إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وانهنّ لمشكرات

محارب لكم.

[**ولا تجهزوا على جريح**] أي: لا تقتلوه وهذه الأُمور الأربعة هي الفارقة بين البغاة والكفّار حال الحرب، وزيد ما في رواية نضر بن مزاحم عنه عليه السلام بعد ذلك: ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتّكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم.

[**ولا تهيّجوا النساء بأذى**] أي: لا تثيروا شرورهنّ بأذى [**وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمرائكم فإنّهن ضعيفات القوى**] أي: القدرة والقوّة عن مقاومة الرجال وحربهم وسلاح الضعيف والعاجز لسانه، وضعيفات [**الأنفس**] أي: لا صبر لنفوسهنّ على البلاء، فيجتهدون في دفعه بما أمكن من سبّ وغيره [و] ضعيفات [**العقول**] أي: لا قوّة لعقولهنّ أو ترى عدم الفائدة في السبّ والشتمّ وأنّه من رذائل الأخلاق وأنّه يستلزم زيادة الشرور وإثارة الطباع التي يراد تسكينها وكفّها.

[**إن كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وانهنّ لمشكرات**] فيه تأكيد للأمر بالكفّ عنهن، إذ الأمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات ففي حال إظهارهنّ الإسلام أولى، والواو في وانهنّ للحال والجملة حالية وإنّ في وإن كنّا مخففة.

وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده اللّهمّ إليك أفضت القلوب ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار وأُنضيت الأبدان اللّهمّ قد صرح مكنون الشنئان

وكذا قوله: [**وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر**] وهو الحجر المستطيل الأملس [**أو الهراوة**] وهي خشبة كالدبوس.

[**فيعيّر بها وعقبه من بعده**] والعقب: الولد من ذكر أو أُنثى، واللام في ليتناول ولنؤمر هي الغارقة بين المخففة والنافية.

[وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً [**اللّهمّ إليك أفضت القلوب**] أي: خرجت عن كلّ شيء ووصلت إليك خالصة بسرّها ودنت وقربت، ومنه أفضى الرجل إلى امرأته أي: غشيها.

[**ومدّت الأعناق وشخصت الأبصار**] وشخوصها ارتفاعها نحو الشيء بحيث لا تطرف.

[ونقلت الأقدامخ إلى المساجد والمشاهد وسائر الطاعات والعبادات.

[**وأُنضيت الأبدان**] أي: أُهزلت ومنه النضو وهو البعير المهزول قيل أشار بإفضاء القلوب إلى الإخلاص له في تلك الحال وبمدّ الأعناق وشخوص الأبصار إلى ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنية وبنقل الأقدام وإفضاء الأبدان إلى أنّ ذلك السفر وما يستلزمه من المتاعب إنّما هو لوجهه وغاية الوصول إلى مرضاته.

ثمّ اشار عليه السلام إلى علّة قتالهم في معرض الشكاية إلى اللّه فقال: [**اللّهمّ قد صرح**] أي: ظهر [**مكنون الشنئان**] أي: العداوة والبغضاء، ومكونه:

وجاشت مراجل الأضغان اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّناً وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين

المستور منه، وكنّى بذلك عن تحريضهم بما كان مستقراً في صدورهم في حياة الرسول ﷺ من العداوة والبغضاء.

[**وجاشت مراجل الأضغان**] المراجل: القدور، وجيشها: غليانها، والضغن: الحقد، والمراجل مستعار ووجه الشبه غليان دماء قلوبهم عن الأحقاد كغليان المراجل والجيش ترشيح.

[**اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّناً**] إذ هو المستلزم لهذه المفاسد [**وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا**] أي: تفرّقها [**ربّنا افتح**] أي: احكم، والفاتح: الحاكم.

[**بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين**] وهذا الدعاء مستلزم لنصرته عليهم وظفره بهم إذ كان ﷺ هو المحقّ في جهاده وهم المبطلون ﴿ألا إنّ حزب الله هم الغالبون﴾ روي أنّه ﷺ كان إذا اشتدّ القتال ذكر اسم اللّه حين يركب ثمّ يقول: الحمد للّه على نعمه علينا وفضله العميم، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، ثمّ يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول: اللّهمّ إلى آخر ما مضى، ثمّ يقول: سيروا على بركة اللّه، ثمّ يقول: اللّه أكبر اللّه أكبر اللّه أبكر لا إله إلا الله واللّه أكبر يا اللّه يا أحد يا صمد يا ربّ محمّد بسم اللّه الرحمن الرحيم ولا حولة ولا قوّة إلا باللّه العلي العظيم إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اللّهمّ كفّ عنّا أيدي الظالمين، فكان هذا شعاره بصفّين.

وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب: لا تشتدنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقّها ووطّنوا للجنوب مصارعها

[وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب: لا تشتدنّ عليكم] أي: لا تصعب **[فرّة]** تفرّونها **[بعدها كرّة]** تجبرون بها ما انكسر من حالكم وإنّما الذي ينبغي أن تستصعبوه فرّة لا كرّة بعدها، حثّهم عليه السلام على الكرّ والعود على الحرب إن وقعت عليهم كسرة من فرّة، ونحوه قوله:

[ولا جولة بعدها حملة] والجولة: هزيمة قريبة ليست بالممتنعة، أو المراد إذا رأيتم في فراركم مصلحة في خدعة العدو كالجذب له بذلك إلى حيث يتمكّن منه وتقع الفرصة فتكرّوا عليه فلا تشتدنّ عليكم الفرّة حيث انّها عند العرب صعبة شديدة تستلزم العار، قيل ويحتمل أن يريد فلا تشتدنّ عليكم فرّة من عدوّكم بعدها كرّة منكم عليه فإنّ تلك الكرّة لمّا كانت عقيب الفرّةلم تكن إلا عن قلوب مدخلوة ونيات غير صحيحة، وإنّما قدّم الفرّة في هذا الاحتمال؛ لأنّ مقصوده عليه السلام تحقير تلك الكرّة بذكر الفرّة، فكان ذكرها أهمّ، فلذا قدّمت وكذا ولا جولة بعدها حملة.

[وأعطوا السيوف حقّها] كنّى به عن الأمر بفعل ما ينبغي أن يفعل ولفظ العطاء مستعار لما تصل إليه السيوف من الأفعال التي ينبغي أن تفعل بها.

[ووطّنوا للجنوب مصارعها] أي: يتخذوا مصارع جنوبهم أوطاناً لها، كنّى به عن العزم الجازم على القتل في سبيل الله والإقدام على أهوال الحرب

وأذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلخعي وأميتوا الأصوات فإنّه أطرد للفشل والذي فلق الحبّة وبرء النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه

إذ كان اتخاذ المصارع أوطاناً للجنوب مستلزماً لذلك العزم والإقدام والمصارع: مواضع الصرع للقتلى.

[**وأذمروا أنفسكم**] أيك حثّوها من ذمرته أذمره أي: ــــــ .

[**على الطعن الدعسي**] منسوب إلى الدعس وهو الأثر، أي: على الطعن الذي يظهر أثره.

[**والضرب الطلخعي**] أي: الشديد، والياء للمبالغة [**وأميتوا الأصوات**] أي: لا تكثروا الصياح فإنّه من علامات الفشل فعدمه يكون علامة للثبات المنافي للجبن، ولذا قال: [**فإنّه أطرد للفشل**] أي: الجبن. [**والذي فلق الحبّة وبرء النسمة**] أي: الخلق [**ما أسلموا**] بقلوبهم حين أظهروا الإسلام [**ولكن استسلموا**] وانقادوا للإسلام ظاهراً خوفاً من القتل [**وأسرّوا الكفر**] في قلوبهم [**فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه**].

قال ابن أبي الحديد: وهذا يدلّ على انّه عليه السلام جعل محاربتهم له كفراً وقد تقدّم في شرح حال معاوية وما يذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفاية.

[ومن كتاب له عليه السلام [**إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه**] روي أنّ معاوية استشار عمرو بن العاص في أن يكتب إلي عليٍّ كتاباً يسأله فيه

وأمّا طلبك إليّ الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس

الشام، فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خدعة علي، قال: ألسنا بني عبد مناف قال: بلى، ولكن لهم النبوّة دونك وإن شئت أن تكتب فاكتب، فكتب معاوية:

أمّا بعد فإنّي اظنّك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يحنها بعض على بعض وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقي، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت عليّ ذلك فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّك لا ترجو إلا ما أرجو ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف، وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب الأحشاء ثبات نفس بقيت وأنا في الحرب والرجاء سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّو السلام.

فلمّا قرأ علي عليه السلام كتابه تعجّب منه ومن كتابه ثمّ دعى عبدالله بن رافع كاتبه وقال: اكتب إليه:

أمّا بعد فقد جائني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا على بعض، وأنا وإيّاك في غاية لم نبلغها بعد.

[وأمّا طلبك إليّ الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس] إذ العلّة في المنع المحافظة على دين الله وعدم أهليته للولاية، كما قال عليه السلام في

وأمّا قولك إنّ الحرب قد أكلت العرب إلا حشا نبات أنفس قد بقيت ألا ومن أكله الحقّ فإلى الجنّة ومن أكله الباطل فإلى النار وأمّا استوائنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين

موضع آخر: وما كنت متّخذ المضلّين عضداً، وهذه العلّة قائمة في كلّ حين وزمان.

وعن ابن عبّاس أنّه أشار عليه عليه السلام فقال: ولّه شهراً واعزله دهراً، فإنّه بعد أن يبايعك لا يقدر أن يعدل في امرته ولا بدّ أن يجور فتعزله بذلك السبب فقال: كلاّ وما كنت متّخذ المضلّين عضداً.

[وأمّا قولك إنّ الحرب قد أكلت العرب إلا حشا نبات أنفس قد بقيت] والحشاشة بقية الروح.

[ألا ومن أكله الحقّ فإلى الجنّة ومن أكله الباطل فإلى النار] وأهل الجنّة لا يتأسّف عليهم لأنّهم انتقلوا من سجن الدنيا وهمومها إلى رضوان وجنّة ونعيم وثواب جسيم، وأمّا أهل النار فلا يتأسّف عليهم وذهابهم أولى من بقائهم.

[وأمّا استوائنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين] لما كان قول معاوية (أنا في الحرب والرجال سواء) موهماً أنّه ممن لا ينفعل عن هذه الحرب وإن اشتدّت وإنّ الضعف والهلاك إن جرى على الفريقين وفيه نوع تخويف وتهويل وجذب له عليه السلام إلى الصلح، فأجابه بأنّك في طلبك الإمارة والخلافة على شكّ من استحقاقها وأنا على يقين من ذلك، وكلّ ما كان في شكّ من أمره فليس بأمضى في حربه وقيامه عليه ممن

ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبدالمطلب

هو على يقين في أمره، فينتج أنّك لست أمضى في أمرك على الشكّ منّي على اليقين في أمري فأنا أولى بالغلبة لكوني على بصيرة ويقين فلا مساواة كما زعمت؛ لأنّ المتيقّن أرجح في فعله من الشاك.

وقوله: [**ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة**] جواب ثاني يعني أنّ أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا، وأهل العراق الآخرة، وليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الدنيا من أهل العراق على مطلوبهم من الآخرة، بل هم أحرص لشرف الآخرة وتيقّنهم حصولها وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿إن تكونوا تألمون فإنّهم يألمون كما تألمون وترجون من اللّه ما لا يرجون﴾ وحينئذ كذب معاوية في ادّعاء المساواة في الحرب والرجال لشرف أهل الآخرة على أهل الدنيا ولكون الأحرص أولى بالغلبة بالقهر ﴿ألا إنّ حزب اللّه هم الغالبون﴾ ﴿ألا إنّ أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

[**وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبدالمطلب**] حيث ادّعى المساواة في النسب، أجابه عليه السلام بعد تسليم الشركة في كونهما من بني عبدمناف بالفرق والشرافة والرجحان من وجوه خمسة:

ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللّصيق ولا المحقّ كالمبطل ولا المؤمن كالمدخل ولبئس اللف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم

الأوّل: من جهة الآباء، فإنّ آباءه عليه السلام أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد مناف، فظاهر أنّ كلّ واحد من أُولئك الثلاثة أشرف من هؤلاء.

وأشار إلى الثاني والثالث بقوله: [**ولا المهاجر كالطليق**] لشرفه بهجرته مع النبي صلى الله عليه وآله وخسّة خصمه من حيث كونه طليقاً ابن طليق والطليق: الأسير الذي أُطلق من أسره وخلّي سبيله.

وقوله: [**ولا الصريح**] أي: الخالص النسب [**كاللّصيق**] وهو الدّعي الملصق بغير أبيه.

وأشار إلى الرابع بقوله: [**ولا المحقّ كالمبطل**].

وإلى الخامس بقوله: [**ولا المؤمن كالمدخل**] وهو الذي اشتمل باطنه على فساد، كنافق ونحوه، وبدأ عليه السلام بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لكونها ظاهرة مسلّمة عند الخصم من الأمور الداخلة ثمّ لمّا ذكر الرذائل المتعلّقه بخصمه أشار إلى كونه في رذائله ونقايصه خلفاً لسلف هو، أي: في جهنّم، ثمّ رتّب ذمّه على ذلك فقال:

[**ولبئس اللف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم**] ولا ريب انّ من تبع سلفه في رذائله ومعاصيه هوى في جهنّم وكانت له بئس الورد المورود.

ثمّ أجاب عليه السلام عن دعوى معاوية المساواة في الفضل إلا فضلاً لا يستذلّ به عزيز بقوله:

وفي أيدينا بعد فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولمّا أدخل اللّه العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدّين إمّا رغبة وإمّا رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً

[وفي أيدينا بعد فضل النبوّة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل] أي: إذا فرضنا تساوي الاقدام في مآثر أسلافنا وأسلافكم كان في أيدينا بعد الفضل عليكم النبوّة التي نعشنا بها الخامل وأخملنا بها النبيه وأذللنا بها العزيز واسترقنا به الأحرار، ولا ريب انّ هذا الفضل سلب عن بني أمية وغيرهم فبان كذب دعوى الخصم، ثمّ أردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه فقال:

[ولمّا أدخل اللّه العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدّين] لا للّه بل **[إمّا رغبة]** وطمعاً في المنافع التي وجدتموها في الإسلام **[وإمّا رهبة]** وخوفاً من القتل والأسر وأخذ الأموال.

[على حين فاز أهل السبق بسبقهم] إلى اللّه **[وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم]** أي: ظفروا بما حصلوا عليه من الفضائل الجميلة والفواضل الجزيله، ثمّ لما أظهر هذه الفروق من فضائله ورذائل خصمه نهاه عن أمرين: أحدهما قوله: **[فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً]** وهو كناية عن اتباع الهوى، وقيل أي: لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضارباً فيك بنصيب إذ لم يكتب عليه السلام ذلك إلا بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب وإنّما المراد نهيه عن دوام ذلك واستمراره.

إلى عبدالله بن عباس وهو عامله على البصرة واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس ومغرس الفتن

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى عبدالله بن عباس وهو عامله على البصرة] وسببه ما روي أنّ ابن عبّاس حين ولّي البصرة أضرّ ببني تميم لما عرفهم به من العداوة يوم الجمل وأقصاهم وتنكّر عليهم حتّى كان يسمّيهم شيعة الجمل وأنصار عسكر وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتدّ ذلك على نفر من شيعة علي من بني تميم منهم حارثة بن قدامه وغيره فكتب بذلك حارثة إلى عليّ عليه السلام يشكو إليه ابن عباس، فكتب عليه السلام إلى ابن عبّاس: أمّا بعد فإنّ خير الناس عند اللّه غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله وأقواهم بالحقّ والأمر ألا وإنّه بالحقّ قامت السموات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً وليكن حكمك واحداً وطريقك مستقيماً.

[واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس] أي: موضع هبوطه، قيل كنّى بذلك عن كونه مبدء للآراء الباطلة والأهواء الفاسدة الصادرة عن إبليس المستلزمة لإثارة الفتن وكثرتها لأنّ مهبط إبليس ومستقرّه محلّ ذلك.

[ومغرس الفتن] أي: موضع غرسها، واستعير المغرس لها باعتبار كونها محلاً تنشأ فيه الفتن الكثيرة كما أنّ مغرس الشجر من الأرض محلّ نشوئه ونمائه، وروي معرس الفتن بالعين المهملة: وهو الموضع الذي ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحة، يقال: عرسوا وأعرسوا.

فحادث أهلها بالإحسان إليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمّرك لبني تميم وغلظتك عليهم وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر وإنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام

وقوله: [**فحادث أهلها بالإحسان إليهم**] أي: تعهّدهم بالإحسان وعدهم به.

[**واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم**] استعار العقدة لما ألزمهم به من المخافة بالغلظة عليهم وكثرة الأذى ووجه الشبه كون ذلك الخوف ملازماً لهم معقوداً بقلوبهم كالعقدة للحبل ونحوه، ورشح بلفظ الحبل وكنّى به عن إزالة الخوف والغرض من ذلك أن لا تنفر قلوبهم منه وتثور أحقادهم فيعاودوا الخروج عن طاعته.

[**وقد بلغني تنمّرك لبني تميم**] يقال: تنمّر للقوم أي: أغلظ عليهم وعاملهم بأخلاق النمر من الجرأة والوثوب.

[**وغلظتك عليهم وإنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر**] أي: لم يمت لهم سيّد إلا قام آخر مقامه، واستعار النجم للرئيس والسيّد لأنّ سيدّ الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدون به ويقتدون بآرائه في الطرق المصلحة كما يهتدى بالنجم. قال تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ ورشح بذكر المغيب والطلوع.

[**وإنّهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام**] والوغم: التره، والأوغام: الترات، أي: لم يهدر لهم دم في جاهلية ولا إسلام، وذلك دليل شجاعتهم وحميتهم.

وإنّ لهم بنا رحماً ماسّة وقرابة خاصّة نحن مأجورون على صلتها ومازورون على قطيعتها فاربع أبا العباس رحمك اللّه فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فإنّا شريكان في ذلك وكن عن صالح ظنّي فيك ولا يفيلن رأيي فيك

[**وإنّ لهم بنا رحماً ماسّة وقرابة خاصّة نحن مأجورون على صلتها ومازورون**] أصله موزور من الوزر وهو العقاب وقلب الفاء ليجانس قوله مأجورون أيك نؤثم [**على قطيعتها**] قيل: تلك القرابة اتصالهم بالياس بن مضر لأنّ هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم بن مراد بن طايحة بن إلياس بن مضر.

[**فاربع أبا العباس رحمك اللّه فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر**] أي: قف وتثبّت في جميع ما تعتمده قولاً وفعلاً من خير ومن شر، ولا تعجل به؛ لأنّ التثبّت في الأمور أولى بإصابة وجه المصلحة، وأراد بالشرّ ما يجريه على الرعية من عقوبة فعليّة أو قوليّة.

[**فإنّا شريكان في ذلك**] لأنّه لمّا كان والياً من قبله فكلّ حسنة أو سيّئة يحدثها في ولايته فله عليه السلام شركة في إحداثها إذ هو من جملة الأسباب وإن كان بعيداً، وابو العباس كنية عبداللّه بن العباس.

[**وكن عن صالح ظنّي فيك**] أي: كنّ واقفاً عنده كأنّك تشاهده فتمنعك مشاهدته عن فعل ما لا يجوز.

[**ولا يفيلن رأيي فيك**] اي: لا يضعفن أي: لا تكشف عن ضعف ذلك

والسلام.

إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوةً وغلظة واحتقاراً وجفوة فنظرتُ فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا ويحفوا لعهدهم

الرأي الذي رأيته فيك واستصلحتك للولاية بعدم المطابقة بسوء صنيعك فتبيّن أنّ رأيي فيك كان ضعيفاً، يقال الرأي يفيل أي: ضعف وأخطأ. [والسلام].

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوةً وغلظة واحتقاراً وجفوة**] الدهاقين: أرباب الأملاك بالسواد، جمع دهقان بكسر الدال فارسيّ معرّب، أي: رئيس القرية وهو منصرف إن كانت نونه أصلية، وإلا فغير منصرف للوصف وزيادة الألف والنون، والقسوة: غلظة القلب وشدّته.

[**فنظرتُ فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا**] أي: يبعدوا [**ويحفوا**] ولا يبروا [**لعهدهم**] أي: إنّي بعد ما تأمّلت في أمرهم وتفكّرت في حالهم لم أرهم أهلاً للادناء الخالص وقرب المنزلة لكونهم مشركين لما روي أنّ هؤلاء كانوا مجوساً ولا إقصائهم وإبعادهم لكونهم معاهدين ولهم ذمّة فإدنائهم وإكرامهم خالصاً نقص في الدّين وإقصائهم بالكلّية ينافي

فالبس لهم جلباباً من اللّين تشوبه بطرف من الشدّة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء.

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبداللّه بن العباس على البصرة وعبداللّه عامل له يومئذ عليه أو على كور الأهواز وفارس وكرمان

كونهم معاهدين.

[**فالبس لهم جلباباً من اللّين تشوبه**] أي: تمزجه وتخلطه [**بطرف من الشدّة**] كلّ منهما في موضعه ومحلّه [**وداول لهم**] أي: مرّة هكذا ومرّة هكذا [**بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء**] أمره عليه السلام أن يسلك بهم مسلكاً عدلاً متوسّطاً، لا يدنيهم كلّ الدنو ولا يبعّدهم كلّ البعد، ويمزج بين القسوة والرأفة واللّين والشدة لما في اللّين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في أعمالهم وزراعاتهم التي بها صلاح دنياهم ولما في مزجها بالشدّة والقسوة والإبعاد من كسر عاديتهم ودفع شرورهم وإهانتهم في الدّين، واستعار الجلباب لما أمره بالاتصاف به من تلك الهيئة المتوسّطة ورشح بذكر اللبس.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبداللّه بن العباس على البصرة وعبداللّه عامل له يومئذ عليه أو على كور الأهواز وفارس وكرمان**] وهو زياد بن سمية دعي أبي سفيان قيل أوّل من دعاه بن أبيه عائشة حين سألت عنه

وإنّي أُقسم باللّه قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ ـ أي لأحملنّ ـ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر والسلام

وكان كاتبه المغيرة بن شعبة ثمّ كتب لأبي موسى ثمّ كتب لابن عامر ثمّ كتب لابن عباس وكان مع عليّ عليه السلام فولاّه فارس فكتب إليه معاوية يهدّده فكتب إليه أتتوعّدني وبني وبينك بن أبي طالب أما واللّه لئن وصلت إليّ لتجدني أحمر ضرّاباً بالسيف ثمّ ادّعاه معاوية أخاً له وولاّه بعد علي البصرة وأعمالها، وجمع له بعد المغيرة بن أبي شعبة العراقين وكان أول من جمعا له وصورة ما كتبه عليه السلام إليه هذه:

[**وإنّي أُقسم باللّه قسماً صادقاً لئن بلغني أنّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ ـ أي لأحملنّ ـ عليك شدّة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر. والسلام**] وحاصله تحذيره من خيانة ما يليه من أموال المسلمين وعيده بالعقوبة إن صدر منه ذلك، وكنّى عن العقوبة بالشدّة ووصف شدّة تلك الشدّة بنقصان ماله بقوله «قليل الوفر» أي: أُفقرك بأخذ ما عندك، ونقصان جاهه بقوله «ضئيل الأمر» أي: حقيراً لأنّك إنّما كنت عزيزاً عند الناس بالغنى والثورة، فإذا افتقرت صغرت عندهم، وفي هذين سلب الكمال الدنيوي ونبّه على الثالث الذي فيه سلب الكمال الأُخروي بقوله: «ثقيل الظهر» اي: بالأوزار، وقيل: كنّى بثقل الظهر عن كونه مسكيناً لا يقدر على مؤنة عياله وعن ضعفه وعدم نهوضه بما يحتاج إليه ويهمّه، أي: ضعيف الحركة في الأمور.

إليه إيضاً: فدع الإسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدّم الفضل ليوم حاجتك أترجو أن يؤتيك اللّه ثواب المتواضعين وأنت عنده من المتكبّرين وتطمع وأنت متمرّغ في النعيم تمنعه الضعيف

ومن كتاب له عليه السلام

[**إليه إيضاً: فدع الإسراف**] وهو التبذير في الإنفاق حال كونك [**مقتصداً**] أي: متوسّطاً بينه وبين الاقتار، قال تعالى: ﴿والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.

[**واذكر في اليوم غداً**] أي: تذكّر في حاضر أوقاتك مستقبلها من يوم القيامة فإنّ فيه زجراً للنفس عن الإسراف في الدنيا والاشتغال بها.

[**وامسك من المال بقدر ضرورتك**] وهو تفسير الاقتصاد المأمور به.

[**وقدّم الفضل ليوم حاجتك**] وهو يوم القيامة وما بعده الموت، أي: انفق الزائد على القدر الضروري في سبيل اللّه واجعله ذخراً لك يوم الحاجة.

وقوله: [**أترجو أن يؤتيك اللّه ثواب المتواضعين وأنت عنده من المتكبّرين**] استفهام إنكاري وتنبيه على أنّ ثواب كلّ فضيلة إنّما ينال باكتسابها وكذا قوله:

[**وتطمع وأنت متمرّغ**] أي: متقلّب [**في النعيم**] **تمنعه الضعيف**

والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدّقين، وإنّما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدّم، والسلام.

إلى عبدالله بن عباس وكان عبدالله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام: أمّا بعد فإنّ المرء قد يسرّه درك مالم يكن ليفوته ويسوئه مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرطاً وما فاتك منها فلا تاس عليه جزعاً وليكن همّك فيما بعد الموت

والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدّقين، وإنّما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدّم] فإنّ ثواب كلّ حسنة بقدرها ومن لوازمها وجزاء كلّ سيّئة بحسبها وم لوازمها. [والسلام].

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى عبدالله بن عباس وكان عبدالله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام: أمّا بعد فإنّ المرء قد يسرّه درك مالم يكن ليفوته ويسوئه مالم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرطاً وما فاتك منها فلا تاس عليه جزعاً وليكن همّك فيما بعد الموت] حاصل كلامه عليه السلام النهي عن شدّة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدّة الأسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغي للإنسان أن يسرّ بحصوله ويأسف

ومحمّداً صلّى اللّه عليه وآله فلا تضيّعوا سنّته أقيموا هذين العمودين

لفقده مما لا ينبغي له، فأشار إلى الأوّل بقوله: «فإنّ المرء» إلى قوله «فيدركه» وهو خبر في معنى النهي، وإنّ كلّ شيء يصيب الإنسان في الدنيا من نفع وضرّ فبقضاء من اللّه تعالى وقدر، ولكن النّاس غافلون عن ذلك فيسرّ الإنسان بما يصيبه من النفع ويساء بفوت ما يفوته منه، ولو علم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطيه وما أخطائه لم يكن ليصيبه لم يفرح ولم يحزن والذي ينبغي أن يسرّ به ما ناله من الآخرة والذي ينبغي أن يأسف عليه مالم ينله منها، والمراد بما ناله من الآخرة الكمالات النفسانية من العلوم والأخلاق الفاضلة التي تكتسب في الدنيا أو المراد أسباب الآخرة من الطاعات والمبرّات.

ومن كلام له عليه السلام

قاله قبل موته لمّا ضربه ابن ملجم لعنه اللّه:

وصيّتي لكم أن لا تشركوا باللّه شيئاً] وهو أوّل المطالب المهمّة في الشريعة، ولذا قال تعالى: ﴿إنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ ويمكن أن يريد الشرك الخفي والجلي [**ومحمّداً صلّى اللّه عليه وآله فلا تضيّعوا سنّته**] فيجب عليكم اتّباع كلّ ما جاء به، ومن جملة ما جاء الأخذ بكتاب اللّه والمحافظة عليه. ومن المعلوم أنّ إقامة هذين الأمرين فيهما صلاح الدنيا والآخرة، ولذا قال: [**أقيموا هذين العمودين**] استعار العمودين لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الإسلام وعليهما مداره كماأنّ مدار البيت على عمده.

وخلاكم ذمّ أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم إن أبق فأنا وليّ دمي فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم

وقوله: [**وخلاكم ذمّ**] كالمثل يقال: افعل كذا وخلاك ذمّ أي: قد أعذرت وسقط عنك الذمّ، ثمّ نعى نفسه عليه السلام إليهم وأشار إلى وجه العبرة بحاله بذكر تنقّل أحواله وتغيّرها في الأزمان الثلاثة، ففي الماضي قوله: [**أنا بالأمس صاحبكم**] الذي تعرفونه بالقوّة والشجاعة وقهر الأعداء وكان عليه مدار أُمور الدنيا والدّين وفي الحال قوله: [**واليوم عبرة لكم**] أي: محلّ عبرة أو معتبراً وفي المستقبل قوله: [**وغداً مفارقكم**] ومنتقل من داركم إلى الدار الآخرة ومن مجاورتكم إلى مجاورة غيركم، ثمّ أردف ذلك ببيان أمره مع قاتله فقال: [**إن أبق**] حيّاً [**فأنا وليّ دمي**] وإن شئت أقمت القصاص وإن شئت عفوت.

[**فالعفو لي قربة**] إلى اللّه تعالى [**وهو لكم**] إن عفوتم [**حسنة فاعفوا ألا تحبّون أن يغفر اللّه لكم**] إذ هو أولى بالعفو منكم فإذا عفوتم عمّن أساء إليكم عفى عن إسائتكم، قيل: ويشبه أن يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فإن أبق فأنا وليّ دمي، وروي أولى بدمهي، فإن شئت أقمت القصاص وإن شئت عفوت فإن أعفُ فالعفو لي قربة، وإن أفن فالفناء ميعادي فإن شئتم فاقتلوا قاتلي وإن شئتم أن تعفوا فالعفو لم حسنة، فاعفوا لكنّه ذكر قسمي بقائه وفنائه ثمّ عقّبهما بذكر حكمهما مقترنين، واقتبس الآية في معرض الندب إلى العفو ترغيباً فيه ثمّ قال:

والله ما فجئني من الموت وأرد كرهته ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خيرٌ للأبرار

[**والله ما فجئني من الموت وأرد كرهته**] يقال: فجئه الأمر أي: أتاه بغتة.

[**ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد**] والقارب: طالب الماء، وقيل: هو الذي يكون بينه وبين الماء ليلة، شبّه نفسهﷺ في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه إلى ما أُعدّ له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء، ووجه الشبه استقرابه لتلك الخيرات ووثوقه بها واستشهاده له بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدّة العطش وتعب الطريق، وفيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء الذي منه حياة كلّ شيء.

وقوله: [**وطالب وجد**] تشبيه لنفسه بالطالب الواجد لما يطلبه فتقرّ عينه بالظفر بمطلوبه.

وقوله: [**وما عند الله خيرٌ للأبرار**] اقتباس من القرآن الكريم مشعر بأنّ مطلوبه في الدنيا لم يكن إلا ما عند الله الذي هو خير لأوليائه الأبرار من كلّ مطلوب يُطلب.

هذا ما أمر به عبداللّه علي بن أبي طالب عليه السلام في ماله ابتغاء وجه اللّه ليولجني به الجنّة ويعطيني به الأُمنية وإنّه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه بالمعروف فإن حدث بحسن حادث وحسين حيّ قام بالأمر بعده وأصدره مصدره وإن لابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الذي لبني علي

ومن وصيّة له عليه السلام

بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفّين:

[**هذا ما أمر به عبداللّه علي بن أبي طالب عليه السلام في ماله ابتغاء وجه اللّه ليولجني به الجنّة ويعطيني به الأُمنية**] أي: الأمن من النار، وفيه دلالة على صحّة العبادة إذا قُصد بها الثواب والخلاص من العقاب كما عليه جمهور الأصحاب.

ومنها

[**وإنّه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه بالمعروف فإن حدث بحسن حادث وحسين حيّ قام بالأمر بعده وأصدره مصدره**] جعل للحسن ابنه عليه السلام ولاية صدقات أمواله وأذن له أن يأكل بالمعروف منه، أي: لا يسرف وإنّما يتناول منه مقدار الحاجة، ثمّ الولاية للحسين بعد الحسن عليه السلام، والهاء في مصدره ترجع إلى الأمر بصرفه في مصارفه التي كان الحسن عليه السلام يصرفه فيها.

[**وإن لابني فاطمة من صدقة عليّ مثل الذي لبني علي**] أي: إنّ لهما

وإنّما جعلت القيام بذلك إلى بني فاطمة ابتغاء وجه اللّه وقربة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته ويشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أُصوله وينفق من ثمره

حصّة من صدقاته أُسوة بسائر النبيين، وإنّماقال ذلك لئلا يتوهّم متوهّم أنّ الصدقات إنّمايتناولها غيرهما من بني علي عليه السلام ممّن لا ولاية له مع وجودهما، ثمّ أشار إلى سبب تخصيصهما بالولاية بقوله:

[**وإنّما جعلت القيام بذلك إلى بني فاطمة ابتغاء وجه اللّه وقربة إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته**] لشرفهما برسول اللّه صلى الله عليه وآله فتقرّبت إليه بجعل ولاية هذا الأمر سبطيه.

قال ابن أبي الحديد: وفي هذا رمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للأمر أي: كان الأليق بالمسلمين

والأولى أن يجعلوا الرياسة بعده لأهله قربة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وتكريماً لحرمته وطاعةً له وأنفة لقدره صلى الله عليه وآله أن تكون ذرّيته سوقة تليهم الأجانب ومن ليس من شجرته وأصله، ألا ترى أنّ هيبة الرسالة والنبوّة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوّة وليس مثل هذه الهيبة والجلا في نفوس الناس ـــــــ إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة.

[**ويشترط على الذي يجعله إليه**] وهو الذي يلي هذه الأموال [**أن يترك المال على أُصوله وينفق من ثمره**] فلا يقطع النخل والثمر ويبيعه خشباًوعيدان فيفضي الأمر إلى خراب الضياع وعقله العقار وينفق من ثمره.

حيث أمر به وهدي له وأن لا يبع من أولاد نخيل هذه القرى وديّة حتّى تُشْكل أرضها غِرَاساً ومن كان من امائي التي أطوف عليهنّ لها ولداً وهي حامل فتمسّك على ولدها وهي من حضّه فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيقة قد أفرج عنها الرق وحرّرها العتق

[**حيث أمر به وهدي له**] من المصرف والإنفاق [**وأن لا يبع من أولاد نخيل هذه القرى وديّة حتّى تُشْكل أرضها غِرَاساً**] والمراد بأولاد النخيل الفسلان الصغار سمّاها أولاداً وليس في بعض النسخ لفظ الأولاد والوديّة الفسيلة واحدة الفسلان وتشكّل أرضها تمتلي بالغراس حتّى لا يبقى فيها طريق واضحة، والحكمة في النهي عن بيع الفسيل قبل إشكال الأرض غراساً أنّه محتاج إليه إذ ربّما مات فيها ما يحتاج إلى إخلاف فينبغي أن لا يباع من فسيلها شيء حتّى يكمل غراسها وينبت بحيث لا يحتاج إلى شيء وإنّ النخلة قبل أن تعلق لم يستحكم جذعها فيضربها قلع فسيلها.

[**ومن كان من امائي التي أطوف عليهنّ لها ولداً وهي حامل فتمسّك على ولدها وهي من حضّه**] أيك تلزمه ويحسب ثمنها من حقّه وتنعتق عليه وكنّى بالطواف عليهنّ عن نكاحهنّ.

[**فإن مات ولدها وهي حيّة فهي عتيقة**] لا سبيل لأحد عليها [**قد أفرج عنها الرق وحرّرها العتق**]، قال السيّد «ره»: قوله في هذه الوصيّة «أن لا يبيع من نخلها وديّة» فإنّ الودية الفسيلة وجمعها ودي، وقوله عليه السلام: «حتّى تشكل أرضها غراساً» فهو من أفصح الكلام، والمراد به أنّ الأرض يكثر فيها غراس النخل حتّى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

انطلق على تقوى اللّه وحده لا شريك له ولا تروّعنّ مسلماً كارهاً ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللّه تعالى في ماله وإذا قدمت على الحيّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم

ومن وصيّة له عليه السلام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنّما ذكرنا منها جملاً ههنا ليعلم بها أنّه عليه السلام كان يقيم عماد الحقّ ويشرع أمثلة العدل في صغير الأُمور وكبيرها ودقيقها وجليلها.

[**انطلق على تقوى اللّه وحده لا شريك له**] أي: معتمداً عليها، غير مشرك في تقواه غيره ولا موجّه نيّتك في الانطلاق إلى سواه لأنّ حركته هذه حركة دينية وعبادة شرعية يجب الإخلاص فيه.

[**ولا تروّعنّ مسلماً**] أي: لا تفزعنّ مسلماً كما هو عادة الولاة الظالمين [ولا تحتازنّ شيئاً من إبله أو ماشيته حال كون المالك [**كارهاً**] لاختياره وروي لا تجتازنّ بالجيم، أي: لا تمرنّ على بيوت أحد من المسلمين يكره مرورك بها.

[**ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللّه تعالى في ماله**] كما سيأتي توضيح ذلك في كلامه عليه السلام في كيفية القسمة.

[**وإذا قدمت على الحيّ فأنزل بمائهم**] حيث أنّ عادة العرب أن تكون مياههم بارزة عن بيوتهم.

[**من غير أن تخالط أبياتهم**] لما في ذلك من المشقّة عليهم والتكلّف له.

ثمّ امض إليهم بالسكينة والقوار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليه ولا تخدج بالتحية لهم تقول عباد اللّه أرسلني إليك وليّ اللّه وخليفته لآخذ منكم حقّ اللّه في أموالكم، فهل في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه فإن قال قائل لا فلا تراجعه وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعّده أو تعسفه أو ترهقه

[**ثمّ امض إليهم بالسكينة**] وهي: اطمئنان القلب.

[**والقوار**] وهو اطمئنان الجوارح والأعضاء.

[**حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليه ولا تخدج بالتحية لهم**] أي: لا تنقصها، أمره عليه السلام أن يميء إليهم غير متسرّع ولا عجل ولا طايش حتّى يقوم بينهم فيسلّم عليهم ويحيّهم بتحيّة كاملة غير مخدجة أي غير ناقصة من أخدجت الناقة: إذا جائت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيّام تامّة.

[**تقول عباد اللّه أرسلني إليك وليّ اللّه وخليفته لآخذ منكم حقّ اللّه**] يعني الزكاة [**في أموالكم، فهل في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه فإن قال قائل لا فلا تراجعه**] وانصرف؛ لأنّ القول قول ربّ المال، فلعلّه قد أخرج الزكاة قبل وصول المصدّق إليه.

[**وإن أنعم لك منعم**] أي: قال: نعم.

[**فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعّده**] أي: تتوعّده من الوعيد [**أو تعسفه**] والعسف: الأخذ بشدّة على غير وجه، وقيل: أي لا تطلب من الصدقة عسفاً، واصله الأخذ والإرهاق على غير الطريق.

[**أو ترهقه**] والإرهاق تكليف العسرة والمشقّة.

فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة وإن كانت له ماشية وإبل فلا تدخلها دخول متسلّط عليه ولا عنيف به ولا تنفرنّ بهيمة ولا تفزعها واصدع المال صدعين ثمّ خيّره فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار فلا تزال بذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء بحقّ اللّه تعالى في ماله

[**فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة**] قيل: يدلّ على أنّ المصدق كان يأخذ زكاة العين والورق كما يأخذ الماشية وانّ النصاب في العين والورق يدفع زكاته إلى الإمام ونوّابه.

[**وإن كانت له ماشية**] أي: غنم وبقر. [**وإبل فلا تدخلها دخول متسلّط عليه**] كما هو شأن الولاة والظلمة، سيّما من يتولّى قبض الماشية من أربابها على وجه الصدقة فإنّهم يدخلونها دخول متسلّط حاكم قاهر ولا يبقي لربّ المال فيها تصرّف.

[**ولا عنيف به**] أي: بلا رفق معه. [**ولا تنفرنّ بهيمة ولا تفزعها**] أي: لا تخوفها [ولا تسوئن صاحبها فيهاخ بضرب ونحوه [**واصدع المال صدعين**] أي: اقسمه قسمين.

[**ثمّ خيّره**] أحد القسمين [**فإذا اختار**] أحدهما وعيّنه [**فلا تعرضنّ لما اختار**] ولا تنازعه فيه وليس له أن يستأنف فيه نظر آخر.

[**فلا تزال بذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء بحقّ اللّه تعالى في ماله**] أي: كذلك يقسم الصدع الباقي بنصفين ولا تزال كذلك حتّى ينتهي أحد الصدعين إلى مقدار الواجب من حقّ اللّه تعالى في ذلك المال أو فوقه بقليل فيؤخذ منه مقدار الواجب أو دونه بيسير ويجعل لربّ المال اختيار أحد الصدعين.

فاقبض حقّ اللّه منه فإن استقالك فأقله ثمّ اخلطهما ثمّ اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله ولا تأخذ عوراص ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عَوار ولا تأمنن عليها إلاّ من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتّى يوصله إلى وليّهم فيقسمه، ولا توكّل بها إلا ناصحاً

[**فاقبض حقّ اللّه منه فإن استقالك**] من أخذ تلك القسمة واردا القسم الآخر بعد أن اختار غيره [**فأقله**] تسكيناً لقلبه من تنقيص ماله.

[**ثمّ اخلطهما ثمّ اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتّى تأخذ حقّ اللّه في ماله ولا تأخذ عوراص**] وهي السنّ من الإبل وهو الذي جاوز في السنّ الهازل.

[**ولا هرمة**] وهي العالية السن [**ولا مكسورة**] وهي التي انكسرت إحدى قوائمها [**ولا مهلوسة**] وهي التي بها الهلاس وهو السل.

[**ولا ذات عَوار**] بفتح العين وهو العيب بكباد ونحوه ونهى عن أخذ هذه الخمسة مراعاةً لحقّ اللّه تعالى وجبراً لحال مستحقّي الزكاة وهو الأصناف الثمانيه المذكورون في القرآن. قيل: ويظهر من كلامه عليه السلام أنّه كان يأمر بإخراج كلّ واحدة من هذه الأصناف ـــــــ من المال قيل أن يصدع بعد عين.

[**ولا تأمنن عليها**] وتوكّل بحظفظها وسوقها [**إلاّ من تثق بدينه**] وأمانته واثقاً من نفسه بحفظه.

[**رافقاً بمال المسلمين حتّى يوصله إلى وليّهم فيقسمه، ولا توكّل بها إلا ناصحاً**] للّه ولرسوله صلى الله عليه وآله.

شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معسف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثمّ احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر اللّه تعالى به فإذا أخذها أمينك فأوعر إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها ولا يجهدنّها ركوباً وليعدل بين صواحبتاتها وبينها وليرفه على اللاغب

[**شفيقاً**] على ما يقوم عليه [**وأميناً حفيظاً**] عليه [**غير معسف**] أي ذي عنف بالضمّ وهو ضدّ الرفق.

[**ولا مجحف**] وهو الذي يسوق المال سوقاً عنيفاً فيجحف به أي: يهلكه أو يذهب كثيراً من لحمه.

[**ولا ملغب ولا متعب**] والملغب: المتعب، واللّغوب: الإعياء.

[**ثمّ احدر إلينا**] من حدرت السفينة احدرها بالضمّ.

[**ما اجتمع عندك**] من المال [**نصيّره حيث أمر اللّه تعالى به**] ثمّ عاد إلى الوصية بحال البهائم فقال:

[**فإذا أخذها أمينك فأوعر إليه**] أمره من أوعرت إليه بكذا أي: أمرته به. [**أن لا يحول بين ناقة وفصيلها**] حال بين الشيئين: حجز.

[**ولا يمصر لبنها**] أي: يحلبه جميعه، المصر: حلب كلّ ما في الضرع من اللّبن والتمصّر: حلب بقايا اللّبن فيه. [**فيضرّ ذلك بولدها ولا يجهدنّها ركوباً**] بأن يخصّها بالركوب دون صاحباتها؛ لأنّ ذلك ممّا يضرّها.

[**وليعدل بين صواحبتاتها وبينها**] في الركوب فإنّه يقلّ معه ضرر الركوب.

[**وليرفه على اللاغب**] الترفيه: الراحة، أي: ليتركه وليعفه عن

وليتأنّ بالنَّقب والطالع وليوردها ما تمرّ به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق وليروّحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب تّى يأتينا بها بإذن اللّه بدناً منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسّمها على كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلىّ اللّه عليه وآله

الركوب.

[**وليتأنّ**] أي: ليرفق [**بالنَّقب**] وهو البعير الذي رقّت أخفافه حتّى تكاد الأرض تجرحه.

[**والطالع**] الذي طلع أي: غمز في مشيه. [**وليوردها ما تمرّ به من الغدر**] جمع غدير: الماء.

[**ولا يعدل بها عن نبت الأرض**] أي: الكلاء [**إلى جوادّ الطرق**] حيث لا ينبت المرعى، والمراد أن يوردها ما يمرّ به من الماء ويعلفها ما يحتازه من الكلأ.

[**وليروّحها في الساعات**] أي: في ساعات الرواح، كمنتصف النهار ونحوه، ويأتي محالّ السمن والراحة كمحال الكلأ والماء، [**وليمهلها عند النطاف**] أي: لمياه القليلة [**والأعشاب**] جمع عشب وهو النبات [**تّى يأتينا بها بإذن اللّه بدناً**] أي: سماناً واحدها بادن.

[**منقيات**] وهي التي صارت من سمنها ذات نقى وهو مخّ العظم وشحم العين من السمن، وأنقت الإبل وغيرها: سمنت وصار فيها نقي وناقة منقية.

[**غير متعبات ولا مجهودات لنقسّمها على كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلىّ اللّه عليه وآله**] دفعاً لما يتوهّم من أنّ هذه المبالغة في الوصيّة لغرض

فـإنّ ذلك أعظم لأجـرك وأقـرب لرشـدك إن شاء اللّه إلى بعض عمّاله وقد بعثه على الصدقة أمره بتقوى اللّه في سرائر أُموره وخفيّات أعماله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة اللّه فيماظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ

يعود إلى نفسه عليه السلام.

[**فإنّ ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء اللّه**] ترغيب له فيما أوصاه بكونه أعظم لأجره عند اللّه لما فيه من الجهد والمشقّة المستلزمة لأكثرية الثواب وأقرب لهداه ورشده إلى طريق اللّه لأنّه مأخوذ من معدن الوحي.

ومن عهد له عليه السلام

[**إلى بعض عمّاله وقد بعثه على الصدقة أمره بتقوى اللّه**] التي هي الأصل في كلّ باب [**في سرائر أُموره وخفيّات أعماله**] إذ هي التقوى الحقّة الخالصة المنتفع بها، وأشار إلى موضع الاسرار والاخفاء بقوله: [**حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه**] لأنّه العالم بالسرائر المحيط بالضمائر ﴿لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء﴾ ﴿إنّه على كلّ شيء شهيد﴾ ﴿قد أحاط بكلّ شيء قدرةً وعلماً﴾ ﴿وأحصى كلّ شيء عدداً﴾ أو المراد حيث لا شهيد ولا وكيل دونه في القيامة.

[**وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة اللّه فيماظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ**] أي: لا ينافق فيعمل الطاعة في الظاهر والمعصية في الباطن بل يخلص أعماله وطاعاته من الرياء والسمعة، ولذا قال:

ومن لم تختلف سرّه وعلانيّته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة وأمره أن لا يجبههم ولا يَعْضَضَهُم ولا يرغب عنهم تفضيلاً بالإمارة لنفسه فإنّهم الاخوان في الدّين والأعوان على استخراج الحقوق

[**ومن لم تختلف سرّه وعلانيّته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة**] التي كلّفها اللّه العباد المشار إليها بقوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان﴾.

[**وأخلص العبادة**] وصار من العباد المخلصين الذين أثنى اللّه عليهم في القرآن العظيم والفرقان الحكيم.

[**وأمره أن لا يجبههم**] يقال: جبهته بالمكروه إذا استقبلته به أي: لا يواجههم بما يكرهونه، وأصل الجبه لقاء الجبهة أو ضربها، ولمّا كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به سمّي بذلك جبهاً.

[**ولا يَعْضَضَهُم**] أي: لا يرميهم بالتهاون والكذب وهي العضهة وعضهت فلاناً عضهاً.

[**ولا يرغب عنهم**] أي: لا ينقبض ولا يترفّع عليهم ولا يحقّرهم. [**تفضيلاً**] لنفسه [**بالإمارة لنفسه**] ونصب تضيلاً على المفعول له، يقال: فلان يرغب عن القوم أي: يأنف من الائتمار عليهم أو مخالطتهم.

ثمّ أشار إلى العلّة والحجّة بقوله: [**فإنّهم الاخوان في الدّين**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنّما المومنون إخوة﴾.

[**والأعوان على استخراج الحقوق**] لأنّ الحقّ إنّما يمكن للعامل استيفائه بمعاونة ربّ المال واعترافه به ودفعه إليه، فإذا كان بهذه الصفة فلا

فإنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقّاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وإنّا موفوك حقّاك فوفّهم حقوقهم وإلا تفعل فإنّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة وبؤساً لمن خصمه عند اللّه الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل

يسوغ جبههم وادّعاء الفضل عليهم؛ لأنّ ذلك مما ينفر طباعهم ويشتّت نظامهم فتنسدّ أبواب الصدقات والمبرّات.

وقوله: [**فإنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقّاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة**] إشارة إلى الحجّة على وجوب توفيته المستحقّين للصدقة حقوقهم بأنّ من كان له نصيب مفروض وحقّ معلوم في شيء وله شركاء فيه متّصفون بالفقر والمسكنة وهو مستوف لحقّه منه فواجب عليه أن يوفي شركائه حقوقهم، ولذا قال:

[**وإنّا موفوك حقّاك فوفّهم حقوقهم وإلا تفعل فإنّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة**] قيل: وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام فوّضه في صرف الصدقة إلى الأصناف المعلومة ولم يأمره أن يحمل ما اجتمع إليه كما في الوصية الأُولى، ويجوز للإمام أن يتولّ ذلك بنفسه وأن يكله إلى من يثقّ به من عمّاله [**وبؤساً**] والبؤس: الشدّة.

[**لمن خصمه عند اللّه الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل**] وكلّ من كان خصومه أكثر وهم الأصناف المذكورة فبؤساً له عند اللّه، وانتصب بؤساً على المصدر، وهو في معرض التهديد والتنفير له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة والأصناف في القرآن ثمانية.

ومن استهان بالأمانة ووقع في الخيانة لم ينزه نفسه عليه السلام ودينه عنها فقد أحلّ بنفسه الذلّ والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلّ وأخزى وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة وأفضع الغشّ غشّ الأئمة والسلام.

وفي كلامه عليه السلام خمسة، ولعلّه عليه السلام أراد بالمدفوعين العاملين عليها باعتبار أنّهم يدفعون لجباية الصدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاة ليه فسألوه هل عليه زكاة أم لا دفعهم عن نفسه، وذكرهم بهذا الوصف لكونه عليه السلام وصف ذلّ وانقهار.

وكلامه عليه السلام في معرض الشفقة والترحّم عليهم وقيل أراد بهم السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال، ولعلّ اقتصاره عليه السلام على الخمسة والأربعة لكونهم أضعف حالاً من الباقين.

وقوله: [**ومن استهان بالأمانة ووقع في الخيانة لم ينزه نفسه عليه السلام ودينه عنها فقد أحلّ بنفسه الذلّ والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلّ وأخزى**] تهديد ووعيد على الخيانة في حقوق المستحقّين.

ثمّ نبّه عليه السلام على عظم الخيانة هنا إذ كانت كلّية عامّة الضرر بقوله:

[**وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة**] حيث انّ ضررها هاهنا يعمّ أكثر المسلمين. [**وأفضع الغشّ**] أي: أشدّه [**غشّ الأئمة**] الذين هم أفضل الناس وأولاهم بالنصيحة، وإذا كان مطلق الخيانة ولو في حقّ أذلّ الخلق وأحقر الأشياء توجب الذلّ والخزي في الدنيا والعقبى فبالأولى مثل هذه الخيانة. [**والسلام**].

فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وواس بينهم في اللحظة والنظرة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك

ومن عهد له عليه السلام

إلى محمد بن أبي بكر رضي اللّه عنه لمّا ولاّه مصر وقد مرّ حال محمد واختصاصه بأمير المؤمنين عليه السلام:

[**فاخفض لهم جناحك**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾ وكنّى به عن التواضع الكائن عن الرحمة والشفقة، وأصله أنّ الطائر يمدّ جناحيها ويخفضهما ليجمع فراخه تحتهما للشفقة عليهما.

[**وألن لهم جانبك**] كنّى عن الرفق بهم في الأقوال والأفعال وعدم الغلظة عليهم والجفوة لهم في جميع الأحوال، قال اللّه تعالى: ﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾.

[**وأبسط لهم وجهك**] كناية عن لقائهم بالبشاشة وبشرى الوجه وطلاقه: المحيا من غير تقطّب وعبوس وهو كالسابق من لوازم التواضع.

[**وواس بينهم في اللحظة والنظرة**] أي: اجعلهم متساوين فيهما ولا تفضّل بعضهم على بعض فيهما، واللّحظة أخفّ من النظرة، والغرض من ذلك التنبّه على وجوب العدل والمواساة بين الرعية في جليل الأمور وحقيرها وقليلها وكثيرها.

[**حتّى لا يطمع العظماء في حيفك**] أي: جودك لهم، قيل: الضمير

ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإنّ اللّه يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذّب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم

راجع إلى الرعية لا إلى العظماء، وقد سبق ذكرهم في أوّل الخطبة، أي: إذا سلكت هذا المسلك لم يطمع العظماء في أن تحيف الرعية وتظلمهم وتدفع أموالهم إليهم، فإنّ ولاة الجور هكذا يفعلون يأخذون مال هذا فيعطونه هذا، ويحتمل أن يرجع الضمير إلى العظماء، أي: حتّى لا يطمع العظماء في جورك في القسمة الذي إنّما تفعله لهم ولأجلهم.

[**ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم**] وإنّما خصّ العظماء بالطمع في الحيف والضعفاء باليأس من العدل؛ لأنّ العادة أنّ الولاة والأمراء إنّما يخصّصون بالنظر والإقبال بالبشاشة الأغنياء والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم أن يحاف لهم، والإعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل في حقّهم.

وقوله: [**فإنّ اللّه يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذّب فأنتم أظلم وإن يعف فهو أكرم**] تهديد ووعيد للعباد بأنّهم يُسألون عن الصغير من أعمالهم والكبير والجليل والحقير والسرّ والعلن، وإعلام بأنّهم مظنّة عذابه لبدئهم بمعصيته والبادي أظلم، ولذا قال: «فأنتم أظلم» على تقدير تسمية ما يجازيهم به من العذاب ظلماً مجازاً للمقابلة والمشاكلة كما في قوله: ﴿وجزاء سيّئة مثلها﴾ ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وقيل: أفعل التفضيل خارج عن بابه والمراد: فأنتم الظالمون كما في قوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه واللّه أكبر﴾.

واعلموا عباد اللّه أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت

ثمّ ذكر عليه السلام حال الزهّاد فقال:

[**واعلموا عباد اللّه أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة**] بل هم أكثر فائدة من أهل الدنيا إذ حصّلوا من اللّذة في دنياهم على أفضل ما جُعل لأهلها من لذّاتهم بها مع زيادة الفوز الأكبر في الآخرة بما وعد فيه المتّقون.

[**فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم**] من لذّات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم، كما روي عنه عليه السلام أنّه قال في مقام آخر: «شاركوا أهل الدنيا في دنياهم».

[**ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم**] أباحهم اللّه في الدّنيا ما كفاهم وبه أغناهم، قال اللّه عزّ اسمه: ﴿قل من حرّم زينة اللّه التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾ والمراد أنّ ما قُدّر لهم في الدنيا يأتيهم لا محالة كما يأتي أهل الدنيا على وجه أشرف وأحسن كما أُشير إليه في الخبر: «أوحى اللّه إلى الدنيا أن اخدمي من خدمني ونغّصي وكدّري عيش من خدمك».

ثمّ قال عليه السلام: [**سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت**] بلا كدر ولا تعب ولا جهد ولا حرص ولا فكر ولا همّ ولا غمّ كما هو المشاهد من حال أهل الدنيا من عدم تمكّنهم مما يأملون منها إلا بعد الجهد الجهيد والمشقّة العظيمة والهموم والغموم واضطراب الفكر والقلب وتقسّم الخاطر.

فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون ثمّ انقلبوا عنها بالزاد المبلغ لهم والمتجر الرابح أصابوا لذّة هذه الدنيا من دنياهم

[**فحظوا من الدّنيا بما حظي به المترفون**] يقال: حظي من كذا أي: صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظّ الوافر.

[**وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون**] وذلك لأنّ كلّ ما استعملوه من الدّنيا من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب إنّما استعملوه بقدر الضرورة والحاجة ولا ريب أنّ الحاجة إلى الملذ كلّما كانت أشدّ وأقوى كانت اللّذة به عند حصوله أتمّ وأعلى، مضافاً إلى خدمة الدنيا لهم راغمة بلا تعب ولا مشقّة طلب، قال تعالى: ﴿ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾.

وقوله عليه السلام: [**ثمّ انقلبوا عنها**] أي: عن الدنيا [**بالزاد المبلغ لهم**] إلى حضرة ذي الجلال، وهو التقوى التي اتصفوا بها وأُشير إليها بقوله تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾.

[**والمتجر الرابح**] واستعار للتقوى والطاعة لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها الثواب والرضوان المشبه للثمن، ورشح بذكر المربح أي: المكتسب للربح باعتبار أنّه تعالى يجازي على العمل القليل الثواب الكثير الجزيل، وفي الدعاء «يا من يعطي بالقليل الكثير».

[**أصابوا لذّة هذه الدنيا من دنياهم**] فإنّ لذّة الزهد روحانية وهي أفضل من الجسمانية فإنّ طرح الدنيا عن أعناق نفوسهم أفضل ابتهاج وأعظم لذّة ممّا فيه المترفون والمتكبّرون.

وتيقّنوا أنّهم جيران اللّه غداً في الآخرة لا تردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذّة فاحذروا عباد اللّه الموت وقدومه وأعدّوا له عدّته فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل لا يكون معه شرّ أبداً أو شرّ لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها

[**وتيقّنوا أنّهم جيران اللّه غداً**] أي: يوم القيامة [**في الآخرة**] وهو إشارة إلى جهة فرحهم بجوار اللّه والتذاذهم به من اليقين التامّ به والوصول إلى رضوانه وثوابه، ولمّا كان الجار يلزمه إكرام جاره كنّى بذلك عن إكرام اللّه تعالى [**لا تردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذّة**] مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذّة في الدنيا وانفردوا به من تمامها.

[**فاحذروا عباد اللّه الموت وقدومه وأعدّوا له عدّته**] حذّرهم من الموت وقربه ونبّههم على الغاية من ذلك التحذير وهو أن يعدّوا له عدّته التي يلقوه بها حتّى لا يتضرّروا فيه، وهي التقوى والعمل الصالح كما مرّ، وأكّد الأمر بإعداد عدّته بالتنبيه على عظم ما يأتي به من الأمر والخطب الجليل بقوله:

[**فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل**] خالص [**لا يكون معه شرّ أبداً أو شرّ**] خالص [**لا يكون معه خير أبداً**] إشارة إلى أنّ ذلك الأمر الذي يأتي به الموت قد يكون خيراً خالصاً وقد يكون شرّاً خالصاً لتشدّ الرغبة في الخير والرهبة من الشرّ.

ثمّ نبّه على أنّ ذلك الخير الذي يأتي به الموت هو الجنّة وذلك الشرّ هو النار وأنّ المقرّب إلى كلّ منهما هو العمل.

فقال: [**فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ومن أقرب إلى النار من عاملها**] أي: العامل لها.

ومن أقرب إلى النار من عاملها وإنّكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم وهو ألزم لكم من ظلّكم والموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم واحذروا ناراً قعرها بعيد

[**وإنّكم طرداء الموت**] جمع طريد وهو ما يطرد من صيد ونحوه، استعير لهم ملاحظةً لشبههم بما يطرد من الصيد ولشبهه بالفارس المجدّ في المطلب الذي لابدّ من إدراكه لطريدته ولذا قال: [**إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم وهو ألزم لكم من ظلّكم**] لأنّ ظلّ كلّ أحد قد ينفك عنه حيث لا ضوء بخلاف الموت فإنّه أمر لازم لابدّ منه ولا محيص عنه.

[**والموت معقود بنواصيكم**] أي: مشدود مربوط بها كناية عن لزومه وكونه لابدّ منه، وخصّ الناصية لأنّها أعزّ ما في الإنسان وأشرف، واللازم لها أملك له وأقدر على ضبطه، ونحوه قوله تعالى: ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾.

[**والدنيا تطوى من خلفكم**] استعار الطيّ لتقضّي أحوال الدنيا وأيّامها التي يقطعها الإنسان وقتاً فوقتاً ملاحظة لشبه أحوالها بما يطوى من بساط ونحوه، وجعل من خلفهم بالنسبة إلى ما يستقبلونه من أحوالها بوجوه هممهم ثمّ لمّا كرّر ذكر الموت وأكّد لزومه بطيّ الدنيا رجع إلى التحذير من غايته فقال:

[**واحذروا ناراً قعرها بعيد**] وفي النبوي أنّه صلى الله عليه وآله سمع هدّة، فقال لأصحابه: هذا حجر أُلقي من شفير جهنّم فهو يهوي فيها منذ تسعين خريفاً والآن حين وصل إلى قعرها، وكان ذلك إشارة إلى منافق مات في ذلك الوقت وعمره سبعون سنة.

وحرّها شديد وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرّج فيها كربة وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه وأن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما

[**وحرّها شديد**] إذ وقودها الناس والحجارة، روي أنّها حجر الكبريت لأنّه أشدّ حراً وقال تعالى: ﴿نار جهنّم أشدّ حرّاً﴾.

[**وعذابها جديد**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾.

[**دار ليس فيها رحمة**] لأنّها دار عذاب ونقمة [**ولا تسمع فيها دعوة**] كما حكى اللّه عنهم من قولهم ﴿ربّنا أخرجنا منها﴾ إلى أن قال: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾.

[**ولا تفرّج فيها كربة**] كما قال تعالى: ﴿في عذاب جهنّم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾ وقال: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك﴾ إلى قوله ﴿ماكثون﴾.

وقوله:

[**وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه وأن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما**] إشارة إلى الجمع بين الخوف والرجاء كما روي «إنّ في قلب المؤمن نورين نور خوف ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا».

وفي وصيّة لقمان: «يا بنيّ خف اللّه خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لخفت أن يعذّبك، وارج اللّه رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرجوت أن يرحمك»،

وعن سيّد الساجدين عليه السلام: «لو أنزل اللّه عزّ وجلّ كتاباً أنّه معذّب رجلاً

فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه وإن أحسن الناس ظنّاً باللّه أشدّهم خوفاً للّه واعلم يا محمد بن أبي بكر انّي ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر

واحداً لرجوت أن أكونه أو أنّه راحم رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه وأنّه معذّبي لا محالة ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا أرجع إلى نفس بلائمة».

وقد أشار القرآن الكريم إلى الجمع بينهما فقال: ﴿ومن يقنط من رحمة ربّه إلا الضالّون﴾ ﴿ولا ييأس من روح اللّه إلا الكافرون﴾ ﴿ولا يأمن مكر اللّه إلا القوم الخاسرون﴾ والخوف والرجاء جناحان يطير بهما الإنسان ولا يستغني بأحدهما عن الآخر، وهما كالطعام والشراب للإنسان، فإذا قيل أيّهما أفضل لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر؛ لأنّه لا يستغنى عن أحدهما بالآخر، نعم يقال الطعام أفضل للجائع والشراب أفضل للعطشان، فكذا الخوف أفضل لمن غلب عليه الرجاء وبالعكس، وقد أشار عليه السلام إلى تلازمهما بقوله:

[فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه وإن أحسن الناس ظنّاً باللّه أشدّهم خوفاً للّه] أي: انّ مقدار حسن ظنّ العبد بربّه مطابق وملازم لمقدار خوفه فيه، وإنّ زيادته مع زيادته ونقصانه مع نقصانه.

[واعلم يا محمد بن أبي بكر انّي ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر] الأجناد تطلق على الأقاليم والأطراف، تقول ولي جند الشام وولي جند الاردن وولي جند مصر، نبّهه على إحسانه إليه بتوليته أعظم أجناده لينبّه على التذكير بتلك النعمة ما يريد أن يوصيه به.

فأنت محقوق أن تخالف على نفسك وأن تنافح عن دينك ولو لم يكن إلا ساعة من الدهر ولا تسخط اللّه برضى أحد من خلقه فإنّ في اللّه خلفاً من غيره وليس من اللّه خلف في غيره صلّ الصلاة لوقتها الموقّت لها ولا تعجّل وقتها لفراغ

[**فأنت محقوق**] أي: حقيق وجدير [**أن تخالف على نفسك**] الأمّارة فيما تأمر به من السوء والفحاء وسائر مناهي اللّه إلى ما يحكم به العقل والشرع من طاعته.

[**وأن تنافح عن دينك**] أي: تجالد وتجاهد عنه يقال نافحت بالسيف أي: خاصمت به أي: تجاهد شياطين الإنس والجنّ عنه.

[**ولو لم يكن إلا ساعة من الدهر**] فينبغي أن لا يشغلها إلا بالمجاهدة عن دينه.

[**ولا تسخط اللّه برضى أحد من خلقه**] بأن تتابع أحداً من خلق اللّه فيما يسخط اللّه.

[**فإنّ في اللّه خلفاً من غيره وليس من اللّه خلف في غيره**] إشارة إلى الحجّة على وجوب مراعاة رضى اللّه تعالى دون غيره، والمذكور في قوّة صغرى وتقدير الكبرى ولكلّما كان في اللّه خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب اتباع رضاه وأن لا يسخط برضى غيره.

ثمّ قال عليه السلام:

[**صلّ الصلاة لوقتها الموقّت لها**] أي: المعيّن اللازم لها.

[**ولا تعجّل وقتها**] بأن تقدّمها على الوقت المضروب لها [**لفراغ**] أي: لأجل فراغك في ذلك الوقت.

ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلواتك فإنّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى ووليّ النبي صلى الله عليه وآله وعدوّ النبيّ صلى الله عليه وآله

[**ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال**] عنها بغيرها فإنّها أهمّ من كلّ شغل وأولى وهي عمود الدين وشعار الإسلام والمسلمين إن قُبلت قُبل ما سواه وإن رُدّت رُدّ ما سواها، كما أشار إلى ذلك بقوله: [**واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلواتك**] فإذا حافظ الإنسان على صلاته وأتى بوظائفها في أوقاتها يوشك أن يكون على غيرها أوتى بالمحافظة، وإذا تساهل فيها فهو في غيرها أكثر تساهلاً وفي النبوي «أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة» فإن تمّت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلاته فإنّه يحاسب عليها وغلى غيرها.

ومن هذا العهد

[**فإنّه لا سواء إمام الهدى**] يعني نفسه عليه السلام [**وإمام الردى**] يعني معاوية، وسمّاه إماماً كما سمّى اللّه تعالى رؤساء الضلالة أئمّة، فقال: ﴿وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار﴾.

[**ووليّ النبي صلى الله عليه وآله**] إشارة إلى نفسه عليه السلام حيق قال النبي صلى الله عليه وآله: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»[1].

[**وعدوّ النبيّ صلى الله عليه وآله**] إشارة إلى معاوية.

قال ابن أبي الحديد: ليس يعني بذلك أنّه كان عدواً أيّام حرب النبي صلى الله عليه وآله لقريش بل يريد أنّه الآن عدوّ النبي لقوله «عدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ اللّه».

ولقد قال لي رسول اللّهﷺ إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه وأمّا المشرك فيمنعه اللّه بشركه ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون

وأوّل الخبر «وليكّ وليي ووليي وليُ اللّه» وتمامه مشهور؛ ولأنّ دلائل الناق كانت ظاهرة فيه فلتات لسانه ومن أفعاله وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصاً من كتب شيخنا أبي عبداللّه ومن كتب الشيخين أبي جعفر الإسكافي وأبي قاسم البلخي.

[ولقد قال لي رسول اللّهﷺ إنّي لا أخاف على أُمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه وأمّا المشرك فيمنعه اللّه بشركه] ويخذله ويصرف قلوب الناس من أتباعه لأنّهم ينفرون لإظهاره كلمة الكفر فلا تطمئنّ قلوبهم إليه ولا تسكن نفوسهم إلى مقالته.

[ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان يقول ما تعرفون] من الحقّ بلسانه **[ويفعل ما تنكرون]** من الكفر ولوازمه، إشارة إلى معاوية وأصحابه، ووجه المخافة منه أنّ مخالطته لأهل الإسلام مع إظهاره له يكون سبباً لإصفائهم إليه ومجالستهم له والاغترار بما يدّعيه بلسانه وقدرته على الشُّبه المضلّة وتنميقها بالأقوال المزخرفة مما يكون سبباً لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدّين.

ومن قبل هذا الكتاب: وأنتم يا أهل مصر فليصدّق قولكم فعلكم وسرّكم علانيّتكم ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم إنّه لا يستوي إمام الهدى... إلى آخر ما مرّ.

إلى معاوية وهو من محاسن الكتب: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء اللّه عزّ وجلّ محمّداً صلّى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبّأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه عندنا ونعمته علينا في نبيّنا فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى معاوية**] جواباً عن كتاب كتبه له وقد مرّ ذكره.

[**وهو من محاسن الكتب: أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء اللّه عزّ وجلّ محمّداً صلّى الله عليه وآله لدينه وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبّأ لنا الدهر منك عجباً**] يقال: خبّأت الشيء: سترته.

[**إذ طفقت**] أي: أخذت وشرعت [**تخبرنا ببلاء اللّه عندنا ونعمته علينا في نبيّنا**] استعار عليه السلام لفظ الخباء لما ستره الدهر في وجود معاوية من العجب، ثمّ فسّر العجب بأنّه يخبر أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بحال النبي صلى الله عليه وآله وما أنعم اللّه به عليه من اصطفائه له لدينه وتأييده بأصحابه مع علمهم بحاله وكونهم أولى بالإخبار عنها منه وأهل البيت أدرى بما فيه، ولذا قال:

[**فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر**] وهو مثلٌ معروف وأصله أنّ رجلاً قدم من هجر إلى البصرة بمال اشترى به شيئاً للربح فلم يجد فيه أكسد من التمر فاشترى بماله تمراً وحمل إلى هجر وادّخره في البيوت ينتظر به

وداعي مسدِّده إلى النضال وزعمت أنّ أفضل الناس فلان وفلان فذكرتَ أمراً إن تمّ اعتزلك، وإن نقص لم تلحقك ثلمة وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس

السعر فلم يزدد إلا رخصاً حتّى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلاً لمن يحمل الشيء إلى معدنه، وهجر معروفة بكثرة التمر حتّى أنّه ربما يبلغ سعره خمسين جلّة بدينار ووزن الجلّة مائة رطل فذلك خمسة آلاف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلاد أُخرى.

[وداعي مسدِّده إلى النضال] أي: المراماة، والمسدّد الذي يقوّمه غيره لأمر ويهديه إليه، ووجه الشبه أنّه حمل الخبر إلى من هو أولى به منه كما يدعو الإنسان مسدّده وأُستاذه في الرمي إلى المراماة، ومسدِّده أولى بأن يدعوه إلى ذلك، وحيث أنّ معاوية كان قد اقتصّ في كتابه حال الصحابة وذكر الأفضل فالأفضل منهم معرّضاً بأفضليتهم عليه بعد مشاركته لهم في الفضل أجابه عليه السلام بقوله:

[وزعمت أنّ أفضل الناس فلان وفلان] أي: أبو بكر وعمر، **[فذكرتَ أمراً إن تمّ اعتزلك، وإن نقص لم تلحقك ثلمة]** أي: ما زعمته من الفضل والترتيب إمّا أن يتمّ أوّلاً فإن تمّ فهو بمعزل عنك؛ إذ ليس لك فيه نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الإسلام، وإن نقص فليس عليك من نقصانه عار فخوضك فيه أيضاً فضول.

ثمّ قال عليه السلام على سبيل الإنكار والتوبيخ والتحقير: **[وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس]** والرواية المشهورة بالرفع، ومَنْ نصب فعلى تأويل «ما لك» و«الفاضل» وفي ذلك معنى الفعل أي: ما تصنع.

وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات! لقد حنّ قدح ليس فمها وطفق يحكم فيها عليه الحكم لها ألا تربع أيّها الإنسان على طلعك وتعرف قصور ذرعك

وأمّا قوله: [**وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأوّلين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم**] فالنصب هنا لا غير لأجل اللام في الطلقاء وهو استفهام على سبيل الاستحقار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأُمور الكبار، وأبو سفيان كان من الطلقاء وكذا معاوية في طليق ابن طليق.

وقوله: [**هيهات! لقد حنّ قدح ليس فمها**] قيل: هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم، واصله القداح من عود واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب فيصوّت بينها إذا دارها الفيض فذلك الصوت هو حنينه.

[**وطفق**] وشرع [**يحكم فيها**] في هذه القضية من يجب أن يكون [**عليه الحكم لها**] لا له فيها، إذ شأن الأشراف أن يكونوا حكّاماً ومقصوده أنّ معاوية ليس من القوم الّذين حكم بتفضيل بعضهم على بعض في شيء وليس أهلاً للحكم فيهم، ثمّ قال عليه السلام:

[**ألا تربع أيّها الإنسان على طلعك**] أي: ألا ترفق بنفسك وتكفّ ولا تحمل عليها ما لا تطيقه، والربع: الوقوف، والطلع: العرج.

[**وتعرف قصور ذرعك**] والذرع: بسط اليد، استعار الظلع لقصوره، ووجه الشبه قصوره عن رتبة السابقين في الفضل لقصور الطالع، وكنّى

وتتأخّر حيث أخّرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وإنك لذهّاب في التيه روّاغ عن القصد ألا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة اللّه أُحدِّث وأمّا بنعمة ربّك فحدّث، إنّ قوماً استشهدوا في سبيل اللّه من المهاجرين ولكلٍّ فضل، حتّى إذا استشهد شهيدنا

بقصور ذرعه عن قصور قوّته وعجزه عن تناول تلك المرتبة.

[**وتتأخّر حيث أخّرك القدر**] إشارة إلى مرتبته النازلة التي جرى بها القدر أن تكون نازلة عن مراتب السابقين، وقد أمره بالتأخّر فيها والوقوف عندها تقريعاً وتوبيخاً بها.

وقوله: [**فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر**] أي: ما الذي يدخلك بيني وبين أبي بكر وعمر وأنت من بني أُميّة لست هاشمياً ولا تيميّاً، هذا فيما يرجع إلى الأنساب. ولست مهاجراً ولا ذا قدم في الإسلام فتزاحم المهاجرين وأرباب السوابق بأعمالك واجتهادك، فإذاً لا يضرّك غلبة الغالب ولا يسرّك ظفر الظافر.

وقوله: [**وإنك لذهّاب في التيه روّاغ عن القصد**] أي: كثير الذهاب والتوغّل في الضلال عنمعرفة الحقّ كثير العدول عن العدل والصراط المستقيم في حقّنا، والتيه: القصد.

[**ألا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة اللّه أُحدِّث**] أي: لستَ عندي أهلاً لأن أُخبركَ بذلك، وأيضاً فإنّك تعلمه ومن يعلم الشيء لا يجوز أن يُخبر به، ولكن أذكر ذلك لأنّه تحديث بنعمة اللّه علينا وقد أُمرنا بأن نتحدّث بنعمته في قوله: [**﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾، إنّ قوماً استشهدوا في سبيل اللّه من المهاجرين ولكلٍّ فضل، حتّى إذا استشهد شهيدنا**] وهو

قيل سيّد الشهداء وخصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بسبعين تكبيرة صلاة عليه أوَلا ترى أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل اللّه ولكلٍّ فضل حتّى إذا فُعِل بواحدنا كما فُعِل بواحدهم قيل الطيّار في الجنّة وذوالجناحين ولولا ما نهى اللّه عنه من تزكية المرء نفسه، لذكَرَ ذاكرٌ فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تنكرها آذان السامعين

حمزة عمّ النبي والوصي.

[قيل سيّد الشهداء] والقائل ذلك هو النبيﷺ.

[وخصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بسبعين تكبيرة صلاة عليه] في أربع عشرة صلاة، وذلك أنّه كلّما كبّر عليه خمساً حضرت جماعة أُخرى من الملائكة فصلّى بهم عليه أيضاً وذلك من خصائص حمزة وشرف بني هاشم في حياتهم وموتهم.

[أوَلا ترى أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل اللّه] إشارة إلى جعفر بن أبي طالب **[ولكلٍّ فضل]** أي: لكلٍّ واحد من هؤلاء فضل لا يُجحد.

[حتّى إذا فُعِل بواحدنا كما فُعِل بواحدهم قيل الطيّار في الجنّة وذوالجناحين] سمّاه رسول اللّهﷺ بذلك ومن شعره المنسوب إليه:

وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن أُمّي

[ولولا ما نهى اللّه عنه من تزكية المرء نفسه، لذكَرَ ذاكرٌ فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تنكرها آذان السامعين] عنى عليه السلام بذلك نفسه وأنّ له فضائل لا تخفى، ولم يأت بالألف واللام ولم ينسبه إلى نفسه إباء من التصريح بتزكية نفسه، وفي بعض النسخ «ولا تمجّها آذان السامعين» استعير المجّ لكراهية النفس لبعض ما تكرّر سماعه وإعراضها عنه فإنّها تصير

فدع عنك من مالت به الرمية فإنّا صنايع ربّنا والناس بعدُ صنايع لنا لم يمنعنا قديم عزّنا وعادي طولنا على قومك إن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفّاء ولستم هناك

كالقاذف له من الاذن كما يقذف الماج الماء.

[**فدع عنك من مالت به الرمية**] أي: دع عنك أصحاب الأغراض الفاسدة المفسدة ولا تلتفت إلى ما يقولون في حقّنا كعمرو بن العاص، ويحتمل أن يكون الإشارة إليه نفسه على طريقة قولهم «إياك أعني واسمعي يا جارة» واستعار الرمية وكنّى بها عن الأُمور التي تقصدها النفوس وترميها بقصورها ونسب الميل إليها لأنّها هي الجاذبة للإنسان والمائلة به الحاملة له على الفعل.

وقوله: [**فإنّا صنايع ربّنا والناس بعدُ صنايع لنا**] قال ابن أبي الحديد: هذا كلام عظيم عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني وصنعة الملك من يصطفه الملك ويرفع قدره يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل اللّه تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة والناس نأمرهم صنايعنا فنحن الواسطة بينهم وبين اللّه تعالى، وهذا مقامٌ جليلٌ ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد اللّه وأنّ الناس عبيدهم.

[**لم يمنعنا قديم عزّنا وعادي طولنا**] أي: قديم فضلنا.

[**على قومك إن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا**] فيكم [**وأنكحنا**] منكم [**فعل الأكفّاء ولستم هناك**] أي: والحال انّكم لستم أكفّائنا، والعامل خلطناكم، وفعل الأكفّاء نُصب على المصدر من فعل مضمر، وما ذكره عليه السلام إشارة إلى تزويج رسول اللّه صلى الله عليه وآله رقية وأُم كلثوم من عثمان وأبي العاص بن

وأنّى يكون ذلك كذلك ومنّا النبي ومنكم المكذّب ومنّا أسدُ اللّه ومكم أسد الأحلاف

الربيع، وتزوّج رسول اللّه صلى الله عليه وآله أم حبيبة بنت أبي سفيان وتزوّج عبداللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان فاطمةبنت الحسين.

ثمّ شرع عليه السلام في بيان ما ادّعاه من نفي كونهم أهلاً للمخالطة ولا أكفّاء للمناكحة بقوله بالمقابلة بين بني هاشم بالفضائل وبين بني أُميّة بالرذائل فقال:

[**وأنّى يكون ذلك كذلك**] على سبيل الاستفهام الإنكاري، أي: كيف يكون شرفكم كشرفنا وحسبكم كحسبنا. [**ومنّا النبي ومنكم المكذّب**] قال ابن أبي الحديد: يعني أباسفيان بن حرب، كان عدوّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله، والمكذّب له والمجلب عليه، وهؤلاء ثلاثة بإزاء ثلاثة أبو سفيان بإزاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ومعاوية بإزاء عليّ، ويزيد لعنه اللّه بإزاء الحسين عليه السلام، وبينهم من العداوة ما لا تبرك عليه الإبل، وقيل: المكذّب له من بني أُمية: أبو جهل بن هشام، وإليه الإشارة بقوله: «وذرني والمكذّبين».

[**ومنّا أسدُ اللّه**] وأسد رسوله وهو حمزة بن عبدالمطّلب.

[**ومنكم أسد الأحلاف**] يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أسد بن عبدالعزى، والأحلاف هم عبدمناف وزهرة وأسد وتيم والحرث بن فهر، وسُمّوا الأحلاف لأنّ بني قصي أرادوا أن ينتزعوا بعض ماكان بأيدي بني عبدالدار من اللواء والندرة والحجابة والرفادة وهي كلّ شيء كان فرضه قصي على قريش لطعام الحجّاج في كلّ سنة ولم يكن لهم إلا النقابة، فتحالفوا على حربهم وأعدّوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلك ناكثين وأقروا ما

ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النار ومنّا خيرُ نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم

كان بأيديهم وردّ بأنّه أي: عار يلزم معاوية من ذلك، ثمّ انّ بني عبد مناف كانوا في هذا الحلف وعليّ ومعاوية من بني عبد مناف.

[**ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة**] يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

[**ومنكم صبية النار**].

قال ابن أبي الحديد: هي الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله لعقبة بن أبي معيط حين قُتِل صبراً يوم بدر وقد كان المستعطف له صلى الله عليه وآله «من للصبية يا محمّد؟ قال: النار» وعقبة بن أبي معيط من بني عبد شمس.

وقال الراوندي: صبية النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ، ولما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة عنهم كانوا صبية ثمّ ترعرعوا واختاروا الكفر وشبهه.

[**ومنّا خيرُ نساء العالمين**].

قال ابن أبي الحديد: يعني فاطمة عليها السلام نصُّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله على ذلك لا خلاف فيه.

[**ومنكم حمّالة الحطب**] هي: أُمّ جميل بنت حوب بن أمية، إمرأة أبي لهب الذي ورد القرآن فيها بما ورد.

وقوله عليه السلام: [**في كثير مما لنا وعليكم**] متعلّق بمحذوف، أي: هذا الكلام داخل في جملة كلام كثير يتضمّن ما لنا وعليكم، أي: إنّي قادرٌ أن أذكر شيئاً كثيراً من هذا.

فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تُدْفَع وكتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا وهو قوله تعالى: ﴿وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾ وقوله تعالى: ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتَّبعوه وهذا النبي والّذين آمنوا واللّه وليُّ المؤمنين﴾ فنحن مرّة أوّل بالقرابة وتارةً أولى بالطاعة

وقوله: [**فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تُدْفَع**] إشارة إلى أنّ شرف بيته وحسبه على غيره لا يختصّ به في الإسلام فقط بل شرفهم في الجاهلية أيضاً أظهر من الشمس وأبين من الأمس.

[**وكتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا**] أي: يوجب لنا بصريح حكمه ويجمع لنا ما شذّ عنّا من هذا الأمر وسلبناه، وهو شروع في الاحتجاج على أولويّته بالخلافة من غيره، فقال:

[**وهو قوله تعالى: ﴿وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾**] وهو عليه السلام من أخصّ أُولي الأرحام بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وكلُّ من كان كذلك فهو أولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك، أمّا الصغرى فظاهرة وأمّا الكبرى فللآية.

[**وقوله تعالى: ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتَّبعوه وهذا النبي والّذين آمنوا واللّه وليُّ المؤمنين﴾**] وهو عليه السلام أقرب الخلق إلى اتّباع الرسول وأوّل من آمن به وصدّقه وأفضل من أخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب وكلّ من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه للآية، فهو أولى برسول اللّه وبمنصبه تارة من جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتّباعه كما قال:

[**فنحن مرّة أوّل بالقرابة وتارةً أولى بالطاعة**] ثمّ احتجّ ببرهان ثالث.

ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فلحوا عليهم فإن يكن الفلح به فالحقّ لنا دونكم وإن يكن بغيره، فالأنصار على دعواهم وزعمت انّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فقال عليه السلام:

[**ولمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة**] بعد أن طلبوا الإمامة لأنفسهم [**برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله**] وأنّهم من شجرته التي أشار إلى كون الأئمة منها بما رووه عنه صلى الله عليه وآله من قوله: «الأئمّة من قريش»، [**فلحوا**] أي: غلبوا [**عليهم**] وسلّموا لهم ذلك.

[**فإن يكن الفلح به**] أي: بالقرب وكون المهاجرين أقرب من الأنصار [**فالحقّ لنا دونكم**] لأنّهم أقرب إليه عليه السلام ممّن عداهم وهم ثمرة تلك الشجرة وغايتها.

[**وإن يكن**] الفلح [**بغيره، فالأنصار على دعواهم**] للإمامة فهي باقية وحجّتهم قائمة إذ لم يكن ما رووه من الخبر دافعاً لقوله إلا من جهة كونهم من قريش الموجب لقربهم وبُعد الأنصار عنه، وقد فرض انّ جهة الأقرب غير معتبرة ههنا، وحيث زعم معاوية في كتابه أنّه عليه السلام حسد سائر الخلفاء وبغى عليهم أجابه عليه السلام بقوله:

[**وزعمت انّي لكلّ الخلفاء حسدت وعلى كلّهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها**] تقدير الجواب انّ ما ادّعيتَ، إمّا أن يكون صدقاً أو كذباً، فإن

وقلتَ إنّي أُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتّى أُبايع، ولعمري لقد أردتَ أن تذمَّ فمدحت!! وأن تفْضَحَ فافتضحتَ، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه

كان صدقاً فليس جنايتي عليك حتّى أعتذر منها إليك، بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك، وأكّد ذلك بالمثل والبيت لأبي ذويب وأوّله:

وعيّرها الواشون أنّي أُحبّها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وهو مثل يُضرب لمن ينكر أمراً ليس منه في شيء ولا يلزمه إنكاره، وإن كان كذباً فيكفيك ذلك.

[**وقلتَ إنّي أُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش**] وهو الذي جُعل في أنفه خشاش وهو خشبة تدخل في أنف البعير ليُقاد بها، أي: أُقاد قهراً وكرهاً وإذلالاً وهو وجه الشبه.

[**حتّى أُبايع، ولعمري لقد أردتَ أن تذمَّ فمدحت!! وأن تفْضَحَ فافتضحتَ، وما على المسلم من غضاضة**] وهي الذلّة والمنقصة [**في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه**] ولمّا كان عليه السلام ثابتاً على اليقين التامّ وهو القائل: «لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً» وذلك هو الكمال الحقّ والفضل المبين الذي أذعنت له أرباب العقول واتّفق عليه علماء المعقول والمنقول، والفضيحة: إظهار عيب الإنسان ونقصه، وحيث لا عيب فلا فضيحة.

وأمّا أنّ ذلك فضيحة لمعاوية فلظهور نقصانه في عدم الفرق بين ما يمدح به ويذمّ.

وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها ولكنّي أطلقتُ لك منها بقدر ما رشح من ذكرها ثمّ ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فَلَكَ أن تُجاب عن هذه لرحمك منه فأيُّنا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله أمّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه

[**وهذه حجّتي إلى غيرك قصدها ولكنّي أطلقتُ لك منها بقدر ما رشح**] أي: اعترض [**من ذكرها**] أي: ما ذكرت لك من الحجج على مظلوميّتي وكون الحقّ لي دون غيري لستَ أنت المقصود بالخطاب بهذا الاحتجاج؛ إذ لستَ أهلاً للخطاب ولا للجواب، ولستَ من هذا الأمر في شيء حتّى تُخاطب به!

بل المقصود غيرك بالخطاب م الّذين تقدّموا عليّ وظلموني وإنّما ذكرت لك منها بقدر ما دعت الحاجة إليه وسنح لي أن أذكره في جوابك!!

[**ثمّ ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان**] في تأليبه وخذلانه [**فَلَكَ أن تُجاب عن هذه**] الشبهة [**لرحمك منه**] لكونه من بني أُميّة.

[**فأيُّنا كان أعدى له**] أي: أشدّ عداوة [**وأهدى إلى مقاتله**] أي: لوجوه قتله ومواضعه من الآراء والحيل.

[**أمّن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أمّن استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه**] قد عكس عليه ما ادّعاه وأبان أنّه هو الذي كان عدوّه وخاذله وأنّه ما كان ناصره ومعرّض نفسه للذبّ عنه، فاستفهمَ منه استفهام توبيخ له، أيّنا كان أعدى عليه وأهدى لوجوه قتله، أهو الذي بذل نصرته فقال له: لا أحتاج إلى نصرتك ولكن اقعد

كلاّ لقد علم اللّه المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً وما كنت أعتذر من انّي كنت أنقم عليه أحداثاً فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فربّ ملوم لا ذنب له

وكفّ عنّي شرّك! أم أنت الذي استنصرك فتراخيت عنه وبثثت المنون إليه، فإنّ المروي أنّ عثمان بعث حال حصاره إلى الشام مستصرخاً بمعاوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الأمر إلى أن قُتل، وذكر القدر ونسبته القتل إليه ههنا مناسب لتبرّيه من دمه.

[**كلاّ**] ردعٌ عمّا زعمه، أي: كلاّ لم أكن أنا أعدى عليه ولا أهدى لمقاتله منك يا معاوية.

[**لقد علم اللّه المعوّقين منكم**] إشارة إلى تسويفه وقعوده عن نصرته.

[**والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً**] فإنّ الآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبّطون أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله عنه.

[**وما كنت أعتذر من انّي كنت أنقم عليه أحداثاً**] إشارة إلى ما عساه كان سبباً لتوهّم جملة من الجهّال الزاعمين دخوله في دمه بسبب إنكاره عليه ماكان نقمه هو وجملة من الصحابة والتابعين عليه من الأحداث والبِدَع فبيّن عليه السلام أنّ ذلك ليس ممّا يُعتذر عنه؛ إذ كان ذلك إرشاداً له وهدايةً، ولذا قال:

[**فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له**] إلى ما فيه رضى اللّه وصلاح دينه ودنياه وآخرته وأولاه فلا شيء عليه.

[**فربّ ملوم لا ذنب له**] وأنا ذلك الملوم إذ لم يكن ما فعلته ذنباً.

وقد يستفيد الظنّة المتنصّح وما أردتُ إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكّلت وإليه أُنيب وذكرتَ أنّه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت يا معاوية بعد استعبار فيه متى ألفيت بنو عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوّفين

[**وقد يستفيد الظنّة**] أي: التهمة [**المتنصّح**] أي: المبالغ في النصيحة وأنا ذاك المتنصّح إذ لم يكن قصدي إلا إصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وهو مثل يضرب لمن يبالغ في النصيحة حتّى يُتّهم أنّه غاش، وقبله وكم سُقت من آثاركم من نصيحة وقد يستفيد... إلخ، وكذا قوله: فربّ ملوم... إلخ، مثل يُضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون وجهه.

ثمّ قال عليه السلام: [**وما أردتُ إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكّلت وإليه أُنيب**] أي: أرجع، فلا أُبالي بلوم لائم ولا بعذل عاذل، وحيث إنّ معاوية كان قد توعّده في كتابه بالحرب أجابه عليه السلام بقوله:

[**وذكرتَ أنّه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت يا معاوية بعد استعبار**] أي: بكاء، ولمّا كان الضحك إنّما يكون عن عجب سيّما ما كان منه بعد البكاء كنّى بذلك عن أنّ وعيده لمثله عليه السلام من أبلغ الأسباب المستلزمة للعجب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به، وقيل: معناه لقد أضحك من سمع منك هذا تعجّباً بعد بكائه على الدّين ليصرفك [**فيه متى ألفيت**] أي: وجدت.

[**بنو عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيف مخوّفين**] استفهام إنكار لوقت وحدانه لبني عبدالمطلب بصفة النكول عن الحرب والخوف من

فـ«لَبِّثْ قليلاً يلحقُ الهيجا حَمَلْ» فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت

السيف في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل.

وقوله: [**فـ«لَبِّثْ قليلاً يلحقُ الهيجا حَمَلْ»**] مثلٌ يُضرب للوعيد بالحرب، وأصله أنّ حمل بن بدر رجل من قشرا غِير على إبل له في الجاهلية في حرب فاستنقذها وقال: لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا الموت نزل. وقيل: أصله انّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر فقال حمل: لبّث قليلاً... إلخ، فأُرسل مثلاً. ثمّ أتى وقتل مالكاً فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلهما وقال:

شغبت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

ثمّ شرع عليه السلام في مقابلته بالوعيد فقال:

[**فسيطلبك**] للحرب والضرب [**من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان**] الإرفال: ضرب من السير سريع، والجحفل: الجيش العظيم، ثمّ وصفه عليه السلام بأوصاف تزلزل أركان العدوّ فقال: [**شديد زحامهم**] لكثرتهم وشجاعتهم وزاد حامهم على العدوّ.

[**ساطع**] مرتفع [**قتامهم**] غبارهم [**متسربلين**] نصب على الحال.

[**سرابيل الموت**] مفعول له، والسرابيل: القمصان كنّى بها للدروع والعدّة التي يلقون بها الموت ويخوضون في غمراته، أو عن ملابسهم من

احبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشم قد عرفت مواقع نضالها في أخيك وخالك وجدّك وهلك وما هي من الظالمين ببعيد.

إلى أهل البصرة وقد كان من انتشار حبلكم

الثياب أو الهيئات والأحوال التي وطّنوا أنفسهم على القتل فيها، فهي كالأكفان لهم.

[**احبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم**] لكمال نعيمهم بما هم عليه من الدّين الحقّ وثقتهم بالوعد الإلهي الصادق.

[**صحبتهم ذرية بدرية**] إشارة إلى أولاد من كان من المسلمين مع النبيﷺ يوم بدر. [**وسيوف هاشم قد عرفت**] يا معاوية [**مواقع نضالها**] أي: سيوفها [**في أخيك**] حنظلة بن أبي سفيان [**وخالك**] الوليد بن عتبة [**وجدّك**] عتبة بن ربية أب هند أُمّ معاوية.

[**وهلك**] من غيرهم [**وما هي من الظالمين**] كمعاوية وأصحابه [**ببعيد**] وعيدٌ له أن يصيبه منها ما أصابهم وينزل به ما نزل بهم فإن فاتهم في ذلك الزمان فلا يفوتهم في الرجعة إن شاء اللّه.

ومن كتاب لهعليه السلام

[**إلى أهل البصرة**] مبتدء بذكر ذنوبهم وتقريرها عليهم ليحسن عقبها العفو أو المؤاخذة.

[**وقد كان من انتشار حبلكم**] استعار الحبل لبيعتهم إيّاه، والانتشار

وشقاقكم مالم تغبوا عنه فعفون عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم فإن حظت بكم الأُمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فها أنا ذا مستعدّ قد قرّبت جيادي ورحلت ركابي

لكنثهم لبيعته إذ البيعة سبب جامع لهم ناظم لأُمورهم متمسّك لهم يوصل إلى رضاء ربّهم وثوابه كالحبل الناظم لما يربط به ونكثهم كفلّ ذلك الحبر ونشره وتفرّقه قطعاً قطعاً.

[**وشقاقكم**] أي: نزاعكم وجدالكم سُمّي شقاقاً لأنّ كلاً من الخصمين في جانب غير جانب الآخر.

[**مالم تغبوا عنه**] يقال: غبيت عن الشيء وغبيته إذا لم تفطن له، نبّه بذلك على علمهم بما فعلوه وتعمّدهم لفعله لتتأكّد عليهم الحجّة.

[**فعفون عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم**] أي: من أدبر منكم منهزماً فارّاً من القتال.

[**وقبلت من مقبلكم**] اي: من أقبل إليّ منكم معتذراً فقبلت منه ورضيت عنه فقابل إسائتهم بالإحسان وجرائمهم بالغفران، ثمّ أردف ذلك بوعيدهم فقال: [**فإن حظت بكم الأُمور المردية**] أي: إن عدتم ثانياً إلى الفتنة واستعار لفظ الحظو لسوق الأُمور، والمردية: المهلكة.

[**وسفه الآراء الجائرة**] أي: المنحرفة عن الصواب [**إلى منابذتي وخلافي**] والمنابذة: المخالفة، أي: إن عدتم إلى خلافي.

[**فها أنا ذا مستعدّ**] لكم [**قد قرّبت جيادي ورحلت ركابي**] أي: شددت الرحال على ظهورها وألقيت على كورها، كنّى بذلك عن كونه

ولئن الجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا تكون وقعة الجمل إليها إلا كلعقة لاعق مع انّي عارلف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقّه غير متجاوز منها بالعقوبة إلى بريء ولا ناكثاً إلى وفيّ به.

إلى معاوية: فاتّق اللّه فيما لديك

مستعداً للكرّة عليهم، واكتفى بذلك في وعيدهم على خلافه؛ لأنّ مجرّد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب إيقاع الوقعة بهم لاحتمال أن يرجعوا ويتوبوا بوعيده؛ فلذا نبّه ﷺ على شرط ثاني بقوله:

[**ولئن الجأتموني إلى المسير إليكم**] ومحاربتكم بأن جنيتم جناية لا تدفع إلا بالإيقاع بكم [**لأوقعنّ بكم وقعة لا تكون وقعة الجمل**] بالنسبة [**إليها إلا كلعقة لاعق**] في الحقارة والصغر، أي: بحيث يستصغر معها وقعة الجمل، أراد بذلك شدّة إيقاعه بهم، ثمّ توعّدهم بما يُخشى من الوعيد أردفه بما يُرجى معه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة منهم فقال:

[**مع انّي عارلف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة**] منكم [**حقّه غير متجاوز منها بالعقوبة إلى بريء**] من الجناية [**ولا ناكثاً**] للعهد [**إلى وفيّ به**] ليكونوا بين الخوف والرجاء ولا ييأسوا من عدله وفضله فيشتدّ نفارقهم منه ويكون ذلك داعياً إلى فسادهم.

ومن كتاب له ﷺ

[**إلى معاوية: فاتّق اللّه فيما لديك**] من أموال المسلمين وفيئهم.

وانظر في حقّه عليك وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته فإنّ للطاعة للّه أعلاماً واضحة وسبلاً نيّرة ومحجّة نهجه وغاية مطلبة تردها الأكياس وتخالفها الأنكاس من نكب عنها حاد عن الحقّ

[**وانظر في حقّه عليك**] من وجوب طاعته واتّباع مرضاته واجتناب معاصيه وسخطاته.

[**وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته**] من وجوب طاعتي واتّباعي وعدم مخالفتي وشقاقي إذ ذاك أمر واضح لا يخفى عليك.

[**فإنّ للطاعة للّه أعلاماً واضحة**] استعار الأعلام لما يدلّ على طريق اللّه من الكتاب والسنّة ومن جملتها أئمّة الهدى وأعلام التقى والحجج على أهل الدنيا الذي هو رئيسهم وأفضلهم وأوّلهم وأنّهم أصل تلك الأعلام وحاملوها.

[**وسبلاً نيّرة ومحجّة نهجه**] عنى بهما الطرق إلى اللّه المدلول عليها بأعلامها المذكورة.

[**وغاية مطلبة**] أي: غاية مطلوب من الخلق وصولهم إلى رضوان اللّه وثوابه.

وقوله: [**تردها الأكياس وتخالفها الأنكاس**] الضمير راجع إلى المحجّة والأعلام الواضحة، والأكياس: العقلاء وظاهر أنّهم هم الذين يختارون ورود تلك المحجّة وقصد أعلامها، والأنكاس جمع نكس: وهو الدنيء من الرجال، ومعلوم أنّهم هم الذين يخالفون المحجّة والأعلام ويعدلون إلى غيرها ولذا قال: [**من نكب**] أي: عدل [**عنها**] أي: عن تلك المحجّة والأعلام [**حاد عن الحقّ**] وخبط في تيه الجهالة والضلالة.

وغيّر اللّه نعمته وأحلّ به نقمته فنفسك نفسك فقد بيّن اللّه لك سبيلك وحيث تناهت بك أُمورك فقد أجريت إلى غاية خسر ومحلّة كفر وإنّ نفسك قد أولجتك شرّاً

[**وغيّر اللّه نعمته**] بذلك [**وأحلّ به نقمته**] في دار الجزاء [**فنفسك نفسك**] أي: احفظها بسلوك سبيل اللّه الحقّ وصراط اللّه السويّ والتمسّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

[**فقد بيّن اللّه لك سبيلك**] وأوضح لك طريقك الذي فيه نجاتك فاسلكه كما قال تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ وقال: ﴿وهديناه النجدين﴾ وقال: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾ وقال: ﴿وما كان اللّه ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون﴾ وقال: ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عن بيّنة﴾.

وقوله: [**وحيث تناهت بك أُمورك فقد أجريت إلى غاية خسر ومحلّة كفر**] في «حيث» معنى الشرط، وجوابه «فقد»، والمراد موضع ومقام وصلت أُمورك وأعمالك إليه فقد وصلت فيه إلى غاية خسر، أي: غاية مستلزمة للخسر في الآخرة والمقصود حيث تناهت بك أُمورك فحسبك ما تناهت بك إليه، ثمّ فسّر ذلك الحيث الذي أمره بالوقوف عنده وهو الغاية المستلزمة للخسر والتي هي منزلة من منازل الكفر وأخبره أنّه قد أجرى إليها وكفى بها غاية شرّ وإجرائه إلى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله إليها.

وقوله: [**وإنّ نفسك قد أولجتك شرّاً**] أي: أدخلتك في شرّ الدنيا والآخرة بما سوّلت لك من المعاصي والخروج عن الإمام الحقّ، ويروى قد

وأقحمتك غيّاً وأوردتك المهالك وأوعرت عليك المسالك.

من الوالد الفان

أوحلتك أي: ألقتك في الوحل، استعير لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن الجهل.

[**وأقحمتك**] والاقتحام: الدخول في الأمر بشدّة.

[**غيّاً**] أي: أدخلتك في الضلال عنفاً.

[**وأوردتك المهالك**] أي: الموارد المهلكة من الشبهات والمعاصي.

[**وأوعرت عليك المسالك**] أي: مسالك الهدى وطرق الخير، والوعر: الشديد.

ومن وصيّة له عليه السلام

لابنه الحسن عليه السلام كتبها له بحاضرين عند انصرافه من صفّين.

قال ابن أبي الحديد: الحاضرين على صيغة التثنية يعني حاضر حلب وحاضر قيسرين وهي الأرباض والضواحي المحيطة بهذه البلاد ثمّ قرأنه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ولم يفسّروه، ومنهم من يذكره بصيغة الجمع، ومنهم من يقول بحاضرين يظنونه تثنية حاضر وجمعها وفي رواية الصدوق انّ هذه الوصية كتبها عليه السلام لولده محمد بن الحنفية.

[**من الوالد الفان**] بحذف الياء للازدواج مع الزمان؛ ولأنّه وقف على المنقوص ويجوز فيه حذف الياء وعدمه والإسقاط مع الألف واللام أوجه كما أنّ الإثبات مع عدمها أوجه وإطلاق الفاني مجاز باعتبار الغاية.

المقرّ للزمان المدبر للعمر المستسلم للدهر الذامّ للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غداً إلى المولود المؤمّل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك

[**المقرّ للزمان**] بالغلبة والقهر ؛ لأنّه جعل نفسه خصماً للزمان فلمّا كبر أقرّ له بالغلبة .

[**المدبر للعمر**] لأنّه عليه السلام كان قد جاوز الستين ولا يبقى بعدها إلا إدبار العمر ؛ لأنّها نصف العمر الطبيعي فما بعد الستّين أقلّ ممّا مضى فيكون العمر قد أدبر .

[**المستسلم للدهر**] هو أبلغ من قوله المقرّ للزمان ؛ إذ قد يقرّ الإنسان لخصمه ولا يستسلم .

[**الذامّ للدنيا**] لم يزل عليه السلام ذامّاً لها منفّراً عنها حتّى طلّقها ثلاثاً .

[**الساكن مساكن الموتى**] إذ من كان في منازلهم ينزل به ما نزل بهم، قال تعالى : ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ .

[**الظاعن عنها غداً**] تذكيرٌ بالمفارقة، وغداً : كناية عن وقتها، ولا يريد الغد بعينه، بل قرب الرحيل والظعن .

ثمّ لمّا وصف عليه السلام نفسه شرع في وصف ولده فقال : [**إلى المولود المؤمّل ما لا يدرك**] قال ابن أبي الحديد : لو قال قائلٌ إنّه كنّى بذلك عن أنّه لا ينال الخلافة بعد موتي وإن كان مؤمّلاً لها لم يبعد ويكون ذلك إخباراً عن غيب، ولكن الأظهر أنّه لم يرد ذلك وإنّما أراد جنس البشر، وكذا سائر الألفاظ التي تلي هذه اللفظة لا تخصّ الحسن بعينه، الا ترى إلى قوله بعدها : [**السالك سبيل من قد هلك**] فإنّ كلّ واحد من الناس يؤمّل أُموراً لا يدركها

غرض الأسقام ورهينة الأيام ورمية المصائب وعبدُ الدّنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات

وكلّ واحد من الناس سالك سبيل من هلك قبله.

[**غرض الأسقام**] استعار الغرض للإنسان من حيث كونه مرمياً بسهام الأمراض كالغرض.

[**ورهينة الأيام**] واحدة الرهائن استعير له باعتبار أنّ وجوده مربوط بالؤقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه، وقيل: الرهينة بمعنى المهزول، يقال: إنّه الراهن وإنّه لرهينة إذا كان مهزولاً بالياً.

[**ورمية المصائب**] الرمية وهو ما يُرمى وهو كعرض الأسقام [**وعبدُ الدّنيا**] استعار العبد لطالب الدّنيا؛ لأنّه منقاد بطبعه إليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيّده ويعمل له.

[**وتاجر الغرور**] أي: تجارته فيها ولها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية، واستعار التاجر باعتبار بذله لماله وأعماله توهّم أنّها المربحة.

[**وغريم المنايا**] مستعار له باعتبار طلب الموت كالمتقاضي بالرجل كما يتقاضى الغريم.

[**وأسير الموت**] مستعار باعتبار انقياده للموت وعدم تمكينه من الخلاص.

[**وحليف الهموم وقرين الأحزان**] استعار الحليف والقرين باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والأحزان كما لا ينفكّ الحليف والقرين عن حليفه وقرينه.

[**ونصب الآفات**] حيث أنّه معرض لها كالنصب.

وصريع الشهوات وخليفة الأموات أمّا بعد، فإنّ فيما تبيّنت من إدبار الدّنيا عنّي وجموح الدهر عليّ وإقبال الآخرة إليّ ما يَزَعُني من ذكر من سواي والاهتمام بما وراي غير انّي حيث يفردني دون هموم الناس همّ نفسي فصدقني رأيي

[**وصريع الشهوات**] مستعار له باعتبار كونه مغلوباً لشهوته ومقهوراً لها كالقتيل.

[**وخليفة الأموات**] فيه تنفير عن الدنيا بذكر الموت؛ لأنّ خليفة الأموات في معرض اللّحوق بهم قد عدّ عليه السلام من صفاته سبعاً ومن صفات ولده أربعة عشر بإزاء كلّ واحدة له ثنتان لولده.

[**أمّا بعد، فإنّ فيما تبيّنت من إدبار الدّنيا عنّي وجموح الدهر عليّ وإقبال الآخرة إليّ ما يَزَعُني من ذكر من سواي والاهتمام بما وراي**] جمح الفرس: إذا غلب صاحبه فلم يملكه، ويزعني: يمنعني.

واستعار الجموح للدهر لعدم تمكّنه من ضبطه في تغيّراته وتنقّلاته الخارجة عن اختياره كالجموح من الخيل.

و«ما» موصولة أو مصدرية، وعلى الأوّل فـ«من» للتبيين، وعلى المصدرية لابتداء الغاية، «ما» الثانية موصولة محلّها الرفع بالابتداء، و«فيما تبينت» خبره.

والمعنى: انّ فيما قد بان لي من تنكّر الوقت وإدبار الدّنيا وإقبال الآخرة شاغلاً لي عن الاهتمام بأحد غيري والفكر في أمر الولد وغيره فيما أُخلّفه ورائي.

[**غير انّي حيث يفردني دون هموم الناس همّ نفسي فصدقني رأيي**

وصرفني عن هواي وصَرَّحَ لي محض أمري فأفضى بي إلى جدّ لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي حتّى كان شيئاً لو أصابك أصابني وكان الموت لو أتاك أتاني فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي فكتبت إليك كتابي هذا مستظهراً إن أنا بقيت لك أو فنيت فإنّي أُوصيك بتقوى اللّه أي بُني

وصرفني عن هواي وصَرَّحَ لي محض أمري فأفضى بي إلى جدّ لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب] أي: حيث انّه عليه السلام تفرّد به همّ نفسه دون غيرها وصدّقه رأيه بكشفه له عمّا ينبغي أن يكون اشتغاله به من أمر نفسه ووجوب العمل لها فيما يهمّها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها إذ كان أجود الآراء وأصدقها في الأمر عند شدّة الاهتمام به، وصرّح له خالص أمره وما ينتهي به إلى جدٍّ وصدق خالصين من شائبة اللّعب والكذب.

[**وجدتك بعضي**] كناية عن شدّة اتصاله به وقربه منه ومحبّته له [**بل وجدتك كلّي**] إذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله.

[**حتّى كان شيئاً لو أصابك أصابني**] فاتألّم بما يصيبك كما أتألّم ممّا يصيبني.

[**وكان الموت لو أتاك أتاني فعناني**] وأهمّني [**من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي فكتبت إليك كتابي هذا مستظهراً**] به حال [**إن أنا بقيت لك أو فنيت**] أي: كتبت إليه هذه الوصية لتكون له ظهراً ومستنداً يرجع إلى العمل بها في حالتي بقائه وفنائه عنه.

ثمّ قال عليه السلام: [**فإنّي أُوصيك بتقوى اللّه أي بُني**] ولعلّ المراد بها هنا الخوف من اللّه، وقد مرّ الكلام فيها.

ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله وأيّ سبب أوثق من سبب بينك وبين اللّه إن أنت أخذت به أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقَوِّه باليقين ونوِّرْهُ بالحكمة وذلّله بذكر الموت

[**ولزوم أمره**] الذي هو من لوازم التقوى.

[**وعمارة قلبك بذكره**] استعار العمارة لتكميل قلبه بذكر اللّه وإكثاره منه؛ لأنّه روح العبادات وكمال النفس كما انّ العمارة كمال للدار.

[**والاعتصام بحبله**] استعار الحبل لما يوصل إليه من دينه فيكون التمسّك به سبباً للنجاة كالحبل، وأراد بالاعتصام الامتناع بالتمسّك به من عذاب اللّه.

وقوله: [**وأيّ سبب أوثق من سبب بينك وبين اللّه إن أنت أخذت به**] إشارة إلى القرآن المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرّقوا﴾ والاستفهام للإنكار والتعجّب من وثاقته.

[**أحي قلبك بالموعظة**] استعار الإحياء له باعتبار تكمله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل المرء بالحياة. [**وأمته بالزهادة**] استعار الإماتة لقطع القلب عن متاع الدنيا وإعراضه عن طيّباتها ولذّاتها وقابل بين الإحياء والإماتة.

[**وقَوِّه باليقين**] أي: عن ضعف الجهل للصعود إلى الملإ الأعلى ومقام الأبرار.

[**ونوِّرْهُ بالحكمة**] لأنّها سبب هدايته لسبيل اللّه في ظلمات الجهل كحامل النور بيده.

[**وذلّله بذكر الموت**] لأنّ كثرة إخطارها بالبال يستلزم الخوف ويسكّن

وقرّره بالفناء وبصّره فجائع الدنيا وحذّره صولة الدهر وفُحْشَ تقلّب اللّيالي والأيّام واعرض عليه أخبار الماضين وذكّره بما أصاب قبلك من الأوّلين وَسِرْ في ديارهم فانظر ما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلّوا ونزلوا فإنّك تجدهم انتقلوا عن الأحبّة وحلّوا دار الغربة، وكأنّك عن قليل

القلب عن جماحه في ميدان الشهوات ويذلّل من غرّة الكبر وهزّة العجب وحمية الغضب.

[**وقرّره بالفناء**] أي: احمله على الإقرار به وأدم ذكره ليتأكّد علمك به.

[**وبصّره فجائع الدنيا**] أي: احمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا وآفاتها.

[**وحذّره صولة الدهر وفُحْشَ تقلّب اللّيالي والأيّام**] استعار الصولة له ملاحظة لشبهه بالسبع في أخذه وما يكون بسببه من الأذى.

[**واعرض عليه أخبار الماضين**] وذكّره ما أصابهم لينظر ما فعلوا وعمّا انتقلوا من الدور والقصور إلى ظلمات القبور.

[**وذكّره بما أصاب قبلك من الأوّلين**] لينظر ما فعلوا وعمّا انتقلوا من الآثار العظيمة والملك الجسيم حتّى تحصل له من ذلك عبرة ويقيش حاله بحالهم ويستقرب لحوقه بهم وصيرورته كأحدهم فيما صاروا إليه، ووجه الشبه قرب حاله من حال أحدهم.

[**وَسِرْ في ديارهم فانظر ما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلّوا ونزلوا**] كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾ الآية.

[**فإنّك تجدهم انتقلوا عن الأحبّة وحلّوا دار الغربة، وكأنّك عن قليل**

قد صرت كأحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلّف وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته وَأْمُر بالمعروف تكن من أهله، وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في اللّه حقّ جهاده

قد صرت كأحدهم فاصلح مثواك] وهو الدار الآخرة بلزوم الأعمال.

[**ولا تبع آخرتك بدنياك**] وما فيها من اللذّات الوهميّة والشهوات النفسانية ولفظ البيع مستعار.

[**ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لا تكلّف**] إذ القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل، ويلحق به الذمّ، وكذا الخطاب فيما لا يكلّف ففي النبوي «من حسن إلام المرء تركه ما لا يعنيه».

[**وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته**] أي: المراد الوقوف عند الشبهة وعدم التسرّع إلى سلوك طريق يشكّ في تأديته إلى الحقّ فإنّ الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وفي النبوي «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وفي آخر «إذا رابك أمر فدعه».

[**وَأْمُر بالمعروف تكن من أهله، وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك**] فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أُصول الدّين وأركان الإسلام والمسلمين، وفي وجوبهما عيناً أو كفاية قولان وقوله «تكن من أهله» إشارة إلى أنّهم أولياء اللّه الأبرار الصالحون المرغوب في الكون منهم، ويجب إنكار المنكر باللّسان فإن لم ينجع فباليد ويتدرّج فيه من الأدنى إلى الأعلى.

[**وجاهد في اللّه**] أعداء دينه [**حقّ جهاده**] من إضافة الصفة إلى

ولا تأخذك في اللّه لومة لائم وخُضْ الغمرات إلى الحقِّ حيثُ كان وتفقّه في الدِّين وعوّد نفسك الصبر على المكروه فنعم الخلق الصبر وَألْجِئ نفسك في أُمورك كلّها إلى إلهك فإنّك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز

الموصف؛ لأنّ الصفة من باب الأهمّ أي: الجهاد الحقّ.

[**ولا تأخذك في اللّه لومة لائم**] كناية عن النهي عن التقصير في طاعة اللّه؛ إذ كان من لوازم المقصّر استحقاق لوم اللائمين.

[**وخُضْ الغمرات إلى الحقِّ حيثُ كان**] استعار الخوض لمعاناة الشدائد والدخول فيها لطلبه الحقّ.

[**وتفقّه في الدِّين**] تتعلّم الأحكام الشرعية، فإنّ من لم يتفقّه في الدِّين فهو أعرابي كما في النصّ، وقال تعالى: ﴿فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين﴾.

[**وعوّد نفسك الصبر على المكروه**] فاصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى المصيبة.

[**فنعم الخلق الصبر**] فإنّه يستلزم الظفر، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، كما مرّ في محلّه.

[**وَألْجِئ نفسك في أُمورك كلّها إلى إلهك**] بأن تتوكل على اللّه في جميع أُمورك وتفوّضها إليه.

[**فإنّك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز**] استعار الكهف له تعالى باعتبار أنّ من توكّل عليه كفاه منعه ممّا يخاف كما يمنع الكهف من يلتجيء إليه ﴿ومن يتوكّل على اللّه فهو حسبه﴾ ﴿أليس اللّه بكاف عبده﴾.

واخلص في المسألة لربّك فإنّ بيده العطاء والحرمان وأكثر من الاستخارة وتفهّم وصيّتي ولا تذهبنّ صفحاً فإنّ خير القول ما نفع واعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه

[**واخلص في المسألة**] والدعاء [**لربّك**] إذ الإخلاص من شرائط الإجابة.

[**فإنّ بيده العطاء والحرمان**] لا بيد غيره، فكيف يلتجيء إلى غيره أو يُشرك معه.

[**وأكثر من الاستخارة**] أي: طلب الخيرة من اللّه تعالى في جميع أُمورك وهي على أقسام وأنواع قد استقصيناها في رسالة على حدة واستقصينا ما ورد فيها من الأخبار والآثار في كتابنا جامع المعارف والأحكام.

[**وتفهّم وصيّتي**] ولا تعرض عنها وتترك العمل بها، وكنّى عن ذلك بقوله: [**ولا تذهبنّ صفحاً**] منصوباً على الحال، أي: لا تذهبنّ إلى غيرها معرضاً عنها.

[**فإنّ خير القول ما نفع**] أي: فإنّ وصيّتي نافعة وما نفع فهو خير القول.

[**واعلم أنّه لا خير في علم لا ينفع**] كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلاً إلى المقاصد الحقيقية الثابتة.

[**ولا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه**] قيل: تقدير الكلام انّ كلّ علم لا يحقّ بعلمه أو لا يثبت في الشريعة بعلمه وجوباً ولا ندباً فهو لم ينتفع به في طريق الآخرة فلا خير فيه؛ لأنّ الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية عند اللّه.

أي بني، إنّي لما رأيتني قد بلغت سناً عالياً ورأيتني أزداد وهناً بادرت بوصيّتي إليك خصالاً قبل أن يعجّل بي أجلي دون أن أُفضي إليك بما في نفسي وان أنقص في رأيي كما نقص في جسمي ويسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا

ثمّ أشار عليه السلام إلى بعض العلل والأسباب الحاملة له على هذه الوصية فقال:

[**أي بني، إنّي لما رأيتني قد بلغت سناً عالياً**] بأن كبر سنّي ووهن العظم منّي [**ورأيتني أزداد وهناً**] أي: ضعفاً؛ لأنّه عليه السلام كان قد جاوز الستين.

[**بادرت بوصيّتي إليك خصالاً قبل أن يعجّل بي أجلي**] وخصالاً مفعول به قبل أن يعجّل بي أجلي.

[**دون أن أُفضي إليك بما في نفسي**] أي: من جملة أسباب المبادرة بالوصية خوف معاجلة الأجل قبل أن أُلقي إليك ما في نفسي من الحكمة، وأشار إلى السبب الثاني بقوله.

[**وان أنقص في رأيي كما نقص في جسمي**] إشارة إلى أنّ القوى النفسانية تضعف عند علوّ السنّ لضعف الأرقاع الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرّف العقل وتحصيله للآراء الصالحة.

وأشار إلى السبب الثالث بقوله: [**ويسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا**] فإنّ الصبيّ إذا لم يؤخذ بالآداب في حداثته ولم تروّض قواه لمطاوعة العقل وموافقته كان بصدد أن يمثل به القوى الحيوانية إلى مشتهياتها وتنجذب إلى قياد هواه إلى الاستعمال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة

فتكون كالصعب النفور وإنّما قلبُ الحَدَث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته فبادرتُكَ بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بُغيته وتجربته

الحقيقية وما ينبغي له.

[**فتكون**] حينئذ [**كالصعب النفور**] أي: كالبعير الصعب الذي لا يمكّن راكباً وهو مع ذلك نفور عن الانس، ووجه الشبه أنّه حينئذ يعسر حمله على الحقّ وجذبه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب.

ثمّ نبّه على وجوب المبادرة إليه بالأدب وزرعه في قلبه بقوله: [**وإنّما قلبُ الحَدَث**] الشاب، حيث كان طالباً من انتقاش العقائد قابلاً لما يلقى إليه من خير أو شرّ.

[**كالأرض الخالية**] من النبات والزرع القابلة لما يُلقى فيها من البذر.

[**ما أُلقي فيها من شيء قبلته**] وهذا بمنزلة صغرى، وتقدير الكبرى: وكلّ قلب كان كذلك فيجب أن يسبق إليه ببذر الآداب، وفي المثل: «الغلام كالطين يقبل الختم ما دام رطباً» وفي آخر: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالخطّ على الماء».

[**فبادرتُكَ بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بُغيته وتجربته**] إشارة إلى علّة غائية أُخرى لمبادرته بالأدب وهي أن يستقبل بجدّ رأيه وقوّة فكره ما قد كفاه أهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من صلاح التجربة ومعافاتها، فأتاه من ذلك العلم المتجرّب ما كان أهل التجربة يأتونه ويطلبونه، واستبان له ما

قد كُفيتَ مؤنة الطلب وعُوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما كنّا نأتيه واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه أي بُني، إنّي وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرتُ في أعمالهم وفكّرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتّى عُدتُ كأحدهم بل كأنّ إنّما انتهى إليّ من أُمورهم قد عمرت من أولهم إلى آخرهم فعرفتُ صفو ذلك من كدره

ربّما أظلم عليهم منه وفرّق بين من يأتيه العلم صفواً واضحاً قد كُفي فيه مؤنة الاكتساب وبين من سعى وجدّ في تحصيله وخاض غمرات الشكوك وظلمات الشبهات، ولذا قال عليه السلام:

[**قد كُفيتَ مؤنة الطلب وعُوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما كنّا نأتيه**] أي: الذي كنّا نحن نتجشم المشقّة في اكتسابه ونتكلّف طلبه.

[**واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه**] حسبما مرّ [**أي بُني، إنّي وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي**] قيل هو في قوّة جواب اعتراض مقدّر كان قائلاً قال له فكيف حصّلت العلوم عن تجارب الأُمور مع حاجة التجربة إلى عمر طويل يشاهد فيه الإنسان تغيّرات الأُمور وتقلّبات الدهر فقال: إنّي وإن لم أكن عمّرت أعمار السابقين ولا شاهدتُ أحوالهم [**فقد نظرتُ في أعمالهم**] التي عملوها [**وفكّرت في أخبارهم**] التي نقلوها [**وسرت في آثارهم**] سيراً محسوساً ومعقولاً [**حتّى عُدتُ**] وصرتُ [**كأحدهم**] في عيان أُمورهم ومشاهدة آثارهم [**بل كأنّ إنّما انتهى إليّ من أُمورهم قد عمرت من أولهم إلى آخرهم فعرفتُ**] عطفٌ على قوله فسرتُ.

[**صفو ذلك من كدره**] كنّى بالصفو عن الخير، وبالكدر عن الشرّ،

ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كلّ أمر جليله وتوخّيت لك جميله وصرفتُ عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر مقتبل الدهر ذو نيّة سليمة ونفس صافية

أي: عرفت خير أُمورهم من شرّه.

[**ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كلّ أمر جليله**] وهو خيره وما ينفع منه عند اللّه من العلوم والحكم النافعة والمواعظ البالغة.

[**وتوخّيت**] أي: قصدتُ [**لك جميله**] أي: أحسنه دون قبيحه.

[**وصرفتُ عنك مجهوله**] أي: ما اشتبه عليك أمره والتبس الحقّ فيه.

[**ورأيت حيث عناني من أمرك**] أي: أهمّني [**ما يعني الوالد الشفيق**] إشارة إلى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياراته له ما هو الأولى به من العلوم.

[**وأجمعت**] أن يكون ذلك عطف على يعنيني أي: عزمت عليه. [**من أدبك أن يكون ذلك**] في محلّ النصب مفعول أوّل لـ«رأيتُ»، وتكون هنا تامّة والواو في قوله: [**وأنت مقبل العمر مقتبل الدهر ذو نيّة سليمة ونفس صافية**] والجملة حاليّة، والمفعول الثاني لـ«رأيتُ» محذوف تقديره أنفع وأصلح، وتقدير الكلام: ورأيتُ ـ حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفي من أمر ولده في النظر في مصالحه والاهتمام بأحواله وما صمّمت عزمي عليه من تأديبك ـ أن يكون ذلك التأديب حال إقبال عمرك وحال كونك ذا نيّة سليمة من الأمراض النفسانية والأخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل.

وأن ابتدئك بتعليم كتاب اللّه وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره ثمّ أشفقتُ أن يلتبس عليك ما اختلف الناس من أهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم فكان أحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوتُ أن يوفّقك اللّه فيه لرشدك وأن يهديك لقصدك، فجهدتُ إليك وصيّتي هذه

[**وأن ابتدئك بتعليم كتاب اللّه وتأويله وشرائع الإسلام**] أي: قوانينه.

[**وأحكامه وحلاله وحرامه لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره**] من العلوم العقلية ومجادلات المتكلّمين ومقالات المتفلسفين.

[**ثمّ أشفقتُ**] أي: خفتُ [**أن يلتبس عليك ما اختلف الناس**] فيه [**من أهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم**] أي: التباساً مثل الالتباس عليهم [**فكان أحكام ذلك**] أي: ما اختلف الناس فيه [**على ما كرهت من تنبيهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة**] في الدِّين؛ وذلك الأمر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل التي كثر التباس الحقّ فيها بالباطل وتراكم الشبهات التي هي مظنّة الخطر والانحراف عن طريق الحقّ إلى سبيل الهلاك.

[**ورجوتُ**] عطف على أشفقتُ [**أن يوفّقك اللّه فيه**] أي: فيما اختلف فيه الناس.

[**لرشدك وأن يهديك لقصدك، فجهدتُ إليك وصيّتي هذه**] وفي ذلك دلالة على وجوب الاقتصار على الكتاب والسنّة في الأُصول والفروع

واعلم يا بُني، إنّ أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيّتي تقوى اللّه والاقتصار على ما افترض اللّه عليك والأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك والصالحون من أهل بيتك فإنّهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر وفكّروا كما أنت مفكّر ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والامتثال عمّا لم يكلّفوا

وعدم التجاوز إلى غيرهما من مجادلات المتكلّمين وأقوال المتفلسفين وأرباب الظنّ والتخمين بما لا يفضي إلى العلم واليقين ولا إلى برهان مبين.

[**واعلم يا بُني، إنّ أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيّتي تقوى اللّه**] التي هي الأصل والعماد والمستمسك والسّناد، وهي الزاد المبلغ إلى اللّه تعالى كما أُشير إليه بقوله: ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزّاد التقوى﴾.

[**والاقتصار على ما افترض اللّه عليك**] في الكتاب والسنّة مما بان دليله ووضح سبيله دون التوغّل في الشبهات والتعويل على الهوى والآراء.

[**والأخذ بما مضى عليه الأوّلون من آبائك والصالحون من أهل بيتك**] كحمزة وجعفر وأبي طالب وعبدالمطلب وعبيدة بن الحرث ونحوهم.

[**فإنّهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر وفكّروا كما أنت مفكّر**] لأنّهم حيث تأمّلوا الأدلّة وفكّروا فيها فقد نظروا لأنفسهم كما ينظر الإنسان لنفسه ليخلّصها من مضرّة عظيمة سبيلها أن يقع به إن لم ينظر في الخلاص منها.

[**ثمّ ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والامتثال عمّا لم يكلّفوا**] أي: تركوا الخوض فيما لم يعلموا وسكتوا عمّا سكت اللّه عنه، فينبغي الاقتداء بهم في الأخذ بما عرفوا والإمساك عمّا لم يكلّفوا.

فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلّم لا بتورّط الشبهات على الخصومات وابدء قبل نظرك ذلك بالاستقامة عليه بإلهك والرّغبة إليه في توفيقك وترك كلّ شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع وتمّ رأيك فاجتمع

[**فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك**] الاقتصار على ما فرض اللّه والأخذ بما عليه السلف الصالح [**دون أن تعلم كما علموا**] وتقتصر على ما أخذوا [**فليكن طلبك ذلك بتفهّم**] للمقاصد [**وتعلّم**] للحقّ والطلب له [**لا بتورّط**] أي: لا على وجه تعلّم [**الشبهات**] والتورّط فيها [**على الخصومات**] فإنّ ذلك مما يصدّ عن تعلّم الحقّ ويمنع من قبوله.

[**وابدء قبل نظرك ذلك**] أي: في ذلك الطلب [**بالاستقامة عليه بإلهك والرّغبة إليه في توفيقك**] لإصابة طريق الحقّ والوصول إليه.

[**وترك كلّ شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة**] كالعادة في نصرة المذاهب الباطلة بحسب اتباع الهوى والآراء التي تطلب بها الرياسات، فإنّ النفس إذا كان فيها شائبة محبّة لأمر جسماني لم يتّضح لها طريق الحقّ، بل كانت إلى الانحراف في طرق الضلال والشبه المناسبة للمطالب الباطلة أقرب، واستعار الإسلام لإهماله وعدم جذبه عمّا يتورّط فيه من الأُمور المضلّة.

[**فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك**] من كلّ شائبة تنافي النظر والفكر والتأمّل.

[**فخشع**] من خشية اللّه أن يؤاخذك بتركه [**وتمّ رأيك**] وعزمك عليه [**فاجتمع**] متفرّقه حتّى لم يبق ذلك إلى تركه التفات.

وكان همّك فيه همّاً واحداً فانظر فيما فسّرت لك وإن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم إنّك إنّما تخبط خبط العشواء الخابطة لا تهتدي وتتورّط في الظلماء وليس طالب الدِّين من خبط وأخلط والإمساك عن ذلك أمثل فتفهّم يا بُنّي وصيّتي، واعلم انّ مالك الموت هو مالك الحياة وأنّ الخالق هو المميت وأنّ المفني هو المعيد وأنّ المبتلي هو المعافي

[**وكان همّك فيه همّاً واحداً**] لا ينقسم إلى غيره [**فانظر**] حينئذ [**فيما فسّرت لك**] ونبّهتك عليه من المسائل العقلية الإلهية [**وإن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك وفراغ نظرك وفكرك**] عن الشوائب النافية للعلم وطلبه ونظرت [**فاعلم إنّك**] في خوضك وطلبك له [**إنّما تخبط خبط العشواء الخابطة لا تهتدي**] إلى ما فيه رشدها وصلاحها، واستعار الخبط له لأنّه طالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب، وعلى غير وجهه فهو كالناقة العشواء.

[**وتتورّط في الظلماء**] استعار الظلماء للشُّبه باعتبار أنّ الذهن لا يهتدي فيها لطلب الحقّ كالماشي في الظلمات.

[**وليس طالب الدِّين من خبط وأخلط والإمساك عن ذلك أمثل**] أي: أفضل.

[**فتفهّم يا بُنّي وصيّتي، واعلم انّ مالك الموت هو مالك الحياة وأنّ الخالق هو المميت وأنّ المفني هو المعيد وأنّ المبتلي هو المعافي**] هذا تنبيهٌ على جملة من صفات اللّه وأفعاله التي قد يتوهّم التضاد والتنافي في إسناده إلى مبدء واحد، فأشار إلى نفي تضادّها ووحدة مبدئها، فإنّ القادر على

وإنّ الدّنيا لم تكن تستقرّ إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء أو ما شاء مما لا يعلم، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فإنّك أوّل ما خُلقت خُلقتَ جاهلاً ثمّ علمتَ

الموت هو القادر على الحياة؛ إذ اسبابهما تنتهي إليه، وكذا فاعل الخلق هو مقدّر الموت الذي ينتهي إليه أسبابهما كما قال تعالى: ﴿يُحيي ويميت﴾ ﴿ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين﴾ وكذا المفني هو المعيد والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء أسباب الفناء والإعادة والابتلاء والمعافاة إليه.

وقوله: [**وإنّ الدّنيا لم تكن تستقرّ إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء**] أي: لم يكن خلقها وإيجادها إلا على ما فيها من خير مراد بالذات وشرّ مراد بالعرض.

[والجزاء في المعادخ أي: ولزوم الجزاء على السيّئة وعقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الردية في الدّنيا.

[**أو ما شاء مما لا يعلم، فإن أشكل عليك شيء من ذلك**] أي: من أسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه، كالسؤال عن المصلحة في خلق الكافر المخلّد في النار سيّما إذا كان مدّة عمره في الدنيا فقيراً محتاجاً مبتلىً، وكالمصلحة في خلق إبليس.

[**فاحمله على جهالتك**] ولا تتوهّم خلوّه من حكمة، فإنّ خفاء الحكمة لا يدلّ على عدمها.

[**فإنّك أوّل ما خُلقتَ خُلقتَ جاهلاً ثمّ علمتَ**] كما قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أُمّهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ ونصب «أوّل» على

وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحيّر فيه رأيك ويضلّ فيه بصرك ثمّ تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك وليكن له لا لسواه تعبُّدك وإليه رغبتُك ومنه شفقتك واعلم يا بُنيّ إنّ أحداً لم ينبئ عن اللّه سبحانه كما أنبأ عنه نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه وآله

الظرف، و«جاهلاً» على الحال، وروي «أوّل» مرفوعاً بالابتداء و«جاهل» بالرفع خبراً له.

ثمّ نبّهه على أكثريّة ما يسبق جهله به من الأمور ثمّ يدركه فيما بعد ليجعل ما لا يدرك وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل فقال:

[**وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحيّر فيه رأيك ويضلّ فيه بصرك ثمّ تبصره بعد ذلك**] فعساك إذا جهلت شيئاً أن تعلمه بعد ذلك، فلا تستوحش من جهلك.

[**فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك**] هذه النعوت كالعلّة للاعتصام، فإنّ تعليق الحكم على الوصف يُشعر بالعلّية.

[**وليكن له لا لسواه تعبُّدك وإليه رغبتُك ومنه شفقتك**] لأنّه تعالى أحقّ موجود بذلك وأولاه بالأمور المذكورة.

ثمّ عاد عليه السلام إلى أمره باتّباع الكتاب والسنّة دون غيرهما من الفضول فقال: [**واعلم يا بُنيّ إنّ أحداً**] من الأنبياء أو المرسلين والملائكة المقرّبين [**لم ينبئ**] ولم يخبر [**عن اللّه سبحانه**] في أحوال المبدء والمعاد والشرائع والأحكام والحلال والحرام والمعارف الربّانية والأسرار الإلهية.

[**كما أنبأ عنه نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه وآله**] ولذا كانت هداية هذه الأمّة أكثر من هدايات الأمم السالفة ومعارفهم أشرف وإدراكاتهم أتقن

فارضَ به رائداً وإلى النجاة قائداً وإنّي لم آلُكَ نصيحةً وإنّك لم تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت في ذلك مبلغ نظري لك واعلم يا بني أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسلُهُ ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته

وقلوبهم أبصر.

[**فارضَ به رائداً**] وهو في الأصل الرجل الذي يتقدّم القوم فيرتاد لهم المرعى، واستُعير له ﷺ باعتبار أنّه قد اختير ما في الآخرة من الفوز العظيم والسعادة الباقية.

[**وإلى النجاة قائداً وإنّي لم آلُكَ نصيحةً**] أي: لم أُقصّر في نصحك، يقال: ألى الرجل يألو أي: قصّر فهو: وال، والفصل لازم لكنّه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنصبه وكان أصله لا ألولك نصحاً وهو منصوب على التمييز.

[**وإنّك لم تبلغ في النظر لنفسك وإن اجتهدت في ذلك مبلغ نظري لك**] فاقنع بما ألقيته إليك وخذ ما أتلوه عليك ولا تطلب ما وراء ذلك.

[**واعلم يا بني أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسلُهُ**] إذ من لوازم الإلهية الحكمة ووجوب بعثة الرسل إلى الخلق ووصولهم إليه.

[**ولرأيت آثار ملكه وسلطانه**] بأن يكون له كتاب وحجّة ونبي ودعوة.

[**ولعرفت أفعاله وصفاته**] والعلم بها فرع العلم بذاته، فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور وهذه اللوازم كلّها باطلة لأنّه لم يأتنا رسول ذو معجزة يدلّ على الثاني ويخبرنا عنه، وآثار الملك والسلطان وعظمة الفعل التي تشاهدها إنّما

ولكنّه إلهٌ واحدٌ كما وصف نفسه لا يضادّه في ملكه أحد لا يزال أبداً ولم يزل أوّلاً قبل الأشياء بلا أوّلية والآخر بعد فناء الأشياء بلا نهاية

تدلّ على حكيم قادر، فإمّا على التعدّد فلا، وكذا صفات الإلهية المكتسبة بواسطة الأفعال من العلم والقدرة والإرادة وغيرها إنّما تدلّ على صانع موصوف بها، فإمّا على صانعين أو أكثر فلا، فإذاً القول بالشريك باطل لا برهان عليه، بل البرهان قائم على نفسه، وقال تعالى: ﴿ومن يدّع مع اللّه إلهاً آخر لا برهان له به﴾ وأشار إلى النتيجة بقوله:

[**ولكنّه إلهٌ واحدٌ كما وصف نفسه**] بقوله: ﴿قُل هو اللّه أحدٌ﴾، ﴿إنّما إلهكم إله واحد﴾، ﴿لا إله إلا هو تعالى عمّا يُشركون﴾. ويمكن أن يكون إشارة إلى برهان آخر وهو انّه على تقدير وجود الشريك لابدّ أن يكون كلّ منهما متّصفاً بصفة الالوهية من الصدق والحكمة، وقد وصف هذا الإله الذي نعبده نفسه بالوحدة، فلو كان له شريك لزم كذبه فيلزم نفي إلوهيّته والمفروض ثبوتها، هذا خلف.

[**لا يضادّه في ملكه أحد**] أي: يعانده في أفعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك، بل هو اللّه الواحد القهّار.

[**لا يزال أبداً**] إشارة إلى دوام وجوده وثبوته أزلاً وأبداً.

[**ولم يزل أوّلاً قبل الأشياء بلا أوّلية**] لوجوده؛ إذ لو كان لوجوده أوّلوية لكان مسبوقاً بالعدم فكان محدثاً فكان ممكناً هذا خلف.

[**والآخر بعد فناء الأشياء بلا نهاية**] لوجوده، فإنّه لو كانت آخريّته مقطوعة بنهاية لكان ملحوقاً بالعدم، فلم يكن واجب الوجود لذاته، هذا

عَظُمَ أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره وقلّة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربّه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فإنّه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح

خلف.

[**عَظُمَ أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر**] أي: هو أجلّ وأعظم من أن يطّلع أحد بقلبه أو بصره على كمال صفات ربوبيّته كما مرّ بيانه سابقاً، وذلك لأنّ صفة ربوبيّته نفس ذاته، فإحاطة العلم بها موقوف على إحاطته بذاته، ويمتنع أن يكون المحيط محاطاً، قال تعالى: ﴿ألا إنّه بكلّ شيء محيط﴾ وقال: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾، ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾، وقال ﷺ: «إنّ اللّه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار».

[**فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره وقلّة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربّه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فإنّه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح**] لما نبّهه على عظمة خالقه، أمره أن يفعل كما ينبغي أن يفعله من هو مثله في النقصان بالنسبة إلى عظمة اللّه فيعطيه حقّ طاعته ويعبده بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، وعدّ له وجوه النقصان ليعتبر حاله في كلّ منها بالقياس إلى كمال ذاته تعالى، فصغّر منزلته بالنسبة إلى عظمته وقلّة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة إلى كمال قدرته، وكذا حاجته إلى ربّه في كلّ حال من طلب توفيقه وإعداده لطاعته والرهبة من عقوبته

يا بُنيّ إنّي قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأنبأتك عن الآخرة وما عُدَّ لأهلها فيها وضربتُ لك فيهما الأمثال لتعتبر وتحذو عليها إنّما مثل من خبر الدّنيا كمثل قوم سَفْر نبا بهم منزل جدب فأمّوا منزلاً خصباً وجناباً مربعاً فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم

والاستعاذة من سخطه كلّ ذلك بالنسبة إلى غنائه المطلق، وقوله «فإنّه لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح» تنبيهٌ على وجوب طاعته في كلّ ما أمر به ونهى عنه.

[**يا بُنيّ إنّي قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأنبأتك عن الآخرة وما عُدَّ لأهلها فيها وضربتُ لك فيهما الأمثال لتعتبر وتحذو**] أي: تحتذي [**عليها**] يقال: حذا عليه يحذو واحتذى مثاله أي: احتذى به.

[**إنّما مثل من خبر الدّنيا**] وعرف زوالها وخير الآخرة وبقائها وما أُعدّ فيها لأهلها [**كمثل قوم سَفْر**] بالتسكين أي: مسافرون. [**نبا بهم منزل جدب**] أي: فارقوا منزلاً جدباً [**فأمّوا**] أي: قصدوا [**منزلاً خصباً**] وهو ضدّ الجدب [**وجناباً**] أي: فناء [**مربعاً**] بفتح الميم أي: ذا كلأ وعشب.

[**فاحتملوا وعثاء الطريق**] أي: مشقّته [**وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم**] أي: غلظه، وقيل: هو الذي لا آدم معه.

[**ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم**] أي: مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة كمن سافر من منزل جدب إلى منزل خصب فلقى في طريقه مشقّة، فإنّه لا يكترث بذلك في جنب ما يطلبه، وبالعكس من عمل للدّنيا

ومثل من اغترّ بها كمثل قومٍ كانوا بمنزل خصب فنبا بهم إلى منزل جدب فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه يا بنيّ اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم

وأهمل الآخرة فإنّه كمن سافر إلى منزل ضنك ويهجر منزلاً رحباً طيّباً، والمنزل الخصب هنا الدنيا لأنّها محلّ سعادة أهلها ولذّاتهم، والمنزل الجدب هو الآخرة؛ إذ لم يكونوا قد استعدّوا لدرك السعادة فيها كما أشار إليه بقوله:

[**ومثل من اغترّ بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصب فنبا بهم إلى منزل جدب فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه**] وهذان التمثيلان راجعان إلى قول النبي صلى الله عليه وآله «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر».

ثمّ شرع عليه السلام في أمره بإصلاح معاملته مع الخلق وحسن معاشرته لهم فقال: [**يا بنيّ اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك واكره له ما تكره لها**] استعار الميزان له إرادة أن يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان، ثمّ شرح وجوه العدل والتسوية:

أحدها: أن يحبّ لغيرها ما يحبّ لنفسه ويكره له ما يكره لها، كما روي أنّه لا يكمل إيمان عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه؛ لأنّ ذلك من فضيلة العدالة التي هي من كمال الإيمان.

وأشار إلى الثاني بقوله: [**ولا تظلم كما لا تحبّ أن تظلم**] لأنّ كلاً

وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك واستقبح من نفسك ما يستقبح غيرك وارضَ من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تُقُلْ ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم ولا تقل للناس ما لا تحب أن يُقال لك واعلم إنّ الإعجاب ضدّ الصواب وآفة الألباب

من الظلم والانظلام رذيلة ينبغي التنزّه عنها.

وأشار إلى الثالث بقولهك [**وأحسن**] اي: إلى الخلق [**كما تحبّ أن يُحسن إليك**] والإحسان فضيلة تحت العفّة.

وإلى الرابع بقوله: [**واستقبح من نفسك ما يستقبح غيرك**] فينزجر عن جميع مناهي اللّه وهو من لوازم المروءة.

وإلى الخامس بقوله: [**وارضَ من الناس ما ترضاه لهم من نفسك**] أي: كلّ ما رضي أن يفعله بهم من خير أو شرّ إن فعله فينبغي أن يرضى بمثله منهم، وفيه تنبيهٌ على أنّه لا يجوز أن يفعل الشرّ لعدم لازمه وهو الرضا منهم به.

وأشار إلى السادس بقوله: [**ولا تُقُلْ ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم**] وفي هذا الوصل تنبيهٌ على أنّ تصوّر قلّة العلم قد يكون داعية لبعض الناس إلى أن يقول بغير علم لئلا يُنسب إلى الجهل فيضلُّ ويُضِلُّ كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾.

[**ولا تقل للناس ما لا تحب أن يُقال لك**] كالمواجهة بالعيوب والألقاب المكروهة وكلّ كلام مؤذ للناس.

[**واعلم إنّ الإعجاب ضدّ الصواب وآفة الألباب**] لأنّه آفة للعقل وهو من أكبر أمراض العقل وآفاته المهلكة له، قالﷺ: ثلاث مهلكات وعدّ منها

فاسع في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك وإذا أنت هُديت لرشدك فكُنْ أخشع ما تكون لربّك واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقّة شديدة وإنّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفّة الظهر فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك

«إعجاب المرء بنفسه».

[**فاسع في كدحك**] أي: كسبك، أي: اسعَ فيما ينبغي لك من كسب الطاعات، وقيل: أراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي فيه إنفاقه في سبيل اللّه.

[**ولا تكن خازناً لغيرك**] فتخلفه للوارث فيكون لهم المهنى وعليك الوزر.

[**وإذا أنت هُديت لرشدك**] بأن عرفت الطريق إلى اللّه تعالى في جميع مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال.

[**فكُنْ أخشع ما تكون لربّك**] لأنّ هدايته للرشد نعمة عظيمة توجب المقابلة بالخشوع؛ لأنّه ضرب من الشكر.

[**واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقّة شديدة**] استعار الطريق لما يسير فيه الإنسان من أحوال الدّنيا ويعبرها إلى الآخرة، وأشار بطولها وشدّتها إلى عسر النجاة فيها والسلامة من خطرها؛ إذ كان ذلك إنّما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل والاستقامة على حاق الوسط.

[**وإنّه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد**] أي: الطلب [**وقدر بلاغك من الزاد مع خفّة الظهر فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك**] وحاصله: أنّ بين يديك طريقاً بعيد المسافة شديد المشقّة،

وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتمه وحمّله إيّاه وأكثر من تزويده وأنت قادرٌ عليه فلعلّك تطلبه فلا تجده

ومن سلك طريقاً فلا غناء له من أن يرتاد ويتزوّد من الزاد قدر ما يبلغه الغاية، وأن يكون خفيف الظهر في سفره ذلك، فإيّاك أن تحمل من الماء ما يثقلك ويكون وبالاً عليك، استعار لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلاغ الإنسان في تلك الطريق إلى اللّه تعالى وبها يكون النجاة فيها والخلاص من مهالكها، واستعار الخفّة لقليل اكتساب الآثام وحملها على النفس ولفظ الحمل لاكتسابها، ووجه الاستعارة أنّ مقلّل الآثام سريع القطع لتلك الطريق قريب إلى النجاة فيها من مخاوفها، كما قال عليه السلام: «تخفّفوا تلحقوا» وكما قال النبي صلى الله عليه وآله: «نجى المخِفُّون» ولأنّ مكتسب الآثام ثقيل بها وبطيء عن لحوق المخفّين ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلّفه تابعة لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة، ولفظ الظهر ترشيح ———.

ثمّ نبّه على وجوب إنفاق المال في وجوه الصدقة والبرّ لمن يحتاج إليه من أهل الفاقة فقال:

[**وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتمه وحمّله إيّاه وأكثر من تزويده وأنت قادرٌ عليه فلعلّك تطلبه فلا تجده**] أي: إذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافيك به غداً وقت الحاجة فحمّله إيّاه، فلعلّك تطلب مالك فلا تجده، واستعار الزاد لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم بالإنفاق؛ لأنّه السبيل لسلامة النفس من الهلاك في طريق

واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضائه لك في يوم عسرتك واعلم أنّ أمامك عقبة كؤوداً المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل والمبطيءُ عليها أقبح حالاً من المسرع وإنّ مهبطها بك لا محالة على جنّة أو على نار فَارْتَدْ لنفسك قبل نزولك ووطّئ المنزل قبل حلولك

الآخرة، ووسيلة إلى السعادة الباقية كالزاد المخلّص للمسافر في طريقه والمبلغ له إلى مطالبه، واستعار للمصدّق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار أنّه سبب لحصول الفضيلة بتلك الصدقة ووصول ثوابها إلى المتصدّق يوم القيامة. ثمّ أمره أن يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه الصدقة بقوله «فلعلّك تطلبه فلا تجده» لأنّ الوسيلة إلى أمر عظيم إذا كانت في معرض أن تطلب فلا توجد ثمّ وجدت في وقت فمن الواجب أن يغتنم في تحصيلها ولا تُهمل.

[**واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضائه لك في يوم عسرتك**] استعار وصف المستقرض هنا للّه باعتبار أنّه هو المجازي بالثواب من أنفق ماله في طاعته، كما أُشير إليه بقوله: ﴿إن تقرضوا اللّه قرضاً حسناً فيضاعفه لكم أضعافاً كثيرة﴾ ونبّه بكون القرض في حال الغناء والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء أفضل فيرغب في القرض لغاية الربح المطلوب.

ثمّ نبّه على شدّة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفّة من حمل الآثام والسرعة فيها قبل انقضاء الأيّام فقال: [**واعلم أنّ أمامك عقبة كؤوداً**] أي: شاقّة صعبة المصعد.

[**المخفّ فيها أحسن حالاً من المثقل والمبطيءُ عليها أقبح حالاً من المسرع وإنّ مهبطها بك لا محالة على جنّة أو على نار فَارْتَدْ**] أي: أُطلب [**لنفسك قبل نزولك ووطّئ المنزل قبل حلولك**] استعار العقبة لما فيها من

واعلم انّ الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفّل بالإجابة وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه

الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدّة الصعود لما في ذلك الارتقاء من التعسّر وكثرة الموانع، وحيث إنّ هذه العقبة تؤدّي إلى إحدى الغايتين الجنّة أو النار، كالهابط بالشيء يوصله إلى قراره، أمره أن يطلب ما يكون سبباً لنجاته قبل نزوله أحد المنزلين الذين هما غاياتاهما ليكون هبوطه إلى الجنّة وأن يوطئ المنزل بالاستعداد له، وروي يوطن أي: يتّخذه وطناً.

[**واعلم انّ الذي بيده خزائن السموات والأرض**] علّق الحكم الآتي بهذا الوصف إشعاراً بأنّه إذا كان بهذه الصفة فهو أحقّ بالرغبة إليه من كلّ أحد.

[**قد أذن لك في الدعاء وتكفّل بالإجابة**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي﴾.

[**وأمرك أن تسأله ليعطيك**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واسألوا اللّه من فضله﴾.

[**وتسترحمه ليرحمك**] والمقدّمات الثلاث بمنزلة صغرى وتقدير كبراها: وكلّ من كان كذلك فهو أحقّ أن يُرْغَب إليه وأن يُدْعى وأن يُسأل وأن يُسترحم.

[**ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه**] أي: حاجب ولا بوّاب

ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرّضت للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الإنابة ولم يناقشك بالجريمة

لتنزّهه عن الجسمية والجهة وصفات المحدث، وإذا كان بهذه الصفة فهو أولى بأن يُسأل ويُسترحم.

[**ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه**] لأنّ الشفيع إنّما يضطرّ إليه عند تعذّر المطلوب من جهة المرغوب إليه، إمّا لبخله أو حاجته أو جهله باستحقاق الطالب وهو تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وإنّما يتوقّف فيضه على استعداد الطالب له.

[**ولم يمنعك إن أسأت من التوبة**] بل أمرك بها ووعدك عليها فقال: ﴿يا أيّها الذين آمنوا توبوا إلى اللّه توبةً نصوحاً عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّئاتكم ويدخلكم الجنّة﴾، وقال تعالى ـ بعد أن عدّد الكبائر وتوعّد عليها ـ ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأُولئك يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات﴾.

[**ولم يعاجلك بالنقمة**] مع اطّلاعه عليك حين المعصية.

[**ولم يفضحك حيث تعرّضت للفضيحة**] بل أمهلك على ظلمك وأسبل عليك ستر كرمه وحلمه عنك.

[**ولم يشدد عليك في قبول الإنابة**] والرجوع كما يفعله الملوك في حقّ من أساء وطلب الإقالة.

[**ولم يناقشك بالجريمة**] والذنب الصادرين منك بأن يستقصي في حسابك، بل سهّل عليك في ذلك وقبل توبتك واعتذارك؛ إذ هو تعالى

ولم يويئسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيّئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداك وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك

لاتضرّه معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين.

[**ولم يويئسك من الرحمة**] بل جعل اليأس من رحمته من المعاصي الكبائر فقال: ﴿ومن يقنط من رحمة ربّه إلا الضالّون﴾، ﴿ولا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾ وقال: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه إنّ اللّه يغفر الذنوب جميعاً﴾.

[**بل جعل نزوعك عن الذنب**] وتوبتك منه [**حسنة**] حيث قال ـ بعد ذكر التوبة ـ: ﴿فأُولئك يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات﴾.

[**وحسب سيّئتك واحدة وحسب حسنتك عشراً**] حيث قال: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلا يجزى إلا مثلها﴾.

[**وفتح لك باب المتاب**] حيث قال: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ وقال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾.

[**وباب الاستعتاب**] حيث أرشدك إلى طلب الرضا عنه بعد توبته.

[**فإذا ناديته سمع نداك**] كما قال تعالى: ﴿إنّ ربّي لسميع الدعاء﴾ وقال: ﴿فإنّي قريب أُجيب دعوة الداعي﴾.

[**وإذا ناجيته علم نجواك**] لأنّه يعلم السرّ وأخفى.

[**فأفضيت إليه بحاجتك**] أي: أوصلتها إليه إن شئت سرّاً وإن شئت جهراً.

وأبثثته ذات نفسك وشكوت إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أُمورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحّة الأبدان وسعة الأرزاق ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته متى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته

[**وأبثثته ذات نفسك**] أي: نشرت له ما كان في نفسك من المهمّات.

[**وشكوت إليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على أُمورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحّة الأبدان وسعة الأرزاق ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته**] استعار المفاتيح للأدعية من حيث انّها أسباب لتحصيل النعمة وكمال الرحمة، ولذا قال: [**متى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته**] واستعار لفظ الأبواب لأسباب جزئيات النعم الواصلة إلى العبد، وخزائن نِعم، هي خزائن السموات والأرض؛ إذ الكلّ منه وبيده، واستعار الاستمطار لطلب نِعَم اللّه تعالى ملاحظةً لشبهها بالمطر في كونها سببين للحياة وصلاح الحال في الدنيا ونسبة طالبها بالمستمطر، ورشح بذكر الشآبيب جمع شؤبوب وهو: الدفعة من المطر. وكلٌّ من المذكورات بمنزلة صغرى وتقدير كبراها: وكلّ من كان كذلك فهو أحقّ بأن يُغرب إليه ويُوجَّه الطلب نحوه.

ثمّ لمّا رغّبه في الدعاء نبّه على أنّ الإجابة قد تبطي وتتأخّر لصالح وحكم، بقوله:

فلا يقنطنّك إبطاء إجابته فإنّ العطيّة على قدر النيّة وربّما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً أو صرف عنك لما هو خير لك فلربّ أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أُوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله

[**فلا يقنطنّك إبطاء إجابته**] والقنوط: اليأس. [**فإنّ العطيّة على قدر النيّة**] أي: إنّ الإجابة موقوفة على الاستعداد بإخلاص النيّة، فإذا تأخّرت الإجابة فلعلّ تأخّرها لعدم الخلوص في النيّة.

[**وربّما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل**] أي: ربّما أُخّرت الإجابة لعلم اللّه بأنّ تأخيرها من أسباب استعداد السائل والمؤمل استعداد أعلى لعطاء ما هو أعلى واشرف مما سأل فيعطاه عند كمال استعداده.

[**وربما سألت الشيء فلا تؤتاه**] لعدم مصلحتك فيه [**وأُوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً**] في الدنيا أو الآخرة.

[**أو صرف عنك**] ما سألت [**لما هو خير لك**] في دنياك وآخرتك [**فلربّ أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أُوتيته**] كالغنى والجاه مثلاً، وبالجملة فالناس كالمرضى وربّ العالمين كالطبيب، والطبيب إنّما يعطي المريض ما يصلحه لا ما يشتهيه، فإنّه يشتهي الشيء اللذيذ وفيه هلاكه ويكره الدواء وفيه شفائه.

[**فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفي عنك وباله**] من التوفيق لأسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة في الأعقاب.

والمال لا يبقى ولا تبقى له واعلم أنّك إنّما خُلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وإنّك في منزل قُلعة ودار بلغة وطريق إلى الآخرة وإنّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هارب ولابدّ أنّه مدركه

ثمّ أبان ذلك بقوله: [**والمال لا يبقى ولا تبقى له**] أي: فلا ينبغي لك أن تطلبه بالدعاء بل اطلب ما يبقى ولا يفنى من الباقيات الصالحات وما فيه صلاح الدارين ونظام النشأتين.

ثمّ شرع عليه السلام في التنبيه على العلّة الغائية من خلقه ووجوده: [**واعلم أنّك إنّما خُلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة**] فينبغي لك العمل لما بعد الموت وعدم الاطمئنان إلى الدنيا والركون إلى البقاء فيها.

[**وإنّك في منزل قُلعة**] بضمّ القاف وسكون اللام أي: ليس بمستوطن، يقال هذا مجلس قلعة: إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرّة بعد مرّة، ويقال: هم على قلعة أي: على رحلة، والقلعة أيضاً: المال العارية.

[**ودار بلغة**] أي: ما يبلغ به من العيش، والغرض التنبيه على أنّه في الدنيا بمنزل عبور لم يُخلق للاستيطان والإقامة بها وأنّها إنّما خلقت ليتّخذ الإنسان منها بلاغاً للوصول إلى الآخرة وزاداً لكونها طريقاً إليها كما قال:

[**وطريق إلى الآخرة وإنّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هارب ولابدّ أنّه مدركه**] استعار الطريد ملاحظةً لشبهه بالصيد يطرده السبع وغيره،

فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيّئة قد كنت تحدّث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فإذاً أنت قد أهلكت نفسك يا بني أكثر من ذكر الموت ومن ذكر ما تهجم عليه وتقضي بعد الموت إليه حتّى يأتيك قد أخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك

ثمّ وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولابدّ أنّه يدركه تحذيراً منه وجذباً إلى الاستعداد له، ولذا قال:

[**فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيّئة**] أي: ببقائك على الحال السيّئة.

[**قد كنت تحدّث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك**] يحول عطف على يدركك [**فإذاً**] للمفاجأة [**أنت قد أهلكت نفسك**] فلم تتب، وما أحسن ما قيل: نحن لا نريد أن نموت حتّى نتوب، ولا نتوب حتى نموت.

[**يا بني أكثر من ذكر الموت ومن ذكر ما تهجم عليه**] من القبر والسؤال ونحوهما. [**وتقضي بعد الموت إليه**] من الحشر والنشر والسؤال والحساب والعقاب والجنّة أو النار، فإن تَذكُّر هذه الأمور يوجب العبرة والانزجار والأخذ في الأُهبة والاستعداد له ولما بعده.

ولذا قال: [**حتّى يأتيك**] والحال انّك [**قد أخذت منه حذرك وشددت له ازرك**] والازر: القوّة.

[**ولا يأتيك بغتة**] أي: فجئة [**فيبهرك**] يقال: بهره إذا غلبه وأتعبه، وأصل البهر تتابع النفس من التعب.

وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا إليها وتكالبهم عليها، فقد نبّأك اللّه عنها ونعتت هي لك نفسها وتكشّفت لك عن مساويها فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهرّ بعضها على بعض ويأكل عزيزها ذليلها

[**وإيّاك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدّنيا**] أي: استنادهم [**إليها وتكالبهم**] أي: تواثبهم [**عليها، فقد نبّأك اللّه عنها**] بقوله: ﴿وما الحيوة الدّنيا إلا لعب ولهو﴾ وقوله: ﴿إنّما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾، وقوله: ﴿وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

[**ونعتت هي لك نفسها**] أي: وصفت بلسان حالها نفسها بأنّها محلّ الهموم والغموم والأعراض والأمراض والبلايا والرزايا وداء كلّ بلاء ومنزل كلّ فتنة.

وكذا قوله: [**وتكشّفت لك عن مساويها**] وكلّ من المذكورات بمنزلة صغرى وتقدير الكبرى في الاولى: وكلّ من أخبر اللّه عنه بذلك فلا ينبغي أن يغترّ به وفي الآخرين وكلّ من كان كذلك فلا ينبغي أن يغترّ به ولا بفعله.

[**فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية**] وهم الذين اتّبعوا قواهم الغضبيّة والشهويّة واسترسلوا في قيادها وغفلوا عمّا خُلقوا لأجله، واشار إلى مطابقة المثل بقوله:

[**يهرّ بعضها على بعض**] استعار الهرير لتنازعهم عليها، وكذا الأكل في قوله:

[**ويأكل عزيزها ذليلها**] لغلبة بعضهم على بعض.

ويقهر كبيرها صغيرها نِعَم معقلة وأُخرى مهملة قد أضلّت عقولها وركبت مجهولها ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها

[**ويقهر كبيرها صغيرها نِعَم**] أي: كأنعام غافلين عمّا يراد بهم كالبهائم [**معقلة**] أي: مقيّدة بالعقائل [**وأُخرى مهملة**] قسّمهم عليه السلام إلى قسمين: الأوّل أشباه الكلاب والسباع، والثاني: أشباه الأنعام باعتبار غفلتهم عمّا يراد بهم، ثمّ قسّم هؤلاء إلى قسمين معقلة ومهملة، واستعار المعقلة للّذين تمسّكوا بظاهر الشريعة واتّبعوا الإمام العادل فقيّدهم بالدّين عن الاسترسال في اتّباع الشهوات والانهماك فيها، أو إن لم يعقلوا أسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها، وأشار بالمهملة إلى الّذين استرسلوا في اتّباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة إمامهم ولم يعتدوا بأوامره فهم كالبهائم المرسلة.

وأشار إلى وجه الشبه بقوله: [**قد أضلّت عقولها**] لعدم انتفاعهم بها [**وركبت مجهولها**] المجهول والمجهل: المفازة التي لا أعلام فيها وأراد بذلك ركوبهم لأهوائهم الفاسدة وسروح عاهة بواد وعث.

[**ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها**] يقال: واد وعث أي: لا يثبت به خفّ ولا حافر لكثرة سهولته، والمسيم: الراعي، أي: سرحوا في مشتهياتهم الدنيوية مكتسبين للرذائل والعاهات النفسانية ليس لهم إمام يقيمهم على طاعة اللّه في طرق الهداى إلى مكارم الأخلاق، وقد أشبهوا النعم المهملة التي أضلّت عقلها وركبت المفازة فهي سروح متردّدة متحيّرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها إلى المرعى، والسروح جمع سرح: وهو المال السارح، والعاهة: الآفة، يقال أعاه القوم: أصابت ماشيتهم

سلكت بهم الدّنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منازل الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتّخذوها ربّاً فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما ورائها رويداً

العاهة.

[**سلكت بهم الدّنيا طريق العمى**] أي: طريق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها لشيء كما لا يهتدي الأعمى للطريق، ونسب السلوك بهم إليها باعتبار أنّها سبب لغرورهم وغفلتهم عمّا ورائهم.

وكذا قوله: [**وأخذت بأبصارهم**] أي: بأبصار عقولهم [**عن منازل الهدى**] وهي آيات اللّه ومنازل الطريق إليه.

[**فتاهوا في حيرتها**] إشارة إلى ضلالهم عن طريق الحقّ. [**وغرقوا في نعمتها**] استعار الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتملّكه لها كما يستولي الماء على الغريق.

[**واتّخذوها ربّاً**] وصاروا لها أرباباً باعتبار خدمتهم لها. [**فلعبت بهم**] إذ كانوا عبيداً لها [**ولعبوا بها**] إذ اشتغلوا بها غير مشفقين، وضيّعوا ما ينبغي لهم أن يشتغلوا به.

[**ونسوا ما ورائها**] من أُمور الآخرة والحشر والنشر ونحوها مما خُلقوا لأجله.

وقوله: [**رويداً**] أي: امهل، [**يسفر الظلام**] استعار لفظ الظلام لحجب الأبدان وظلمات هيئاتها الحاجبة لأبصار البصائر عن إدراك أُمور الآخرة وهو وعيد بالموت وما بعده قريب من قوله تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.

يسفر الظلام كأن قد وردت الأظعان يوشك من أسرع أن يلحق واعلم يا بنيّ إنّ من كانت مطيّته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً واعلم يقيناً إنّك لن تبلغ أملك

وقوله: [**كأن قد وردت الأظعان**] كنّى بالأظعان عن المسافرين إلى اللّه والدار الآخرة، و«كأن» مخفّفة من الثقيلة لتقريب ما استقبل، أي: كأن قد قرب الورود إلى المنزل ومكان الورود إمّا جنّة وإمّا نار.

[**يوشك من أسرع أن يلحق**] هو ترغيب في إسراع السير في مراتب القربة إلى اللّه تعالى بذكر الغاية وهي اللحوق بمراتب السابقين، ويحتمل أن يكون من تمام الوعيد بالموت وقربه.

[**واعلم يا بنيّ إنّ من كانت مطيّته الليل والنهار فإنّه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً**] أي: ساكناً قاراً، حيث كان الإنسان في مبدء عمره إلى آخره مسافر إلى الآخرة على مطايا في طرق غير محسوسة فمطيّته الليل والنهار؛ لأنّهما أجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضاً وينقضي بانقضائها الزمان إلى أن تفنى مدّته ويتمّ سفره إلى الآخرة كما ينتقل في منازل طريقه المحسوسة إلى أن يتمّ سفره فيها، وكذا استعير المسافة لمدّته المضروبة، فالزمان سائر به وإن كان في الظاهر واقفاً وقوفه الحسّي وتلك المطايا تقطع مسافة أجله وإن كان قاراً قراره الحسّي.

[**واعلم يقيناً إنّك لن تبلغ أملك**] لأنّ الإنسان لازال في الأمل وكلّما حصّل مأمولاً وجّه أمله إلى مطلب آخر وهكذا، فالأمل أبداً متوجّه إلى مطلوب ما ليس مدكاً في الحال.

ولن تعدو أجلك وإنّك في سبيل من كان قبلك فخفّض في الطلب وأجمل في المكسب فإنّه ربّ طلب قد جرّ إلى حرب وليس كلّ طالبٌ مرزوق ولا كلّ مجمل بمحروم

[**ولن تعدو أجلك**] أي: لن تتجاوز ما ضُرب لك من الأجل كما قال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

[**وإنّك في سبيل من كان قبلك**] أي: سالك طريقهم فيوشك أن تلحق بهم.

[**فخفّض في الطلب**] التخفيض: التسهيل على النفس، أي: في طلب الدّنيا ولا تحرص عليها بل اطلبها بقدر الحاجة والضرورة.

[**وأجمل في المكسب**] أي: افعل الجميل فيما تكتسبه بأن تصنع كلّ شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في المبرّات والقربات ويحتمل أن يريد بالمكتسب الاكتساب، ونحوه النبوي: «الآن الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا اللّه وأجملوا في الطلب».

[**فإنّه ربّ طلب قد جرّ إلى حرب**] أي: إلى سلب المال وهو بمنزلة صغرى قدير كبراه: وكلّما جرّ إلى الحرب فينبغي أن لا يحرص عليه.

[**وليس كلّ طالبٌ مرزوق**] بل قد يكون الطلب علّة الحرمان فلا ينبغي أن يحرص في الطلب.

[**ولا كلّ مجمل بمحروم**] بل قد يكون الاهمال علّة للرزق في بعض الأحيان، فينبغي للإنسان أن يجمل فما قدّر له لا محالة يأتيه، وما لم يقدّر له لا يأتيه ولو جدّ واجتهد.

فأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّاً وما خير خير لا يوجد إلا بشر ويسر لا ينال إلا بعسر

[**فأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب**] أي: استلزمت الوصول إلى ما يرغب فيه ويتنافس عليه، وذلك كان يستعمل الكذب مثلاً ليصل إلى مطلوبه ويستعمل الغدر والفتنة والنميمة ليتقرّب إلى الملوك.

[**فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً**] أي: إنّ ما تبذله من نفسك من الفضيلة وتعدل عنه إلى الرذيلة لا يقاومه عند اللّه وعند أهل الفضائل من خلقه شيء وإن جلّ، ولا يكون لك عنه عوض وهو في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّما لا يحصل له عوض يقابله ويساويه فلا ينبغي أن يبدل في مقابل دنيّ حقير.

[**ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّاً**] بأن تجعل له عليك فضل إحسان تسأله إيّاه فتسترق بذلك، ولذا قال عليه السلام «أحسن إلى من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عمّن شئت تكن نظيره» وروي أنّ عثمان بعث عطيّة مع غلام له إلى أبي ذر وقال له: إن قبلها فأنت حرٌّ، فأصرّ الغلام على أبي ذر بالقبول فقال: خذها فإنّ فيها عتقي، فقال: نعم ولكن فيها رقّي.

[**وما خير خير لا يوجد إلا بشر**] استفهام إنكاري، أي: لا خير في خير لا يوجد إلا بشر.

[**ويسر لا ينال إلا بعسر**] وكنّى بالخير واليسر عمّا يطلب في مقارفة الأشياء الدنيّة والمطالب الذميمة ويصير الإنسان بسببه عبداً لغيره كالمال

وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين اللّه ذو نعمة فأفعل فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك

ونحوه وبالشرّ العسر المقارن له كبذل ماء الوجه في السؤال والذلّة ونحوهما وهو أيضاً في قوة صغرى تقدير كبراه: وكلّما لا خير فيه فلا ينبغي أن يطلب ويتعبّد للغير من أجله.

[**وإيّاك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة**] يقال: أوجفت أي: أسرعت، والمناهل: المعاطش، استعار المطايا لقواه الأمّارة بالسوء كالوهميّة والخياليّة والشهويّة والغضبيّة حيث إنّها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة لها إلى المشتهيات والمطامع الرديّة كالمطايا الموصلة لراكبها إلى أغراضه، واستعار الوجيف لسرعة انقياده معها إلى المطامع الردية، والمناهل لموارد الهلاك في الآخرة، كمنازل جهنّم وطبقاتها، ووجه الشبه كونها موارد شراب أهل النار المهلك كما قال تعالى: ﴿فشاربون عليه من الحمى فشاربون شرب الهيم﴾ والفاء في جواب النهي اللازم للتحذير المذكور وهو في قوّة صغرى متصّلة تقديرها: فإنّك إن أوجفت بك مطايا الطمع أوردتك مناهل الهلكة، وتقدير الكبرى: وكلّ مطية كذلك فيحرم ركوبها.

[**وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين اللّه ذو نعمة فأفعل**] وأصله النهي عن مسألة الغير والتعرّض لنواله بل ينتظر ما قسم له ن رزق اللّه من غير سؤال ذي نعمة يكون فيه بذل الوجه والذلّة والمنّة إن أعطى، أو بذله والحرمان والذلّ إن حرم ورغّبه في ذلك بقوله: [**فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك**] من رزق وكلّ من كان كذلك فلا ينبغي أن يجعل بينه وبين اللّه

وإنّ اليسير من اللّه سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوكاء بشدّ الوكاء وحفظ ما في يديك أحبّ إلي من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس

واسطة يطلب منه رزقه.

وقوله: [**وإنّ اليسير من اللّه سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه**] أي: ما حصل من جهة يحمد حوصله منها وهي الجهة التي أمر اللّه بطلب الرزق منها وإن كان يسيراً أكرم عنده وأشرف من الكثير من غير تلك الجهة، كسؤال الغير والتعرّض له، وإن كان الرزق من الخلق أيضاً من اللّه إلا أنّه ينبغي أن يوجّه الرغبة إليه ابتداءً دون غيره، إذ هو مبدء الكلّ وعنايته بالجميع واحدة.

[**وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوكاء بشدّ الوكاء**] واستعار الوكاء لضميره وكنّى بشدّه عن ضبط لسانه بالصمت ومما قيل في ذلك أنت قادر على أن تجعل صمتك كلاماً ولست بقادر على أن تجعل كلامك صمتاً.

[**وحفظ ما في يديك أحبّ إلي من طلب ما في يد غيرك**] ومن الأمثال في ذلك: البخل خير من سؤال البخيل، وليس المراد بالحفظ لما في يده البخل، بل النهي عن التفريط والتبذير كما قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾ وقال تعالى: ﴿الّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.

[**ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس**] فهو أولى بأن يلزم،

والحرفة مع العفّة من الغنى مع الفجور والمرءُ أحفظ لسرّه وربّ ساع فيما يضرّه من أكثر أهجر ومن تفكّر أبصر قارب أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشرّ تبن عنهم

وكنّى بالمرارة عن الألم الذي تجده النفس بسبب اليأس من المطالب إطلاقاً للسبب على المسبّب وكونه خيراً لما يستلزمه من إكرام النفس من ذلّ السؤال ورذيلة المهانة، وإليه أشار الشاعر بقوله:

وإن كان طعم اليأس مرّاً فإنّه ألذّ وأحلى من سؤال الأراذل

[**والحرفة مع العفّة من الغنى مع الفجور**] تنبيهٌ على وجوب الصبر في ضيق الرزق والحرمان إذا كان مع فضيلة العفّة ولزومه أولى من طلب الغنى المستلزم للفجور لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة وذلك الغنى الرذيلة.

[**والمرءُ أحفظ لسرّه**] تنبيهٌ على عدم إفشاء سرّه فهو أحفظ لسرّه من غيره، والعلّة كونه أكثر عناية بنفسه من غيره، فلا تبح سرّك فإن أذعته انتشر فلم تلم إلا نفسك لأنّك كنت عاجزاً عن حفظ سرّ نفسك فغيرك أعجز، قال الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

[**وربّ ساع فيما يضرّه**] تنبيهٌ على التحرّز في السعي والتثبّت في ارتياد المصالح، وفي المثل لو أراد اللّه بالنملة صلاحاً لما أنبت لها جناحاً.

[**من أكثر أهجر**] أي: أفحش في منطقه وذلك ملزوم كثرة الكلام، [**ومن تفكّر أبصر**] أي: من تفكّر أدرك بعين بصيرته حقائق الأُمور وعواقبها.

[**قارب أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشرّ تبن عنهم**] كما قيل:

بئس الطعام الحِمام وظلم الضعيف أفحش الظلم إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً وربّما كان الدواء داء والداء دواء وربّما نصح غير الناصح وغشّ المستنصح

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فـإنّ القرين بالقـارن يقتـدي

[بئس الطعام الحِمام] قال تعالى: ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.

[وظلم الضعيف أفحش الظلم] لأنّ الضعيف في محلّ الترحّم فظلمه لا يصدر إلا عن قلب قاس ونفس بعيدة عن الرحمة فكان بُعدٌ عن العدل.

[إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً] الرفق: اللّين، وضدّه الخرق، أي: إذا كان استعمال الرفق مفسدة وزيادة في الشرّ فلا تستعمله فإنّه حينئذ ليس برفق بل خرق، ولكن استعمل الخرق في محلّه يكن رفقاص، كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضرّ كوضع السيف في موضع الندى

[وربّما كان الدواء داء والداء دواء] يعني إنّ بعض ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة، وبالعكس استعمال الدواء للمصلحة والداء للمفسدة وإلى ذلك أشار من قال: فربّما صحّت الأجسام بالعلل، وقال أبو نواس:

دع عنك لومي فإنّ اللوم إغراء . وداوني بالتي كانت هي الداء

[وربّما نصح غير الناصح وغشّ المستنصح] تنبيهٌ على أنّه لا ينبغي

وإيّاك والاتكال على شيء فإنّه بضايع النُّوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جرّبت ما وعظك

أن يعرض عن مشورة أحد من حيث أنّه غير ناصح بل ينظر فيها أو يتبصّر فربّما كان فيها صلاح، وكذا لا ينبغي أن يركن إلى من اعتقده ناصحاً فربّما غشّ. كان المغيرة بن شعبة عدوّ اللّه ورسوله وعدوّ أميرالمؤمنين وأشار عليه يوم بويع بالخلافة أن يقرّ معاوية على الشام مدّة يسيرة فإذا خطب باسمه دعاه إليه كما كان عمر وعثمان يدعوانه إليهما ويعزله فلم يقبل عليه السلام وكانت نصيحة من عدوّه واعتذر أميرالمؤمنين بقوله تعالى: ﴿ما كنت متّخذ المضلّين عضداً﴾ واستشار الحسين عليه السلام عبداللّه بن الزبير وهما بمكّة في الخروج إلى العراق فأشار عليه بذلك وقال: ليس بمكّة من يبايعك ولكن دونك العراق وكان غاشاً.

[وإيّاك والاتكال على شيء فإنّه بضايع النُّوكى] جمع أنوك وهو الأحمق، واستعار البضايع لها باعتبار أنّ الأحمق يحصل منها على لذّة خيالية من الأُمور المتمنّاة هي فرعها كما يحصل عن البضاعة الربح، وأضافها إلى النوكى لعدم الفائدة في المنى معدم الربح في بضائع النوكى.

[والعقل حفظ التجارب] أي: العقل العملي وهو القوّة التي للنفس بحسب حاجتها إلى تدبير بدنها الموضوع لتصرّفاتها وتكميله وهي التي يستنبط بها الآراء الصحيحة، وبالجملة العقل الاكتسابي لا الغريزي ممّا يستفاد من تجربة الأُمور، ولذا ورد انّ التجارة تزيد في العقل.

[وخير ما جرّبت ما وعظك] تنبيهٌ على أنّه ينبغي أن يقتصر من التجارب على ما وعظه أي من شأنه أن يفيده موعظةً واعتباراً كالنظر في حال

بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ليس كلّ طالب مصيب ولا كلّ غائب يؤوب ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكلّ امرء عاقبة

من تكرّر ظلمه فأسرعت عقوبة اللّه إليه أو تكرّر كذبه فأدركه المقت، ونحوه قول افلاطن: إذا لم تعظك التجربة فلم تجرّب بل أنت ساذج كما كنت.

[**بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة**] أمر بانتهاز الفرصة فيما ينبغي أن يفعل لئلا يتأسّف على ما يفوته من المطالب. حضر عبيداللّه بن زياد عند هاني بن عروة عائداً له وقد كمن له مسلم بن عقيل ليقتله إذا جلس واستقرّ فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه بذلك فلم تطعه وجعل هاني يشير ويترنّم بقوله: ما الانتظار بسلمى لا يحينها ويكرّر ذلك إلى أن استشعر ابن زياد خيفةً ونهض فكان من أمره ما كان.

[**ليس كلّ طالب مصيب**] فلا يتأسّف على ما يفوت من المطالب، إذ لعلّه من ذلك البعض، قال الشاعر:

ما كلّ وقت ينال المرء ما طلبا ولا يسوّغه المقدار ما وهبا

[**ولا كلّ غائب يؤوب**] فإذا لم يرجع غائبك فلا تجزع، قال الشاعر:

وكلّ ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤب

[**ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد**] إذ لا ريب أنّ من كان في سفر فاضاع زاده وأفسد الحال التي لا يعود إليها فإنّه أحمق وهذا مثل يُضرب للإنسان في حالتي دنياه وآخرته، واستعار الزاد هنا للتقوى لقوله تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾.

[**ولكلّ امرء عاقبة**] تنبيهٌ على لزوم النظر في عواقب الأمور واختيار أحسنها وفي المثل: لكلّ سابلة قرار.

سوف يأتيك ما قدّر لك التاجر مخاطر ربّ كثير أنمى من يسير ولا خير في معين مهين ولا في صديق ضنين مناهل الدهر ما ذلّ لك قعوده

[**سوف يأتيك ما قدّر لك**] فيه تنبيهٌ على وجوب ترك الحرص بأنّ ما قدّر يأتي وما لم يقدّر لا يأتي، فالحرص لماذا؟ كما قيل:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبداً — وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته — وأخ الجهالة متعب مغبون

[**التاجر مخاطر**] لأنّه يتعجّل بإخراج الثمن ولا يعلم هل يعود أم لا، قيل: وهذا الكلام له باطن وهو: انّ من مزج الأعمال الصالحة بالأعمال السيّئة فإنّه مخاطر لأنّه لا يؤمن أن يكون بعض السيّئات تحبط أعماله الصالحة كما لا يؤمن أن يكون بعض أعماله الصالحة تكفّر السيّئات.

[**ربّ كثير أنمى من يسير**] فاليسير الحلال أغنى للعاقل من الكثير الحرام في الآخرة، فيجب أن يقتصر على وفي الأثر: قد يجعل اللّه من القليل الكثير، ويجعل من الكثير البركة.

[**ولا خير في معين مهين**] أي: لا خير في الاستعانة به كما قيل:

إذا تكفيت بغير كافي — وجدته للهمّ غير شافي

[**ولا في صديق ضنين**] أي: لا خير في الصديق المتّهم لصديقه، قال الشاعر:

فإنّ من الإخوان من يسخط النوى — به وهو راع للوصال أمين

و منهم صديق العين أمّا — لقائه فحلو و أمّا غيبه فظنين

[**مناهل الدهر ما ذلّ لك قعوده**] هذا استعارة، والقعود: البكر حين

ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه وإيّاك أن تجمح بك مطيّة اللجاج احمل نفسك من أخيك عند صَرْمِه على الصِّلَة

يمكّن ظهره من الركوب إلى أن يثني، استعير للزمان الذي يتيسّر فيه رزقه وتسهّل فيه بعض مهمّاته و«ما» بمعنى المدّة، ووجه الشبه أنّ ذلك الزمان يمكّنه من بعض مهمّاته وحوائجه وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يعد لحصوله من المطالب ربّما يستلزم تغيّره وامتناع ما كان ممكناً فيه كما أنّ القعود من شأنه أن يمكّن من ظهره واقتعاده، وهو بمعرض أن ينفر براكبه إذا استراده وشدّ عليه، ولفظ الذلّة مستعار لسكون الزمان وإمكان المطلوب فيه، وأراد بمباهلته: الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدّد وتسخّط عليه، فإنّ ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة وإلى مثله أشار القائل:

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به رويداً

و لا تعنف فيصبح شامتاً

[**ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه**] أي: لا تخاطر لشيء تملكه في يدك رجاء أكثر منه؛ إذ كان في مظنته أن لا يعود فيوشك أن يضيع الأصل يعني إذا كان شاكّاً في سلامته وأمّا مع ظنّ السلام فلا خطر كما هو عادة التجّار ونحوه قولهم: من طلب الفضل حرم الأصل.

[**وإيّاك أن تجمح بك مطيّة اللجاج**] تحذير من اللجاج في طلب الأمر عند تعسّره، واستعار له لفظ المطيّة الجموح، ووجه الشبه كونه يؤدّي بصاحبه إلى غاية غير محمودة كالجموح من المطايا.

[**احمل نفسك من أخيك عند صَرْمِه على الصِّلَة**] أوصاه ﷺ بأن يلزم نفسه ويحملها في حقّ صديقه الحقّ على أن يقابل رذائله بالفضائل كالقطيعة

وعند صدوده على اللّطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللّين، وعند جرمه على العذر، حتّى كأنّك له عبد وكأنّه ذو نعمة عليك، وإيّاك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله

بالصّلة وسائر ما يأتي لقدوم المودّة، وحذّره أن يضع ذلك في غير موضعه أو يفعله بغير أهله من اللّئام، والصرم هو القطع.

[وعند صدوده على اللّطف] بفتح اللام والطاء الاسم من ألطفه بكذا أي: برّه به، وجاءتنا لطمة من فلان أي: هديّة، والملاطفة: المبارة، وروي على اللطف وهو الرفق، وروي على التلطّف وهو الرفق للأمر.

[والمقاربة، وعند جموده] عن العطاء **[على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللّين، وعند جرمه على العذر، حتّى كأنّك له عبد وكأنّه ذو نعمة عليك، وإيّاك أن تصنع ذلك في غير موضعه أو تفعله بغير أهله]** من اللئام، فإنّ ذلك خروج عن العقل، والأُمور المذكورة من لوازم الصداقة الحقّة، وإلى ذلك أشار من قال:

و إنّ الذي بيني و بين بني أبي
و بين بني أُمّي لمختلف جدّاً
فإن أكلوا لحمي وفّرت لحومهم
وإن هدّموا مجدي بنيتُ لهم مجداً
وإن زجروا طيراً بنحس يمرّ بي
زجرتُ لهم طيراً يمرّ بهم سعداً
و لا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ولا تتّخذ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وتجرّع الغيظ فإنّي لم أرَ جرعة أحلا منها عاقبةً ولا ألذّ مغبّةً

[**ولا تتّخذ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك**] ومعاداة الصديق قبيحة منهيٌّ عنها، فاتّخاذ عدوّه صديقاً كذلك، ووجه الملاومة انّ مصادقة عدوّ الصديق يستلزم نفرة الصديق لكونها موهمة مشاركة العدو وموافقته في جميع أحواله، ومن جملة أحواله عداوته فهي إذاً توهمه الموافقة على عداوته فتوجب له النفرة والمجانبة، وإلى ذلك أشار من قال:

تـودّ عـدوّي ثمّ تزعـم إنّني صديقك إنّ الرأي عنك لعازب

[**وامحض أخاك النصيحة**] أي: أخلصها له في جميع أحواله سواء كانت تلك النصيحة [**حسنة كانت أو قبيحة**] أي: مستقبحة في نظر المنصوح ضارّة له في العاجل باعتبار استحيائه وانفعاله من المواجهة بها، فعبّر عن النفع والضرّ بالحسن والقبح كقوله تعالى: ﴿وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم﴾ فعدّها بالنسبة إليهم سيّئة وقيل اراد سواء كانت نافعة لك أو ضارة لك.

[**وتجرّع الغيظ فإنّي لم أرَ جرعة أحلا منها عاقبةً ولا ألذّ مغبّةً**] هذا أمرٌ بكظم الغيظ، قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ويرادفه ويقرب منه الحلم والكرم والصفح والتثبّت والعفو والتجاوز والاحتمال، واستعار وصف التجرّع للتصبّر على مضض الألم الموجود منه واستعار وصف الحلاوة لما يستلزمه من العاقبة الحسنة ووجه الشبه ما يستلزمانه من اللّذة، وضمير «منها» يعود إلى ما دلّ عليه قوله: تجرّع، من المصدر.

وَلِنْ لمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك وخذ على عدوّك بالفضل فإنّه أحد الظفرين وإن أردت قطيعة فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما ومن ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه

[**وَلِنْ**] في الكلام [**لمن غالظك**] أي: أغلظ في الكلام عليك.

[**فإنّه يوشك أن يلين لك**] بسبب لينك له حال غلظته، ونحوه قوله تعالى: ﴿ادفع بالّتي هي أحسن السيّئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾.

[**وخذ على عدوّك بالفضل**] من عوارفه [**فإنّه أحد الظفرين**] فإنّ للظفر سببين أحدهما الرهبة بالقوّة والغلبة، والثاني الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترقّ به ويدخل في الطاعة بسببه؛ إذ بالفضل والإحسان استرقّ الأحرار.

[**وإن أردت قطيعة فاستبق له من نفسك بقية**] من صداقته [**يرجع إليها إن بدا له ذلك**] الرجوع [**يوماً ما**] ولا تفارقه مفارقة كلّية، ونحوه قولهم:

احبب حبيبك هوناً ما ... عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وابغض بغيضك هوناً ما ... عسى أن يكون حبيبك يوماً ما

[**ومن ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه**] بأ تفعل ما ظنّه بك من الخير فإن قيل لمن أخذ طرفاً من العلم هذا عالم فاضل دعاه ذلك إلى أن واظب على تحصيل العلم حتّى صار كذلك، وكذا قولهم فلان عابد زاهد يحمله ذلك على الالتزام بالعبادة والزهد وهذا يتّفق كثيراً.

ولا تضيعنّ حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من الاخوّة اللازمة والصداقة المتأكّدة فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ولا ترغبنّ فيمن زهد فيك ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان

[**ولا تضيعنّ حقّ أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من الاخوّة] اللازمة والصداقة المتأكّدة فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه**] ولابدّ أن يفارقك لتضييعك حقّه فلا يكون أخاً لك، ولذا قيل: إضاعة الحقوق داعية العقوق.

[**ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك**] قيل هذا كما يقال في المثل: من شؤم الساحرة أنّها أول ما تبدء بأهلها، والمقصود النهي عن قطيعة الرحم وإقصاء الأهل وحرمانهم، وفي الخبر «صلوا أرحامكم ولو بالسلام».

[**ولا ترغبنّ فيمن زهد فيك**] ممن ليس للمودّة أهلاً ولا للإحسان موضعاً، وليس بأخ قديم وإلا لناقض ما قبله وما بعده من الأمر بصلة من قطعه والدنوّ ممن تباعد عنه والإحسان إلى من أساء إليه.

[**ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان**] تنبيهٌ على وجوب صلة من قطعه من إخوانه والإحسان إلى من أساء إليه وأنّه إن لم يفعل ذلك يكن أخوه أقوى على فعل الإساءة منه على فعل الإحسان، وبيان الملازمة أنّ الإساءة والشرّ له صوارف كثيرة تصرف عنه، والإحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة يبعث عليه، فإذا لم يفعل الإحسان مع كثرة البواعث عليه وأساء أخوك مع

ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فإنّه يسعى في مضرّته ونفعك وليس جزاء من سرّك أن تسوئه واعلم يا بُنيّ انّ الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك

كثرة صوارفه عن الإساءة كان هو أقوى على الإساءة منك على الإحسان، وكلّ من كان كذلك فهو عاجز مذموم.

[**ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك**] ولا تستعظمه بل هوّن ذلك.

[**فإنّه يسعى في مضرّته ونفعك**] يعني إنّ سعيه في ظلمك يستلزم مضرّته في الآخرة بما توعّد اللّه به الظالمين ونفعك بما وعد اللّه به الصابرين على بلائهم، وإذا كان بهذه المثابة فلا ينبغي أن يكبر عليه ضيمه.

[**وليس جزاء من سرّك أن تسوئه**] كلام منفصل، تنبيهٌ على وجوب مقابلة الإحسان بمثله لا بالكفران، وقيل: متّصل بما قبله، أي: لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فتقابله بسوء فإنّه يسعى في مضرّته ونفعك وكلّ من كان كذلك فليس جزائه أن تقابله بالإساءة.

[**واعلم يا بُنيّ انّ الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأته أتاك**] قيل: قسّم مطلق الرزق إلى قسمين، مطلوب وطالب، والمطلوب مالم يجر في القضاء الإلهي كونه رزقاً، والطالب ما علم اللّه أنّه رزقه ولابدّ من وصوله إليه وترك بيان أحكام القسمين إيجازاً، والتقدير: فأمّا الذي تطلبه فإنّك لا تدركه لكون القضاء الإلهي لم يجريه كلّما لا تدركه فينبغي أن لا تحرص عليه، وأمّا الذي يطلبك فإنّه لا محالة يأتيك وإن لم تأته، ومن الأمور الوجدانية ما يرى من أنّ المجدّ المجتهد في طلب الرزق لا يحصّله وبالعكس.

ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى إنّما لك من دنيا ما أصحلت به مثواك وإن كنت جازعاً على ما تفلّت من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك

وقوله: [**ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى**] تنبيهٌ على فضيلة عزّة النفس عند الحاجة، وعلى مواصلة الاخوان في الغنى، بالتعجّب من قبح ضدّيهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى، وإليه نظر القائل:

خُلقان لا أرضاهما للفتى   تبيه الغنى ومذلّة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً   وإذا افتقرت فته على الدهر

وقوله: [**إنّما لك من دنيا ما أصحلت به مثواك**] أراد بماله من دنياه بما يملك نفعه دائماً، ولذلك حصره بـ«إنّما» لأنّه القدر المنتفع به على الحقيقة، والذي تبقى ثمرته لاستلزام بذله تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة، أي: ما أصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها، ونحوه النبوي: «يابن آدم ليس لك من مالك إلا ما ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدّقت فأبقيت».

وقوله: [**وإن كنت جازعاً على ما تفلّت من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك**] أي: لا ينبغي أن تجزع على ما ذهب من مالك كما لا ينبغي أن تجزع على ما فاتك من المنافع والمكاسب، فإنّه لا فرق بينهما إلا أنّ هذا حصل وذاك لم يحصل بعد، وهذا فرق غير مؤثّر لأنّ الذي تظنّ أنّه حاصل لك غير حاصل في الحقيقة مما أكلته أو لبسته، وأمّا القنيات والمدّخرات فلعلّها ليست لك.

استدلّ على ما لم يكن بما كان فإنّ الأُمور أشباه ولا تكوننّ ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه فإنّ العاقل يتّعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار

وقوله: [**استدلّ على ما لم يكن بما كان فإنّ الأُمور أشباه**] أمره أن يقيس ما لم يكن أو يحدث من أُمور الدنيا وأحوالها وتغيّراتها على ما كان وحدث منها فإنّها متشابهة، ولذا قيل إذا أردت أن تنظر الدّنيا بعدك فانظرها بعد غيرك.

[**ولا تكوننّ ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه**] حذّره أن يكون ممن لا تنفعه النصيحة فيما نُصح به من الرأي إلا إذا بالغت في إيلامه وأذاه بالقول وغيره.

[**فإنّ العاقل يتّعظ بالأدب**] ويتذكّر بالنصح [**والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب**] فلا يكن كالبهائم في الاحتياج إلى إيلام بقول وفعل، وكان يقال: اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة عتبها ضربها.

[**اطرح عنك واردات الهموم**] أي: ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا [**بعزائم الصبر**] أي: بالصبر الحازم الثابت [**وحسن اليقين**] باللّه تعالى، وبأسرار حكمته وقضائه وقدره، وذلك أن يعلم يقيناً أنّ كلّ أمر صدر عن اللّه تعالى وابتلى به عباده من ضيق رزق أو سعته وكلّ أمر مرهوب أو مرغوب فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك مما ظاهره الشرّ فعرضي.

[**من ترك القصد**] أي: العدل في أفعاله وأقواله [**جار**] ومن جار هلك، والمقصود إنّ خير الأُمور وسطها، وإنّ كلا الطرفين إفراطٌ وتفريطٌ،

الصاحب مناسب الصديق من صدقه غيبه والهوى شريك العمى ربّ بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب

فمن تعدّى الطريق الوسط ولو يسيراً وقع في المهلكة.

[**الصاحب مناسب**] أي: هو باعتبار مودّته وحسن معاضدته كالنسيب القريب فينبغي الاهتمام به ولذا قيل: الصديق نسب الروح والأخ نسيب البدن.

[**الصديق من صدقه غيبه**] أي: من صدق في ضميره وما غاب من باطنه عن غيره أو من صدق في الغياب لا في مجرّد الحضور.

[**والهوى شريك العمى**] لاستلزامه للضلال وترك القصد كالعمى؛ ولذا قيل: حبّك للشيء يعمي ويصمّ، وقال الشاعر:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ... كما أنّ عين السخط تبدي المساويا

[**ربّ بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد**] الغرض التنبيه على أنّ في الأباعد من هو أقرب وأنفع من النسيب وفي الأقارب من هو ابعد من البعيد، وإى الثاني أُشير في القرآن الكريم بقوله: ﴿إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّ لكم﴾، وقال الشاعر:

لعمرك ما يضرّ البعد يوماً ... إذا دنت القلوب من القلوب

[**والغريب من لم يكن له حبيب**] أي: الحقيق بأن يسمّى غريباً هو من لم يكن له محبّ يحبّه كما قال الشاعر:

أُسرة المرء والداه و فيما ... بين حضنيهما الحياة تطيب

فإذا ولّيا عن المرء يوماً ... فهو في الناس أجنبيٌّ غريب

وذلك باعتبار محبّة الوالدين له.

من تعدّى الحقّ ضاق مذهبه من اقتصر على قدره كان أبقى له وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين اللّه سبحانه من لم يبالك فهو عدوّك

[**من تعدّى الحقّ ضاق مذهبه**] أي: طريقه، يريد أنّ طريقة الحقّ لا مشقّة فيها لسالكها وطرق الباطل فيها المشاقّ والمضارّ، فكان سالكها سالك طريق ضيّقة يتعثّر فيها ويتخبّط في سلوكها لما فيه من التحيّر والخبط وعدم الهداية إلى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعة.

[**من اقتصر على قدره كان أبقى له**] فينبغي للإنسان أن يقتصر على قدره وهو مقداره ومحلّه في خلق اللّه واقتصاره عليه مبني على معرفته به، وهو أن يعلم الفطرة التي فطر الإنسان عليها من الضعف والنقص فيعلم أنّه كذلك فيمنع نفسه حينئذ عن الترفّع على أبناء نوعه والاستطالة على أحد منهم بفضل قوّة أو إعجاب، ولذا قيل: رحم اللّه امرء عرف قدره ولم يتعدّ طوره، وقيل: من جهل قدره قتل نفسه، وقال أبو الطيب:

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

[**وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين اللّه سبحانه**] تنبيه على لزوم سبب بينه وبين اللّه وهو ما قرّب إليه من علم وقول وعمل، ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار إيصاله إلى اللّه تعالى والقرب منه كالحبل الذي يتوصّل به إلى المقصود، وظاهر أنّه أوثق الأسباب لثباته دائماً ونجاة المتمسّك به في الدنيا والآخرة، ونحوه قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللّه فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها واللّه سميع عليم﴾.

[**من لم يبالك فهو عدوّك**] أي: من لم يبال بك ولم يكترث بك فاجتنبه فإنّه عدوّك، استعار له العدوّ لأنّ عدم المبالاة من لواز العدوّ.

قد يكون اليأس دراكاً إذا كان الطمع هلاكاً وليس كلّ عورة تظهر ولا كلّ فرصة تصاب وربّما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده أخّر الشرّ فإنّك إذا شئت تعجّلته

وقوله: [**قد يكون اليأس دراكاً إذا كان الطمع هلاكاً**] يعني إنّ اليأس من بعض مطالب الدّنيا قد يكون سبباً للسلامة من الهلاك وإدراك النجاة منه، وذلك عند ما يكون الطمع في ذلك المطلوب مستلزماً للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه.

[**وليس كلّ عورة تظهر ولا كلّ فرصة تصاب**] أي: قد تكون عورة العدوّ وعيوبه مستترة عنك فلاتظهر لك ولا يمكنك إصابتها وقال بعض الحكماء: الفرصة نوعان، فرصة في عدوّك وفرصة في غير عدوّك، فالفرصة في عدوّك ما إذا نلتها نفعتك وإن فاتتك ضرّتك وفي غير عدوّك ما إذا أخطأتك نفعه لم يصل إليك ضرّه.

[**وربّما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده**] يعني إنّ من الأمور الممكنة والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ويهتدي له ويظفر به الأعمى، استعار البصير للعاقل الذكي، والأعمى للجاهل الغبي، والمقصود التسلية عن الأسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد إمكانها، وفي المثل «مع الخواطي سهم صائب» وقولهم: رمية من غير رام، وقولهم: الجواد قد يكبو والحسام قد ينبو، وقولهم: قد يهفو الحكيم ويجهل العليم.

[**أخّر الشرّ فإنّك إذا شئت تعجّلته**] أي: حيث انّك قادر على تعجيله أيّ وقت شئت فلا تستعجل فيه؛ إذ لا يفوتك، ولكن ربّما ندمت على تعجيله ولا يمكنك تداركه بخلاف تأخيره، ومن الأمثال الحكمية: ابدء

وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من أمن الزمان خانه ومن أعظم أهانه ليس كلّ من رمى أصاب

بالحسنة قبل السيّئة فلست بمستطيع للحسنة كلّ وقت وأنت على الإساءة متى شئت قادر.

[**وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل**] باعتبار استلزامها للمنفعة؛ لأنّ الجاهل إذا قطعك انتفعت ببعده عنك كما تنتفع بمواصلة الصديق العاقل لك.

[**من أمن الزمان خانه**] تنبيهٌ على وجوب الحذر منه ودام ملاحظة تغيّراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالأعمال الصالحة، واستعار له الخيانة باعتبار تغيّره عند الغفلة عنه والأمن فيه والمركون إليه فهو في ذلك كالصديق الخائن وكلّ من خانه الزمان فينبغي أن يكون منه على حذر، وفي الحكمة: من أمن الزمان ضيّع ثغراً مخوفاً.

[**ومن أعظم أهانه**] تنبيهٌ على وجوب ترك إعظامه ولم يرد الزمان المجرّد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذّاتها ومعدّ لطيب العيش بالصحّة والشباب والأمن ونحوها، وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال في العرف: زمان طيّب وزمان عظيم، وأمّا استلزام ذلك لإهانة من يستعظمه لأنّ إعظامه له يستلزم اشتغاله له بما فيه من الملذّات الدنيوية فيغفل بسبب محبّتها عن الاستعداد لما ورائه، ثمّ انّ الزمان يكرّ عليه بمقتضى طباعه فيفرّق بينه وبين ما كان يعتريه من مال أو جاه أو رجال فيصبح حقيراً بعد أن كان خطيراً، وصغيراً بعد أن كان كبيراً، وقليلاً بعد أن كان كثيراً.

وقوله: [**ليس كلّ من رمى أصاب**] هو مثل قوله «ليس كلّ طالب يصيب» والغرض منه التنبيه على ما ينبغي من ترك الأسف على ما يفوت من

إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار وإياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك

المطالب والتسلّي بمن أخطأ في طلبه، أو توبيخ المغير وتبكيته بأنّه ليس بأهل لذلك المطلوب وإنّ له قوماً آخرين، وإلى نحوه أشار أبو الطيب بقوله:

ما كلّ طلب المعالي نافذاً فيها ولا كلّ الرجال فحولاً

[**إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان**] يعني إنّ تغيّر السلطان في رأيه ونيّته وفعله في رعيّته من العدل إلى الجور يستلزم تغيّر الزمان عليهم، وحكي أنّ ــــ شروان جمع عمّال السواد وبيده درّة يقلّبها، فقال: أيّ شيء أضرّ بالسواد وأضرّ بارتفاع الأعمال وأدعى إلى محقه، أيُّكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرّة في فيه، فقال بعضهم: الجراد، وقال بعضهم: انقطاع السرب، وقال بعضهم: احتباس المطر، وقال بعضهم: استيلاء الجنوب وعدم الشمال، فقال لوزيره: قل أنت، فإنّي أظنّ عقلك لعادل عقول الرعية كلّها ويزيد عليها، قال: تغيّر رأي السلطان في رعيّته وإضمار الحيف لهم والجور عليهم، فقال: للّه أبوك، لهذا الفعل أُهلك آبائي وأجدادي لما أهلوك له، ودفع إليه الدرّة فجعلها في فيه.

وقوله: [**سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار**] وفي المثال: «جار السوء كلب هارش وأفعى ناهش» وفي آخر: «الرفيق إمّا رحيق وإمّا حريق».

[**وإياك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك**] لما يستلزم لك من الهوان وقلّة الهيبة في النفوس، وقلّ أن يخلو ذاكر ذلك من غيبة أو سخرية، وربّ كلمة يتكلّم بها الرجل ليضحك جلسائه

وإيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن وعزمهنّ إلى وهن واكفف عليهنّ من أبصارهنّ لحجابك إيّاهنّ فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ وليس خروجهنّ بأشدّ إدخالك من لا يوثق به عليهنّ فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل

فيسقط فيها أبعد ما بين السماء والأرض.

[**وإيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن**] بالسكون، أي: نقص، والمتفان: المنتقص، يقال: فلان يتافن فلاناً أي: ينتقصه ويعيبه، ومن رواه آفن بالتحريك فهو ضعيف الرأي، يقال: أفن الرجل يأفن أفناً أي: ضعف رأيه.

[**وعزمهنّ إلى وهن**] أي: ضعف، وذلك لنقصان عقولهنّ وضعف الرأي مظنّة الخطأ.

[**واكفف عليهنّ من أبصارهنّ لحجابك إيّاهنّ**] قيل: هو من أفصح الكنايات عن الحجب، و«من» زائدة، ويحتمل التبعيض، والمعنى: فاكفف عليهنّ بغضّ أبصارهنّ.

ثمّ ذكر فائدة الحجاب فقال: [**فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ**] للستر والعفّة من الخروج والتبرّج وأدوم لحفظهنّ، ثمّ نهاه عن أن يرخّص في إدخال من لا يوثق به عليهنّ من الرجال والنساء فقال:

[**وليس خروجهنّ بأشدّ إدخالك من لا يوثق به عليهنّ**] لأنّ من تلك صفته يتمكّن من الخلوة ما لا يتمكّن منه من يراهنّ في الطرقات.

[**فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل**] لكون معرفتهنّ للغير مظنّة للمفسدة وقرينة الحال تخرج غير أولي الاربة كالوالد والمحرم، وإنّما شرط في ذلك الاستطاعة لأنّه قد لا يمكن الإنسان دفع معرفتهنّ لغيره مطلقاً، قيل:

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهنّ إلى السقم والبريئة إلى الريب

كان لبعضهم بنت حسناء فحجّ بها فكان يعصّب عينها ويكشف للناس وجهها فقيل له في ذلك، فقال: إنّما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤية الناس لها.

[**ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها**] أي: ما خرج عن حدّ نفسها من مأكول وملبوس ونحوه، وما جاوز ذلك الشفاعات، ونبّه على عدم صلوحها لذلك بقوله: [**فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة**] واستعار الريحانة باعتبار كونها محلاً للّذة والستمتاع بها، ولعلّ تخصيص الريحانة بالاستعارة لأنّ شأن نساء العرب استعمال الطيب كثيراص، وكنّى بالقهرمانة عن كونها لم تخلق لتكون حاكمة متسلّطة بل من شأنها أن يكون محكوماً عليها، كما قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾.

[**ولا تعد**] لا تتجاوز [**بكرامتها نفسها**] أي: لا تكرمها بكرامة تتعدّى صلاح نفسها.

[**ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها**] لأنّ ذلك مجاوزة منها لحدّ نفسها لنقصان الغريزة وضعف الرأي.

[**وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة منهنّ إلى السقم والبريئة إلى الريب**] وكنّى بالصحيحة من الخيانة والفساد بالسقم عنهما، وإنّما كان كذلك لأنّ المرأة حين برائتها من الفساد تستقبح ذلك، وإذا نسبت إلى ذلك مع برائتها منه عظم عليها في أوّل الأمر وإذا تكرّر ذلك من الرجل هان عليها أمره وصار لومه له في قوّة الإغراء لها بذلك،

واجعل لكلّ إنسان من حذوك عملاً تأخذ به فإنّه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطيره وأصلك الذي إليه تصير ويدك التي بها تصول استودع اللّه دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدّنيا والآخرة

والإنسان حريص على ما مُنع، ولذا قيل:

يا أيّها الغائر مه لا تغر ... إلا لما تدركه بالبصر

ما أنت في ذلك إلا كمن ... ينبّه الدبّ لرمي الحجر

وقال آخر:

من لم يزل متّهماً عرسة مناصباً فيها لرجم الظنون

يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون

[**واجعل لكلّ إنسان من حذوك عملاً تأخذ به**] وتؤاخذه على تركه [**فإنّه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك**] لأنّهم إذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد يقوم به كلّ واحد منهم فالغالب عليهم أن يكل كلّ واحد منهم فعله إلى الآخر فيستلزم ذلك أن لا يفعل.

[**وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطيره وأصلك الذي إليه تصير ويدك التي بها تصول**] استعار لهم الجناح باعتبار كونهم مبدء نهوضه وقوّته على الحركة إلى الطالب كجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذا لفظ اليد باعتبار كونهم محلّ صولته على العدوّ، فإذا كانوا بهذه المنزلة وجب عليك إكرامهم.

ثمّ ختم الوصية بقوله عليه السلام: [**استودع اللّه دينك ودنياك**] وهو خير مستودع [**واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدّنيا والآخرة**] حسب إرادته ومشيّته، والاستيداع مجاز في طلب الحفظ من اللّه لما استودعه إيّاه.

وأرديت جيلاً من الناس كثيراً وأرديت جيلاً كثيراً

ومن كتاب له عليه السلام
إلى معاوية

أوّله: من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان، أمّا بعد فإنّ الدنيا دار تجارة ربحها أو خسرها الآخرة فالسّعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مردّ له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة وأن ينصحوا الغوي والرشيد فاتّق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقاراً ومن حقّت عليه كلمة العذاب فإنّ الله بالمرصاد وانّ دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فاقلع عمّا أنت عليه من الغيّ والضلال على كبر سنّك وفناء عمرك فإنّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر.

[**وأرديت جيلاً من الناس كثيراً**] المهيل: المتداعي في التمزّق، ومنه رمل مهيل أي: ينهال ويسيل، وأرديت: أهلكت، والجيل: الصنف، وروي جبلاً وهو الخلق، ابتدء عليه السلام بتذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة غايتها إمّا ربح الآخرة بصلاح الأعمال أو خسرانها بفسادها، وإنّه ينبغي أن يرى الدنيا بعينها أي: يعرفها بحقيقتها أو يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة، ويعلم ما هي عليه من التغيّر والزوال ويستعملها لما خلقت له، وإنّ ما علم الله وقوعه لا بدّ من وقوعه وإنّما وعظه امتثالاً لأمر الله ووفاءً بعهده، ثمّ أمره بتقوى الله ونهاه أن يكون ممن لا يرجو لله وقاراً أي:

خدعتهم بغيّك وألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات

لايتوقّع له عظمة فيعبده ويطيعه وقيل: الرجاء بمعنى الخوف وأن يكون ممن حقّت عليه كلمة العذاب ثمّ نبّهه على اطّلاعه عليه بقوله: فإنّه اللّه بالمرصاد، ثمّ نبّهه على إدبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيامة عند فقده لها مع عشقه لها وعدم تمسّكه في الآخرة بعصمة النجاة.

ثمّ أمره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنّه وفناء عمره فإنّ تلك الحال أولى الأحوال بالانتباه، وإنّه غير قابل للإصلاح في ذلك السنّ بعد استحكام جهله فهو كالثوب الخلق لا يمكن إصلاحه بالخياطة كلّما خيّطه من جانب تمزّق من آخر، ثمّ أخبره في معرض التوبيخ على ما فعل بأهل الشام فقال:

[وأرديت جيلاً] أي: صنفاً من الناس **[كثيراً خدعتهم بغيّك وألقيتهم في موج بحرك]** ولمّا كان ضلاله عن دين اللّه وجهله بما ينبغي هو سبب خدعته لهم نسبها إليه واستعار لفظ البحر لآرائه وأحواله في طلب الدّنيا والانحراف عن طريق اللّه، باعتبار كثتها وبعد غايتها، ولفظ الموج للشُّبه التي ألقاها إليهم وعرّفهم بها فيما يريد من الأغراض الباطلة ومشابهتها للموج في تلعّبها بأذهانهم واضطراب أحوالهم بسببها، وكذا استعار لفظ الظلمات في قوله:

[تغشاهم الظلمات] لما حجب أبصار بصائرهم عن إدراك الحقّ من تلك الشبهات.

كما قال: **[وتتلاطم بهم الشبهات]** ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها، ومحلّ «يغشاهم» نصبٌ على الحال، وكذا لفظ

فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على أعقابهم وتولّوا على أدبارهم وعوّلوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنّهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا إلى اللّه من موازرتك إذ حملتهم على الصّعب وعدلت بهم عن القصد

التلاطم لتلعّب تلك الشبهات بعقولهم.

وقوله: [**فجاروا عن وجهتهم**] عطف على «ألقيتهم» يعني إنّهم عدلوا عن الحقّ بسبب ما ألقاه إليهم من الشّبه ووجهتهم بكسر الواو، ويقال: هذاوجه الرأي أي: هو الرأي نفسه، والاسم الوجهة بالكسر ويجوز الضمّ.

[**ونكصوا على أعقابهم وتولّوا على أدبارهم**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما محمّدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئاً﴾.

[**وعوّلوا على أحسابهم**] أي: اعتمدوا في قتالهم على أحسابهم حمية الجاهلية في الذبّ عن أُصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدِّين والذبّ عنه.

[**إلا من فاء من أهل البصائر**] أي: إلا من رجع إلى الحقّ من أهل العقول.

[**فإنّهم فارقوك بعد معرفتك**] بما أنت عليه من الضلالة.

[**وهربوا إلى اللّه من موازرتك**] وإعانتك فيما تريده من هدم الدِّين.

[**إذ حملتهم على الصّعب**] من محاربة اللّه ورسوله وإطاء نور اللّه

[**وعدلت بهم عن القصد**] أي: العدول وطريق الحقّ لأنّ معاوية كان قد استغوى العرب لشبهة قتل عثمان والطلب بدمه، فلمّا عرف عقلائهم انّ ذلك خدعة منه لإرادة الملك فارقوه واعتزلوه، وقوله «على أعقابهم وعلى أدبارهم» ترشيخ لاستعارة لفظي النكوص والتولّي من المحسوسين

فاتّق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فإنّ الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك

للمعقولين، واستعار الصّعب لما حملهم عليه من الأمور المستصعبة في الدّين باعتبار أنّ ركوبهم لها يستلزم عدولهم عن صراطالله ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتقحّم المهالك.

ثمّ قال عليه السلام: [**فاتّق الله يا معاوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك**] والمجاذبة: الممانعة، استعارها للممانعة المعقولة، والقياد: لما يقوده به من الآراء الباطلة وكواذب الآمال وممانعة الشيطان لذلك القياد بتكذيب النفس الأمّارة فيما توسوس به من تلك الآراء.

[**فإنّ الدنيا منقطعة عنك والآخرة قريبة منك**] فاقطع الآمال الدنيوية وابذل جهدك للآخرة ﴿وللآخرة خيرٌ وأبقى﴾.

فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب، أمّا بعد فقد وقفت على كتابك وقد أبيت على الفتن إلا تمادياً وإنّي لعالم انّ الذي يدعوك إلى ذاك مصرعك الذي لابدّ لك منه وإن كنت موايلاً فازدد غيّاً إلى غيّك فطالما خف عقلك ومنّيت نفسك ما ليس لك منه، والتويت على من هو خير منك، ثمّ كات العاقبة لغيرك، واحتلت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك. والسلام.

فكتب إليه عليٌّ عليه السلام:

أمّا بعد، فإنّ ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد السيّئة مما إلى به أهلك وقومك الّذين حملهم الكفر وتمنّي الأباطيل على حسد محمّد صلى الله عليه وآله حتّى

. . . .

صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً، وأنا صاحبهم في تلك المواطن الصالي مجربهم والفال محدودهم والقاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة والمتّبع إن شاء اللّه خلفهم سلفهم، فبئس الخلف خلفاً اتّبع سلفاً ومحلّه النار.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد، فقد طال في الغيّ ما استمررت أوراحك كما طال ما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطائك بتوعّد وعيد الأسد وتروّغ روغان الثعلب فحتّىمَ تحيد عن اللّقاء ومباشرة الليوث الضارية والأفاعي القاتلة فلا تستبعدها فكلّما هو آت قريب، إنش، والسلام.

فكتب إليه عليٌّ عليه السلام:

أمّا بعد فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بما أنت صائر إليه، وليس إبطائي عنك إلا ترقّباً لما أنت له مكذّب وأنا له مصدِّق، وكأنّي بك غداً وأنت تضجّ من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم، والسلام.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد، فدعني من أساطيرك واكفف عنّي من أحاديثك واقصر عن تقوّلك على رسول اللّه ﷺ وافترائك من الكذب مالم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك من أمرك أن ينكشف لهم فيعزلوك ويعلموا انّ ما جئت به باطل مضمحل، والسلام.

فكتب إليه عليٌّ عليه السلام:

أمّا بعد فطالما دعوت أنت وأولوك أولياء الشيطان الرجيم الحقّ أساطير

....

الأوّلين، ونبذتموه وراء ظهوركم، وجهدتم في إطفاء نور اللّه بأيديكم وأفواهكم، ﴿واللّه متمّ نوره ولو كره الكافرون﴾، ولعمري ليتمنّ النور على كرهك ولينفذنّ العلم بصغارك ولتجازينّ بعملك، فعُث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك، فكأنّك بأجلك وقد انقضى وعملك قد هوى ثمّ تصير إلى لظى، لم يظلمك اللّه شيئاً ﴿وما ربّك بظلام للعبيد﴾.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد، فما أعظم الرين على قلبك، والغطاء على بصرك، الشره من شيمتك، والحسد من خليقتك، فشمّر للحرب واصبر للضرب، فواللّه ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتّقين، هيهات هيهات، أخطاك ما تمنّى وهوى قلبك فيمن هوى، فاربع على طلعك، وقس شبرك بفترك، ليعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفضل بين أهل الشكّ علمه، والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام:

امّا بعد، فإنّ مساويك مع علم اللّه فيك حالت بينك وبين أن يصلح أمرك وأن يرعوي قلبك، يابن صخر اللّعين، زعمت أن يزن الجبال حلمك ويفضل بين أهل الشكّ علمك وأنت الخلف المنافق الأغلب القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه آخرون، فدع الناس جانباً وتيسر لما دعوتي إليه من الحرب والصبر على الضرب واعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه المغطّى على بصره، فأنا أبو الحسن عليه السلام أنا قاتل جدّك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد، والسلام.

قال ابن أبي الحديد: ونِعْمَ ما قال أعجب وأظرف ما جاء به الدهر وإن

....

كانت عجائبه وبدائعه جمّة أن يفضي أمر عليّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونظيراً مماثلاً يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له عليّ عليه السلام كلمة إلا قال له مثلها أو أخشن مسّاً منها، فليت محمّداً صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك ليرى عياناً لا خبراً انّ الدعوة التي قام بها وأعظم المشاقّ في تحمّلها وكابد الأهوال في الذبّ عنها فضرب بالسيوف عليها لما مهّد دولتها وشيّد أركانها وملأ الآفاق بها، خلطت صفواً عفواً لأعدائه الّذين كذّبوه لما دعى إليها وأخرجوه من أوطانه لما حضّ عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمّه وأهله، فكأنّه كان يسعى لهم ويدئب لراحتهم كما قال أبو سفيان في أيّام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة فضربه برجله وقال: يا أبا عمارة إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد علمائنا اليوم يتلعّبون به، ثمّ آل الأمر إلى أن يغاض معاوية عليّاً عليه السلام كما يتغاض الأكفّاء والنظراء:

إذا عيّر الطائي بالبخل مادر ... وقرع قسّاً بالفهاهة باطل
وقال السّهى للشمس أنت خفية ... وقال الدّجى للصبح لونك حائل
وفاخرت الأرض السماء سفاهةً ... وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زُر إنّ الحياة ذميمة ... ويا نفس جدّي إنّ دهرك هازلُ

ومن كتاب له عليه السلام

إلى قثم بن العباس بن عبدالمطلب وهو عامله على مكّة ولم يزل والياً عليها حتّى قُتل عليه السلام واستُشهد بسمرقند في زمن معاوية وكان معاوية قد بعث إلى مكّة دعاةً في السرّ يدعون إلى طاعته ويثبّطون العرب عن نصرة

أمّا بعد فإنّ عيني بالمغرب كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم أُناس من أهل الشام العمي القلوب الصمّ الأسماع الكمه الأبصار الذين يُلْبِسُونَ الحقّ بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق

أمير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في أنفسهم أنّه إمّا قاتل عثمان أو خاذل، وإنّ الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية بن عمّهم وأخلاقه وسيرته، وقيل: إنّ الذين بعثهم بعض السرايا التي كان يبعثها إلى لتغير على أعمال عليّ عليه السلام.

[**أمّا بعد فإنّ عيني بالمغرب**] أي: أصحاب أخباره عند معاوية، وسمّى الشام مغرباً لأنّه من الأقاليم المغربية.

[**كتب إليّ يعلمني أنّه وجّه إلى الموسم**] وهي الأيام التي يقام فيها الحج [**أُناس من أهل الشام العمي القلوب الصمّ الأسماع الكمه الأبصار**] استعار لقلوبهم العمى باعتبار عدم تعقّلهم للحق، وإدراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة، كما لا يدرك الأعمى قصده. ولفظ الصمّ لأسماعهم، والكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ والتذاكير، ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بها من آثار اللّه سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآلتين.

وقوله: [**الذين يُلْبِسُونَ الحقّ بالباطل**] أي: يخلطونه به، والمراد أنّهم يعلمون أنّه على الحقّ وأنّ معاوية على الباطل ثمّ يكتمون ذلك ويغطّونه بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه، إلى غير ذلك من أباطيلهم. وفي رواية: يلتمسون الحقّ بالباطل؛ إذ كاوا يطلبون الحقّ بحركاتهم الباطلة.

[**ويطيعون المخلوق**] كمعاوية والشيطان [**في معصية الخالق**] مع ما

ويحتلبون الدنيا درّها بالدّين ويشترون عاجل الدنيا بآجل الأبرار المتّقين ولن يفوز بالخير إلا عامله ولا يجزو جزاء الشرّ إلا فاعله فأقم على ما في يديك مقام الحازم الصليب والناصح اللّبيب والمتابع لسلطانه المطيع لإمامه وإيّاك عمّا تعتذر منه

سمعوا من الروايات المتظافرة من قوله ﷺ : «يا عليّ، حربك حربي وسلمك سلمي» وقوله ﷺ : «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه كيفما دار».

وقوله ﷺ : «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

[**ويحتلبون الدنيا درّها بالدّين**] استعار لفظ الدرّ لمتاع الدنيا وطيّباتها، والاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب خطامه ملاحظاً لشبهها بالناقة ودرّها منصوب بدلاً من الدنيا وإنّما كان ذلك بالدّين لأنّ إظهارهم لشعاره وتمسّكهم بظواهره لغرض تحصيل الدنيا وأخذهم ما لا يستحقّونه منها.

[**ويشترون عاجل الدنيا بآجل الأبرار المتّقين**] أي: ثواب الآخرة الذي أُعدّ للمتّقين، واستعار لفظ الشراء لتعويضهم ذلك العاجل من ذلك الآجل، ولمّا كان ذلك في شعار الإسلام هو الخسران المبين ذكر في معرض ذمّهم. ثمّ ذكر عليه السلام في مقام الوعد والوعيد لهم فقال:

[**ولن يفوز بالخير إلا عامله ولا يجزو جزاء الشرّ إلا فاعله**] قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾.

[**فأقم على ما في يديك**] من العمل [**مقام الحازم**] أي: المثبت في أدائه [**الصليب**] في طاعة اللّه [**والناصح اللّبيب**] له ولأوليائه [**والمتابع لسلطانه المطيع لإمامه وإيّاك عمّا تعتذر منه**] عمّا يعدّ في الشرع معصية

ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء فشلاً وقد بلغني من موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك

وتقصيراً عن أداء حقّه.

[ولا تكن عند النعماء بطراً ولا عند البأساء] والشدّة [فشلاً] أي: ضعيفاً؛ لكون ذلك معدّاً لزوال النعمة وحلول النقمة، والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع، والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة، وفي الاستيعاب: إن قثم استشهد بسمرقند كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية فقُتل هناك.

ومن كتاب له عليه السلام
إلى محمد بن أبي بكر

لمّا بلغه توجّده من عزله بالأشتر من مصر ثمّ توفي الأشتر في توجّهه إلى هناك قبل وصوله لأنّ محمداً كان يضعف عن لقاء العدو ولم يكن في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أقوى بأساً من الأشتر، وكان معاوية بعد وقائع صفّين قد تجرّد للغارة على أطراف بلدان المسلمين وكان قد جعل مصر طعمة لابن العاص وعلم عليه السلام أنّها لا تحفظ إلا بالأشتر فوجّهه عليه السلام لذلك لا لموجدة عليه فكتب عليه السلام لمحمّد:

[وقد بلغني من موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك] والموجدة: ما يجده الإنسان من التألّم والغضب، والتسريح: الإرسال.

وإنّي لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجدّ ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤنة وأعجب إليك ولايةً إنّ الرجل الذي كنتُ ولّيته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً وعلى عدوّنا شديداً ناقماً فرحمه اللّه فلقد استكمل أيّام ولاقى حمامه ونحن

[**وإنّي لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد ولا ازدياداً لك في الجدّ**] نفى عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد ونحوه ممّا عساه يتوهّمه سبباً لعزله، والجهد: الطاقة، أي: لم استبطئك في بذلك طاقتك ووسعك، ومن روى الجهد بالفتح فهو من قولهم: أجهد جهدك في كذا، أي: ابلغ الغاية، ثمّ وعده عليه السلام على تقدير تمام عزله بولاية أمر هو أسهل عليه كلفته وأحبّ إليه ولايةً تسكيناً لقلبه من مصر بالترغيب فيما هو خير منها، فقال:

[**ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر عليك مؤنة وأعجب إليك ولايةً**] لأنّه كان في مصر بإزاء معاوية من الشام وهو مدفوع إلى حربه، ولعلّه عليه السلام كان في عزمه أن يولّيه اليمن أو خراسان أو أرمينية أو فارس.

ثمّ أشار عليه السلام إلى وجه تسريح الأشتر فقال:

[**إنّ الرجل الذي كنتُ ولّيته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً**] في السرّ والعلانية والمشهد والمغيب.

[**وعلى عدوّنا شديداً ناقماً**] أي: منكراً ومغيّراً، ومحمّد «ره» وإن كان مشاركاً له في الأوّل ولكنّه في الثاني ضعيف.

[**فرحمه اللّه فلقد استكمل أيّام ولاقى حمامه**] أي: أجله [**ونحن**

عنه راضون، أولاه اللّه رضوانه وضاعف الثواب له فأصحر لعدوّك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك وادع إلى سبيل ربّك وأكثر الاستعانة باللّه يكفيك ما أهمّك ويعنك على ما نزل بك

عنه راضون، أولاه اللّه رضوانه وضاعف الثواب له] إعلامٌ بأنّه مات وهو عنه راض لئلاّ تظهر به شماتة.

قال ابن أبي الحديد: ولست أشكّ في أنّ الأشتر بهذه الدعوة يغفر اللّه له أو يكفّر عنه ذنوبه ويدخله الجنّة، فلا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ويا طوبى لمن حصل له من عليّ عليه السلام بعض هذا.

ثمّ أمره عليه السلام بالاستعداد فقال: **[فأصحر لعدوّك]** أي: اخرج له إلى الصحراء.

[وامض على بصيرتك] والبصيرة هنا الحجّة والهدى في الدِّين.

[وشمّر لحرب من حاربك] يقال: شمّر فلان للحرب: إذا أخذ لها أُهبتها.

[وادع إلى سبيل ربّك] بالحكمة والموعظ الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

[وأكثر الاستعانة باللّه يكفيك ما أهمّك ويعنك على ما نزل بك] ﴿ومن يتوكّل على اللّه فهو حسب﴾، ﴿ومن استعان بغير اللّه ذل﴾.

إلى عبداللّه أمّا بعد، فإنّ مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد فعند اللّه نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً وقد كنتُ حثثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءً فمنهم الآتي كارهاً

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى عبداللّه] بن عبّاس بعد مقتل محمّد بن أبي بكر بمصر:

[أمّا بعد، فإنّ مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد فعند اللّه نحتسبه ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً] أعلمه أوّلاً باستيلاء العدوّ على مصر وقتل محمّد ليشاركه في هذه المصيبة فيؤجر ثمّ سلّم أمره إلى اللّه وطلب الأجر منه في الرزية تعليماً لما ينبغي أن يُفعل عند حلول المصيبة، يقال: أحتسب ولده، إذا مات كبيراً، وافترط ولده: إذا مات صغيراً، والمنصوبات أحوال، وسمّاه ولداً؛ لأنّه ربيبه، وقد ربّاه في حجره كالولد، وسيفاً لأنّه كان يقمع به العدوّ ويصال به عليه، ورشح بذكر القاطع، وركناً باعتبار كونه يستند إليه في الحوادث فيدفع العدوّ، ورشح بقوله دافعاً.

[وقد كنتُ حثثت الناس على لحاقه] وإغاثته وإعانته **[وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءً فمنهم الآتي كارهاً]** أي: أجاب وخرج كارهاً للخروج، كما قال تعالى: ﴿كأنّهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾.

ومنهم المعتلّ كاذباً ومنهم القاعد خاذلاً أسأل اللّه تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فواللّه لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً

[**ومنهم المعتلّ كاذباً**] أي: من قعد واعتلّ لعلّة كاذبة، كما حكى اللّه عن أمثالهم ﴿قالوا لو استطعنا لخرجنا معكم يُهلكون أنفسهم واللّه يعلم أنّهم لكاذبون﴾، وقال تعالى: ﴿يقولون إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾.

[**ومنهم القاعد خاذلاً**] أي: من تأخّر، وصرّح بالقعود والخذلان كما قال تعالى: ﴿فرح المخلفون ـ بمقعدهم خلاف رسول اللّه ﷺ ـ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه﴾.

[**أسأل اللّه تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فواللّه لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً ولا التقي بهم أبداً**] سأل اللّه سبحانه تعجيل الفرج في معرض التشكّي، وأشار إلى وجه عذره في المقام معهم على هذه الحال وهو طلب الشهادة وتوطينه نفسه على الموت عند لقاء العدو، ولولا ذلك لفارقهم.

قال ابن أبي الحديد: أُنظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملّكه زمامها، وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضاً كيف تؤاتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفّق من غير تعسّف ولا تكلّف، حتّى انتهى إلى آخر الفصل فقال: يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً، وهذا الصنف من البيان أحد

....

أنواع الإعجاز في القرآن.

ثمّ أُنظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال: «ولداً ناصحاً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً دافعاً» لو قال: ولداً كادحاً وعاملاً ناصحاً وكذا ما بعده لما كان صواباً ولا في الموقع واقعاً، سبحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة أن يكون غلام من أبناء عرب مكّة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة وتعاليق العلوم الإلهية من افلاطون وأرسطو ولم يباشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية لأنّ قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً مثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط ولم يربّ بين الشجعان؛ لأنّ أهل مكّة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج أشجع من كلّ بشر، مضى على الأرض وخرج أفصح من شحبان وقيس ولم تكن قريش بأفصح العرب، وخرج أزهد الناس في الدّنيا وأعفّهم عنها مع أنّ قريشاً ذوو حرص ومحبّة للدّنيا ولا غرو فيمن كان محمّدﷺ مربّيه ومخرجه والغاية الإلهية تمدّه وترفده أن يكون منه ما كان.

ومن كتاب له عليه السلام

في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إلى أخوه عقيل بن أبي طالب، وأصله إنّ بعض الأعداء أغار على بعض أعماله فأنفذ إليه من يقاتله فهرب حين علم بتوجههم إليه وأشار إلى ذلك بقوله:

فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلّما بلغه ذلك شمّر هارباً ونكص نادماً فلحقوه ببعض الطريق وقد طفّلت الشمس للإياب فاقتتلوا شيئاً كلاّ ولا فما كان إلا كموقف ساعة حتّى نجى جريضاً بعدما أُخذ منه بالمخنَّق

[**فسرّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلّما بلغه ذلك شمّر هارباً ونكص نادماً**] التسريح: الإرسال، والتشمير: الاستعداد والتهيؤ، والنكوص: الفرار والرجوع إلى خلف.

[**فلحقوه ببعض الطريق وقد طفّلت الشمس للإياب**] الواو للحال، والجملة حالية، وطفّلت الشمس بالتشديد إذا مالت للمغيب وآبت، لغة في غابت، أو المراد بالإياب الرجوع إلى ما كانت عليه في اللّيلة التي قبلها، يعني غيبوبتها تحت الأرض، خاطبهم بما يعرفونه من أنّ منزل الشمس ومقرّها تحت الأرض وإنّها تخرج كلّ يوم فتسير على العالم ثمّ تعود إلى منزلها فتأوي إليه كما يأوي الناس ليلاً إلى منازلهم.

[**فاقتتلوا شيئاً كلاّ ولا**] تشبيه بالقليل والسريع الفناء؛ لأنّ لا ولا لفظان سريعا الانقطاع وفي بعض النسخ «كلاّ وذا» قال الشاعر:

واسرع في العين من لحظة   وأبصر في السمع من لا وذا

وروي كلا ولاي فلاي فعل معناه أبطأ.

[**فما كان**] ذلك القتال [**إلا كموقف ساعة**] مصدر، أي: كوقوف ساعة [**حتّى نجى جريضاً بعدما أُخذ منه بالمخنَّق**] جريضاً أي: قد غصّ بالريق من شدّة الجهد والكرب، يقال: جرض ريقه بالفتح يجرض بالكسر مثال كسر يكسر، ورجل جريض مثل قدر يقدر فهو قدير والجريض أيضاً

ولم يبق معه غير الرمق فلا يا بلاي ما نجى فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

بمعنى الغصّة، فيحتمل أن يكون المعنى نجى فأجريض أي: غصة، والمخنَق: موضع الخنق من العيوان، وكذا الخناق بالضمّ أي: بعد ما أُخذ منه بمحلّ الخنق.

[**ولم يبق معه غير الرمق**] وهو بقية الروح [**فلا يا بلاي ما نجى**] «ما» زائدة، أي: نجى بعد بطؤ وشدّة وانتصب «لايا» على المصدر القائم مقام الحال، أي: نجى مبطئاً، والعامل في المصدر محذوف، أي: أبطأ أبطأ، وفائدة تكوير اللّفظة المبالغة في وصف البطؤ الذي نجى به، أي: لايا مقروناً بلاي، وقوله: «فدع ... إلخ» كأنّه جواب لكلام ذكر فيه قريش ومن انضمّ منهم إلى معاوية ومن لم ينصره منهم.

فقال عليه السلام: [**فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه**] الواو بمعنى مع، أو عاطفة، واستعار التركاض باعتبار خبط أذهانهم في الضلال عن سبيل اللّه، وخوضهم في الباطل بتسرّع فيه من غير توقّف، وكذا لفظ التجوال ولفظ الجماح باعتبار كثرة خلافهم للحقّ وحركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح ويحول.

ثمّ قال عليه السلام: [**فإنّهم قد أجمعوا**] أي: صمّموا عزمهم [**على حربي**] منذ بويعت بغضاً وحسداً وحقداً.

[**كإجماعهم على حرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله**] في ابتداء

فجزت قريشاً عنّي الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أُمّي وأمّا ما سألت عنه من رأيي في القتال فإنّ رأيي قتال المحلّين حتّى القى اللّه لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عني

الإسلام واتّفقوا على شقاقه ولم يفترق الحالان في شيء من ذلك، إلا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عصمه اللّه من القتل وهو عليه السلام اغتيل فقُتل.

[**فجزت قريشاً عنّي الجوازي**] قيل: هي كلمة تجري مجرى المثل، تقول لمن يسيء إليك وتعدو عليه: جزتك عنّي الجوازي، جمع جازية كالجواري جمع جارية، أي: جوزوا بمثل أفعالهم.

[**فقد قطعوا رحمي**] تعليل للدعاء عليهم حيث قطعوا ما أمر اللّه بوصله في قوله: ﴿واتّقوا اللّه الذي تسائلون به والأرحام﴾، وقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

[**وسلبوني سلطان ابن أُمّي**] أي: رسول اللّه صلى الله عليه وآله؛ لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عايذ بن مخزوم أُم عبداللّه وابي طالب ولم يقل ابن أبي لأنّ غير أبي طالب من الأعمام يشركه في النسب إلى عبدالمطلب، وقيل: لأنّ أُمّه فاطمة بنت أسد قد ربّت رسول اللّه صلى الله عليه وآله حين كفله أبو طالب يتيماً فهي كالأُم له.

[**وأمّا ما سألت عنه من رأيي في القتال فإنّ رأيي قتال المحلّين**] أي: الخارجين من الميثاق والبيعة، يعني البغاة ومخالفي الإمامة، ويقال لكلّ من خرج من إسلام أو حارب في الحرم أو في الأشهر الحرم أو في الأشهر الحرم: محلّ.

[**حتّى القى اللّه لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عني**

وحشة ولا تحسبن ابن أبيك ولو أسلمه الناس متضرّعاً متخشّعاً ولا مقرّاً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد ولكنّه كما قال أخو بني سليم

وحشة] كما هو المعتاد في غالب الملوك والولاة. **[ولا تحسبن]** يا عقيل **[ابن أبيك]** يعني نفسه عليه السلام.

[ولو أسلمه الناس] وخذلوه ولم ينصره أحد منهم **[متضرّعاً متخشّعاً]** للعدوّ أو متملّقاً للناس جاذباً لهم إلى نفسه.

[ولا مقرّاً للضيم] أي: لاحق به صابر عليه. **[واهناً]** أي: ضعيفاً **[ولا سلس الزمام]** أي: ولا سهل الانقياد.

[للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد] والمقتعد: الراكب لاقتعاده ظهر البعير.

[ولكنّه كما قال أخو بني سليم] ونُسب إلى العباس بن مرداس السلمي.

[فإن تسأليني كيف أنتَ فإنّني صبورٌ على رَيْب الزمان صَلِيبُ
يعزّ عليّ أن ترى بي كآبَةٌ فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حَبِيبُ]

وفي الأمثال الحكميّة: لا تشكو حالك إلى مخلوق مثلك فإنّه إن كان صديق أحزنته وإن كان عدوّاً أشمته ولا خير في واحد من الأمرين.

فسبحان اللّه ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة

ومن كتاب له عليه السلام
إلى معاوية

وأوّله: أمّا بعد، فإنّ الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب إليها أحد إلا وشغلته زينتها عمّا هو أنفع له منها، وبالآخرة أُمرنا وعليها حثثنا، فدع يا معاوية ما يفنى، واعمل لما يبقى، واحذر الموت الذي إليه مصيرك والحساب الذي إليه عاقبتك، واعلم إنّ اللّه إذا أراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره، ووفّقه لطاعته، وإذا أراد بعبد سوءً أغواه بالدنيا وأنساه الآخرة وبسط له أصله وعاقه عمّا فيه صلاحه، وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالّتك، وتخبط في عماية وتيه في ضلالة، وتعتصم بغير حجّة، وتلوذ بأضعف شبهة، فأمّا سؤالك لي المتاركة والإقرار لك على الشام فلو كنتُ فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس، وأمّا قولك إنّ عمر ولاّكه فقد عزل عمر من كان ولاّه صاحبه وعزل عثمان من كان عمر ولاّه ولم ينصب للناس إمام إلا ليرى من صلاح الأمّة ما قد كان ظهر لمن كان قبله أو خفي منهم غيبه، والأمر يحدث بعده ولكلّ وال رأي واجتهاد.

[فسبحان اللّه ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتّبعة]

تعجّب من شدّة لزومه للأهواء التي يبتدعها والتحيّر فيها عن قصد الحقّ وذلك أنّه كان في كلّ وقت يوقع شبهة ويبتدع رأياً يغوي به أصحابه ويقرّر في أذهانهم بذلك أنّ علياً عليه السلام لا يصلح للإمامة، فتارةً يقول: إنّه قتل

مع تضييع الحقائق وإطراح الوثائق التي هي للّه طلبه و على عباده حجّة فأمّا إكثارك الحجاج عنّي في عثمان وقتلته فإنّك إنّما نصرت حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له

عثمان، وتارةً يزعم انّه خذله، وتارةً أنّه قتل الصحابة وفرّق كلمة الجماعة، وتارةً يصرف عنه بالعطاء وتفريق مال المسلمين غلى غير الوجه الشرعي، وتارةً يعترف بكونه صالحاً للإمامة ويطلب منه أن يقرره على ولاية الشام إلى غير ذلك من الأباطيل.

[**مع تضييع الحقائق**] أي: حقائق الأمور التي ينبغي أن يعتقدها من كونه الأحقّ بهذا الأمر.

[**وإطراح الوثائق**] وثائق اللّه وعهوده [**التي هي للّه طلبه**] أي: مطلوبة للّه مرضة له [و] هي [**على عباده حجّة**] يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ الآية.

[**فأمّا إكثارك الحجاج عنّي في عثمان وقتلته**] وافتخارك بنصرته وتبكيتك بخذلاني إيّاه بزعمك.

[**فإنّك إنّما نصرت حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له**] كنّى بذلك عمّا رواه بن أبي الحديد عن البلاذري قال:

لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد البشري جد خالد بن عبداللّه بن مزيد أمير العراق وقال له: إذا أتيت ذاخشب فأقم بها ولا تجاوزها ولا تقل للشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنّي أنّا الشاهد وأنت الغائب، قال: فاقام بذي خشب حتّى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد

إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر عليه السلام: من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في الأرض وذهب بحقّه فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه أمّا بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف

إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه إنّما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر عليه السلام: من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عُصي في الأرض وذهب بحقّه] إشارة إلى إنكارهم للأحداث والبدع التي صدرت من عثمان ومسيرهم من بلادهم إلى المدينة لأجل ذلك غضباً لحدود الله أن تعطّل واجتماعهم منكرين على عثمان حتّى كان من أمره ما كان.

[فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر والمقيم والظاعن] استعار لفظ السرادق وهو البيت لما عمّ من الجور البرّ والفاجر والمقيم والمسافر، والسرادق: الحاوي لأهله.

[فلا معروف يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه] قابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفي المنكر بل نفى صفة التناهي عنه.

[أمّا بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف]

ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشدّ على الفجّار من حريق النار وهو مالك بن الحرث أخو بني مَذحج فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ فإنّه سيف من سيوف اللّه لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن

لعلوّ همّته وتعلّقها عند الخوف بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدوّ ونحو ذلك مما يمنع عن النوم.

[**ولا ينكل**] أي: لا يرجع [**عن الأعداء ساعات الروع**] لشجاعته وشدّة بأسه، وأكّد ذلك بوصف كونه [**أشدّ على الفجّار من حريق النار**] إذا كان لقائه للفجّار يستلزم غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلام، ولا كذلك وجود الحريق لطمعهم في الفرار من النار وإطفائها.

[**وهو مالك بن الحرث أخو بني مَذحج**] بفتح الميم كمسجد، قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن هلال بن سبأ.

[**فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ**] ووافقه من الأوامر [**فإنّه سيف من سيوف اللّه**] استعار له لفظ السيف باعتبار كونه يصال به على العدوّ فيهلكه كالسيف، ورشح بذكر الظبة في قوله: [**لا كليل الظبة**] الظبة بالتخفيف: حدّ السيف.

[**ولا نابي الضريبة**] يقال نبا السيف: إذا لم يقطع الضريبة، وكنّى بالفقرتين عن كونه ماضياً في الحوادث غير واقف فيها ولا راجع عنها، وإضافة النابي إلى الضريبة من إضافة إسم الفاعل إلى المفعول، أي: ولا نابي الضريبة.

[**فإن أمركم أن تنفروا**] إلى الحرب معه [**فانفروا، وإن أمركم أن**

تقيموا فأقيموا فإنّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخّر ولا يقدّم إلا عن أمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم.

إلى عمرو بن العاص: فإنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه

تقيموا فأقيموا فإنّه لا يقدم ولا يحجم] أي: لايتأخّر **[ولا يؤخّر]** أحداً **[ولا يقدّم]** آخر **[إلا عن أمري]** كنّى بذلك عن موافقة أُموره وأفعاله للصواب والمصالح.

وقوله عليه السلام: **[وقد آثرتكم به على نفسي]** إلى حاجته إليه في الرأي والتدبير ومقابلة الأعداء، ومع ذلك امتنّ عليهم به ليشكروه.

[لنصيحته لكم وشدّة شكيمته على عدوّكم] يقال: فلان شديد الشكيمة أي: قويّ النفس، وأصل الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس، أراد أنّه ناصحاً لهم قويّ النفس شديد الوطأة على عدوّهم، وإنّما آثرهم به لأنّ له عليه السلام مصلحة في ذلك الإيثار باستقامة الأمر له بصلاح حالهم.

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى عمرو بن العاص: فإنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه] يعني به معاوية، فإنّه باعه دينه في المظاهرة على حربه بطعمة مصر، ثمّ وصف معاوية بأوصاف أربعة أشار إليها بقوله: ظاهر غيّه، أي: ضلاله عن

مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتّبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك

طريق اللّه كما هو معلوم.

[**مهتوك ستره**] لأنّه كان يتجاهر بالفجور وشرب الخمور ولبس الحرير والديباج ويشرب في أواني الذهب والفضّة.

[**يشين الكريم بمجلسه**] لأنّ مجلسه كان مشحوناً ببني أُميّة ورذائلهم ومجالسة الكريم لهم تستلزم نسبته إليهم ولحاقه بهم.

[**ويسفه الحليم بخلطته**] إذ كان دأبه وبني أُميّة معه شتم بني هاشم والتعرّض بذكر الإسلام والطعن عليه وإن أظهروا الإسلام والانتماء إليه، وذلك مما ينفر الحليم ويسفه رأيه في الثبات عند مجالستهم والسماع منهم.

[**فاتّبعت أثره**] كناية عن متابعته له في أقواله وأفعاله.

[**وطلبت فضله**] إشارة إلى أنّ الغرض من اتّباعه طلب الفضل [**اتباع الكلب للضرغام**] أشبه اتباعه له باتّباع الكلب الأسد تحقيراً له وتنفيراً، ونبّه على وجه الشبه بقوله: [**يلوذ إلى مخالبه**] يعني انّ اتباعه له على وجه الذلّة والحقارة ودناءة الهمّة للطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتّباع الكلب للأسد.

[**وينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك**] أي: ما كنت تعيش به من الرزق والعطاء الحلال حال طيب النفس وأمن من الحروب التي لقيتها بصفّين والأهوال التي باشرتها في موافقتك لمعاوية.

وأخّرتك، ولو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت فإن يمكّن اللّه منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما وإن تُعْجِزا وتبقيا فما أمامكما شرّ لكما مما أنتما فيه، والسلام

[**وأخّرتك، ولو بالحقّ أخذت أدركت ما طلبت**] من دنياً كاملة وآخرة بالثواب والمعالي كافلة أو أدركت ما طلبت من الآخرة.

[**فإن يمكّن اللّه منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدّمتما**] من أعمالكما، [**وإن تُعْجِزا وتبقيا فما أمامكما**] من عذاب البرزخ وأهوال القيامة ونار جهنّم ونكالها وعذابها [**شرّ لكما مما أنتما فيه، والسلام**] لأنّ عذاب الدنيا قليل مكثه يسير بقائه قصيرٌ مدّته، بخلاف عذاب الآخرة.

وروي هذا الكتاب بطريق آخر بهذا اللفظ:

من عبداللّه علي أمير المؤمنين إلى الأبترين، الأبتر عمرو بن العاص بن وائل شاني محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّك تركت مروّتك لأمرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل: وافق شنّ طبقه، فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك وكان علم اللّه بالغاً فيك فصرت كالذئب تتبع الضرغام، إذا ما الليل دجى والصبح أتى تلتمس فاضل سؤره وحوايا فريسته، ولكن لا نجاة من القدر ولو بالحقّ أخذت لأدركت ما رجوت، وقد رشد من كان الحقّ قائده، فإن يمكّن اللّه منك ومن ابن آكلة الأكباد أُلحقكما بمن قتله اللّه من ظلمة قريش على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وإن تُعجزا وتبقيا بعدي فاللّه حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً.

إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك بلغني أنّك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك، فارفع إلي حسابك واعلم انّ حساب اللّه أعظم من حساب الناس، والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى بعض عمّاله: أمّا بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك**] أي: أذللتها وأهنتها، ثمّ فسّر ذلك الأمر وفصّله بعد إجماله حتى يكون أرسخ في النفس.

فقال: [**بلغني أنّك جردت الأرض**] أي: قشرتها، وكنّى به عن إخراب الضّياع.

[**فأخذت ما تحت قدميك**] من الغرس ونحوها، أو ما كنت خزنته تحت الأرض.

[**وأكلت ما تحت يديك، فارفع إلي حسابك**] حتّى أنظر ما لك وما عليك.

[**واعلم انّ حساب اللّه أعظم من حساب الناس، والسلام**].

وعن عليّ عليه السلام أنّه كان يقول:

لي على كلّ عامل من اصيان الماء والطين.

قال ابن أبي الحديد: لمّا قدم أبوهريرة من البحرين قال له عمر: يا عدوّ اللّه وعدوّ كتابه أسرقت مال اللّه؟! فقال أبوهريرة: لستُ بعدوّ اللّه ولا عدوّ

إلى بعض عمّاله أمّا بعد، فإنّي كنت أشركتك في أماني وجعلتك شعاري وبطانتي

كتابه، ولكنّي عدوّ من عاداهما ولم اسرق مال اللّه، فضربه بجريدة على رأسه ثمّ ثناه بالدرّة وأغرمه عشرة آلاف درهم ثمّ أحضره فقال: يا أباهريرة من أين لك عشرة آلاف درهم، قال: خيلي تناسلت، وعطاي تلاحق، وسهامي تتابعت، فقال عمر: كلاّ واللّه، ثمّ تركه أيّاماً وقال له: الا تعمل؟ قال: لا، قال: قد عمل من هو خير منك، قال: من هو، قال: يوسف الصدّيق، فقال أبوهريرة: إنّ يوسف عمل لمن لم يضرب رأسه وظهره ولا شتم عرضه ولا نزع ماله، واللّه لا أعمل لك أبداً.

أقول: وكان لعمر أن يجيبه بأنّ يوسف لما كان قوياً أميناً على ما ائتمن عليه لم يُهَنْ ولو فعلت فعله لما أُهنت!

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى بعض عمّاله**] قيل إنّه عبداللّه بن العباس وقيل أخوه عبيداللّه وقيل غيرهما [**أمّا بعد، فإنّي كنت أشركتك في أمانتي**] التي ائتمنني اللّه عليها، وهي ولاية أمر الرعية والقيام بإصلاح أُمورهم في معاشهم ومعادهم.

[**وجعلتك شعاري وبطانتي**] والشعار: ما يلي الجسد من الثياب، وبطانة الرجل: خاصّته، استعار له لفظ الشعار لمباشرته وملازمته الجسد.

ولم يكن في أهل رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب والعدوّ قد حرب وأمانة الناس قد خربت وهذه الأُمّة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمّك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أدّيت، وكأنّك لم تكن اللّه تريد بجهادك وكأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك

[**ولم يكن في أهل رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة**] التي ائتمنتك عليها.

[**فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب**] أي: اشتدّ، وكلب الزمان: شدّته.

[**والعدوّ قد حرب**] أي: اشتدّ غضبه [**وأمانة الناس قد خربت وهذه الأُمّة قد فتكت**] والفت: القتل على غرّة [**وشغرت**] أي: تفرّقت [**قلبت لابن عمّك ظهر المجن**] هو الترس، قيل: يضرب مثلاً لمن يكون مع أخيه فيتغيّر عليه ويصير خصماً له، وأصله أنّ الرجل إذا كان سلماً لأخيه يكون بطن ترسه إليه، فإذا فارقه وصال حرباً له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شرّه، فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة.

[**ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين**] ثمّ أخذ في تعنيفه وتوبيخه وحكاية حاله فقال: [**فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أدّيت، وكأنّك لم تكن اللّه تريد بجهادك**] بل أردت الدنيا فلما ظفرت بمطلوبك منها اكتفيت [**وكأنّك لم تكن على بيّنة من ربّك**] بل جاهل به وبوعده وبوعيده، ووجه الشبه مشاركة لطالبي غير اللّه والجاهلين به في طلب غيره

وكأنّك إنّما كنت تكيد هذه الأُمّة عن دنياهم وتنوي غرّتهم عن فيئهم فلمّا أمكنتك الشدّة في خيانة الأُمّة أسرعت الكرّة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر تحمله غير متأثّم من أخذ مكانك لا أباً لغيرك

والإعراض عنه.

وكذا قوله: **[وكأنّك إنّما كنت تكيد هذه الأمّة عن دنياهم وتنوي غرّتهم عن فيئهم]** وأشار إلى وجه الشبه قوله: **[فلمّا أمكنتك الشدّة]** أي: الجملة **[في خيانة الأُمّة أسرعت الكرّة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل]** أي: الخفيف الوركين؛ لأنّه حينئذ اشدّ لعدوّه واسرع ولثبته.

[دامية المعزى الكسيرة] وصف بذلك لأنّ الاقتدار على اختطافها يكون أسهل، وحاصل وجه الشبه أنّه كما انّ غرض الذي يكيد غيره عن شيء يترصّد له الفرصة في أخذه وينتهزها إذا وجدها فكذا أنت في إسراعك الوثوب على الخيانة، ثمّ شبّه اختطافه بما ذكر، ووجه الشبه سرعة أخذه له وخفّته في ذلك كما عرفت، ثمّ أخذ في معرض التوبيخ أنّه حمله إلى وطنه يتلذّذ به فقال:

[فحملته إلى الحجاز] حال كونك **[رحيب الصدر]** كناية عن سروره وفرحه به، أو عن كثرة ما حمل منه؛ لأنّ من العادة إذا أراد الإنسان حمل شيء في صدره فتح صدره وباعه وجرى منه ما أمكنه حمله.

[تحمله غير متأثّم من أخذ مكانك لا أباً لغيرك] فيه دلالة على أنّ

وحدرت على أهلك تراثك من أبيك وأُمّك فسبحان اللّه أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب إيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين

للمخاطب قدراً في الجملة عنده عليه السلام، ولو كان من سائر الناس لقال لا أباً لك، كما هو المتعارف.

[**وحدرت على أهلك تراثك من أبيك وأُمّك**] ثمّ أظهر التعجّب من فعله ذلك وقال:

[**فسبحان اللّه أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب**] أي: مناقشته ودقّته، فإنّ هذا الفعل فعل من لا يؤمن بالمعاد، وفيه إشارة إلى أنّ صدور أمثال هذه المعاصي إنّما هي من ضعف الإيمان، ولو كان الإيمان حقيقياً كاملاً لما صدرت هذه الأُمور، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عديدة فقال: ﴿يا أيّها الذين آمَنُوا آمِنُوا﴾ وقال: ﴿وما يؤمن أكثرهم باللّه إلا وهم مشركون﴾ وقال: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ وقال: ﴿أم تحسب انّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلاً سبيلاً﴾، وفي الحديث القدسي: «عجبتُ لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبتُ لمن أيقن بالحساب كيف يجمع المال» يعني إنّ اليقين مناف لذلك.

[**إيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب**] أتى بلفظ كان إشعاراً بأنّه لم يبق على حاله.

[**كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنّك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين**

والمجاهدين، الّذين أفاء اللّه عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد فاتّق اللّه واردد إلى هؤلاء القوم عليهم أموالهم فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني اللّه منك لأعذرنّ إلى اللّه فيك ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار وواللّه لو انّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت لما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما

والمجاهدين، الّذين أفاء اللّه عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد] وفي هذا الاستفهام من الإنكار والتقريع وتعظيم الذنب ما لا يخفى.

ثمّ أمره بعد هذا التوبيخ الطويل بتقوى اللّه وردّ المال إلى أربابه فقال:

[فاتّق اللّه واردد إلى هؤلاء القوم] الذين ذكرنا لك أوصافهم مما يوجب الاستعطاف والرقّة.

[عليهم أموالهم فإنّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني اللّه منك لأعذرنّ إلى اللّه فيك] أي: يبلغ إليه بالعذر فيه وبقتله.

[ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار] وفيه من الإغلاظ بالوعيد والمبالغة في الزجر ما لا يخفى.

[وواللّه لو انّ الحسن والحسين] مع كونهما نور بصري وقوّة قلبي وفلذة كبدي وحشاشة نفسي ومهجتي.

[فعلا مثل الذي فعلت لما كانت لهما عندي هوادة] أي: مصالحة ومصانعة **[ولا ظفرا مني بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما]** أقسم عليه السلام على أنّ ولديه مع قربهما منه وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يراقبهما في ذلك حتّى يأخذ الحقّ منهما ويزيح الباطل

وأُقسم باللّه ربّ العالمين ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي فَضَحٍّ رويداً فكأنّ قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنّى المضيّع فيه الرجعة

عن مظلمتهما، أي: محلّ ظلمهما من مال أو غيره، فغيرهما بطريق أولى في عدم المراقبة ثمّ قال عليه السلام:

[**وأُقسم باللّه ربّ العالمين ما يسرّني أنّ ما أخذته من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي**] وهذا القسم لتحقير ما أخذه بأنّه لو كان أخذه على وجه حلال فلا يحبّ أن يخلفه ميراثاً لمن بعده لما يترتّب على جمع المال وادّخاره من الوبال، فكيف به وهو حرام بحت وظلم صرف كما عرفت، وهذا ترغيب له في ردّه والخروج عنه إلى أهله، والغرض من اليمين السابق بيان عذره في شدّة إنكاره عليه.

[**فَضَحٍّ رويداً**] قيل هي كلمة تقال لمن يؤمر بالتودء والأناة والسكينة، وأصلها الرجل يطعم إبله ضحى ــــــ مسرعاً ليسير فلا يشبعها فيقال له: ضحّ رويداً.

[**فكأنّ**] أي: كأنّك [**قد بلغت المدى**] اي: الغاية التي هي الموت [**ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنّى المضيّع فيه الرجعة**] أمره عليه السلام بالإمهال على سبيل التهديد بقرب الوصول إلى الأصل والدفن وعرض أعماله عليه بالمحلّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنّى فيه المضيّع للطاعة والعمل بالرجعة إلى الدنيا، إشارةً إلى ما حكى اللّه عنهم من قول: ﴿ربّ ارجعوني لعلّي أعمل

ولات حين مناص إلى عمرو بن أبي سلمة المخزومي واستعمل النعمان بن عجلان بن الزُّرقي مكانه أمّا بعد، فإنّي ولّيت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعتُ يدك بلا ذمّ لك ولا تثريب عليك فقد أحسنت الولاية وأدّيت الأمانة فأقْبِل غير ظنين

صالحاً فيما تركت﴾.

وقوله: [**ولات حين مناص**] اقتباس من القرآن، أي: وليس هذا الحين حين فرار.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى عمرو بن أبي سلمة المخزومي**] ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّه أمّ سلمة وفي الاستيعاب: كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ابن تسع سنين وتوفي بالمدينة في خلافة عبدالملك سنة ثلاث وثمانين وكان حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وآله الحديث وروى عنه سعيد بن المسيّب وغيره، وكان عامله على البحرين فعزله [**واستعمل النعمان بن عجلان بن الزُّرقي مكانه**] من سادات الأنصار وأشرافهم.

[**أمّا بعد، فإنّي ولّيت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعتُ يدك**] مما كنت ولّيتك عليه [**بلا ذمّ لك ولا تثريب عليك**] والتثريب: التعنيف والاستقصاء في اللّوم، أي: إنّ استبدالك لم يكن عن ذنب صدر منك يستحقّ به الذمّ والعزل.

[**فقد أحسنت الولاية وأدّيت الأمانة فأقْبِل غير ظنين**] أي: مظنون

ولا ملوم ولا متّهم ولا مأثوم فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببتُ أن تشهد معي فإنّك من أستظهر به على جهاد العدوّ وإقامة عمود الدّين إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خُرّة بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلتَهُ فقد أسخطتَ إلهك وأغضبت إمامك أنّك تَقْسِم فيءَ المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأُريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك

بك سوء.

[**ولا ملوم ولا متّهم ولا مأثوم**] ثمّ أبان له الغرض من عزله فقال:

[**فقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام، وأحببتُ أن تشهد معي فإنّك من أستظهر به**] أي: أتخذه ظهيراً ومعيناً.

[**على جهاد العدوّ وإقامة عمود الدّين**] استعير العمود للأصول التي يحفظها، فإنّ الدّين يقوم بها كما يقيم الخيمة بالعمود.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خُرّة**] كورة من كور فارس.

[**بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلتَهُ فقد أسخطتَ إلهك وأغضبت إمامك**] ونبّه بالتعليق بأنّ على عدم تحقّقه لذلك ثمّ أبان له ذلك الأمر بعد إجماله فقال:

[**أنّك تَقْسِم فيءَ المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأُريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك**] أي: اختارك من بين الناس.

من أعراب قومك فوالذي فلق الحبّة وبرء النسمة لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ لك عليّ هواناً ولتخفّنّ عندي ميزاناً فلا تستهن بحقّ ربّك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالاً ألا وإنّ حقّ من قبلك وقبلنا في قسمة هذا الفيء سواء يردون عليه ويصدرون عنه

[**من أعراب قومك**] وصف الفيء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه أُريقت دمائهم ليتأكّد في النفوس ويتبيّن وجه استحقاقهم له وبعد ذلك يتأكّد قبح قسمته في غيرهم ممّن اختاره رئيساً من أعراب قومهم ثمّ قال عليه السلام:

[**فوالذي فلق الحبّة وبرء النسمة لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ لك عليّ هواناً**] وفي رواية لتجدنّ بك عندي، بالباء ومعناها اللام، أو المعنى لتجدنّ بسبب فعلك هوانك عندي.

[**ولتخفّنّ عندي ميزاناً**] كنّى به عن صغر منزلته وحقارتها، ونصب ميزاناً على التمييز ثمّ نهاه عن ذلك بقوله: [**فلا تستهن بحقّ ربّك ولا تصلح دنياك بمحق دينك**] أي: إهلاكه تنبيهاً على عظمة اللّه ووجوب المحافظة على طاعته.

[**فتكون من الأخسرين أعمالاً**] ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾، تنبيهٌ على أنّه فعل ذلك دخلوه في زمرة هؤلاء، ثمّ نبّهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه بذلك المال بقوله:

[**ألا وإنّ حقّ من قبلك وقبلنا**] أي: في جهتك وجهتنا [**في قسمة هذا الفيء سواء يردون عليه ويصدرون عنه**] تأكيدٌ لتساويهم في الاستحقاق وأنّه لهم كالشريعة المشتركة بين المسلمين.

إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خدعته باستلحاقه

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خدعته باستلحاقه].

ذكر ابن أبي الحديد ما حاصله: انّ زياداً هذا دعيّ أبي سفيان، ويقال زياد بن عبيد والأكثر على أنّه كان عبداً وأنّه بقي إلى أيام زياد فابتاعه وأعتقه، ويقال: زياد بن سمية وهي أُمّه كانت أمة للحرب وكانت تحت عبد وكان قبل الاستلحاق، يدعى زياد بن عبيد بلا خلاف، وأمّا ادّعاء أبي سفيان إيّاه فروي انّه تكلّم يوماً بمحضر عمر فأعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص: للّه لو كان أبوه قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال: أما واللّه إنّه لقرشي ولو عرفته لعرفت أنّه من خير أهلك، فقال: ومن أبوه؟ فقال: أنا واللّه، وضعته في رحم أُمّه، قال: فهلاّ تستلحقه! فقال: أخاف هذا ـــ الجالس أن يخرق عليّ إهابي، يعني عمر، ولمّا ولي عليّ الخلافة ولّى زياداً فارساً، فضبطها ضبطاً صالحاً وحماها، فكتب إليه معاوية يخدعه باستلحاقه:

أمّا بعد فإنّ عزتك قلاع تأوي إليها ليلاً كما يأوي الطير إلى وكرها، وأيم اللّه لولا انتظاري بك ما اللّه أعلم به لكان لك منّي ما قاله العبد الصالح ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنرجنهم منها أذلّة صاغرون﴾ وكتب في

وقد عرفت أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لبّك ويستفلّ غَرْبَكَ فاحذره فإنّما هو الشيطان

أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامة أو تخطب الناس والولي لهم عمر

فلمّا ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يتهدّدني وبيني وبينه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج سيّدة نساء العالمين وأبوالسبطين وصاحب الولاء والمنزلة والاخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، أما والله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني بها أحمر مجناً ضرّاباً بالسيف، ثمّ كتب إلى عليّ وبعث بكتاب معاوية في كتابه، فكتب إليه علي: أمّا بعد فإنّي ولّيتك ما ولّيتك وأنا أراك لذلك أهلاً وإنّه قد كانت من أبي سفيان فلتة أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس لم يستوجب منها ميراثاً ولم يستحقّ بها نسباً، وإنّ معاوية كالشيطان الرجيم، يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره ثمّ احذره، والسلام.

ولنرجع إلى شرح الأصل: [**وقد عرفت أنّ معاوية كتب إليك يستزلّ لبّك**] أي: يستغفل عقلك وما أنت عليه من الرأي الصحيح في نصره الحقّة وولائه له.

[**ويستفلّ غَرْبَكَ**] الاستفلال: طلب الفل، وهو ثلم الحدّ، وغرب السيف: حدّه، استعار لفظ الغرب لعقله ورأيه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك الرأي الصالح ملاحظةً لشبهه بالسيف، ثمّ حذّره عنه بقوله:

[**فاحذره فإنّما هو الشيطان**] باعتبار وسوسته وصدّه عن الحقّ ونبّه

يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويسلب غِرَّتَهُ

على وجه الشبه بقوله:

[يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله] أخذاً من قوله تعالى: ﴿لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي: إنّه يأتي الإنسان من كلّ جهة كما يأتي الشيطان، وخصّ الجهات الأربع لأنّها الجهات التي يعتاد الإتيان منها، وقيل: بين أيديهم: يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان. ومن خلفهم: بذكرهم مخلّفيهم ويحسّن لهم جمع المال وتركه لهم. وعن أيمانهم: يحسّن لهم الرياسة. وعن شمائلهم: اللّهو واللّذات. ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لأنّ جهة الفوق محلّ نزول الرحمة ومستقرّ الملائكة ومكان العرش والأنوار الشريفة فلا سبيل له إليها، وأمّا جهة التحت فلأنّ الإتيان موحش منه وينفر عنه لأنّه الجهة المعروفة بالشياطين فعدل عنها إلى ما هو أدعى إلى قبول وساوسه وأضاليله.

وقوله: **[ليقتحم غفلته]** أي: ليلج ويهجم عليه وهو غافل، جعل اقتحامه إيّاه اقتحاماً للغرّة نفسها لما كانت غالبة عليه.

[ويسلب غِرَّتَهُ] قيل: ليس المعنى باستلابه الغرّة أن يأخذها ويرفعها؛ لأنّه لو كان كذلك لصار الغافل المغترّ فاقد الغفلة والغرة، وإنّما ـــــــ مايعنيه الناس بقولهم: أخذ فلان غفلتي وفعل كذا، ومعنى أخذها هنا أخذ ما يستدلّ به على غفلتي.

ثمّ نبّهه على فساد حيلة معاوية بقوله:

وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزعة من نزعات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحقّ بها إرث والمتعلّق بها كالواغل المُدَفَّع والنوط المذبذب

[**وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس**] إشارة إلى إقراره بالزنا وقوله أنا وضعته في رحمه أُمّه، أي: وقعت هذه الكلمة من غير تثبّت ولا روية.

[**ونزعة من نزعات الشيطان**] أي: من حركاته القبيحة التي يستفسد بها المتكلفين.

[**لا يثبت بها نسب ولا يستحقّ بها إرث**] لأنّ المقرّ بالزنا لا يلحقه النسب ولا يرثه المولود لقوله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

[**والمتعلّق بها كالواغل المُدَفَّع**] وهو الذي يهجم على الشرب مع القوم وليس منهم فيدافع ويمنع.

[**والنوط المذبذب**] وهو ما ناط برجل الراكب من قعب أو قدح، ووجه الشبه في الأوّل كونه لا يزال مدفعاً وبالثاني اضطراب أمره وعدم لحوقه بنسب معيّن واستقراره كما يضطرب الشوط ولا يستقرّ.

قال السيّد «ره»: فلمّا قرء زياد الكتاب قال: شهد بها وربّ الكعبة، ولم تزل في نفسه حتّى ادّعاه معاوية. قوله: «كواغل المدفّع» الواغل: هو الذي يهج على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعاً محاجزاً، والشوط المذبذب: هو ما شاط برحل الراكب من قعب أو قدح وما أشبه ذلك فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره واستعجل سيره.

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: أمّا بعد يابن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتُنقل إليك الجفان وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى عثمان بن حنيف**] بضمّ الحاء [**الأنصاري، وكان عامله على البصرة**] فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ومات بها في زمن معاوية.

[**وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: أمّا بعد يابن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة**] بضمّ الدال: الطعام يُدعى إليه.

[**فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتُنقل إليك الجفان**] أعلمه أنّه بلغه ذلك مقرّراً له ليحسن توبيخه عليه، ثمّ أشار عليه السلام على وجه العتاب إلى تخطئته في ذلك بقوله:

[**وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم**] أي: فقيرهم [**مجفو وغنيهم مدعو**] أي: كان ظنّي فيك من الورع انّك تنزّه نفسك عن الإجابة إلى طعام قوم لا يلتفتون إلى فقرائهم ويقصرون الدعوة والكرامة على أغنيائهم وأُمراهم، فإنّ تخصيص الأغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة

فانظر إلى ما تقضمه من هذا القضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجهه فَنَلْ منه ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه

دليل واضح على أنّهم يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه اللّه تعالى، وإجابة من هو بهذه الصفة خصوصاً من أُمراء الدّين المتمكّنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثمّ قال:

[**فانظر إلى ما تقضمه من هذا القضم**] القضم: الأكل بأدنى الفم.

[**فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجهه فَنَلْ منه**] أمره أن يحترز فيما يتقوّله أن يقع فيه من ذلك بالنظر إلى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يحقّق حاله فليتركه وما تيقّن حلّه وطيب وجه اكتسابه ببراءته عن الشبهات فينال منه، وكنّى عنه بالمقضم تحقيراً له وتقليلاً مشيراً بذلك إلى أنّه ليس عنده مما يستحقّ أن يسمّى باسم مرغوب فيه متنافس عليه؛ لأنّ القضم يطلق على أكل الشيء اليابس وعلى ما يوكل ببعض الفم وكلاهما يدلاّن على أنّه مرغوب عنه لا فيه ثمّ قال عليه السلام:

[**ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه**] والطمر: الثوب الخلق البالي، وإنّما جعلهما اثنين لأنّهما أزار ورداء لابدّ منهما للجسد وللرأس.

[**ومن طعمه بقرصيه**] أي: قرصان يفطر عليهما لا ثالث لهما، وروي قد اكتفى من الدنيا بطمريه وسدّ فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذة في حوله إلا في يومي أضحيته وتقرير الحجّة إنّ كلّ مأموم يجب عليه الاقتداء

ألا وإنّكم لا تقدورن على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً ولا أخذت منها إلا كقوت أتاة دبرة ولهي في عيني أهون من عصفة مغرة

بإمامه وأنت مأموم فيجب عليك أن تقتدي بإمامك الذي صفته كذا.

ثمّ قال عليه السلام: [**ألا وإنّكم لا تقدورن على ذلك**] الذي أقدر عليه لأنّها قوّة مشروطة باستعداد لن يصلوا إليه.

[**ولكن أعينوني**] على أنفسكم ورياضتها [**بورع**] وهو الكفّ عن المحارم [**واجتهاد**] في الطاعة أو ورع في لزوم الأعمال الجميلة واجتهاد فيها.

ثمّ قال عليه السلام: [**فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً**] أي: ذهباً [**ولا ادّخرت من غنائمها وفراً**] والوفر: المال الكثير.

[**ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً**] أي: لم أعدّ ثوباً بالياً سهلاً لبالي ثوبي فضلاً عن أن أعدّ ثوباً حسناً كما يفعله الناس في إعداد ثواب جديد ليلبسوه عوض الأسمال التي ينزعونها.

[**ولا حزت من أرضها شبراً**] والضمير في أرضها راجع إلى دنياكم [**ولا أخذت منها إلا كقوت أتاة دبرة**] وهي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها.

[**ولهي في عيني أهون من عصفة مغرة**] والمغرة: المرّة، أي: مرّة، مغِر الشيء بالكسر أي: صار مرّاً وأمقر أيضاً بالهمزة ثمّ اشتثنى من قوله: ولا حزت من أرضها فدك وهي كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله إذ صالحوه أهلها على النصف فكانت ممالم لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وهو مختصّ به صلى الله عليه وآله وأعطاها عليها السلام فاطمة في حياته ولما ولي أبو بكر عزم على أخذا لما

بلى، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عليها نفوس قوم آخرين وَنِعْمَ الحكمُ اللّه وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غير جدث ينقطع في ظلمته آثارها ويغيب أخبارها

رواه وتفرّد به من قوله صلى الله عليه وآله نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة. فادّعت النحلة وأقامت البيّنة على ذلك وشهد لها عليّ عليه السلام وأُمّ أيمن فردا وطال بينهما القيل والقال.

ولها عليها السلام خطبة عجيبة في هذا المقام تتظلّم فيها وتتضمّن إقامة الحجج القاطعة والبراهين الساطعة من العقل والنقل آية ورواية وقد شرحناها في رسالة على حدة، وقد أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله:

[**بلى، كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم**] كناية عن أبي بكر وعمر وأتباعهما [**وسخت عليها نفوس قوم آخرين**] إشارة إليه صلى الله عليه وآله وزوجته وأولاده وسائر بني هاشم، والمراد بالسخاء: المسامحة والاغضاء، لأنّها أُخذت منهم عليهم السلام غصباً وقهراً.

[**وَنِعْمَ الحكمُ**] أي: الحاكم [**اللّه**] فيما بيننا وبين القوم وهو خير الحاكمين، ثمّ استفهم استفهام إنكار عمّا يصنع بفدك وغيرها تسلية لنفسه عنها وجذباً لها عن الدنيا إلى الباقيات الصالحات التي هي خير وأبقى فقال: [**وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غير جدث**] الواو للحال والجملة حالية والمراد إنّ غاية النفوس أن تصير إلى القبر.

[**ينقطع في ظلمته آثارها ويغيب أخبارها**] ذكر للوازم تلك الغاية من انقطاع الآثار وغيبة الأخبار.

وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يد حافرها لأضغطها الحجر والمدر وسدّ فرجها التراب المتراكم وإنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق

[**وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يد حافرها لأضغطها**] أي: ضيّقها [**الحجر والمدر وسدّ فرجها**] جمع فرجة: وهي الثقوب الخالية.

[**التراب المتراكم**] ذكر عليه السلام إنّ تلك الحفرة التي هي القبر ضيّقة وأنّها لو وسّعها الحافر لألجئها الحجر المتداعي والمدر المتهافت إلى أن يضغط الميت ويزحمه.

ثمّ قال عليه السلام: [**وإنّما هي نفسي**] أي: إنّما همّتي وحاجتي نفسي، رياضة نفسي بنهيها عن هواها واتّباعها مولاها.

[**أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق**] ذكر عليه السلام انّ اقتصاره من المطعم والملبس على الضروري منهما لأنّ ذلك إنّما يعمله خوفاً من اللّه تعالى أن ينغمس في الدنيا ولذّاتها وينهمك في شهواتها تنبيهاً على أنّ الغرض الأقصى من الرياضة الكمال الحقيقي والتلذّذ بلوامه وما يترتّب عليه من الأمن من الفزع يوم الخوف الأكبر وهو يوم القيامة والثبات على جوانب المزلق وهو الصراط المستقيم، فلا تميل بها الدواعي المختلفة عنه إلى أبواب جهنّم ومهاوي الهلاك، واستعار المزلق لمظانّ زلل أقدام العقول في الطريق إلى اللّه وجذب الميول الشهوية والغضبية عنها إلى الرذائل الموبقة.

ثمّ نبّه عليه السلام على أنّ زهده في الدنيا واقتصاره على الطمرين والقرصين ليس عن عجز وإنّه لو شاء لاهتدى إلى تحصيل تلك الطيّبات ولباب القمح

ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسايج هذا القزّ ولكنّ هيهات أن يغلبني هواي أو يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع وأبيتُ مبطاناً

ومصفّى العسل لأنّ الهريسة والعسل من أرغب المطعومات وأطيبها عند أهل مكّة والحجاز فقال:

[**ولو شئتُ لاهتديتُ الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح**] وهو الحنطة [**ونسايج هذا القزّ**] جمع نسيجة بمعنى منسوجة، والقزّ معروف، وخصّ لأنّه أنعم الملبوس يختاره المترفون.

[**ولكنّ هيهات أن يغلبني هواي أو يقودني جشعي**] والجشع: أشدّ الحرص.

[**إلى تخيّر الأطعمة**] أي: اختيارها وترجيحها على ما أنا فيه من رياضة النفس والزهد.

[**ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع**] الواو للحال، والجملة حالية، أي: هيهات أن يغلبني هواي إلى تخيّر الأطعمة حال ما يحتمل أن يكون بالحجاز واليمامة من هو بهذه الصفة.

وقوله: [**وأبيتُ مبطاناً**] عطف على يقودني، وداخل فيما استبعده من نفسه، والمبطان: الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل، والمبطن: الضامر البطن، والبطين: العظيم البطن لا من الأكل، والبطن بفتح الباء وكسر الطاء: الذي لا يهمّه إلا بطنه، والمبطون: العليل البطن.

وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى وأن أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباداً تحنّ إلى القدّ

ءأقنع من نفسي بأن يقال أميرالمؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أُسوة بهم في جشوبة العيش

والواو في قوله [**وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى**] للحال، والعامل أبيتُ، وكذا قوله: [**وأن أكون كما قال القائل:**

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباداً تحنّ إلى القدّ]

عطف على «أبيتُ»، وبطون غرثى أي: جائعة، والبطنة: الكظّة، وذلك أن يمتلي الإنسان من الطعام لما روي ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس، وما زاد فهو إسراف، والغرض من التمثيل بالبيت التنفير عن العار اللازم من الاستمتاع بالطيّبات مع وجود ذوي الحاجة إلى أيسر الطعام، واطلق عليه اسم الداء باعتبار أنّه رذيلة مهلكة، وربّما روي قوله: «أو أبيت» أو أكون، بالرفع والوجه فيه أنّ «لا» تكون أو حرف عطف بل الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحرّكة ويكون استفهام إنكار لكونه مبطاناً، أو كما قال الشاعر، وفي بعض الروايات هكذا: ولو شئتُ لاهتديت إلى هذا العسل المصفّى ولباب هذا البرّ المنقّى، فضرب هذا بذاك حتّى يتضح وقوداً أو يستحكم معقوداً، ولعلّ بالمدينة يتيماً ترباً يتضوّر سعياً أبيت مبطاناً وحولي بطون إلي غرثى إذا يحضرني يوم القيامة وهم من ذكر وأُنثى ويروى بطون غرثى بإضافة البطون إلى غرثى.

وقوله عليه السلام: [**ءأقنع من نفسي بأن يقال أميرالمؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أُسوة بهم في جشوبة العيش**] استفهام في معرض

فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها والمرسلة شغلها تقمُّمُها تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها أو أترك سُدىً أو أُهمل عبثاً أو أجرّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة

الإنكار بأنّه كيف أرضى بأن أُدعى أمير المؤمنين والحال انّي لا أُشارك المؤمنين الذين كنتُ أميرهم في مكاره الدهر وجشوبة المطعم.

[**فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات**] عمّا يراد منّي من الطاعات والمبرّات والملكات الحسنة ليس يهمّني إلا المأكل والمشرب فأكون [**كالبهيمة المربوطة همّها علفها والمرسلة شغلها تقمُّمُها تكترش من أعلافها وتلهو عمّا يراد بها**] والقمّم: أكل الشاة ما بين يديها بقمتها، أي: شفتها، وكلّ ذي ظلف كالثور وغيره فهو ذو مقمّة، وتكترش من أعلافها أي: تملأ كرشها من علفها، ووجهه أنّ الذي همّته بطنه من الطعام والشراب إن كان غنياً أشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يأكله من طعامه الحاضر وإن كان فقيراً كان اهتمامه بما يكتسبه من حطام الدّنيا ثمّ يعتلفه ويملأ به كرشه مع غفلته عمّا يراد منه كالسائمة التي همّها الاكتراش تقممه من الكناسات مع غفلتها عمّا يؤول إليه حالها ويراد بها من ذبح واستخدام.

وقوله: [**أو أترك سُدىً**] أي: هملاً، [**أو أُهمل عبثاً أو أجرّ حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة**] عطف على «أشغلني» ويقال أجررته رسنه إذا أهملته، والاعتساف: السلوك في غير طريق واضح، والمتاهة: الأرض يتاه فيها، أي: يتحيّر، واستعار لفظ الحبل والجرّ مكنّياً بهما عن الإهمال والإرسال كما ترسل البهيمة.

وكأنّي بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت بن أبي طالب فلقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان ألا وإنّ الشجرة البرّية أصلب عوداً والمراتع الخضرة أرقّ جلوداً

ثمّ شرع عليه السلام في دفع ما ربّما توهّمه أرباب الأوهام الضعيفة من ضعفه عن مقاتلة الأبطال بسبب الزهد فقال:

[**وكأنّي بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت بن أبي طالب**] من الاقتصار في ليله ونهاره على قرصين من شعير مخبوز بنخالته [**فلقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان**] ومبارزتهم ومقابلتهم فإنّ ذلك لا يستقيم مع هذا المطعم القليل الجشب، فأجاب عليه السلام عن ذلك بخمسة أوجه أشار إلى الأوّل منها بقوله:

[**ألا وإنّ الشجرة البرّية**] وهي التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه.

[**أصلب عوداً**] شبّه نفسه عليه السلام بالشجرة البرّية، فالأصل المشبّه به هي والفرع المشبّه هو، والشبه الجامع بينهما قلّة الغذاء وجشوبة المطعم كقلّة غذاء الشجرة البرّية وسوء رعيها والحكم من ذلك صلابة أعضائه عليه السلام كصلابة عودها وقوّته كقوّتها.

وأشار إلى الثاني بقوله: [**والمراتع الخضرة أرقّ جلوداً**] تمثيل لخصومه كمعاوية ونظرائه بالروابع الخضرة وهي الأصل المشبّه به والفرع المشبّه خصومه، والشبّه الجامع الخضرة والنضارة الحاصلة من الترفّع ولين المطعم والحكم اللازم من ذلك رقّة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلّة الصبر على المنازلة والميل إلى الدعة والرفاهية.

وأشار إلى الثالث بقوله:

والنباتات المعدية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً وأنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كالضوء من الضوء والذراع من العضد

[**والنباتات المعدية**] تنبت عدياً والعدى بسكون الدال: الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر وهو كسابقه في التشبيه.

ووجه الشبه قوله [**أقوى وقوداً**] من النبات الذي يشرب الماء السايح أو ماء الناضح. [**وأبطأ خموداً**] وذلك لصلاة جرمها فهو عليه السلام أقوى على سعير نار الحرب وأصبر على وقدها وأبطأ فتوراً فيها وخموداً.

وأشار إلى الرابع بقوله: [**وأنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كالضوء من الضوء**] فإنّ الضوء الأوّل يكون علّة في الضوء الثاني فإنّ الهوى المقابل للشمس يستضيء بالشمس فهو الأوّل ثمّ يقابل وجه الأرض فيضيء منه وهو الثاني، وما دام الأوّل ضعيفاً فالثاني كذلك فإذا ازداد لأنّ المعلول يتبع العلّة، فالأصل المشبّه به هو النبي صلى الله عليه وآله والفرع المشبّه هو عليه السلام والعلّة الجامعة كون علومه وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوّة وكمالاتها كالمعلول من العلّة والمصباح من الشعلة.

وأشار إلى الخامس بقوله: [**والذراع من العضد**] فالأصل فيه الذراع مع نسبته إلى العضد والفرع هو عليه السلام منسوباً إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله والعلّة الجامعة قربه منه وقوّته به كونه ظهيراً له ووسيلة إلى حصول مقصوده من تمام الدّين وكماله وكون الرسول صلى الله عليه وآله أصلاً في ذلك كقرب الذراع من العضد وكون العضد أصلاً له، وكون الذراع وسيلة إلى التصرّف والبطش بالعضد، والحكم في هذين التمثيلين واحد، وهو كونه عليه السلام لا يضعف عن قتال الأقران، ووجه لزوم هذا الحم عن المشترك الأوّل أنّه لمّا كانت علومه اليقينية

والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها وسأجهد في أن أُطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس

وبصيرته في الدّين تناسب بصيرة رسول اللهﷺ وكان ذلك أعظم أمر يشجّعه ويقوّيه على قتال الأقران حمية للدّين، وكذلك المشترك الثاني.

ثمّ لمّا أثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهّم فيه، أكّد ذلك بالقسم البار أنّه لو تعاونت العرب على قتاله لما ولّى عنها ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارع إليها فقال عليه السلام:

[والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها] أي: حين القتال، واستحقاقهم للقتل بعداوتهم للدّين وقبح العفو عنهم ملاحظةً لشبهه برسول اللهﷺ في ذلك في مبدء الإسلام فإنّه لم يكن ليضع العفو إلا في مواضعه، وروي أنّه قتل في يوم واحد من بني قريظة ألف إنسان صبراً في مقام واحد لما رأى في ذلك من مصلحة الدّين.

وقوله عليه السلام: **[وسأجهد في أن أُطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس]** إشارةً إلى معاوية، وذكر الشخص والجسم ترجيحاً لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه إشارةً إلى أنّه كان جسم بلا روح وشخص بلا حقيقة، وأشار بكونه معكوساً ومنكوساً إلى التفاته عمّا خلق لأجله إلى الجنسية السافلة وخروجه عن فطرته الأصيلة إلى التدنس برذائل الأخلاق.

حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد وهو آخره: إليك عنّي يا دنيا حبلك على غاربك

وقوله: [**حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد**] استعار لفظ المدرة لمعاوية، وحبّ الحصيد للمؤمنين، ووجه الشبه أنّه يخلّص المؤمنين عن وجود معاوية بينهم ليزكو إيمانهم ويستقيم دينهم، إذ كان وجوده فيهم أعظم الأسباب لفساد عقائدهم واضمحلال دينهم كما يفعل الزارع في تصفية غلاله وإخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره.

وقال ابن أبي الحديد: الإشارة في هذا إلى معاوية، والمراد انعكاس عقيدته وأنّها ليست عقيدة هدى بل هي معاكسة للحقّ والصواب، وسمّاه مركوساً من قولهم ارتكس في الضلال وأركس: ردّ الشيء مقلوباً، قال اللّه: ﴿واللّه أركسهم بما كسبوا﴾ أي: قلبهم وردّهم إلى كفرهم، فلمّا كان تاركاً للفطرة التي كلّ مولود يولد عليها كان مرتكباً في ضلاله ثمّ قال: إنّ الزرّاع يجتهدون في إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد الحبّ الذي يخرج منه فشبّه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحبّ وشبه الدّين بالحبّ الذي هو ثمرة الزرع، إنتهى.

ومن هذا الكتاب

[**وهو آخره: إليك عنّي يا دنيا**] أي: ابعدي عنّي [**حبلك على غاربك**] كناية عن الطلاق أي: إذهبي حيث شئت لأنّ الناقة إذا أُلقي حبلها على غاربها فقد أُهملت، والغارب: ما بين السنام والعنق، وقد مثّلها بصورة من يعقل وخاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك أوقع في النفوس وأمرها بالتنحّي والبعد عنه كالمطلّق لها وأنّها صارت أجنبية.

قد أنسلت من مخالبك وأفلتُّ من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك أين القوم الذين غررتهم بمداعبك أين الأُمم الذين فتنتيهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود

[**قد أنسلت من مخالبك**] جعلها ذات مخالب استعارة بالكناية عن كونها كالأسد في جذبها للإنسان بما فيها من الشهوات ونحوها إلى الهلاك الأبدي كما يجرّ الأسد فريسته.

وكذا قوله: [**وأفلتُّ من حبائلك**] جعلها ذات حبائل كناية عن أنّها تعيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية فهي لها كحبائل الصائد.

[**واجتنبت الذهاب في مداحضك**] أي: مزالقك واستعاره لشهواتها ولذّاتها باعتبار كونها مزالق أقدام العقول عن طريق اللّه ومصارع لها والمراد من الجميع زهده فيها وإبعادها عن نفسه.

ثمّ أخذ في سؤال عن أُمور توجب التنفير عنها من قبيل تجاهل العارف فقال: [**أين القوم الذين غررتهم بمداعبك**] جمع مدعبة، بمعنى دعابة، استعير ذلك لها لأنّها عند صفاء لذّاتها للخلق واغترارهم بها، ثمّ تكديرهم بعد ذلك بالأمر الجدّ كالذي يمازح غيره وينبسط معه بالأقوال والأفعال اللّينة ليغترّ به ثمّ يأتيه بعد ذلك بالأمر الجدّ فيؤذيه أو يرديه ويهلكه، ونسبة الغرور إليها لكونها سبباً بادياً وهذه الألفاظ كـ«غررتيهم وفتنتيهم» رويت بحذف الياء وإثباتها، ووجه إثباتها أنّها حدثت من إشباع الكسرة.

[**أين الأُمم الذين فتنتيهم بزخارفك**] إشارة إلى غايتهم التي صاروا إليها المشار إليها بقوله: [**ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود**] أي: الذين تضمّنتهم، واستعار لهم الرهائن باعتبار كونهم موثقين في القبور بأعمالهم

والله لو كنت شخصاً مرئياً أو قالباً حسّياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتيهم بالأماني وأمم ألقيتيهم في المهاوي وملوك أسلمتيهم إلى التلف وأورديتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن أزورّ عن حبالك وفّق

كالرهن، ويحتمل أن تكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الأشخاص المقيمة بقبورها.

ثمّ قال عليه السلام: [**والله لو كنت شخصاً مرئياً أو قالباً حسّياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتيهم بالأماني**] الفاسدة والآمال الكاسدة. [**وأمم ألقيتيهم في المهاوي**] في المهالك.

[**وملوك أسلمتيهم إلى التلف وأورديتهم موارد البلاء**] أقسم عليه السلام إنّ الدنيا لو كانت شخصاً مرئيّاً أو قالباً حسّياً لأقام حدود الله عليها في عباد غرّتهم بالأماني وأوردتهم موارد البلاء.

[**إذ لا ورد ولا صدر**] أي: إنّ تلك الموارد ليس من شأنها أن يكون إليها ورود وعنها صدور، ثمّ لمّا كان في هذا الخطاب كالمعلّم لها انّه قد اطّلع على خداعها وغرورها قال كالمؤيس لها من نفس.

[**هيهات**] أي: بعد اغتراري بك وركوني إليك، ثمّ نبّه على بعض العلل الحاملة على البعد عنها والنفرة من القرب منها فقال:

[**من وطئ دحضك زلق**] يقال: مكان دحِض أي: مزلة.

[**ومن ركب لججك غرق ومن أزورّ عن حبالك وفّق**] أبان عليه السلام ما يلزم من وطئ دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق، والازدوار عن

والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عنّي، فواللّه لا أستذلّ لك فتستذلّيني ولا أسلس لك فتقوديني

حبائلها من التوفيق للسلامة.

ثمّ أشار إلى ما يلزم السالم منها فقال: [**والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه**] أي: لا يبالي من سلم منك إن ضاق به مناخه لا يبالي بالفقر ولا المرض ولا الحبس ولا السجن ولا غير ذلك من أنواع المحن؛ لأنّ ذلك كلّه حقير لا اعتداد به في جنب السلامة من فتنة الدنيا، والدنيا عند من قد سلم مها كيوم قرب انقضائه وفنائه، وألفاظ المداحي واللجج والحبال مستعارات لشهواتها ولذّاتها، فالأوّل باعتبار كون شهواتها مظنّة أن تجتنب فتهجر الإنسان عند استعمالها إلى الاستكثار منها وتجاوز القدر المعتدل إلى المحرم، فيترك قدم نفسه عن صراط اللّه فيقع في مهاوي الهلاك والمآثم، والثاني باعتبار أنّ مطالبها والآمال فيها غير متناهية، فمن لوازم المنهمك في لذّاتها أن تغرق نفسه في بحر لا ساحل له فينقطع عن قبول رحمة اللّه إلى الهلاك الأبدي كالملقي نفسه في بحر لجّي، والثالث باعتبار أنّ الإنسان إذا اغترّ بها وحصل في محنة مشتهياتها عاقته عن النهوض والتخلّص إلى اللّه ومنعته أن يطير بجناحي قوّته العقلية في منازل أوليائه الأبرار كما تعوق حبائل الصيد جناح الطائر، ولفظ الوطئ والركوب الزلق والفرق ترشيح، ثمّ قال عليه السلام مكرّراً الأمر لها بالبعد عنه:

[**اعزبي**] أي: ابعدي [**عنّي، فواللّه لا أستذلّ لك فتستذلّيني ولا أسلس**] بفتح اللام أي: لا أنقاد [**لك فتقوديني**] يقال: سلسل الرجل

وأيم اللّه يميناً أستثني فيها بمشيّة اللّه لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها

بالكسر يسلس فهو بيّن السلس أي: سهل قياده، إشارةً إلى أنّه لا يذلّ فيها إلا من أذلّ نفسه ولا تملك إلا قياد من أسلس لها قياده، واستعار وصف سلاس القياد للتسهيل في متابعة النفس العاقلة للنفس الأمّارة وعدم التشدّد في ضبطها.

ثمّ قال عليه السلام: [**وأيم اللّه يميناً أستثني فيها بمشيّة اللّه**] استثنى بالمشيّة أدباً امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ولا تقولنّ لشيء انّي فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء اللّه﴾ وتنبيهاً على استناد جميع الأمور في سلسلة الحاجة إليه تعالى.

[**لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القرص**] وترضى به [**إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً**] وتلك قوّة الرياضة الشهوية، ولمّا كانت أكبر عدوّ للنفس وأكثر الفساد يلحق بسببها خصّها بالذكر وقوّة العزم، ويحتمل إرادة رياضة جميع القوى، وإنّما وصفها بكون النفس تهشّ معها إلى القرص لأنّ ضبط الشهوة أعظم من ضبط سائر القوى وأصعب وكانت الإشارة إلى ضبطها إلى الحدّ المذكور أبلغ في وصف الرياضة بالشدّة.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها**] أي: فنى مائها [**مستفرغة دموعها**] أي: يدع مقلته في تلك الرياضة كعين ماء فنى مائها، ووجه الشبه أن يفني دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقاً إلى الملأ الأعلى وما أعدّ لأولياء اللّه من السعادة الأبدية وخوفاً من حرمانها، فإنّ من يكون في

أتمتلي السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة فتربض ويأكل عليّ من زاد فيهجع قرّت عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهائلة والسائمة المرعية طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها

محلّ الغربة ومحلّ الوحشة كثير الاشتياق إلى وطنه الأصلي ومقامه الحقيقي، و«مطعوماً ومأدوماً ومستفرغة» منصوبة على الحال.

ثمّ أخذ عليه السلام في تمثيل نفسه بالسايمة والربيضة على تقدير أن يرضى بمثل حالهما فقال:

[**أتمتلي السائمة من رعيها فتبرك**] أي: أتشبع السائمة من رعيها بكسر الراء وهو الكلاء [**وتشبع الربيضة**] وهي جماعة من الغنم أو البقر تربض في أماكنها.

[**فتربض**] أي: أتشبع السائمة وأنا أيضاً مثلها أشبع وأنام.

[**ويأكل عليّ من زاد فيهجع**] أي: فينام بعد الأكل [**قرّت عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهائلة والسائمة المرعية**] والاستفهام في معرض الإنكار لذلك الرضا من نفسه عليه السلام والأصل في التمثيل البهيمة والفرع هو عليه السلام والمشترك الجامع هو الرعي والشبع، والحكم هو البروك والنوم والراحة، ولمّا كان الأصل المقيس عليه في غاية من الخسّة بالقياس إلى الإنسان الكامل استلزم ذلك التشبيه به غاية النفرة عمّا يستلزم التشبيه به من الصفات، وقوله صلى الله عليه وآله «قرّت إذا عينه» في معرض الإنكار والاستهزاء باللّذة كقوله ﴿ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾.

ثمّ قال عليه السلام: [**طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها**] من القيام بواجب طاعة اللّه وما افترضه عليها.

وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في اللّيل غمضها حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسّدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم

[**وعركت بجنبها بؤسها**] كنّى بذلك عن الصبر على نزول المصائب، يقال: عرك فلان بجنبه الأذى إذا أغضى عمّن يؤذيه وصبر على فعله به، ويلزم ذلك عدّة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال المكروه والعفّة ونحوها.

[**وهجرت في اللّيل غمضها**] كناية عن إحيائها اللّيل بعبادة ربّها واشتغالها بذكره.

[**حتّى إذا غلب الكرى**] أي: النوم [**عليها افترشت أرضها وتوسّدت كفّها**] أي: لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد، بل كانت بريّة عن كلّ كلفة وعريّة عن كلّ فتنة ومنزّهة عن كلّ ترفة.

[**في معشر**] يجوز تعلّقه بـ«كلّ» من افعال النفس المذكورة، أي: فعلت هذه الأفعال في جملة معشر [**أسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم**] كناية عن اشتغالهم ليلاً بعبادة ربّهم، وإشارةً إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾.

[**وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم**] أي: بالدعاء والثناء، إشارةً إلى قوله تعالى: ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾.

[**وتقشّعت**] أي: زالت وذهبت كما يتقشّع السحاب.

[**بطول استغفارهم ذنوبهم**] وهو لازم عن الثلاثة الأُولى وثمرة لها،

إلى بعض عـمّاله: أمّا بعد، فـإنّك ممن أسـتظهر به على إقـامـة الدّين وأقمع به نخوة الأثيم وأسـدّ به لهات الثغر المخوف فـاستعن باللّه على ما أهمّك واخلط الشدّة بضغث من اللّين

واستعـار التقشيع لانمحاء ذنوبهم، ووجه الشبـه أنّ الذنوب والهيئات البـدنية في تسويدها لألواح النفس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول أنوار اللّه تشبه السحاب المنزلة الحاجب لوجه الأرض عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره، فاستعار لزوالها وانمحائها من ألواح النفوس لفظ التقشيع.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى بعض عمّاله: أمّا بعد، فإنّك ممن أستظهر به على إقامة الدّين وأقمع به نخوة الأثيم**] والنخوة: الكبر، والأثيم: الآثم.

[**وأسدّ به لهات الثغر المخوف**] استعار لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر فيحتاج إلى سدّه بالعسكر والسلاح ملاحظةً لشبهه بالأسد الفاتح فاه للافتراس، وهذه الأُمور استمالة لهذا العامل، ثمّ أردف ذلك بأمره بمكارم الأخلاق فقال:

[**فاستعن باللّه على ما أهمّك**] من أُمور الدنيا، فإنّ الفزع إليه والاستعانة به أفضل معين على حصول المطالب ونجاح المآرب.

[**واخلط الشدّة بضغث من اللّين**] الضغث: النصيب من الشيء يختلط بغيره، وأصله القبضة من الحشيش المختلط رطبه بيابسه، ومراده عليه السلام أن يضع كلاً من الشدّة واللّين في محلّه ولذا قال:

وارفق ما كان الرفق وأوفق، واغترم بالشدّة حين لا يغني عنك إلا الشدّة واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس في اللحظة والنظرة والإشارة والتحيّة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام.

للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم لعنه اللّه: أُوصيكما بتقوى اللّه وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما

[**وارفق ما كان الرفق**] أولى [**وأوفق، واغترم**] أي: خذ [**بالشدّة حين لا يغني عنك إلا الشدّة**] يقال: اغترم بكذا أي: لزمه وأُخذ به.

[**واخفض للرعية جناحك**] كنّى به عن التواضع [**وابسط لهم وجهك**] كنّى به عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب.

[**وألن لهم جانبك**] كنّى به عن المساهلة معهم وعدم التشدّد عليهم [**وآس**] أي: ساو بينهم [**في اللحظة والنظرة**] واللّحظة أخصّ من النظرة [**والإشارة والتحيّة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك**] على الضعيف فتسلّطه عليه [**ولا ييأس الضعفاء من عدلك**] على القوي فتضعف نفسه ويكلّ عمّا هو بصدده من الأعمال الصالحة. [**والسلام**].

ومن وصية له عليه السلام

[**للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم لعنه اللّه: أُوصيكما بتقوى اللّه**] التي هي الأساس لكلّ خير وبها تدفع كلّ ضرّ [**وأن لا تبغيا الدنيا**] أي: لا تريداها ولا تطلباها [**وإن**] هي [**بغتكما**] وأقبلت عليكما،

ولا تأسفا على شيء منها زُوي عنكما وقولا بالحقّ واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً أُوصيكما وجمع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى اللّه وإصلاح ذات بينكم فإنّي سمعتُ جدّكما رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام

واستعار البغية باعتبار سهولتها عليهما عن توافق أسباب خيرها لها فهي بذلك الاعتبار كالطالبة لهما.

[**ولا تأسفا على شيء منها زُوي عنكما**] من خيراتها، وهذه الحالة من لوازم الزهد كما روي أنّه لمّا سُئِل عن الزهد فقال: «كلمتان في كتاب اللّه: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم».

[**وقولا بالحقّ**] ولو على أنفسكما [**واعملا للأجر**] أي: لأجر الآخرة لا رياءً ولا سمعةً ولا للخلق.

[**وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً**] وذلك من لوازم قول الحقّ والعمل له إذ من كان على حاق العدل فلابدّ أن يجانب الظلم المنحرف إلى طرف الجور ويخاصمه ليردّه إلى فضيلة العدل فيكون حينئذ عوناً للمظلوم، ثمّ عاد مؤكّداً لوصيتهما مع غيرهما فقال: [**أُوصيكما وجمع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى اللّه وإصلاح ذات بينكم**] و«ذات» كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق، وقيل: هي الحالة بين الرجلين والقبيلتين أو الرجل وأهله، أمر بإصلاح ما بينهما من فساد، وقيل: المراد بالبين هنا الوصل، فاتّقوا اللّه وأصلحوا ذات بينكم.

[**فإنّي سمعتُ جدّكما رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام**] ووجهه ما قيل: إنّ أهمّ

اللّه اللّه في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم اللّه اللّه في جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظننا أنّه سيورّثهم واللّه اللّه في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم واللّه اللّه في الصلاة فإنّها عمود دينكم واللّه اللّه في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن تُرك لم تناظروا

المطالب للشارع جمع الخلق على سلوك سبيل اللّه وانتظامهم في سلك دينه، ولن يتمّ ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم، وهذا لا يوجد في الصلاة والصيام ونحوهما.

[**اللّه اللّه**] أي: احذروه [**في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم**] وكنّى بإغباب أفواههم عن إجاعتهم إذ هو مظنّة جوعهم.

[**ولا يضيعوا بحضرتكم**] ويستلزم ذلك برّهم والإحسان إليهم وهو فضيلة تحت العفّة.

[**اللّه اللّه في جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيّكم، ما زال يوصي بهم حتّى ظننا أنّه سيورّثهم**] جعلهم نفس الوصية تأكيداً للمحافظة عليهم كالمحافظ على وصيّة نبيّه صلى الله عليه وآله وقوله «مازال» تفسير للوصية المذكورة.

[**واللّه اللّه في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم**] أي: سارعوا واستبقوا إليه، [**واللّه اللّه في الصلاة فإنّها عمود دينكم**] ففي النبوي: «الصلاة عمود الدين فإن قُبلت قبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها».

[**واللّه اللّه في بيت ربّكم**] أي: البيت الحرام [**لا تخلوه**] من الحجّ [**ما بقيتم**] أي: مدّة بقائكم [**فإنّه إن تُرك لم تناظروا**] أي: يستلزم تركه عدم مناظرة اللّه لتاركيه وترك محافظته عليهم ومراقبته؛ لأنّ من لا يحفظ

اللّه اللّه في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل اللّه وعليكم بالتواصل والتباذل وإيّاكم والتدابر والتقاطع ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم

اللّه في بيته ويراقبه في مراعاة جانبه لم يحفظه اللّه ولم يراقبه، ويحتمل أن يراد لم يناظركم الأعداء ولم يراقبوكم إذ في الاجتماع على حبّ اللّه والمحافظة عليه والاعتصام به يوجب مراقبة الخلق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم.

[**اللّه اللّه في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل اللّه**] وقد مرّت الإشارة إلى فضله ويكفي في فضله قوله تعالى: ﴿إن تنصروا اللّه ينصركم﴾.

[**وعليكم بالتواصل والتباذل**] أي: يبذل كلّ منكم النصر لصاحبه في سبيل اللّه.

[**وإيّاكم والتدابر والتقاطع**] فإنّهما رذيلتان كما أنّ الأوّلين فضيلتان.

[**ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم**] فإنّ ترك الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلّة المعروف من طباع الأشرار ويعد لاستيلائها وغلبتها وولاية أهلها وذلك يستلزم كثرة الشر والأشرار وقلّة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة اللّه تعالى بأدعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم، ثمّ عقّب ذلك بوصية أهل بيته ثمّ قال:

يا بني عبدالمطّلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قُتل أميرالمؤمنين ألا لا يقتلنّ بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة ولا يمثّل بالرجل فإنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور وإنّ البغي والزور يوبقان

[**يا بني عبدالمطّلب لا ألفينكم**] أي: لا أجدنّكم [**تخوضون دماء المسلمين خوضاً**] كنّى به عن كثرة القتل ونهاهم عن إثارة الفتنة بسبب قتله، ثمّ فسّر ذلك بقوله:

[**تقولون قُتل أميرالمؤمنين**] وهو حكاية ما جرت به العادة أن يقول طالب الثأر حين هياجه إظهاراً لعذره والسبب الحامل له على إثارة الفتنة.

[**ألا لا يقتلنّ بي إلا قاتلي**] ذلك هو مقتضى العدل والنصّ القرآني ﴿النفس بالنفس﴾.

[**انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة**] وهو مقتضى العدل أيضاً بأن لا يزيدوا عليها.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولا يمثّل بالرجل**] كأن تقطع أعضائه وجوارحه.

[**فإنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور**] ومضافاً إلى ما يستلزمه من قسوة القلب.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية بعد التحكيم وتمسّك معاوية بما حكم به الحكمان:

[**وإنّ البغي والزور يوبقان**] أي: يهلكان، يقال: أوبق فلان دينه بالإثم.

المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت أنّك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام أقوام أمراً بغير الحقّ فتألوا على اللّه فأكذبهم

[**المرء في دينه ودنياه**] أمّا في الدّين فلكونهما رذيلتين مضادّتين للعدل والعفّة ومجانبتين للإيمان والدّين، وأمّا في الدنيا فلأنّ أعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل المشار إليه بقوله تعالى: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ وإنّما يحصل ذلك بظهور مكارم الأخلاق دون رذايلها ومنه يظهر معنى قوله:

[**ويبديان**] أي: يُظهران [**خلله**] أي: عيبه [**عند من يعيبه**] ثمّ قال عليه السلام: [**وقد علمت أنّك غير مدرك ما قضى فواته**] كنّى به عمّا جعله شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمان وهو في قوّة صغرى احتج به على وجوب ترك المشاقّة وتقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك تعيّن عليه أن يترك ذلك الطلب، ثمّ أعلمه عليه السلام بحال من طلب أمراً باطلاً فقال:

[**وقد رام أقوام أمراً بغير الحقّ فتألوا على اللّه**] أي: حلفوا، من الالية وهي اليمين [**فأكذبهم**] الله بنصره عليهم وردّ مقتضى شبههم، وفي رواية فتاولوا على اللّه أي: حرّفوا الكلم عن مواضعه، وتعلّقوا بشبهته في تأويل القرآن انتصاراً لمذاهبهم فأكذبهم اللّه بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم، وقيل أشار بذلك إلى أصحاب الجمل حيث كانوا طالبين للإمرة والملك فتأوّلوا على اللّه أو على سلطان اللّه وهي الخلافة الحقّة فجعلوا لخروجهم وبغيهم تأويلاً وهو الطلب بدم عثمان ونحوه من الشُّبه الباطلة فأكذبهم اللّه بنصره عليهم، والإكذاب كما يكون بالقول كذلك يكون

فاحذر يوماً يغتبط فيه مَنْ أحمَدَ عاقبة علمه ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ولسنا إيّاك أجبنا ولكنّ أجبنا القرآن إلى حكمه

بالفعل وقيل المعنى قد طلب قوم أمر هذه الأُمّة فتأوّلوا القرآن كقوله تعالى: ﴿أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾ فسمّوا من نصبوه من الأُمراء أُولي الأمر متحكّمين على اللّه، فأكذبهم اللّه بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون الوالي من قبل اللّه كذلك.

ثمّ حذّره عليه السلام يوم القيامة فقال: [**فاحذر يوماً يغتبط فيه مَنْ أحمَدَ عاقبة علمه**] يغتبط فيه أي: يفرح ويستر، وروي يغبط من الغبطة وهو أن يتمنّى لنفسه مثل ما للغير من دون زوال عنه، والغرض التنبيه على ما في ذلك اليوم من سرور الذين حمدوا عاقبة أعمالهم بما جعلوا عليه من السعادة الباقية أو اغتباط غيرهم لهم ويتمنى مثل مراتبهم. وقوله: [**ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه**] فصرفه كيف شاء، والياء التي هي حرف المضارعة في يجاذبه تعود إلى الذي أمكن الشيطان من قياده، أي: إذا لم يجاذب الشيطان قياده بل جعله يتصرّف فيه كيفما شاء فإنّه سوف يندم، وأمّا من جاذبه قياده فقد قام بما عليه، واستعار التمكين من القياد لمطاوعة النفس الأمّارة.

ثمّ قال عليه السلام: [**وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله**] حتى تُجاب [**ولسنا إيّاك أجبنا**] في التحيكم، ونصب الحكم لأنّك لست أهلاً لذاك.

[**ولكنّ أجبنا القرآن إلى حكمه**] حيث قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق

إليـه أيضـاً أمّا بعـد فـإنّ الدنيـا مشـغلة عن غـيرهـا ولـم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ولهجاً بها

بينهم فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفّق اللّه بينهما﴾ فنحن لم نخطأ في التحكيم وإنّما أخطأ الحكمان حيث لم يريد الإصلاح وقد روي في محاجة ابن عبّاس مع الخوارج أنّهم قالوا له كيف يجوز لعليّ أن يحكم في دين اللّه الرجال فقال لهم إنّ ذلك ليس بأمر عليّ وإنّما هو بأمر من اللّه في كتابه إذ يقول في حقّ الزوجين ﴿وإن خفتم ...﴾ إلخ، أفترون انّه تعالى أمر بذلك في حقّ الرجل وامرأته مراعاةً لمصلحتهما ولا يأمر بذلك في حقّ الأمّة رعياً لمصلحتهم، فرجع كثير منهم إلى قوله، وقيل: قوله «ولسنا إيّاك أجبنا» مثل قوله «واللّه ما حكمت مخلوقاً وإنّما حكّمت القرآن» ومعنى مخلوقاً: بشراً لا محدثاً.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إليه أيضاً**] وفي نسخة إلى غيره [**أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها**] إشارة إلى عدم اجتماعها غالباً مع الآخرة، فهما كالشرق والغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وككفتي الميزان مهما رجحت إحديهما خفّت الأُخرى وكالضرتين إذا أرخيت إحديهما أغضبت الأُخرى.

[**ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ولهجاً بها**] واللهج: الحرص الشديد، كما قيل صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً، وفي الحديث القدسي: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب».

ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمعه ونقض ما أبرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت مابقى، والسلام

[**ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها**] لأنّه كلّما بلغ مرتبة منها طلب غيرها، فهو لا يشبع أبداً؛ ولذا ورد «منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا».

[**ومن وراء ذلك فراق ما جمعه**] فإنّ ماله وإن أحبّه مفارقٌ له وعمله وإن كرهه معانقٌ له.

[**ونقض ما أبرم**] أي: ما أحكم من أُمورها.

[**ولو اعتبرت بما مضى**] من العمر أو من أحوال الدنيا والقرون الماضية.

[**حفظت ما بقى**] من العمر أن يضيع في الباطل أو ما يبقى من السعادة الأُخروية بالسعي في تحصيلها، وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كتب إلى عمرو بن العاص: أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن الآخرة. وصاحبها منهوم عليها لم يصب منها شيئاً قط إلا فتحت عليه حرصاً وأدخلت عليه مؤنة تزيده رغبة فيها، ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يدرك ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبدالله ولا تشرك معاوية في باطله فإنّ معاوية غمض الناس وسفه الحقّ، [**والسلام**].

من عبداللّه أميرالمؤمنين إلى أصحاب المسالح أمّا بعد فإنّ حقّاً على الوالي أن لا يغيّره على رعيّته فضل ناله ولا طول خصّ به وأن يزيده ما قسم اللّه له من نعمة دنوّاً من عباده وعطفاً على إخوانه ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم بشر إلا في حرب

ومن كتاب له عليه السلام
إلى أمرائه على الجيوش

[**من عبداللّه أميرالمؤمنين إلى أصحاب المسالح**] قيل: هم جماعات يكونون بالثغر يحمون البيضة، والمسلحة: هي الثغر كالمرقب.

[**أمّا بعد فإنّ حقّاً على الوالي أن لا يغيّره على رعيّته فضل ناله ولا طول خصّ به**] أي: يجب على الوالي أن لا يتطاول على الرعية بولايته ولا يغيّره عنهم ما اختصّ به من الفضل والطول؛ لأنّ تغيّره عنهم خروج عن شرائط الولاية.

[**وأن يزيده ما قسم اللّه له من نعمة دنوّاً من عباده وعطفاً على إخوانه**] أي: تكون تلك الزيادة التي أُعطيها سبباً لزيادة دنوّه من الرعيّة وعطفه وحنوّه عليهم؛ لأنّ ذلك من تمام شكر النعمة ﴿ولئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ وهذا ما يجب على الوالي للرعية، ثمّ أردفه ببيان ما يجب له عليهم وهي أُمور خمسة أشار إلى أوّلها بقوله:

[**ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم بشر إلا في حرب**] أي: لا أستتر بأمر لا أُظهركم عليه إلا في الحرب وذلك لأنّ الحرب تحمد فيه طيّ

ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم ولا أؤخّر لكم حقّاً عن محلّه ولا أقف به دون مقطعه وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء فإذا فعلتُ ذلك وجبت للّه عليكم نعمة

الأسرار وهو خدعة، ولأنّه لو شاورهم في الحرب ربّما لا يختار الحرب فلو توقّف على مشورتهم فيه لما استقام الأمر ولذلك كان عليه السلام كثيراً ما يحملهم على الجهاد ويتضجّر من تثاقلهم وهم له كارهون وأمر الحرب مبني على الكتمان خوف انتشاره إلى العدوّ فيكون سبب استعداده وتأهّبه للحرب.

وقوله عليه السلام: [**ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم**] أي: أُظهركم على كلّ ما في نفسي ممّا يحسن إظهاركم عليه، إلا في الأحكام الشرعية والقضاء على أحد الخصمين فإنّي لا أُعلمكم به قبل وقوعه كيلا يختلّ النظام بأن يحتال ذلك الشخص بأمر ليصرف الحكم عنه أو المراد بالحكم الحدود ونحوها فإنّه يقضي فيه من غير مراقبة ومشاورة وشفاعة، واستعار الطيّ لكتمان الأمر.

[**ولا أُؤخّر لكم حقّاً عن محلّه**] كالعطاء وسائر الحقوق اللازمة.

[**ولا أقف به دون مقطعه**] كالأحكام المتعلّقة بالمخاصمين المحتاجة إلى الفصل والحقّ هنا غير العطاء قال زهير: فإنّ الحقّ قطعه ثلاث يمين أو نفاد أو جلاء أي: متى تعيّن الحكم حكمت به وقطعت ولا أقف ولا أتجسس.

[**وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء**] لا أُرجّح بعضكم على بعض، ثمّ لمّا استوفى عليه السلام ما شرط لهم قال: [**فإذا فعلتُ ذلك**] أي: إذا أنا وفيت بما شرطت على نفسي.

[**وجبت للّه عليكم نعمة**] ثمّ أخذ في الاشتراط عليهم كما يشترط

ولي عليكم الطاعة وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرّطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ فإن لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممن اعوجّ منكم ثمّ أعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من أُمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح اللّه به أمركم

لهم فقال:

[**ولي عليكم الطاعة**] إذ لا حجّة لهم عليه تكون سبباً لعصيانهم.

[**وأن لا تنكصوا عن دعوة**] والنكوص: الرجوع على الأعقاب، أي: لا تتقاعسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه.

[**ولا تفرّطوا في صلاح**] أي: إذا أمكنتكم فرصة ورأيتم مصلحة في حرب العدوّ أو حماية الثغر فلا تفرّطوا فيها فتفوت.

[**وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ**] أي: تكابدوا المشاقّ العظيمة ولا يهولنّكم خوضها إلى الحقّ، والغمرة: الشدّة، ثمّ أردف ذلك بالوعيد لهم إن لم يقوموا بحقّهم فقال:

[**فإن لم تستقيموا لي على ذلك**] الذي وجب لي عليكم [**لم يكن أحدٌ أهون عليّ ممن اعوجّ منكم ثمّ أعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة**] توعّدهم عليه السلام بأمرين: أحدهما هو أنّ العوج منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته، والثاني إعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده.

[**فخذوا هذا من أُمرائكم**] أي: خذوا هذا البيان الواضح والنصح منّي وممن يقوم في الخلافة مقامي بعدي من الحجج.

[**وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح اللّه به أمركم**] من الطاعة والانقياد ولما يأمرونكم به.

إلى عـمّاله على الخـراج: سن عـبـداللّه عليّ أميـرالمؤمـنين إلى أصحاب الخراج، أمّا بعد، فإنّ من لم يحذر ما هو صـائر إليه لم يقدم لنفسه مـا يحرزها واعلوا إنّما كُلّفتم يسيراً وإنّ ثوابه كـثير ولو لم يكن فيها نهي اللّه عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف،

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى عـمّاله على الخـراج: من عـبـداللّه عليّ أمـيـرالمؤمنين إلى أصـحاب الخراج، أمّا بعـد، فـإنّ من لم يـحـذر مـا هو صـائر إليـه**] من العواقب المخوّفة. [**لم يقدم لنفسه ما يحرزها**] أي: استعداداً يحرزها منها، فإنّ الإنسـان إنّما يستعـدّ للأمر المرغـوب والمرهوب إذا رغب فيه أو خـافه، وهذا الكلام في معـرض التوبيخ على ترك الحذر لغرض تقديم طاعته ومـا يستعدّ به الإنسان مما يحزن نفسه من عقاب اللّه.

[**واعلوا إنّمـا كُلّفتـم يسيـراً**] إذ كُلّفـتـم مـا هو في وسـعكم دون طاقتكم، كـما قال تعـالى: ﴿لا يكلّف اللّه نفساً إلا وسعها﴾ وقال: مـا جعل عليكم في الدّين من حرج﴾ وقال: ﴿يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ والغرض من ذلك تسهيل الأمر لهم.

[**وإنّ ثوابه كثير**] والغرض منه الترغيب والكلام بمنزلة صغرى وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك يوجب القيام به والاجتهاد فيه وفي الدعاء «يا من يعطي بالقليل الكثير».

[**ولو لم يكن فيها نهي اللّه عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف،**

لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنّكم خزّان الرعية وكلأ الأُمّة وسفاء الأئمّة ولا تجشموا أحداً عن حاجة ولا تحبسوه عن طلبه

لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه] أي: لو قدّرنا أنّ القبائح الثقيلة كالظلم والبغي لا عقاب في فعلها، بل في تركها ثواب فقط، لم يكن الإنسان معذوراً إذا فرّط في ذلك الترك؛ لأنّه يكون قد حرم نفسه نفعاً هو قادراً على إيصاله إليها، فكيف وفي فعله العقاب الأليم، فبالألوى أن يجب تركه، والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم، ثمّ أردف ذلك ببيان جملة من الواجبات والمحرّمات فقال:

[**فأنصفوا الناس من أنفسكم**] فإنّ سيّد الأعمال الإنصاف من النفس ومن أنصف من نفسه رضي به حكماً لغيره.

[**واصبروا لحوائجهم**] لتنظيم أُمور مصالحهم [**فإنّكم خزّان الرعية وكلأ الأُمّة**] على بيت مالهم [**وسفاء الأئمّة**] أي: وسفراء أئمّتهم إليهم، وهو في قوّة صغرى وتقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فعليه النصفة في حقّهم والصبر على حوائجهم، ثمّ ذكر من النواهي ستة فقال:

[**ولا تجشموا أحداً عن حاجة**] أي: لا تغضبوا طالب حاجة فتقطعوه عن طلبتها ولا تجبهوه فيستحي عن حاجته، يقال: جشمته أي: أخجلته، وأحجمته: أغضبته، والاسم الحشمة، وهي الاستحياء والغضب.

[**ولا تحبسوه عن طلبه**] أي: لا تمنعوا أحداً عن حاجته وتحتجبوا دونه.

ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابّة يعتملون عليها ولا عبداً ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تَمَسُّنَّ مال أحد من الناس مصلٍّ ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام ولا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليهم ولا تدّخروا أنفسكم نصيحة ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين اللّه قوة وأبلوا في سبيله ما

[**ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابّة يعتملون عليها ولا عبداً**] أي: لا تحوجوا أحداً في طلب الخراج إلى بيع ما يضطرّ إليه من كسوة أو دابّة ينتفع بها في عمل ولا عبد [**ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم**] إذ ليس من السنّة استخراج ما يستحقّ من الأموال شرعاً بالضرب والمراد بالدرهم جنسه.

[**ولا تَمَسُّنَّ مال أحد من الناس مصلٍّ ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به على أهل الإسلام**] أي: لا تأخذوا من مال أحد من أهل القبلة أو المعاهدين من أهل الكتاب شيئاً إلا أن يكون فرساً أو سلاحاً يعدى به على المسلمين والإسلام فإنّه يجب أخذه من أيدي أعدائهم.

[**ولا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليهم**] وعوناً [**ولا تدّخروا أنفسكم**] أي: عن أنفسكم [**نصيحة**] بل ينصح بعضكم لبعض فالمؤمنون كنفس واحدة.

[**ولا عن الجند حسن سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين اللّه قوة وأبلوا في سبيله**] أي: اصطفوا من المعروف في سبيل اللّه، [**ما**

استوجب عليكم فإنّ اللّه سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوّتنا ولا قوّة إلا باللّه إلى أُمراء البلاد في معنى الصلاة أمّا بعد، فصلّوا بالناس الظهر حين يفيء الشمس مثل مربض العنز وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة

استوجب عليكم] من شكر نعمته وطاعته.

ثمّ علّل وجوب ذلك بقوله: **[فإنّ اللّه سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوّتنا]** أي: إنّه تعالى جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوّتنا ـــــــ عندنا إذ كان شكره ونصرته من أعظم نعمه علينا، وقيل: المراد لأن نشكره، والكلام في قوّة صغرى وتقدير كبراه: وكلّ ما اصطنع عندنا وجب علينا شكره بحسب قوّتنا.

[ولا قوّة إلا باللّه] العليّ العظيم.

ومن كتاب له عليه السلام كتبه

[إلى أُمراء البلاد في معنى الصلاة] المفروضة وبيان أوقاتها:

[أمّا بعد، فصلّوا بالناس الظهر حين يفيء الشمس مثل مربض العنز] فيء الشمس: رجوعها وميلها إلى المغرب، ومربض العنز: مكان ربوضه، وذلك نحو ذراع تقريباً أو أكثر وهو أوّل وقت الظهر، ويختلف باختلاف البلدان.

[وصلّوا بهم العصر والشمس بيضاء] أي: لم تصفرّ للمغيب **[حيّة]**

في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث اللّيل وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلّوا بهم صلاة أضعفهم ولا تكونوا فتّانين

استعار لفظ الحياة لظهورها على الأرض لمكان المشابهة.

وقوله: [**في عضو من النهار**] أي: في قطعة منه. ثمّ قدّر ذلك العضو بقوله: [**حين يسار فيها فرسخان**] السير المعتاد، وقيل: وهذا يطابق صيرورة الظلّ مثليه.

[**وصلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج**] ويفيض من عرفات، وبشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما عند المخاطبين عرّفه بهما.

[**وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق**] وذلك من ناحية المغرب.

[**إلى ثلث اللّيل**] وإنّما حدّ آخر هذا الوقت دون سائر الفرائض لأنّ الفرائض يتبيّن آخر كلّ وقت منها ببيان أوّل وقت الأُخرى، ولا كذلك آخر وقت العشاء الآخرة؛ لاتصاله باللّيل الخالي عن الفرائض.

[**وصلّوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه**] وذلك حين طلوع الفجر الثاني، وهو الحمرة المعترضة من ناحية الشرق، والعلامة التي ذكرها أوضح لسائر الناس.

[**وصلّوا بهم صلاة أضعفهم**] وهو أن لا يطيلوا في الصلاة في قرائتها أو قيامها أو ركوعها أو سجودها.

[**ولا تكونوا فتّانين**] بإطالة الصلاة، فتصدّون الناس عنها بإطالتها المستلزمة لتخلّف العاجز والضعيف وغيرهما.

كتبه للأشتر النخعي «رض» على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر «رض» وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبداللّه عليّ أميرالمؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها وإصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى اللّه وإيثار طاعته واتّباع ما أمر به في كتابه من

ومن عهد له عليه السلام

[**كتبه للأشتر**] مالك بن الحرث [**النخعي «رض» على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر**] أميره [**محمّد بن أبي بكر «رض» وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن**] وفيه من الحكم والآيات والمصالح ما لا يكاد يوجد في غيره:

[**بسم اللّه الرحمن الرحيم**

هذا ما أمر به عبداللّه عليّ أميرالمؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها وإصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى اللّه] وخشيته التي هي أصل الفضائل ومنبع الفضائل.

[**وإيثار طاعته**] على طاعة غيره [**واتّباع ما أمر به في كتابه من**

فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتّباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر اللّه سبحانه بيده وقلبه ولسانه فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويَزَعَها عند الجمحات فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم اللّه ثمّ اعلم يا مالك إنّي قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول

فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتّباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر اللّه سبحانه بيده] كالجهاد بالسيف والضرب والتأديب والحدود والتعزيرات.

[**وقلبه**] كالاعتقاد الحقّ والحبّ في اللّه والبغض في اللّه.

[**ولسانه**] كقول الحقّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك.

[**فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن تنصروا اللّه ينصركم﴾ وقوله تعالى: ﴿ولينصرنّ اللّه من ينصره﴾.

[**وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات**] وهو أمر بفضيلة العفّة [**ويَزَعَها**] أي: يكفّها ويقاومها [**عند الجمحات**] أي: عند منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها.

[**فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم اللّه**] مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربّي﴾ و«ما» بمعنى «مَنْ» وهي نصب على الاستثناء، أي: إلا نفساً رحمها ربّي.

[**ثمّ اعلم يا مالك إنّي قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول**

قبلك من عزل وجور وإنّ الناس ينظرون من أُمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري اللّه لهم على ألسن عباده فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك

قبلك من عزل وجور وإنّ الناس ينظرون من أُمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم] يعني انّك قد كنت تسمع أخبار الولاة قبلك وتعيب قوماً وتمدح قوماً، وستقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنتَ تقول في الأُمراء، فاحذر أن تُعاب وتُذمّ ما كنت تعيب وتذم من يستحقّ الذمّ، الكلام بمنزلة صغرى تقديرها: إنّك متوجّه إلى بلد حالها كذا وحال الناس في فعلك بها كذا، وتقدير الكبرى: وكلّ من وجّه إلى بلدة كذلك وكان الناس ينظرون في أمره مثل ما كان ينظر قبله من أمر الولاة ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم، فيجب عليه أن يكون أحبّ الأُمور إليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدالّ على كون المذكور عند اللّه من الصالحين، ونبّه على تلك الدلالة بقوله:

[وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري اللّه لهم على ألسن عباده] في نسبة إجراء القول إلى اللّه ترغيبٌ عظيم في تحصيل الذكر الجميل.

ثمّ قال: **[فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح]** استعار لفظ الذخيرة باعتبار أنّ تحصيله في الدنيا لغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة، ولمّا أمره بالعمل الصالح إجمالاً شرع في تفصيله فقال:

[فاملك هواك] في شهوتك وغضبك ولا تتبعهما.

وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك فإنّ الشحّ بالنفس الانتصاف منها فيما أحبّت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللّطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق يفرط مهم الزلل وتفرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ

[**وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك**] من المحرّمات [**فإنّ الشحّ بالنفس الانتصاف منها فيما أحبّت أو كرهت**] تفسير لذلك الشحّ بما يلازمه، وهو الانصاف والوقوف على حدّ العدل في المحبوب فلا شهوته إلى حدّ الإفراط فيقع في رذيلة الفجور وفي دفع المكروه فلا يقوده غضبه إلى طرف الإفراط من فضيلة العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهوّر، وظاهر أنّ ذلك شحّ بالنفس وبخل بها عن إلقائها في مهاوي الهلاك.

[**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللّطف بهم**] وهي فضائل تحت ملكة العفّة، أي: اجعل هذه الفضائل شعاراً لقلبك.

[**ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً**] استعار السبع لهم ورشحه بالضاري، وأشار إلى وجه الشبه بقوله:

[**تغتنم أكلهم**] وقوله: [**فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق**] بيان لسببين من أسباب الرحمة واللّطف بهم، يعني انّ الرعية إمّا أخوك في الدّين أو إنسان مثلك يقتفي رقّة الجنسية بطبع البشرية الرحمة له.

وقوله: [**يفرط مهم الزلل وتفرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ**] تفسير للمثلية وهي السبب الثاني، والمراد بالعلل التي

فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك اللّه من عفوه وصفحه فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، واللّه فوق من ولاّك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم فلا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه فإنّه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته

تعرض لهم الأُمور المشغلة الصارفة لهم عمّا ينبغي من إجراء أوامر الوالي على وجوهها، وقوله: «ويؤتى على أيديهم» كناية عن كونهم غير معصومين بل هم كمن يؤتون من قبل العمد والخطأ وتأتي على أيديهم، أو أمر الولاة والمؤاخذات فيما يقع منهم من عمد أو خطأ، وتقدير الكبرى: وكلّ من كان كذلك فينبغي أن يرحم ويشمل بالتحيّة واللّطف به ويقابل خطائه بالعفو والصفح ولذا رغّب في العفو بقوله:

[**فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك اللّه من عفوه وصفحه**] أتمّ ترغيب في العفو وأقوى جاذب إليه.

وكذا قوله: [**فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، واللّه فوق من ولاّك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم**] تخويف من اللّه في معرض الأمر بالعوف واللّطف.

وقوله: [**فلا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه**] كناية عن الغلظة على عباده وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالظلم.

[**فإنّه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته**] تنبيه على عدم جواز ظلم اللّه ومحاربته، وكنّى بعدم اليدين عن عدم القدرة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد: إذا كان مما لا يطاق، وحذف النون من يدين لمضارعة المضاف، وقيل: لكثرة الاستعمال، والكلام بمنزلة صغرى تقدير كبراه:

ولا تندمن على عفو ولا تبجّحنّ بعقوبة ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولنّ إنّي مؤمّر آمر فأُطاع فإنّ ذلك إذعان في القلب ومنهكة للدّين وتقرّب من الغير وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهته أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك اللّه فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك

وكلّ من كان كذلك فلا يجوز أن ينتصب لحرب اللّه بظلم عباده.

[**ولا تندمن على عفو ولا تبجّحنّ بعقوبة ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة**] فإنّ ذلك كلّه من لوازم إعطاء القوّة الغضبية قيادها.

[**ولا تقولنّ إنّي مؤمّر آمر فأُطاع**] نهاه أن يأمر بما لا ينبغي الأمر به ويخالف الدّين، ونهى عمّا عساه يعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق لإمرته عليهم، وإنّ عليهم أن يسمعوا وعليه أن يأمر، فإنّ ذلك فساد في القلب والدّين، كما أشار إليه بقوله:

[**فإنّ ذلك إذعان في القلب**] أي: إفساد [**ومنهكة**] أي: ضعف وسقم [**للدّين وتقرّب من الغير**] لكون الظلم من أقوى الأسباب المعدّة باجتماع همّ الخلق على زواله كما أُشير إليه في القرآن بقوله تعالى: ﴿إنّ اللّه لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾.

[**وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبّهته**] أي: عظمة [**أو مخيلة**] أي: كبرياء [**فانظر إلى عظم ملك اللّه فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك**] وما لا تملكه من أمرك وعلى إعدامك وإيجادك وإغنائك وإفقارك، وأنت لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك ويكفّ عنك من غربك ويضيء إليك بما عزب عنك من عقلك وإيّاك ومساماة اللّه في عظمته والتشبّه به في جبروته فإنّ اللّه يذلّ كلّ جبار ويهين كلّ مختال أنصف اللّه وأنصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك فإنّك إن لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد اللّه كان اللّه خصمه دون عباده

[**فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك ويكفّ عنك من غربك ويضيء إليك بما عزب عنك من عقلك**] يطامن أي: يسكّن، وطماح النفس: جماعها، وطمح البصر: ارتفع، والعزب: حدّ السيف، وعزب الفرس: حدّته وأوّل جريه، يعني إنّ النصر إلى عظم اللّه وقدرته يسكّن داء الكبر الذي حدث لك ويكسر حدّة عقبك ويردّ إليك ما قهرته القوّة الغضبية من عقلك.

[**وإيّاك ومساماة اللّه في عظمته**] أي: مباراته في السموّ: وهو العلوّ.

[**والتشبّه به في جبروته**] والجبروت: الكبر العظيم.

[**فإنّ اللّه يذلّ كلّ جبار ويهين كلّ مختال**] قيل: تقدير الاحتجاج انّك إن تجبّرت أو ختلت يذلّك اللّه ويهينك وكلّ من كان كذلك فيجب أن يحذر من اللّه بترك التجبّر.

[**أنصف اللّه**] بالعمل بأوامره والاجتناب عن نواهيه مقابلاً بذلك نعمه الكاملة.

[**وأنصف الناس**] بالعدل فيهم والخروج إليهم من حقوقهم اللازمة [**من نفسك ومن خاصّة أهلك فإنّك إن لا تفعل**] ذلك [**تظلم**] عباد اللّه [**ومن ظلم عباد اللّه كان اللّه خصمه دون عباده**] وينتج انّك إن لا تفعل

ومن خاصمه اللّه أدحض حجّته وكان للّه حرباً حتّى ينزع ويتوب وليس شيء ادعى إلى تغيّر نِعَم اللّ وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ اللّه يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحبّ الأُمور إليك أوسطها في الحقّ وأعمّها في العدل وأجمعها لرضا الرعية فإنّ سخط العامة بل يجحف برضا الخاصّة

كان اللّه خصمك.

[**ومن خاصمه اللّه أدحض حجّته**] أي: أبطلها [**وكان للّه حرباً حتّى ينزع**] عمّا كان عليه [**ويتوب**] إلى اللّه [**وليس شيء ادعى إلى تغيّر نِعَم اللّ**] على العبد [**وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنّ اللّه يسمع دعوة المظلومين**] ويطّلع على فعل الظالم.

[**وهو للظالمين بالمرصاد**] وإذا كان كذلك فإنّه يسرع إلى تغيير نعمة الظالم وتعجيل نقمته؛ إذ هو مستعدّ لذلك.

[**وليكن أحبّ الأُمور إليك أوسطها في الحقّ**] أي: أقربها إلى حاقّ الوسط من طرفي الإفراط والتفريط وهو الحق.

[**وأعمّها في العدل وأجمعها لرضا الرعية**] فإنّ العدل قد يوقع على وجه لا يعمّ العامّة بل يتبع فيه رضى الخاصّة، كما نبّه على ذلك بقوله:

[**فإنّ سخط العامة**] لكثرتهم لا يقاومه رضا الخاصّة لقلّتهم [**بل يجحف برضا الخاصّة**] ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامّة، وذلك يؤدّي إلى وهن الدّين وضعفه وحينئذ فاللازم العدل العام في الرعية وحفظ قلوب العامّة.

وإن سخط الخاصّة قد يفتقر مع رضا العامّة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء وأقلّ معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقلّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصّة وإنّما عمود الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامّة من الأُمّة

[وإن سخط الخاصّة قد يفتقر مع رضا العامّة] فكان رضاهم أولى.

ثمّ شرع في وصف الخاصّة بصفات مذمومة تستلزم قلّة الاهتمام بهم بالنسبة إلى العامّة بصفات محمودة توجب العناية بهم فقال:

[وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء وأقلّ معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقلّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصّة] أمّا الأول فلتكلّفه لهم ما لا يتكلّفه لغيرهم، وأمّا الثاني فلمحبّتهم الدنيا وعزّة جانبهم، وأمّا الثالث فلكونهم أكره للإنصاف لزيادة أطماعهم في الدنيا على العامّة، وأمّا الرابع فلأنّهم عند الحاجة إلى السؤال أشدّ جرأة على الوالي وأطمع في إلانة جانبه، وأمّا الخامس فلاعتقادهم زيادة فضلهم على العامّة وأنّهم أحقّ بما يُعطونه واعتقادهم حاجة الوالي إليهم وتخوّفه منهم، وأمّا السادس فلاعتقادهم فضيلة أنفسهم وكونهم واجبي قضاء الحقوق، وأمّا السابع فلتعوّدهم الترفّه وحرصهم على ما في أيديهم من الدنيا. ثمّ ذكر صفات العامّة ومدائحم فقال:

[وإنّما عمود الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامّة من الأُمّة] استعار لهم العمود باعتبار قيام الدّين بهم كقيام البيت بعموده وكونهم

فليكن صفوك لهم وميلك معهم وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنأهم عندك طلبهم لمصائب الناس فإنّ في الناس عيوباً والوالي أحقّ ممن سترها عليهم فلا تكشفنّ ما غاب عنك منها فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت

جماع المسلمين لكونهم الأغلب والأكثر والسواد الأعظم وكونهم العدّة للأعداء لكثرتهم أيضاً، ولأنّهم كانوا أهل الحرب في ذلك الزمان.

فلذا قال عليه السلام: [**فليكن صفوك لهم وميلك معهم**] لما عرفت من المرجحات [**وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنأهم**] أي: أبغضهم [**عندك طلبهم لمصائب الناس**] الذي لم يتحسّس على عيوبهم ويحفظها عليهم وينّم بها إلى الوالي وينمّ به إلى الوالي وغيره.

[**فإنّ في الناس عيوباً**] لا يخلون منها لأنّهم ليسوا بمعصومين.

[**والوالي أحقّ ممن سترها عليهم**] لأنّه بالنسبة إليهم كالوالد الشفيق والأُمّ البرّة بأولادها.

[**فلا تكشفنّ ما غاب عنك منها**] وذلك بقمع أهل النميمة وإبعادهم.

[**فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك**] أي: تطهّر الخلق مما ظهر لك من ذنوبهم، فمن ثبت عليه الزنا طهّرته بالحدّ مثلاً، وكذا سائر المعاصي التي فيها الحدود أو التعزيرات.

[**والله يحكم على ما غاب عنك**] لا معقّب لحكمه وهو خير الحاكمين.

[**فاستر العورة ما استطعت**] أي: بقدر استطاعتك، وفيه إشارة إلى

يستر اللّه منك ما تحبّ ستره عن رعيّتك اطلق على الناس عقدة كلّ حقد واقطع عنك سبب كلّ وتر وتغاب عن كلّ ما لا يصلح لك ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع فإنّ الساعي غاش وإن تشبّه بالناصحين ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل أو يعدك الفقر

أنّ كلّ عيب عورة.

[**يستر اللّه منك ما تحبّ ستره عن رعيّتك**] من الذنوب والعيوب، وكفى بذلك مرغّباً.

[**اطلق على الناس عقدة كلّ حقد**] أمره بنزع الحقد وعقد ما عقده في قلبه منه لكونه من الرذائل الموبقة.

[**واقطع عنك سبب كلّ وتر**] أي: حقد، وهو أمر بقطع أسبابه من قبول السعاة به وأهل النيميمة فإنّه إذا زجرهم وأهانهم ولم يصغ إليهم زُجروا عن النميمة والسعاية التي هي أعظم أسباب الحقد والغلّ.

[**وتغاب**] أي: تغافل [**عن كلّ ما لا يصلح لك**] أي: ما لا يقوم لك برهان ولا دليل قاطع على صحّته.

[**ولا تعجلنّ إلى تصديق ساع**] سعى بنميمة [**فإنّ الساعي غاش**] لكونه يثير الأحقاد والضغائن بين الناس ويذيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفسد في الأرض.

[**وإن تشبّه بالناصحين**] في إظهاره المودّهة لك والنصح بنشر عيوب الخلق بين يديك.

[**ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل أو يعدك الفقر**] لأنّه لا يشير إلا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما يستلزمه من

ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظنّ بالله

التخويف بالفقر وهو يعدل بك عن البرّ وصلة الأرحام وسائر أفعال الخير مما فيه فضل.

[**ولا جباناً يضعفك عن الأمور**] لأنّ الجبان لا يشير إلا بوجوب حفظ النفس والتخويف من العدوّ، وهو المصلحة التي يراها، وكلّ ذلك ضعف عن الحرب ومقاومة العدو.

[**ولا حريصاً يزيّن لك الشره بالجور**] وذلك لأنّ المصلحة عنده جمع المال وحفظه، وهو مستلزم للجور عن فضيلة العدل والقصد، والثلاث بمنزلة صغريات وتقدير الكبرى فيهنّ: وكلّ من كان كذلك فلا يجوز استشارته.

ثمّ أشار إلى ذمّ الثلاثة بنوع آخر فقال: [**فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى**] أي: أخلاق متفرّقة تحصل للنفس عن أصل واحد تنتهي إليه وهو المشار إليه بقوله:

[**يجمعها سوء الظنّ بالله**] لأنّ مبدء سوء الظنّ بالله عدم معرفته تعالى، فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فيّاض بالخيرات لمن استعدّ بطاعته لها فيسوء ظنّه به، وبأنّه لا يخلف عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر عن البذل وتلزمه رذيلة البخل. وكذلك الجبان جاهل به تعالى من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وغير عالم بسرّ قدّره فيسوء ظنّه بأنّه لا يحفظه من التلف ويتصوّر الإهلاك فيمنعه ذلك عن الإقدام في الحروب ونحوها فيلزمه رذيلة الجبن. وكذا الحريص يجهله تعالى من

شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزير أو من شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة فإنّهم أعوان الأثَمَة وإخوان الظَّلَمة وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه

الوجهين المذكورين فيسوء ظنّه به ويعتقد أنّه إذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل إليه تعالى ما يصلح حاله مما يسعى فيه ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص، فكانت هذه الأخلاق الثلاثة المذمومة راجعة إلى ما ذكره عليه السلام.

ثمّ قال عليه السلام: [**شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزير أو من شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة**] أي: خاصّة، وبطانة الرجل: خاصّته، نهاه عليه السلام أن يتّخذ بطانة قد كانوا من قبل بطانة الظلمة لأنّ الظلم وتحسينه قد صار ملكة ثانية في نفوسهم فيبعد أن يمكنهم أن يخلوا منها إذ قد صار كالخلق الغريزي اللازم لتكرارها وصيرورتها عادةً كما قال: [**فإنّهم أعوان الأثَمَة وإخوان الظَّلَمة وأنت واجد منهم خير الخلف**] أي: إنّك إذا أعرضت عنهم وتركتهم وجدت خلفاً خيراً منهم.

[**ممن له مثل آرائهم ونفاذهم**] بيانٌ يميّز مَنْ هو خير الخلف من الأشرار وهم الذين ينبغي أن يستعان بهم، وبيان لوجه خيريتهم بالنسبة إلى الأشرار وهو أن يكون له مثل آرائهم ونفاذهم في الأُمور.

[**وليس عليه مثل آصارهم**] جمع إصر: آثامهم.

[**وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه**] ثمّ رغّب عليه السلام في اتّخاذ هؤلاء أعواناً بقوله: [**أُولئك أخفّ عليك مؤنة**] لأنّ لهم

أُولئك أخفّ عليك مؤنة وأحْسَنُ لك معونةً وأقلّ لغيرك إلفاً فاتّخذ أُولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك ثمّ ليكن آثَرُهُم عندك أقْوَلَهُم لك بمرِّ الحقّ، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك مما كره اللّه لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع

وازعاً من أنفسهم عمّا لا ينبغي لهم فلا يحتاج إلى إرضائهم بما ينبغي لهم أو ردعهم عمّا لا ينبغي إلى مزيد كلفة بخلاف الأشرار والطامعين فيما لا ينبغي.

[**وأحْسَنُ لك معونةً**] لقربهم إلى الحقّ ومجانبتهم للاشرار وأثبت قلوباً وأشدّ حنواً وعطفاً.

[**وأقلّ لغيرك إلفاً**] وكلّ من كان كذلك فينبغي أن يتّخذه عوناً ووزيراً ولذا قال:

[**فاتّخذ أُولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك**] أي: جلسائك في المحافل، ثمّ ميَّز من ينبغي أن يكون أقرب هؤلاء إليه وأقواهم في الاعتماد عليه بأوصاف أشار إليه بقوله:

[**ثمّ ليكن آثَرُهُم عندك أقْوَلَهُم لك بمرِّ الحقّ، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك مما كره اللّه لأوليائه**] وقوله: [**واقعاً ذلك من هواك حيث وقع**] نصب على الحال أي: في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلّة المساعدة حيث وقع من هواك سواءً كان في عظيم أو يسير، أو المعنى حيث وقع هواك سواء كان ما تهواه عظيماً أو لا، أو واقعاً ذلك الناصح من هواك ومحبّتك حيث وقع أي: يجب أن يكون له من هواك موقعاً. ثمّ أمره في اعتبارهم واختبارهم بأوامر أشار إليها بقوله:

والصق بأهل الورع الصدق ثمّ روّضهم على أن لا يطرون ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله فإنّ كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من الغرّة ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة

[**والصق بأهل الورع**] وأهل [**الصدق**] منهم وذوي الأعمال الجميلة، وهما فضيلتان تحت العفّة.

[**ثمّ روّضهم**] أدِّبهم [**على أن لا يطرون**] والاطراء: المدح البالغ.

[**ولا يبجّحوك بباطل لم تفعله فإنّ كثرة الاطراء تحدث الزهو**] أي: الكبر [**وتدني من الغرّة**] أمره عليه السلام أن يروّضهم ويؤدّبهم بالنهي عن الإطراء له أو يوجبوا له سروراً بقوله باطل ينسبونه فيه إلى فعل ما لم يفعله فيدخل في ضمن قوله تعالى: ﴿ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ واستلزام الإطراء للرذيلتين المذكورتين ظاهر وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فيجب اجتنابه.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة**] فإنّ أكثر فعل الإحسان إنّما يكون طلباً للمحاذاة بمثله خصوصاً من الولاة، وطلباً لزيادة الرتبة على الغير وزيادة الذكر الجميل مع أنواع من الكلفة في ذلك فإذا رأى المحسن مساواة منزلته بمنزلة المسيء كان ذلك صارفاً له عن الإحسان وداعياً إلى الراحة من تكلّفه وكذلك أكثر التاركين للإساءة إنّما يتركون خوفاً من الولاة وإشفاقاً من نقصان الرتبة عن النظراء، فإذا رأى المسيء مساواة رتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير به أولى،

واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيّته من إحسانه وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً وإنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية

وتقدير كبراه: وكلّما كان فيه تزهيد للإحسان منزلة الإحسان ويلزم المسيء منزلة الإساءة.

[واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيّته من إحسانه وتخفيفه المؤونات عليهم] تنبيهٌ له على الإحسان للرعية وتخفيف المؤونات عنهم.

[وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم] بما يستلزمه ذلك من حسن ظنّه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة إليهم، وذلك أنّ الوالي إذا أحسن إلى رعيّته قويت رغبتهم إليه وأقبلوا بطاعتهم على محبّته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنّهم به فلا يحتاج معهم إلى كلفة في جمع أهوائهم والاحتراس من شرورهم، كما قال:

[فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً وإنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده] ثمّ قال: **[ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمّة]** أي: لا تترك سنّة صالحة قد عمل بها السلف الصالح من صدور هذه الأمّة.

[واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية] فإنّ ذلك مفسدة

ولا تحدثنّ سنّة بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقصت منها وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وبإقامة ما استقام به الناس قبلك منها واعلم أنّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غناء بعضها عن بعض فمنها جنود

ظاهرة في الدّين.

[**ولا تحدثنّ سنّة بشيء من ماضي تلك السنن**] وأشار إلى وجه الفساد بقوله: [**فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقصت منها**] والضمير في «سنّها» يعود إلى السنن التي دخل عليها الضرر فيكون الأجر لمن سنّ السنّة الماضية التي أضرّت بها سنّتك الحادثة والوزر عليك بما نقصت منها، وهذا بمنزلة صغرى وتقدير كبراهك وكلّما كان كذلك فينبغي أن يجتنب وينفر عنه.

[**وأكثر مدارسة العلماء**] بأحكام الشريعة وقوانين الدِّين.

[**ومناقشة الحكماء**] أي: العارفين باللّه واسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكميّة العلميّة والعمليّة التجريبيّة والاعتبارية وتصفّح أنواع الأخبار والآثار.

[**في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك**] من القواعد والقوانين [**وبإقامة ما استقام به الناس قبلك منها**]. ثمّ نبّه عليه السلام على طبقات الناس الذين ينتظم بهم أمر المدينة فقال:

[**واعلم أنّ الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غناء بعضها عن بعض**] فهم كأصابع اليد يحتاج بعضها إلى بعض [**فمنها جنود**

اللّه ومنها كتّاب العامّة والخاصّة ومنها قضاة العدل ومنها عمّال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس ومنها التجّار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلّ قد سمّى اللّه له سهمه ووضع على حدّه فريضته في كتابه أو سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله عهداً منه محفوظاً عند أهل بيته فالجنود بإذن اللّه حصون الرعية

اللّه ومنها كتّاب العامّة والخاصّة ومنها قضاة العدل ومنها عمّال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس] تفصيل للاهل الأوّل، فأهل الذمّة تفسير لأهل الجزية، ومسلمة الناس تفسير لأهل الخراج ويجوز أن يكون تفسيراً لأهل الجزية والخراج؛ لأنّ للإمام أن يقبل من الخراج من سائر المسلمين وأهل الذمّة.

ثمّ قال: [**ومنها التجّار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلّ قد سمّى اللّه له سهمه ووضع على حدّه فريضته في كتابه أو سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله عهداً منه محفوظاً عند أهل بيته**] وأراد بالسهم ما ذكره اللّه في كتابه بقوله: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين ...﴾ إلخ، وفصّلته السنّة.

ثمّ شرع عليه السلام في تفصيل وبدء بالجنود لأنّهم الأصل وذكر وجه الحاجة إليهم في أربعة أوصاف فقال:

[**فالجنود بإذن اللّه**] في هذا القيد تنبيهٌ على إرادة جنود الحقّ الذين هم مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود.

[**حصون الرعية**] استعار الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم

وزين الولاة وعزٌّ للدّين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم ثمّ لا قوام للجنود إلا بما يخرج اللّه لهم من الخراج الذي يتقوون به على جهاد عدوّهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثمّ لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب لما يحكون من المعاقد

لهم كالحصن.

[**وزين الولاة**] فإنّ الوالي بلا جند كأحد الرعية لا يبالى به ولا يطاع له أمر.

[**وعزٌّ للدّين**] أطلق عليهم لفظ العزّ إطلاقاً لإسم اللازم على ملزومه إذ كان العزّ للدّين لازماً لوجودهم.

[**وسبل الأمن**] باعتبار لزوم الأمن لوجود الجند في الطرق ونحوها، والكلام في قوّة صغرى وتقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فليس تقوم الرعية إلا به.

وقوله: [**وليس تقوم الرعية إلا بهم**] نتيجة القياس المذكور. وقوله: [**ثمّ لا قوام للجنود إلا بما يخرج اللّه لهم من الخراج الذي يتقوون به على جهاد عدوّهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم**] فيعلم ذلك أنّه لا قوام للجند إلا بما يخرج اللّه لهم من الخراج، ولمّا كان الخراج إنّما يحصل من جماعة من الرعية ولا يقوم الجند إلا بهم.

[**ثمّ لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب**] وإنّما جمعهم لأنّ وجه الحاجة إليهم واحد كما أشار إليه بقوله: [**لما يحكون من المعاقد**] جمع معقد مصدراً.

ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجّار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفّق بأيديهم ممن لا يبلغه رفق غيرهم ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يجوز رفدهم ومعونتهم

[ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواصّ الأُمور وعوامّها] فإنّهم أُمناء الوالي والروعية على ما يعمّهم من الأُمور ويخصّ كلاً منهم وعلى أيديهم تكون أحكام العقود وجميع المنافع، وهذا في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فحاجة الجند والرعية إليه ضروريّة.

ثمّ أشار إلى الصنف الرابع بقوله: **[ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجّار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم]** أي: منافعهم **[ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفّق بأيديهم ممن لا يبلغه رفق غيرهم]** وتوضيح ذلك إنّ كلّ ما يفعله التجّار من طلب الأمتعة وبيعها وشرائها ويقيمونه في الأسواق من ذلك وما يفعله الصنّاع من المنفعة بأيديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع به فهي مرافق ومنافع للرعية في مقام حاجتهم وضرورتهم وهو أيضاً في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فالحاجة إليه ضرورية.

ثمّ أشار إلى القسم الخامس بقوله: **[ثمّ الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة]** ونبّه على وجه الحاجة إليهم بقوله: **[الذين يجوز رفدهم ومعونتهم]** فإنّ رفد هؤلاء ومعونتهم يستلزم اجتماع هممهم وتوفّر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم يستنزل الرحمة وتنموا البركة من اللّه تعالى

وفي اللّه لكلّ سعة ولكلّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه فولِّ من جنودك أنصحهم في نفسك للّه ولرسوله ولإمامك وأطهرهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر يرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء وممّن لا يثيره العنف

لأهل المدينة ويدرك الثواب الأُخروي، فكانت الحاجة إليه داعية لذلك.

وقوله: [**وفي اللّه لكلّ سعة**] أي: في جود اللّه وعنايته ليعتمدوا على اللّه في تدبير أُمورهم إذ هو تعالى ربّ العناية الأُولى.

[**ولكلّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه**] ومراعاة كلّ واحد منهم واجبة عليه، ثمّ أخذ عليه السلام في أمره باستصلاح كلّ صنف بأوصاف يجب أن يكون عليها فقال:

[**فولِّ من جنودك أنصحهم في نفسك للّه ولرسوله ولإمامك وأطهرهم جيباً**] أي: أكثرهم أمانة في العمل بأوامر اللّه ورسوله وإمامه، وناصح الجيب كناية عن الأمين، ويكنّى عن العفّة والأمانة بطهارة الجيب؛ لأنّ الذي يسرق يحصل المسروق في جيبه.

[**وأفضلهم حلماً**] ثمّ وصف ذلك الأفضل بكونه [**ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر**] فيقبله إذا وجده [**يرؤف بالضعفاء**] فلا يغلظ عليهم [**وينبو على الأقوياء**] أي: يعلو عليهم ويتجنّب الميل إليهم على من دونهم.

[**وممن لا يثيره العنف**] أي: لا يكون له عنف فيثيره، وقيل المعنى: لا يهيجه العنف ولا يزعجه إذا فعل.

[**ولا يقعد به الضعف**] عن إقامة حدود اللّه وأخذ الحقوق من

ولا يقعد به الضعف ثمّ الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثمّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنها جماع من الكرم وشعف من العرف تفقّد من أُمورهم ما يتفقّده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن من نفسك شيء قوّيتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ

الظالمين، أي: لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك.

[ثمّ الصق بذوي الأجساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة] من الأحول والأفعال والأقوال الخيريّة، أي: يكرمهم ويجعل معوّله في ذلك عليهم ولا يتعدّاهم، وكان يقال «عليكم بذوي الأحساب فإنّهم إن لم ينكرموا استحيوا.

[ثمّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنها جماع من الكرم وشعف من العرف] «من» هنا زائدة في الإيجاب على مذهب الأخفش، أي: جماع الكرم أي: مجمعه، وفي النبوي: «الخمر جماع الإثم» أي: مجمعه، وكذا قوله: «شعب من العرف» أي: شعب العرف أي: أقسامه وأجزائه، والعرف: المعروف، ويجوز كون «من» للتبعيض، أي: هذه الخلال جملة من الكرم وأقسام من المعروف وذلك لأنّ غيرها أيضاً من الكرم والمعروف نحو العدل والعفّة.

[تفقّد من أُمورهم] ومصالحهم **[ما يتفقّده الوالدان من ولدهما]** كنّى به عن نهاية الشفقة عليهم.

[ولا يتفاقمن] يقال: تفاقهم الأمر أي: عظم.

[من نفسك شيء قوّيتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ]

فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظنّ بك ولا تدع تفقّد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإنّ لليسير من لطفه موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقفاً لا يستغنون عنه وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدّته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهلهم حتّى يكون همّهم همّاً واحداً

نهاه أن يعظم في نفسه شيء يقوّيهم به من مال أو نفع فيدّعوه إلى التقاطه في حقّهم وأن لا يحتقر لطفاً يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه بل الأولى فعله وإن قلّ.

[**فإنّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظنّ بك**] وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فالأولى بك فعله.

[**ولا تدع تفقّد لطيف أُمورهم اتكالاً على جسيمها**] أي: لا تترك تفقّد الحقير من أُمورهم اعتماداً على تفقّد عظيمها.

[**فإنّ لليسير من لطفه موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقفاً لا يستغنون عنه**] فإنّ موضع اليسر المنتفع به يستغنى فيه عن الجسيم.

[**وليكن أثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدّته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهلهم**] أو ممن يخلفونه من أولادهم وأهلهم، أمره أن يكون أثر رؤوس جنده عنده وأحظاهم وأقربهم إليه من يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما في يده بما يسعهم ويسع من ورائهم من ضعفاء أهليهم ومخلفيهم.

[**حتّى يكون همّهم**] بذلك [**همّاً واحداً**] فيكونوا بمنزلة رجل واحد

في جهاد العدوّ فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا يصحّ نصحهم إلا بحيطهم على ولاة أمورهم وقلّة استثقال دولهم ترك استبطاء انقطاع مدّتهم فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم

[**في جهاد العدوّ**].

وقوله: [**فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك**] ترغيب في العطف عليهم بما يستلزمه من عطف قلوبهم عليه وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان مستلزماً لعطف قلوبهم ففعله واجب ومصلحة.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولا يصحّ نصحهم**] أي: نصيحة الجند لك ومحبّتهم إيّاك [**إلا بحيطهم**] ومحافظتهم [**على ولاة أمورهم**] أي: بتعطّفهم عليهم وتحنّنهم وهي الحيطة مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطةً أي: حيطة، أي: كلاه ورعاه.

[**وقلّة استثقال دولهم**] أي: لا يصحّ نصيحة الجند لك إلا إذا أحبّوا أُمرائهم ولم يستثقلوا دولهم.

[**ترك استبطاء انقطاع مدّتهم**] أي: لم يتمنوا زوالهم ويتركوا استبطاء انقطاع مدّة دولهم وهو أيضاً في قوة صغرى تقدير كبراه: وما لا يتمّ أهمّ المطالب إلا به كان من أهمّ المطالب.

ثمّ قال عليه السلام: [**فافسح في آمالهم**] أي: اجعل لهم من نفسك طمعاً يفسح به آمالهم فيه.

[**وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم**] أي: يذكر في المجالس والمحافل بلاء ذوي البلاء منهم.

فإنّ كثرة الذكر لحسن فعالهم يهزّ الشجاع ويحرّض الناكل ثمّ اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى ولا تضمّنّ بلاء امرئ إلى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونّك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ إلى أن يستصغر من بلائه ما كان عظيماً واردد إلى اللّه ورسوله ما يضعلك من الخطوب ويشتبه عليك من الأُمور

[**فإنّ كثرة الذكر لحسن فعالهم يهزّ الشجاع ويحرّض الناكل**] أي: يحرّك الجبان إن شاء اللّه تعالى، وهو في قوّة صغرى أيضاً تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك كان واجباً.

ثمّ قال: [**ثمّ اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى ولا تضمّنّ بلاء امرئ إلى غيره**] أي: اذكر كلّ من أبلى منهم بلاءً خاصّاً مفرداً غير مضموم، ذكر بلائه إلى غيره كيلا يكون مغموراً في جنب ذكر غيره.

[**ولا تقصرن به دون غاية بلائه**] فإنّ ذلك يهزّ الشجاع ويشجّع الجبان.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولا يدعونّك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ إلى أن يستصغر من بلائه ما كان عظيماً**] أي: لا تعظم بلاء ذوي الشرف لأجل شرفهم ولا تحقّر بلاء ذوي الضعة لضعة أنسابهم، فإنّ كلّ ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد، بل اذكر الأُمور على حقائقها.

ثمّ قال عليه السلام: [**واردد إلى اللّه ورسوله ما يضعلك**] أي: يؤذك ويثقلك [**من الخطوب ويشتبه عليك من الأُمور**] ولا تقولنّ في ذلك على

فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾ فالرادّ إلى الله الآخذ بمحكم كتابه، والراد إلى الرسول الآخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ممن لا تضيق به الأُمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزّلة ولا يحصر في العي إلى الحقّ إذا عرفه

رأيك وهواك وتقول في ذلك بغير علم.

[**فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول﴾ فالرادّ إلى الله الآخذ بمحكم كتابه، والراد إلى الرسول الآخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة**] لأنّ مدارها على وجوب الأُلفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله، ثمّ ذكر عليه السلام الصنف الثاني وهم قضاة العدل وعيّنهم بأوصاف معيّنة وأمره فيهم بأوامر فقال:

[**ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك ممن لا تضيق به الأُمور**] فيتحيّر فيها حين ترد عليه [**ولا تمحكه الخصوم**] أي: تجعله ماحكاً أي: لجوجاً.

[**ولا يتمادى في الزّلة**] أي: إن زلّ رجع وأناب، فالرجوع إلى الحقّ خير من التمادي في الباطل، وقيل: ذلك كناية عن كونه ممن ترتضيه الخصوم فلا تلاجّه وتقبل بأوّل قوله.

[**ولا يحصر في العي إلى الحقّ إذا عرفه**] أي: لا يعي في المنطق لأنّ من الناس من إذا زلّ حصر عن أن يرجع وأصابها كالفهاء والعي خجلاً،

ولا تسرف نسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلّهم تبرّعاً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشّف الأُمور وأصرمهم عند إيضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأُولئك قليل

وذلك يفعله قضاة السوء كثيراً خوفاً من شناعة الغلط.

[**ولا تسرف نسه على طمع**] أي: لا يسف، والإسراف والإسفاف والخوف فإنّ الطمع في الناس داعية إلى الحاجة إليهم والميل عن الحقّ.

[**ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه**] أي: يكون قانعاً بما يخطر له بادي الرأي من أمر الخصوم بل يستقصي ويبحث أشدّ البحث.

[**أوقفهم في الشبهات**] فإنّ الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

[**وأخذهم بالحجج وأقلّهم تبرّعاً بمراجعة الخصم**] أي: أقلّهم تضجّراً لما يستلزمه التضجّر من تضييع الحقوق.

وكذا قوله: [**واصبرهم على تكشّف الأُمور**] فإنّ القلق والضجر والتبرّم قبيحة، وأقبح ما يكون من القاضي.

[**وأصرمهم**] أي: أقطعهم وأمضاهم [**عند إيضاح الحكم**] والحقّ فإنّ في التأخير آفات.

[**ممن لا يزدهيه**] أي: لا يستخفّه [**إطراء**] أي: مدح [**ولا يستميله إغراء**] أي: تحريض.

[**وأُولئك قليل**] أي: الذين تجتمع فيهم هذه الصفات تنبيهاً على أنّ فيها ما هو أولى دون أن يكون شرطاً في القضاء.

ثمّ أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علّته وتقلّ معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك من اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار في الهوى ويطلب به الدّنيا

[**ثمّ أكثر تعاهد قضائه**] ليقطع طمعه في الانحراف عن الحقّ لو خطر بباله.

[**وافسح له في البذل ما يزيح علّته**] وهو كناية عمّا يكفيه.

[**وتقلّ معه حاجته إلى الناس**] فلا يميل إليه و«ما» يحتمل أن تكون بدلاً من البذل وأن تكون مفعولاً لفعل محذوف دلّ عليه البذل، كأنّه قال: فتبذل له ما يزيح علّته، و«ان» تكون مفعولاً ليفسح أي: يوسّع له ما يكفيه من الحال، و«ان» تكون في معنى مصدر أي: يفسح له فسحاً يزيل علّته.

[**وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك من اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك**] أي: في اختيار من كان بهذه الصفات وما أمرتك به.

[**نظراً بليغاً فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار في الهوى ويطلب به الدّنيا**] استعار الأسير باعتبار تصرّفهم فيه حسب أهوائهم وإراداتهم كالأسير، وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فيجب النظر في اختيار من يعمل فيه بالحقّ ويخرجه عن أسر الأشرار.

ثمّ شرع عليه السلام في حال الصنف الثالث وهم العمّال وميّزهم بأوصاف وأمره فيهم بأوامر فقال:

ثمّ انظر في أُمور عمّالك فاستعملهم اختباراً ولا تولّهم محاباة و اثرة فإنّهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدّمة فإنّهم أكرم أخلاقاً

[**ثمّ انظر في أُمور عمّالك**] وهم عمّال السواد والصدقات والوقوف والمصالح.

[**فاستعملهم اختباراً**] أي: بعد اختبارهم وتجربتهم [**ولا تولّهم محاباة**] أي: معاطاةً وتقرّباً لهم أو لمن يشفع فيهم. [و] لا [**اثرة**] وإنعاماً عليهم واستبداداً [**فإنّهما جماع**] أي: جمع [**من شعب الجور والخيانة**] يعني استعمالهم للمحاباة والأثرة جماع من شعب الجور والخيانة أي: يجمع أقساماً منهما، أمّا الجور فلأنّه يكون قد عدل عن المستحقّ إلى غير المستحقّ، ففي ذلك جور على المستحقّ، وأمّا الخيانة فلأنّ الأمانة تقتضي تقليداً لأعمال الأكفّاء فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاّه.

[**وتوخّ منهم**] والتوخي: التقصد [**أهل التجربة**] للأعمال والولايات ليعلم على علم بقواعدها.

[**والحياء**] فلا ينتهي في ـــــ إلى حدّ الاستحداء وهو طرف التفريط فتضيع به الحقوق والمصالح، ولا يتجاوزه إلى حدّ الوقاحة فيقع في طرف الإفراط وما يلزمه من الجفاوة ونفرة القلب عنه.

[**من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدّمة**] وهي كناية عن البيوتات المتقدّمة في الدّين والخير ولهم في ذلك أصل معروف.

[**فإنّهم أكرم أخلاقاً**] فإنّ الحياء وصلاح البيوت والتقدّم في الإسلام

وأصحّ أعراضاً وأقلّ في المطامع إشراقاً وأبلغ عواقب الأمور نظراً ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق فإنّ ذلك قوّة لهم عن استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك وثلموا أمانتك ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فإنّ تعاهدك في الشرّ لأمورهم حدوة على استعمال الأمانة و الرفق بالرعية

يفيدهم كرم الأخلاق.

[**وأصحّ أعراضاً**] أي: محافظة على الأعراض من المطاعن [**وأقلّ في المطامع إشراقاً**] أي: أقلّ تطلّعاً إلى المطامع الدنيّة.

[**وأبلغ عواقب الأمور نظراً**] لأنّ التجربة تفيدهم بلاغة النظر في عواقب الأمور، والكلام في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فهو أولى أن يقصد بالتولية والعمل.

[**ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق**] فإنّ الجائع لا أمانة له.

[**فإنّ ذلك قوّة لهم عن استصلاح أنفسهم**] الذي لابدّ منه [**وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم**] من مال المسلمين [**وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك وثلموا أمانتك**] استعار الثلم للخيانة، والوجوه الثلاثة بمنزلة صغريات تقدير كبراها: وكلّما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة.

[**ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون**] والجواسيس [**من أهل الصدق والوفاء عليهم فإنّ تعاهدك في الشرّ لأمورهم**] مع علمهم بذلك منك [**حدوة**] أي: يحدوهم ويبعثهم [**على استعمال الأمانة**] وأدائها فيما وُلّوا من الأعمال [**و**] على [**الرفق بالرعية**] وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه:

وتحفظه من الأعوان فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثمّ نصبته بمقام الذلّة ووسمته بالخيانة وقلّدته عار التهمّة وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب

وكلّما كان كذلك فيجب فعله.

[**وتحفظه من الأعوان**] أي: من خيانة الأعوان من العمّال.

[**فإنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثمّ نصبته بمقام الذلّة ووسمته بالخيانة وقلّدته عار التهمّة**] وهذه العقوبة مقدّرة بحسب رأي الإمام أو منصوبه، واستعار التقليد لتعليق نسبة التهمة إليه.

ثمّ انتقل عليه السلام إلى الصنف الرابع وهم أرباب الخراج ودهاقين السواد فقال:

[**وتفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله**] ثمّ أشار إلى وجه المصلحة بقوله: [**فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم**] تنبيهٌ على حصر صلاح الغير فيهم تأكيداً، وكلّ من كان لا صلاح للناس إلا به فيجب مراعاة أُمور وتفقّد أحواله.

[**لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله**] سيّما في ذلك الزمان.

[**وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب**

الخراج لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً فإن شكوا ثقلاً أو غلّة وانقطاع شرب أو بالّة أو إحالة أرض اغتمرها غرقٌ أو أجحف بها عطش

الخراج لأنّ ذلك] الخراج **[لا يدرك إلا بالعمارة]** أي: بعمارة الأرض.

[ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد] لعدم العمارة **[وأهلك العباد]** لتكلّفهم ما ليس في وسعهم.

[ولم يستقم أمره إلا قليلاً] أي: أمر الطالب للخراج والوالي على أهله، وكلّما لا يدرك إلا بالعمارة وجب أن يكون النظر فيها أبلغ من النظر فيه، فينتج أنّ النظر في العمارة يجب أن يكون أبلغ من النظر في الخراج.

[فإن شكوا] أي: الرعية **[ثقلاً]** أي: ثقل طسق الخراج المضروب عليهم أو ثقل وطأة العامل.

[أو غلّة] بالغين المعجمة نحو أن يصيب الغلّة آفة كالجراد والبرد وفي نسخة بالعين المهمة أي: علّة سماوية.

[وانقطاع شرب] أي: نصيب كان لهم من الماء بأن ينقص الماء في النهر أو يتعلّق أرض الشب عنه لفقد الحفر.

[أو بالّة] يعني المطر **[أو إحالة أرض اغتمرها غرقٌ]** يعني أو كون الأرض قد حالت ولم يحصل منها ارتفاع لأنّ الغرق غمرها وأفسد زرعها.

[أو أجحف بها عطش] أي: أقلقها، إذ قد يكون الشرب غير منقطع ومع ذلك يجحف بها العطش ولا يكفيها الماء الموجود في الشرب.

خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ولا يثقلنّ شيء عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فإنّهم ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلائك حسن نيّاتهم وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمائك لهم والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بَعْدُ احتملوه طيِّبَةً أنفسهم به

[**خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم**] من التخفيف [**ولا يثقلنّ شيء عليك شيء خففت به المؤنة عنهم**] فهو وإن أدخل على المال نقصاً في العاجل إلا أنّه يفضي إلى توفير وزيادة في الآجل، كما أشار إليه بقوله:

[**فإنّهم ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك**] فهو بمنزلة التجارة التي لابدّ فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه.

وقوله: [**وتزيين ولايتك**] إشارة إلى أنّه يفضي إلى تزيين البلاد بعمارتها.

[**مع استجلائك حسن نيّاتهم وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً**] منصوب على الحال، والضمير في خفّفت الأولى أي: خفّفت عنهم معتمداً في التخفيف.

[**فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمائك**] أي: تفرفيهك.

[**لهم والثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بَعْدُ احتملوه طيِّبَةً أنفسهم به**] أي: ربّما

فإنّ العُمران محتملٌ ما حمّلته وإنّما يُؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنّما يُعْوزُ أهلها لإشراف أنْفُس الولاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء ثمّ انظر في حال كتّابك فولّ على أمورك خيرهم

احتجت فيما بعد إلى أن تكلّفهم لحادث يحدث عنك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضاً لك أو معونة محضة فإذا كانت لهم ثروة وعندهم فضل نهضوا بمثل ذلك طيّبة أنفسهم.

[**فإنّ العُمران محتملٌ ما حمّلته**] يعني انّ التخفيف عنهم يستلزم عمران أرضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الأمور.

وقوله: [**وإنّما يُؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها**] أي: من فقرهم.

[**وإنّما يُعْوزُ أهلها لإشراف أنْفُس الولاة على الجمع**] أي: الموجب لإعوازهم طمع ولاتهم في الخيانة وجمع الأموال لأنفسهم ولسلطانهم.

[**وسوء ظنّهم بالبقاء**] أي: يظنّون طول البقاء وينسون الموت والزوال، أو المراد أنّهم يتخيّلون العزل والصرف فينتهزون الفرصة ويقتطعون الأمور ولا ينظرون في عمارة البلاد.

ثمّ شرع عليه السلام في بيان حال الصنف الخامس وهم الكتّاب الذين يلون أمر حضرته ويرسلوه عنه إلى عمّاله وأمراه وإليهم معاقد التدبير وأمر الديوان، فقال:

[**ثمّ انظر في حال كتّابك فولّ على أُمورك خيرهم**] وهو من كان تقيّاً قيّماً بما يراد منه من مصالح العمل.

واخصص رسائلك التي تُدْخِل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممّن لا تُبْطِرُه الكرامة فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملإٍ ولا تقصرُ به الغفلةُ عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك وإصدار جوباتها على الصواب عنك فيما يأخذُ لك ويعطي منك

[**واخصص رسائلك التي تُدْخِل فيها مكائدك وأسرارك**] وتدبيراك [**بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق**] وأُصولها من العلم بوجوه الآراء المصلحة والتهدّي إلى وضع كلّ شيء موضعه، ثمّ العفّة والشجاعة والعدالة مع ما تحت الأربعة من الفاضئل الخلقية، ثمّ فسّر بعض الفضائل التي عساها أن تخفى وذكر منها خمساً أشار إليها بقوله:

[**ممّن لا تُبْطِرُه الكرامة فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملإٍ**] عدم البطر فضيلة تلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفّة، إذ صاحب البطر يجتري على مخالفته في ملإٍ من الناس والردّ عليه في ذلك من الوهن للأمير وسوء الأدب الذي انكشف الكاتب عنه ما لا خفاء به، وهو في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من يجتري عليك كذلك فغير صالح لولاية أمرك.

[**ولا تقصرُ به الغفلةُ عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك**] وكنّى بذلك عن أن يكون فطناً ذكيّاً، والذكاء فضيلة تحت الحكمة.

[**وإصدار جوباتها على الصواب عنك فيما يأخذُ لك ويعطي منك**] أي: ليكن كاتبك غير مقصر غرض مكتوبات عمّالك وعليك والإجابة عنها حسن الوكالة والنيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم وما يصدره عنك لهم من الأجوبة فإن عقد لك عقد أقواه وأحكمه، وإن عقد

ولا يُضْعِفُ عقداً اعتقده لك ولا يعجزُ عن إطلاق ما عُقِدَ عليك ولا يجهلُ مبلغ قدر نفسه في الأُمور فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظنّ منك فإنّ الرجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن حديثهم وليس وراء ذلك من النصيحة والإنابة شيء

عليك عقد اجتهد في حلّه ونقضه كما قال:

[**ولا يُضْعِفُ عقداً اعتقده لك**] من الأُمور بل يجعله محكماً.

[**ولا يعجزُ عن إطلاق ما عُقِدَ عليك**] خصومك من الأُمور بالحيلة والخدعة، وهذان لازمان لأصالة الرأي وهي فضيلة تحت الحكمة.

[**ولا يجهلُ مبلغ قدر نفسه في الأُمور**] فيرفعها إلى فوق محلّها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية أيضاً.

[**فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل**] وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فيجب اجتنابه.

[**ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظنّ منك**] أي: لا يمكن اختيارك للعمّال تفرّساً منك وسكوناً وحسن ظنّ بأحدهم.

[**فإنّ الرجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن حديثهم**] يعني إنّ الرجال قد يتصنّعون بحسن الخدمة ويتعرّضون لأن يتفرّس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك.

[**وليس وراء ذلك من النصيحة والإنابة شيء**] أي: ليس وراء ذلك التصنّع من النصيحة والأمانة شيء، ولا طائل في المعرفة.

ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإنّ ذلك دليل على نصيحتك للّه لمن وليت أمره واجعل لرأس كلّ أمر من أُمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتّت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه أُلْزِمتَهُ

[**ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك**] أي: لكن ارجع في ذلك إلى ما حكمت به التجربة لهم وما ولوه لمن كان قبلك من الصالحين إرشاداً إلى وجه الاختبار.

[**فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً**] أي: أحسن أثراً في العامّة وأعرفهم بوجه الأمانة في الدّين.

[**فإنّ ذلك دليل على نصيحتك للّه لمن وليت أمره**] وكلّما كان كذلك يجب فعله.

[**واجعل لرأس كلّ أمر من أُمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتّت عليه كثيرها**] أمره ان يجعل لرأس كلّ أمر من أُمور رأساً من الكتّاب الموصوفين يكون مناسباً له بحيث لا يكبر عليه كبيرة فتقهره ولا يكثر عليه كثيرة فتشتّت عن ضبطه ويقصر دونه.

[**ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه أُلْزِمتَهُ**]. يعني انّه مأخوذ من اللّه تعالى بما يتغابى عنه ويتغافل من عيوب كتّابه، فإنّ الدّين لا ــــــ الإغضاء والغفلة عن الأعوان والخول ويوجب التطلّع عليهم.

ثمّ شرع في أحوال الصنف السادس وهم التجّار وذوي الصناعات فقال:

ثمّ استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فإنّهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلاّبها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك سهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فإنّهم سِلمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ

[ثمّ استوص بالتجار وذوي الصناعات] أي: أوص نفسك بهم [وأوص بهم] غيرك [خيراً] بجميع أصنافهم وأقسامهم، ويجوز أن يكون معنى استوص أي: اقبل الوصية منّي بهم وأوص أنت بهم غيرك، وقسّمهم ثلاثة أقسام.

[المقيم منهم] في بلاده [والمضطرب] في تجاربته [بماله] أي: الضارب في الأرض المسافر فيها، كما قال تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الارض﴾.

[والمترفق ببدنه] وروي بيديه تثنية يد، وهم أهل الصنائع.

[فإنّهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجُلاّبها] أي: الذين يجلبونها ويأتون بها.

[من المباعد والمطارح] الأماكن البعيدة.

[في برّك وبحرك سهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها] أي: ومن مكان لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه.

[ولا يجترئون عليها] وذلك الحيث كالبحار والجبال ونحوها ولا يجترئون عليها.

[فإنّهم سِلمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ] لا في مال يخونون فيه ولا في دولة

وصالح لا يخشى غائلته وتفقّد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك انّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحّاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكّماً في البِيَاعات وذلك باب مضرّة للعامّة، وعيب على الولاة

يفسدونها.

[**وصالح لا يخشى غائلته**] وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فيجب الاستيصاء به والوصية بالخير في حقّه.

[**وتفقّد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك**] أي: أطرافها وما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع ليزيلها عنهم.

[**واعلم مع ذلك انّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحّاً قبيحاً**] والمراد بذلك البخل.

[**واحتكاراً للمنافع**] التي يعمّ نفعها المسلمين وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح.

[**وتحكّماً في البِيَاعات**] وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعة أو عرف، فإنّ ذلك عدول عن العدل إلى رذيلة الجور، ونبّه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله:

[**وذلك باب مضرّة للعامّة، وعيب على الولاة**] لأنّ قانون العدل بأيديهم، فإذا أهملوا بترك ردّ هؤلاء عن طرق الجور توجّهت اللائمة نحوهم والعيب عليهم، وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فيجب إنكاره ودفعه.

فامنع من الاحتكار فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً وليكن بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البايع والمبتاع فمن قارفَ حُكْرَةً فنكّل به وعاقبه من غير إسراف ثمّ اللّه اللّه في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى فإنّ في هذه الطبقة قانعاً ومعترّاً واحفظ للّه ما استحفظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد

[**فامنع من الاحتكار فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله منع منه**] فيجب التأسّي به في ذلك. [**وليكن البيع بيعاً سمحاً**] سهلاً [**وليكن بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البايع**] فتذهب بأصل مبيعه [**والمبتاع**] وهو المشتري فتذهب برأس ماله [**فمن قارفَ حُكْرَةً**] بضمّ الحاء أي: واقعها [**فنكّل به**] أي: أوقع به النكال والعقوبة.

[**وعاقبه من غير إسراف**] لأنّه دون المعاصي التي توجب الحدود بل غاية أمره التعزير والإهانة والمنع. ثمّ شرع في بيان حال الصنف السابع فقال:

[**ثمّ اللّه اللّه**] أي: احذر اللّه [**في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى**] وهي البؤس كالنعمى للنعيم، [**والزّمنى**] أُولوا الزمانة.

[**فإنّ في هذه الطبقة قانعاً**] وهو السائل [**ومعترّاً**] وهو الذي يعرض لك مما يسألك.

[**واحفظ للّه ما استحفظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسماً**] أي: حظّاً ونصيباً [**من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد**]

فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكلّ قد استرعيت حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر فإنّك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهمّ، ولا تصعّر خدّك لهم وتفقّد أُمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقِرهُ الرجال

وصوافي الإسلام: هي الأرضون التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وكانت صافية لرسول اللّه ﷺ فلمّا قبض ﷺ صارت لفقراء المسلمين ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام.

[**فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى**] أي: كلّ فقراء المسلمين سواء في سهامهم ليس ليها أقصى وأولى أي: لا تؤثر من هو قريب إليك أو إلى أحد من خاصّتك على من هو بعيد لا سبب له إليك ولا علقة بينه وبينك، ويحتمل أن يكون المعنى لا تصرف غلات ما كان من الصوافي بعض البلاد على مسايكن ذلك البلد خاصّة فإنّ حقّ النائي عن ذلك البلد منها مثل حقّ المقيم في ذلك البلد.

[**وكلّ قد استرعيت حقّه فلا يشغلنّك عنهم بطر فإنّك لا تعذر بتضييع التافه**] أي: الحقير القليل [**لإحكامك الكثير المهمّ، ولا تصعّر خدّك لهم**] أي: لا تتكبّر عليهم أخذاً من قوله تعالى: ﴿ولا تصعّر خدّك للناس﴾.

[**وتفقّد أُمور من لا يصل إليك منهم**] أي: من لا يمكنه الوصول إليك منهم [**ممن**] كان عاجزاً أو [**تقتحمه العيون**] أي: تزدريه وتحتقره.

[**وتحقِرهُ الرجال**] بأن يكون حقيراً في عيون الأعوان والجند.

وتفرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى اللّه سبحانه يوم تلقاه وذوي الرقّة في السنّ ممن لا حيلة له ولا ينصِبُ للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل وقد يخفّفه اللّه على أقوام طلبوا العافية فصبّروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود اللّه تعالى لهم في دار القرار

[**وتفرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم**] فتباشرها بنفسك [**ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى اللّه سبحانه يوم تلقاه**] أي: اعمل في حقّهم ما أمرك اللّه به بحيث تكون معذوراً عنده إذا سألك عمّا فعلت معهم.

حفإنّ هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكلٌّ فاعذر إلى اللّه في تأدية حقّه إليه وتعهّد أهل اليتم] أي: الأيتام [**وذوي الرقّة في السنّ**] أي: الذين بلغوا في الشيخوخة إلى حدّ رقّ جلدهم وضعف حالهم عن النهوض.

[**ممن لا حيلة له ولا ينصِبُ للمسألة نفسه**] حياءً مع حاجته وفقره.

[**وذلك على الولاة ثقيل**] ووطّن نفسه على ذلك بقوله: [**والحقّ كلّه ثقيل**].

ثمّ رغّبه فيه بقوله: [**وقد يخفّفه اللّه على أقوام طلبوا**] من اللّه [**العافية فصبّروا أنفسهم**] واستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس إليه.

[**ووثقوا بصدق موعود اللّه تعالى لهم في دار القرار**] ومحلّ الابرار، ثمّ شرع في أوامر ونواهي وسياسات بعضها عام وبعضها خاص

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتواضع للّه الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتّى يكلّمك مكلّمهم غير متعتع فإنّي سمعت رسول اللّهﷺ يقول في غير موطن «لن تقدّس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع» ثمّ احتمل الخرق والعي

يتعلّق بعمّاله وبخاصّته وبطانته وبنفسه، فقال عليه السلام:

[**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك**] عن كلّ شاغل.

[**وتجلس لهم مجلساً عامّاً**] في الاسبوع أو دونه أو فوقه مرّة.

[**فتواضع للّه الذي خلقك**] رغبة في التواضع بنسبته إلى اللّه باعتبار أنّه خالقه الذي من شأنه أن يكون له التواضع.

[**وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك**] وهم قوم يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمة يُعرفون بها.

[**حتّى يكلّمك مكلّمهم غير متعتع**] أي: غير مزعج ولا مقلق.

[**فإنّي سمعت رسول اللّهﷺ يقول في غير موطن «لن تقدّس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع»**] أي: غير متردّد ولا مضطرب في كلامك، ووجه الاستدلال بالخبر انّه لما دلّ بالمطابقة على وعيد الأمّة التي لا ينتصف فيها من قوي بعدم طهارتها المستلزم لعذابها الأخروي دلّ بالالتزام على وجوب أن يكون فيها ذلك. ثمّ لمّا كانت الأمور المأمور بها مما لا يتمّ ذلك الواجب إلا بها كانت بأسرها واجبة.

[**ثمّ احتمل الخرق**] أي: الجهل منهم [**والعي**] وهو الجهل أيضاً.

ونحِّ عنك الضيق والأنفة يبسط اللّه عليك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيّاً وامنع في إجمال وإعذار ثمّ أُمور من أُمورك لابدّ لك من مباشرتها أُمور منها إجابة عمّالك بما يغني عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما يحرج به صدور أعوانك وامضى لكل يوم عمله فإنّ لكلّ يوم ما فيه من العمل واجعل لنفسك فيما بينك وبين اللّه أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام

[**ونحِّ**] أبعد [**عنك الضيق والأنفة يبسط اللّه عليك أكناف**] أي: جوانب [**رحمته ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيّاً**] سائغاً بلا منّ ولا عنف [**وامنع**] ما منعت [**في إجمال وإعذار**].

ثمّ أخذ عليه السلام فيما يلزمه مباشرته بنفسه من الأُمور فقال: [**ثمّ أُمور من أُمورك لابدّ لك من مباشرتها**] بنفسك وإن عمّت مصلحتها و«أُمور» مبتدأ وخبره «أي» وهناك [**أُمور منها إجابة عمّالك بما يغني عنه كتابك**] أي: إجابتهم بما ترى المصلحة في الجواب فقد تعجز الكتّاب عن كثير من ذلك.

[**ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما يحرج**] أي: يضيق [**به صدور أعوانك**] عند ورودها عليه ولا ينبغي له أن يكلها إليهم فإنّ غاية قضائهم لها إذا قضيت أن يكون على غير الوجه المرضي.

[**وامضى لكل يوم عمله**] ولا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فيتعبك ويكديك [**فإنّ لكلّ يوم ما فيه من العمل**] فيجب أن يفضي فيه ماله.

[**واجعل لنفسك فيما بينك وبين اللّه**] تعالى [**أفضل تلك المواقيت**] المفروضة للأفعال [**وأجزل تلك الأقسام**] الموقّتة وأفضلها أبعدها عن

وإن كانت كلّها للّه إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعية وليكن في خاصّة ما يخلص للّه بد دينك إقامة فرائضه التي هي خاصته فأعط اللّه من بدنك في ليلك ونهارك ووفّ ما تقرّبت به إلى اللّه سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ وإذا أقمت في صلواتك للناس فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيّعاً

الشواغل الدنيوية وأقربها إلى الخلوة باللّه سبحانه.

وقوله: [**وإن كانت كلّها للّه إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعية**] تنبيهٌ على أنّ أصلح الأعمال أخلصها للّه، وإشارةً إلى أنّ النظر في أُمور الرعية مع صحّة النيّة وسلامية الناس من الظلم من جملة العبادات والفرائض أيضاً.

[**وليكن في خاصّة ما يخلص للّه بد دينك إقامة فرائضه التي هي خاصته**] فيخصّها بمزيد عناية منه ورعاية.

[**فأعط اللّه من بدنك في ليلك ونهارك**] طاعةً وعبادةً، حذف المفعول الثاني للعلم به ولقرينة كون اللّيل والنهار محلّين للافعال ولقرينة ذكر البدن.

[**ووفّ ما تقرّبت به إلى اللّه سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص**] منصوبين على الحال. وكذا قوله: [**بالغاً من بدنك ما بلغ**] و«ما» نصب على المصدر بقوله بالغاً، أي: بالغاً من بدنك ما بلغ من القوّة على الطاعة.

[**وإذا أقمت في صلواتك للناس فلا تكوننّ منفّراً**] للناس بتطويلها.

[**ولا مضيّعاً**] لأركانها وفضيلتها بنهاية الاستعجال فيها، بل كن

فإنّ في الناس من به العلّة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله حين وجّهني إلى اليمن كيف أصلّي بهم فقال: صلِّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً وأمّا بعد هذا فلا يطولنّ احتجابك عن رعيّتك فإنّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق

متوسّطاً في صلواتك بين المطوّل المنفّر والمقصر المضيّع، واحتجّ لذلك بدليلين عقلي ونقلي أشار إليهما بقوله:

[**فإنّ في الناس من به العلّة وله الحاجة**] وكلّ من كان فيه من ذكر يجب أن يرفق به ويخفّف عنه.

[**وقد سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله حين وجّهني إلى اليمن كيف أصلّي بهم فقال: صلِّ بهم كصلاة أضعفهم**] ووجه الشبه بصلاة الأضعف تخفيف الصلاة بعد حفظ أركانها وواجباتها.

وقوله: [**وكن بالمؤمنين رحيماً**] يحتمل أن يكون من تتمّة الحديث النبوي إشارةً إلى مراعاة حال الضعيف في الصلاة وأن يكون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

[**وأمّا بعد هذا**] الذي ذكرنا لك من الفرائض والآداب [**فلا يطولنّ احتجابك عن رعيّتك**] وإنّما وجه النهي إلى تطويله؛ لأنّه قد يكون ضرورياً للإنسان لا يستغني عنه فإنّ لنفسه حقّاً ولأهله وعياله وخاصّته.

ثمّ أشار إلى الترغيب في الانتهاء عنه بقوله: [**فإنّ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق**] على الرعية، إذ كانت مشاهدتهم للوالي تفرّج عنهم ما يكترثهم من الأمور المهمة لهم.

وقلّة علم بالأُمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير يقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحقّ بالباطل وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عند الناس به من الأُمور وليست على الحقّ سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنّما أنت أحد رجلين: إمّا أمرءٌ سخت نفسك بالبذل في الحقّ، ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تُعطيه، أو فعل كريم تُسديه، أو مبتلىً بالمنع، فما أسرع كف

ّ

[**وقلّة علم بالأُمور**] أي: يلزمه ذلك، فأطلق اسم اللازم على ملزومه، وأكّد ذلك بقوله: [**والاحتجاب منهم يقطع عنهم**] أي: عن الولاة [**ما احتجبوا دونه**] من أُمور الرعيّة.

ثمّ أشار إلى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد بقوله: [**فيصغر عندهم الكبير**] كأن يظلم بعض حاشية الأمير فتصغر الأعوان جريمته عنده فيصغر.

[**ويعظم الصغير**] لو وقع من ضعيف صغير ذنب في حقّ كبير وكذا [**يقبح**] عندهم [**الحسن ويحسن**] عندهم [**القبيح، ويشاب الحقّ بالباطل**] ويلبس به ويختلط، ثمّ نبّه على وجه لزوم قطع العلم بالأُمور لطول الاحتجاب بقوله: [**وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عند الناس به من الأُمور**] أي: البشر من خاصّته أنّه لا يعرف ذلك إلا بعلاّته.

[**وليست على الحقّ سمات**] وعلامات [**يعرف بها ضروب الصدق من الكذب**] ثمّ رغّب في الانتهاء عن الاحتجاب بقوله: [**وإنّما أنت أحد رجلين: إمّا أمرءٌ سخت نفسك بالبذل في الحقّ، ففيم احتجابك من واجب حقٍّ تُعطيه، أو فعل كريم تُسديه، أو مبتلىً بالمنع، فما أسرع كفّ**

الناس عن مسألتك إذا أيِسُوا من بذلك! مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة ثمّ انّ للوالي خاصّة وبطانة فيهم استيثار وتطاول وقلّة إنصاف فاحسم مادّة أُولئك بقطع أسباب تلك الأحوال

الناس عن مسألتك إذا أيِسُوا من بذلك! مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة] تلخيص الاحتجاج انّك إمّا أن تكون مطبوعاً على السخاء بالبذل في الحقّ أو مبتلى بالمنع منه، وتقدير الكبرى: وكلّ من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب، وبيان الكثير أمّا إن كان سخيّاً ببذل الحقّ فإنّه عند الطلب منه إمّا أن يعطي حقّاً يجب عليه أو يفعل فعل الكرماء، وذلك لا يجوز الاحتجاب منه، وأمّا إن كان مبتلىً بالمنع فإنّ الناس يسرعون الكفّ عن مسألته إذا أيسوا من بذله، وحينئذ لا معنى للاحتجاب منهم. وقوله: «مع انّ أكثر ...» إلخ، بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان أكثر حاجات الناس إليه فيما لا مؤنة عليه فيه من الأمور المذكورة فلا معنى لاحتجابه عنهم.

[ثمّ انّ للوالي خاصّة وبطانة فيهم استيثار وتطاول وقلّة إنصاف فاحسم مادّة أُولئك بقطع أسباب تلك الأحوال] هذا بيان ما يتعلّق بخاصّة الوالي وهو أن يحسم مؤنتهم عن الرعية، وقوله «بقطع أسباب المؤنة»إرشاد إلى سبب قطعها، وأشار إلى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستئثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالأذى وقلّة الانصاف، وهو في قّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ من كان كذلك فيجب قطع مؤنتهم عنهم والأحوال التي أمر بقطع أسبابها هي وجوه المؤنة المذكورة من الاستئثار والتطاول وقلّة

ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصّتك قطيعة ولا يطمعنّ منكم في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع

الإنصاف.

وقوله: [**ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصّتك قطيعة ولا يطمعنّ منكم في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة**] تفصيل لوجوه قطع الأسباب المذكورة، فإنّ إقطاع أحدهم قطيعة وطمعه في اقتناء صيغة تضرّ بمن يليها من الناس في بناء أو عمل مشترك يحمل مؤنته على الناس كعمارة ونحوها هي أسباب الأحوال المذكورة من وجوه تلك المؤنة وقطع تلك الأحوال بقطع أسبابها، ثمّ نفّره عن أسبابه المؤنة على الناس بما يلزم تلك الأسباب من المفسدة في حقّه وهي كونه منشأ ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة وهو في قوّة صغرى تقدير كبراه: وكلّ ما كان مهناه للغير ووزره وعيبه عليك فلا يجوز فعله.

[**والزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك**] الإلزام [**صابراً**] لما عساه يلحق أقاربك من مرّ الحقّ [**محتسباً**] له إلى مدخل في حساب يتقرّب به إلى الله تعالى ويعدّه خالصاً لوجهه.

[**واقعاً ذلك**] الإلزام [**من قرابتك وخاصّتك حيث وقع**] أي: حيث

وابتغ عاقبته بما يثقل عليك فإنّ مغبّة ذلك محمودة وإن ظنّت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك فإنّ في ذلك ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك للّه فيه رضىً فإنّ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه فإنّ

اتفق وقوعه بمقتضى الشريعة، والواو في قوله «وكن» للحال و«واقعاً» أيضاً حال، والعامل قوله «والزم».

[**وابتغ عاقبته**] أي: عاقبة ذلك الأمر [**بما يثقل عليك**] منه من فعلك بخاصّتك كأنّه يستعيض بفعله ما يلزمه في العاقبة من العافية من عيب الدنيا وعذاب الآخرة ورغّب في ذلك بقوله.

[**فإنّ مغبّة**] أي: عاقبة [**ذلك محمودة**] وهي تلك العافية وما يلزمها من السعادة الباقية.

ثمّ قال عليه السلام: [**وإن ظنّت الرعية بك حيفاً**] أي: جوراً وتعدّياً [**فاصحر**] أي: اظهر [**لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم**] السيّئة [**بإصحارك**] أي: اظهارك [**فإنّ في ذلك**] الإظهار للأعذار لهم إعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحقّ لمعرفتهم انّ فعلك حقّ لا حيف فيه، وهو بمنزلة صغرى تقدير كبراه: وكلّما كان كذلك فينبغي لك فعله.

[**ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك للّه فيه رضىً**] إذ فيه مصالح جمّة أشار إليها بقولهك [**فإنّ في الصلح دعة**] أي: راحة [**لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك**] وكلّما كان فيه هذه المصالح فواجب.

قوله: [**ولكن**] احذر [**الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه فإنّ**]

العدوّ ربّما قارب لِيَتَغَفَّل فخذ بالحزم واتّهم في ذلك حسن الظنّ وإن عقدت بينك وبين عدوّ لك عقداً وإن ألبسته منك ذمة فحطّ عهدك بالوفاء وارعَ ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت فإنّه ليس من فرائض اللّه شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر

العدوّ ربّما قارب] الصلح **[لِيَتَغَفَّل]** أي: يطلب غفلتك ليظفر بك، وحذف المفعولين للعلم بهما وكلّ من كان كذلك فيجب الحذر منه.

[فخذ بالحزم واتّهم في ذلك حسن الظنّ] أي: حسن ظنّك بالعدو **[وإن عقدت بينك وبين عدوّ لك عقداً وإن ألبسته منك ذمة فحطّ عهدك بالوفاء وارعَ ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك جنّة]** اي: وقاية **[دون ما أعطيت]** منهما أي: يحفظ ذلك بنفسه ولو أدّى إلى ضررها، واستعار لفظ اللبس لإدخاله في أمان الذمّة ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه، وكذا لفظ الجنّة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه، ورغّب في ذلك بوجهين أشار إليهما بقوله:

[فإنّه ليس من فرائض اللّه شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم] واستثقلوا العدد **[دون المسلمين لما استوبلوا]** أي: استثقلوا واستوخموا **[من عواقب الغدر]** لما فيه من سوء العاقبة وكلّما كان بهذه الصفة فيجب لزومه والمحافظة عليه ثمّ أكّد ذلك بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمّة.

فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلنّ عدوّك فإنّه لا يجتري على اللّه إلا جاهل يشقى وقد جعل اللّه عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تُجوّز فيه العلل لا تعولّن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة

فقال: [**فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك**] يقال: خاس بالعهد أي: نقضه.

[**ولا تختلنّ عدوّك**] والختل: الخداع [**فإنّه لا يجتري على اللّه إلا جاهل يشقى وقد جعل اللّه عهده وذمّته أمناً**] أي: مأمناً [**أفضاه بين العباد برحمته**] أفضاه أي: بسطه واسفاض الماء: سال.

[**وحريماً يسكنون إلى منعته**] استعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون إلى منعته.

[**ويستفيضون إلى جواره**] نبّه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمئنان إليه والأمن من الفتنة بسببه، فأشبه الحريم المانع.

وقوله: [**فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه**] الإدغال: الإفساد، والدغل: الفساد، والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة.

[**ولا تعقد عقداً تُجوّز فيه العلل**] أي: الأحداث المفسدة له، وهو كناية عن أمره بإحكام ما يعقد من الأمور.

[**لا تعولّن**] أي: لا تعتمدنّ [**على لحن القول**] في الايمان في العهود [**بعد التأكيد والتوثقة**] أي: بعد أن يؤكّدها ويتوثق من غيره فيها أو يتوثّق غيره منه فيها، ولحن القول: كالتورية والتعريض ومثال لحن القول ما ادّعاه

ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عبد اللّه إلى طلب انفساخه بغير الحقّ فإنّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وإن تحيط بك فيه من اللّه طلبة لا تستقبل منها وإيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حلّها

طلحة والبزبير من الوليجة والتورية في بيعتهما أي: لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت إليه من غيرك لو ادّعاه.

[**ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عبد اللّه إلى طلب انفساخه بغير الحقّ**] نهاه أن يدعوه ضيق أمر لزمه فيه عهد اللّه إلى أن يطلب إبطاله بغير حقّ ورغّب في الصبر عليه.

بقوله: [**فإنّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته**] أي: ما يتبعه من العقوبة.

[**وإن تحيط بك فيه من اللّه طلبة**] أي: ما تطالب به يوم القيامة.

[**لا تستقبل منها**] دنياك ولا آخرتك أي: لا يكون لك معها ديناً تستقبلها وتنتظر خبرها لعدم الدنيا هناك ولا آخرة تستقبلها إذ لا يستقبل في الآخرة إلا الأمور الخيرية ومن أحاطت به طلبة من اللّه فلا خير له في الآخرة يستقبله، وروي يستقبل بالياء أي: لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة إقالة في الدنيا ولا في الآخرة.

[**وإيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها**] كنّى به عن القتل بغير حقّ كالقصاص والقود والحدّ.

والله سبحانه مبتدئ في الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود البدن وإن ابتُليت بخطأ أو أفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبة فإنّ في الزكاة فما فوقها مقبلة فلا يطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن يؤدّى إلى أولياء المقتول حقّهم

[فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حلّها] أي: إنّ سفك الدماء بغير حقّ أدعى الأشياء لحلول نقمة الله وأعظمها في لحوق التبعة منه وأولاها بزوال النعمة وانقطاع مدّة الدولة والعمر، ومعلوم أنّها أقوى المعدّات للأُمور الثلاثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق ودواعيهم على زوال القاتل.

[والله سبحانه مبتدئ في الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة] وفيه إشعار بأنّ القتل أعظم من سائر الكبائر.

[فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله] فإنّ سفك الدم الحرام لما استلزم الأُمور الثلاثة المذكورة كان ذلك مضعفاً للسلطان ومزيلاً له وكلّما كان كذلك وجب اجتنابه.

[ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأنّ فيه قود البدن] وكلّما كان كذلك فيجب اجتنابه **[وإن ابتُليت بخطأ]** أي: بقتل خطأ **[أو أفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبة]** وهذا هو شبه العمد **[فإنّ في الزكاة فما فوقها مقبلة فلا يطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن يؤدّى إلى أولياء المقتول حقّهم]** نهاه عليه السلام أن يرتكب رذيلة الكبر عند أن يبتلي بقتله خطأ أو

وإيّاك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحبّ الاطراء فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق به ما يكون من إحسان المحسن وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك والتزيّد فيما كان من فعلك وإن تعدهم فتتبع من عودك لخلفك

إفراط سوط أو يده عليه في عقوبة فيأخذه عزة الملك والكبر على أولياء المقتول فلا يؤدّي إليهم حقّهم، وفيه تنبيهٌ على أنّ الضرب باليد المسمّى وكزاً قد يكون فيه القتل وهو مظنّة له.

[**وإيّاك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحبّ الاطراء فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه**] حذّره الإعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحبّ الاطراء، والأخيران سببان لدوام الإعجاب ومادّة له ونفر عن الثلاثة بقوله فإنّ ذلك... إلخ، وفي نفسه متعلّق بأوثق.

وقوله: [**ليمحق به ما يكون من إحسان المحسن**] يحتمل وجهين أحدهما أنّه لمّا كان الإعجاب من المهلكات لم ينفع معه إحسان المحسن فإذا تمكّن الشيطان من الفرصة وزيّن الإعجاب للإنسان وارتكبه محقّ بذلك ما يكون له من الإحسان الثاني أنّ المعجب بنفسه لا يرى لأحد عنده إحساناً فيكون إعجابه ماحقاً لإحسان من أحسن إليه ولمّا كان مبدء الإعجاب هو الشيطان كان الماحق لإحسان المحسن أيضاً هو الشيطان فلذلك نسبه إليه.

[**وإيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك والتزيّد فيما كان من فعلك**] كأن يؤدّي ثلاثة أجزاء من الجميل فيدّعي في المجالس والمحافل أنّه أسدى عشرة.

[**وإن تعدهم فتتبع من عودك لخلفك**] نهاه عن هذه الرذائل الثلاثة،

فإنّ المنّ يبطل الإحسان والتزيّد يذهب بنور الحقّ والخلف يوجب المقت عند اللّه والناس قال اللّه كَبُر مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها

ثمّ علّلها.

بقوله: [**فإنّ المنّ يبطل الإحسان**] إشارةً إلى قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾.

[**والتزيّد**] محض كذب وكذب محض [**يذهب بنور الحقّ**] وأراد بالحقّ هنا الإحسان إليهم، والصدق في ذكره في موضع يحتاج إليه فإنّ على ذلك نوراً عقلياً ترتاح له النفوس وتلتذّ به، وحيث كان التزيّد نوعاً من الكذب كان مما يذهب نور ذلك الحقّ ويطغيه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق.

[**والخلف**] للوعد [**يوجب المقت**] أي: البغض [**عند اللّه والناس قال اللّه**] سبحانه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون﴾.

[**كَبُر مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون**] وروي: «المؤمن إذا وعد وفى» وروي: «عِدَةُ المؤمن كأخذ باليد».

[**وإيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التساقط فيها عند إمكانها**] بأن يتساقط في الشيء الممكن عند حضوره وهو الحرص من الجشع، وقد حذّره عليه السلام من إيقاع الأمور على أحد طرفي التفريط والإفراط فطرف الإفراط في الطلب العجلة بها قبل أوانها أو للحاجة فيها عند تنكّرها وتغيّر وجوه

أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كلّ عمل موقعه وإيّاك والاستئثار بما الناس فيه أُسوة والتغابي فيما يعني به مما قد وضح للعيون

مآخذها وعدم تسهيلها وطرف التفريط التساقط فيها والقعود عنها إذا أمكنت وهو يقابل العجلة فيها.

[**أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت**] نهاه عن اللّجاجة في الحاجة إذا تعذّرت فقد قيل: من لاحّ اللّه فقد جعله خصماً ومن كان اللّه خصمه فهو مخصوم.

وقوله: [**أو الوهن**] أي: الضعف [**عنها إذا استوضحت**] يقابل اللجاجة فيها إذا تنكّرت ويستلزم النهي عن هذين الطرفين الأمر بإيقاعها على نقطة العدل وهي الحدّ الأوسط من الطرفين ولذا قال: [**فضع كلّ أمر موضعه وأوقع كلّ عمل موقعه وإيّاك والاستئثار بما الناس فيه أُسوة**] كالفيء الذي يكون للمسلمين وهو الخلق النبوي، روي أنّه ﷺ غنم غنائم حنين وكانت ملأ الأرض نعماً فلمّا ركب راحلته وسار اتّبعه الناس يطلبون الغنائم وقسمها وهو ساكت لا يكلّمهم وقد أكثروا على إلحاحاً وسؤالاً فمرّ بشجرة فخطفت ردائه فالتفت وقال: ردّوا عليّ ردائي فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنماً لقسمته بينكم على آخره لا تجدنّ نبيّ بخيلاً ولا جباناً، ونزل فقسم ذلك المال عليهم كلّه لم يأخذ لنفسه وبرة.

وقوله: [**والتغابي فيما يعني به**] أي: التغافل عمّا يجب العلم به والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظلماً.

[**مما قد وضح للعيون**] إهمالك له وصورة ذلك انّ الأمير يوحى إليه

فإنّه مأخوذ منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأُمور وينتصف منك للمظلوم املك حمية أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة وتأخّر السطوة حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار

أنّ فلاناً من خاصّته يفعل كذا وكذا من الأمور المنكرة يرتكبها سرّاً فيتغابى عنه ويتغافل فنهاه عن ذلك معلّلاً بقوله:

[**فإنّه مأخوذ منك لغيرك**] أي: معاقب كما يقال: اللّهمّ خذ من فلان بحقّي، أي: انتقم لي منه.

[**وعمّا قليل**] «ما» زائدة [**تنكشف عنك أغطية الأُمور وينتصف منك للمظلوم**] أراد بالقليل مدّة الحياة الدنيا وبانكشاف أغطية الأمور زوال العلائق والشهوات والهيئات البدنية الحاجبة لحقائق الأمور من أن تدركها بصر بصيرته فيشاهد ما أعدّ له من خير أو شرّ كما قال تعالى: ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً﴾ وقال تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة عن هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾.

[**املك حمية أنفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك**] أمره بأن يملك حمية أنفته مما يقع من الأُمور المكروهة، وسورة حدّة لسانه والمراد النهي عن لوازم الغضب حتّى يسكن غضبه وسورة الرجل: سطوته وحدّة بأسه، وغرب اللّسان: حدّته.

ثمّ قال: [**واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة**] وهي سرعة السطوة والعقوبة.

[**وتأخّر السطوة حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار**] بذلك في

ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك والواجب عليك أن تذكر ما مضى لمن تقدّمك من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة أو أثر عن نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله أو فريضة في كتاب اللّه فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك والتذكير بأوامر اللّه لكيلا يكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها وأنا أسألُ اللّه تعالى بسعة رحمته

الفعل والترك الذي عساه أن يكون مصلحة.

ثمّ أشار إلى وجه احكام تلك الأسباب بقوله: [**ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك**] وذلك لأنّ كثرة الهمّ عن ذكر المعاد والفكر في أُمور الآخرة ماح للرغبة في الأمور الدنيوية التي هي المشاجرات وثوران الغضب.

[**والواجب عليك أن تذكر ما مضى لمن تقدّمك**] من الولاة [**من حكومة عادلة أو سنّة فاضلة أو أثر**] من الآثار المنقولة [**عن نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله أو فريضة**] من فرائض اللّه [**في كتاب اللّه فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك**] وهي الموعظة [**والتذكير بأوامر اللّه لكيلا يكون لك علّة**] تحتجّ بها [**عند تسرّع نفسك إلى هواها**] كما قال تعالى: ﴿لئلاّ يكون للناس على اللّه حجّة بعد الرسل﴾.

ومن هذا العهد وهو آخره:

[**وأنا أسألُ اللّه تعالى**] مقسماً عليه في سؤالي [**بسعة رحمته**] التي

وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقي وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه من حسن الثناء وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وإنّا إليه راغبون والسلام على رسول اللّه وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

وسعت كلّ شيء [**وعظيم قدرته**] التي لا يعجزها شيء [**عرغبة أن يوفّقي وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه**] أي: من الإقامة على المبالغة إليه في أداء أمره.

ثمّ فسّر جهاده في رضى الخلق ولم يفسّره في رضى الخالق لأنّه معلوم فقال: [**من حسن الثناء**] في العباد [**وجميل الأثر في البلاد**] وهو ما يؤثر من الأفعال الحميدة الجميلة في البلاد، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ فقد فسّر بالذكر الجميل في الناس.

[**وتمام النعمة**] ولتمام نعمته علينا [**وتضعيف الكرامة**] لدينا [**وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة**].

وقوله: [**وإنّا إليه راغبون**] تنبيهٌ على صدق نيّته في سؤاله.

[**والسلام على رسول اللّه وعلى آله الطيبين الطاهرين**].

ومن كتاب كتبه عليه السلام

إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد تميم بن سالم بن عاضرة بن سلول بن حشية بن سلول بن كعب بن عمر

الخزاعي أبو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات أمّا بعد فقد علمتما وإن كتمتما إنّي لم أرد الناس حتّى أرادوني ولم أُبايعهم حتّى بايعوني وإنّكما ممن أرادني وبايعني وانّ العامّة لم تبايعني

[**الخزاعي**] أسلم هو وأبوهريرة عام خيبر.

قال ابن أبي الحديد: كان من فضلاء الصحابة وفقهاؤهم يقول أهل البصرة: كان يرى الحفظة وكانت تكلّمه حتّى اكتوى، وذكر هذا الكتاب [**أبو جعفر**] محمد بن عبدالله [**الاسكافي**] قال ابن أبي الحديد: كان فاضلاً عالماً وصنّف سبعين كتاباً في علم الكلام، وهو الذي نقض كتاب العثمانية على أبي عثمان الجاحظ وكان يتموّل بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد ويبالغ في ذلك وكان علويّ الرأي منصفاً محقّقاً قليل العصبية، انتهى.

وقوله: [**في كتاب المقامات**] هو الذي صنّفه في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام:

[**أمّا بعد فقد علمتما وإن كتمتما**] ما تعلمانه [**إنّي لم أرد الناس حتّى أرادوني ولم أُبايعهم حتّى بايعوني وإنّكما ممن أرادني وبايعني**] يعني انّي لم أرد اللواية على الناس حتّى هم أرادوا ذلك منّي ولم أمدد يدي إليهم مدّ الطلب والحرص ولم أمدّها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرة والخلافة، وقالوا بألسنتهم: قد بايعناك، فحينئذ مددت يدي إليهم، وتقرير هذه الحجّة انّكما قد علمتما هذه الحالة منّي وكلّ من علمها من حال ذلك فلا يجوز لكما أن تنكثا بيعته وتخرجا عليه.

ثمّ أكد ذلك بقوله: [**وانّ العامّة**] أي: عامّة المسلمين [**لم تبايعني**

لسلطان غاصب ولا لعرض حاضر فإن كنتما بايعتما في طائعين فارجعا وتوبا إلى اللّه من قريب وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية ولعمري ما كنتما بالبيعة والكتمان بأحقّ المهاجرين بالتقيّة والكتمان وإنّ دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما بعد إقراركما به

لسلطان غاصب] أي: غصبهم وقهرهم على ذلك **[ولا لعرض حاضر]** أي: مال موجود فرّقته عليهم، ثمّ احتجّ عليهما بحجّة ثانية فقال:

[فإن كنتما بايعتما في طائعين] عن رضى منكما فقد عصيتما اللّه بالنكث **[فارجعا وتوبا إلى اللّه من قريب]** قبل استحكام المعصية من أنفسكما.

[وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية] وهذا عين النفاق الذي تقوم لي به الحجّة عليكما.

[ولعمري] انّكما **[ما كنتما بالبيعة]** لي **[والكتمان]** للمعصية **[بأحقّ المهاجرين بالتقيّة والكتمان]** وذلك لأنّكما كنتما أقوى الجماعة وأعظمهم شأناً فكان غيرما من المهاجرين أولى منكما بهذه التقيّة وبالنكث بعد ذلك مع أنّه لم ينكث أحد منهم كما نكثتما.

[وإنّ دفعكما هذا الأمر] أي: البيعة وإظهار الطاعة **[قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما]** لغدركما **[من خروجكما بعد إقراركما به]** وهذ الثلاث بمنزلة صغريات وتقدير الكبرى في الأولى: وكلّما جعلتما لي عليكما

وقد زعمتما بأنّي قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلّفه عنّي وعنكما من أهل المدينة ثمّ نلزم كلّ أمرء بقدر ما احتمل فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما فإنّ الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار

به السبيل فيحرم عليكما فعله وليس لكما أن تدّعياه، وفي الثانية: وكلّ من يكون أحقّ من المهاجرين بدعواه فليس له أن يدّعيه إذا لم يدعوه، وفي الثالثة: وكلّما كان أوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه إلى ما هو أحسن، ثمّ أشار إلى دفع شبهتهما المعروفة، فقال:

[**وقد زعمتما بأنّي قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلّفه عنّي وعنكما من أهل المدينة**] أي: الجماعة الذين تخلّفوا عن نصرتي ونصرتكما كمحمد بن مسلمة وأُسامة بن زيد وعبداللّه بن عمر وغيرهم ممّن هو غير متّهم عليّ ولا عليكما فإذا حكموا عليٍّ أو عليكما فحُكْمُهما مبقول.

[**ثمّ نلزم كلّ أمرء**] منّا ومنكم من اللائمة والعقوبة [**بقدر ما احتمل**] من الإثم والبغي بعد أن أقام الحجّة عليهما قال:

[**فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما**] الفاسد وفعلكما الكاسد في نكث البيعة والخروج على إمامكا الذي بايعتماه طوعاً ورغبةً.

[**فإنّ الآن أعظم أمركما العار**] إذا رجعتما وبأن خطئكما [**من قبل أن يجتمع العار**] في الآخرة على رؤوس الأشهاد بمحضر جميع العباد [**والنار**] التي وقودها الناس والحجارة، ولا ريب أنّ العار وحده أسهل من العار والنار، والسلام على من اتّبع الهدى وخشي عواقب الردى.

أمّا بعد، فإنّ اللّه سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملاً ولسنا للدنيا خُلِقنا ولا بالسعي فيها أُمرنا وإنّما وضعنا فيها لنُبتلى بها وقد ابتلاني اللّه بك وابتلاك بي

ومن كتاب له عليه السلام
إلى معاوية

[**أمّا بعد، فإنّ اللّه سبحانه جعل الدنيا لما بعدها**] وهي الآخرة، فجعلها جسراً لها وممرّاً وبلاغاً [**وابتلى فيها أهلها**] بالموت والحياة والغنى والفقر والصحّة والسقم ونحوها [**ليعلم أيّهم أحسن عملاً**] قال تعالى: ﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾.

[**ولسنا للدنيا خُلِقنا**] بل للآخرة التي هي خيرٌ وأبقى [**ولا بالسعي فيها أُمرنا**] لأنّ اللّه قد تكفّل لنا بأرزاقنا، فرزقها مضمون وأصل ـــــ الإنسان منه لأدركه كما أنّه لو فرّ من الموت لأدركه.

[**وإنّما وضعنا فيها لنُبتلى بها**] كما قال تعالى: ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً﴾.

[**وقد ابتلاني اللّه بك**] حيث عصيتني وحاربتني حتّى لو قصرت في مقاومتك كنت ملوماً مؤاخذاً فكان معاوية حجّة للّه عليه.

[**وابتلاك بي**] حيث دعوتك إلى الحقّ وحذّرتك عن عواقب العصيان والطغيان فلم تجب داعي اللّه فلحقك الذمّ والعقاب، فكنتُ حجّة اللّه عليك.

فجُعل أحدنا حجّة على الآخر فعدوتَ على طلب الدنيا بتأول القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصّبتنيه أنت وأهل الشام وألّب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتّق اللّه في نفسك ونازع الشيطان قيادك

وهذا معنى قوله: [**فجُعل أحدنا حجّة على الآخر**].

ثمّ أشار عليه السلام إلى وجوه ابتلائه عليه السلام بمعاوية فقال:

[**فعدوتَ على طلب الدنيا بتأول القرآن**] برأيك الفاسد وزعمك الكاسد، كقوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى﴾ ونحوها من الآيات الدالّة على وجوب القصاص متأوّلاً لها بإدخال نفسه فيها وطلب القصاص بدم عثمان مع انّك لم تكن من أولياء عثمان حتّى تطلب بدمه.

[**وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني**] من قتل عثمان، فإنّه من المعلوم لدى القاصي والداني أنّه عليه السلام لم يساعد على قتله بيد ولا بلسان بل دافع عنه بحسب الإمكان.

[**وعصّبتنيه أنت وأهل الشام**] أي: ألزمتنيه كما تلزم العصابة الرأس [**وألّب**] أي: حرّض وحثّ [**عالمكم**] بحالي [**جاهلكم**] به [**وقائمكم**] في حربي [**قاعدكم**] عنه، ثمّ لمّا نبّهه عليه السلام على غاية الدنيا وجعل للّه كلاً منهما حجّة على الآخر ليعلم أيّهم أحسن عملاً رجع إلى موعظته وتحذيره فقال:

[**فاتّق اللّه في نفسك**] ولا تهلكها بالعصيان أو التمادي في الطغيان ومحاربة اللّه وطاعة الشيطان.

[**ونازع الشيطان قيادك**] وهو حبل تقاد به الدابّة، استعار القياد

واصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذ أن يصيبك اللّه منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل وتقطع الدابر وإنّي أولى لك باللّه إليه لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لا أزال بِبَاحَتِكَ حتّى يحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين.

وصّى به شريح بن هاني لمّا جعله على مقدّمته إلى الشام

للميول الغضبيّة لكونها زمام الإنسان إلى المعصية إذا سلّمها بيد الشيطان.

[واصرف إلى الآخرة وجهك] عاملاً لها ساعياً لها سعيها **[فهي طريقنا وطريقك]**، وكلّما كان طريقاً للإنسان فواجب أن يصرف إليها وجهه.

[واحذ أن يصيبك اللّه منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل وتقطع الدابر] حذّره من اللّه أن يصيبه بداهية تصيب أصله وتقطع نسله وأراد بها ما نواه له من نهوضه إليه وحربه إيّاه.

[وإنّي أولى لك باللّه إليه] أي: أُقسم لك باللّه قسماً **[لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لا أزال بِبَاحَتِكَ]** باحة الدار: وسطها، وكذا ساحتها وفي رواية «بساحتك».

[حتّى يحكم اللّه بيننا وهو خير الحاكمين].

ومن كلام له عليه السلام

[وصّى به شريح بن هاني لمّا جعله على مقدّمته إلى الشام] وفي الاستيعاب: إنّه من جملة أصحاب علي، شهد معه المشاهد كلّها وعاش

اتّق اللّه في كلّ صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهة سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزواتك عند الحفيظة واقماً قامعاً

حتّى قُتل بجستان في زمن الحجّاج:

[**اتّق اللّه في كلّ صباح ومساء**] أي: دائماً، ولمّا كانت القوى تستلزم الأعمال الجميلة أردف ذلك بتفاصيلها فقال:

[**وخف على نفسك الدنيا الغرور**] نسب الغرور إليها لأنّها سبب مادّي له.

[**ولا تأمنها على حال**] لاستلزام ذلك الغفلة عن الآخرة ولأنّ من أمنها غدرت به.

[**واعلم انّك إن لم تردع نفسك**] الأمّارة بالسوء [**عن كثير مما تحب**] من الانهماك في شهواتها والانغمار في لذّاتها.

[**مخافة مكروهة**] في العاقبة [**سمت بك الأهواء**] أي: أهواء نفسك وميولها [**إلى كثير من الضرر**] حتّى توردك موارد الهلكة، أي: إن لم تردعها عن كثير من الشهوات أفضت بك إلى كثرة المضرّات.

[**فكن لنفسك مانعاً**] عن انهماكها في شهواتها.

[**رادعاً**] عن إقبالها على لذّاتها.

[**ولنزواتك عند الحفيظة واقماً قامعاً**] النزوة: الوثبة، والحفيظة: الغضب، والواقم: الذي يرد الشيء أقبح الرد، يقال: وقمه أي: ردّه بقهر وعنف، والوقم: القهر والإذلال وكذلك القمع.

أمّا بعد فإنّي خرجت عن حيّ هذا إمّا ظالماً أو مظلوماً وإمّا باغياً أو مبغياً عليه، وأنا أُذكّر اللّه من بلغه كتابي هذا لمّا نظر إليّ فإن كنتُ محسناً أعانني وإن كنتُ مسيئاً استعتبني وكان بدءُ أمرنا أنّا التقينا

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

[**أمّا بعد فإنّي خرجت عن حيّ هذا**] أي: منزلي [**إمّا ظالماً أو مظلوماً**] من باب تجاهل العارف ومداراة الخصم وإنصافه كما في قوله تعالى: ﴿وإنّا وإيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾ لأنّ القضية لم تكن بعد ظهرت لأهل الكوفة وغيرهم وبدء بالظالم هضماً لنفسه وكذا قوله:

[**وإمّا باغياً أو مبغياً عليه، وأنا أُذكّر اللّه من بلغه كتابي هذا لمّا**] أي: إلا ما [**نظر إليّ فإن كنتُ محسناً أعانني وإن كنتُ مسيئاً استعتبني**] أي: يطلب العتبى أي: الرجوع، و«أُذكّر» يتعدّى إلى مفعول أول وهو المذكور، وثاني وهو المذكّر به وهو اللّه تعالى، وقد قدّمه لكونه هو المقصود من التذكير، وغرضه عليه السلام أن يستفزّهم، وهذان الوجهان يقتضيان نفيرهم إليه على كلّ حال وهو مقصوده عليه السلام.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفّين:

[**وكان بدءُ أمرنا**] أي: أوّله، وروي بديئ فعيل بمعنى مبتدأ [**أنّا التقينا**

والقوم من أهل الشام والظاهر أنّ ربّنا واحد ونبيّنا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة لا نستزيدهم في الإيمان باللّه والتصديق لرسوله صلّى اللّه عليه وآله ولا يستزيدوننا والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه نبرءُ فقلت تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة وتسكين حتّى يشتدّ الأمر

والقوم من أهل الشام] وقوله «والقوم» عطفٌ على الضمير في التقينا.

[والظاهر أنّ ربّنا واحد ونبيّنا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة] وقوله «والظاهر... الخ» يومي إلى أنّهم في الحقيقة ليسوا كذلك كما صرّح به عليه السلام في غير مقام، وكذا عمّار وقد مرّ أنه عليه السلام كان يقول: «واللّه ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعواناً أظهروه».

وقال ابن أبي الحديد: هذا كلام من لا يحكم لأهل ممن حارب مع معاوية حكماً قاطعاً بالإسلام بل قال ظاهرهم الإسلام ولا خلف بيننا وبينهم فيه بل الخلف في دم عثمان.

وقوله: **[لا نستزيدهم]** أي: لا نطلب منهم زيادة **[في الإيمان باللّه والتصديق لرسوله صلّى اللّه عليه وآله ولا يستزيدوننا]** في ذلك **[والأمر واحد]** لا اختلاف فيه ظاهر **[إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه نبرءُ]** كما مرّ في كلامه مراراً.

[فقلت تعالوا نداوي ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة] أي: العداوة، والباء متعلّق بقوله نداوي، وما لا يدرك أي: ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب ويستدرك من القتل وهلاك المسلمين.

[وتسكين] بوضع الحرب **[حتّى يشتدّ الأمر]** وتتمهّد قاعدة الخلافة

ونجتمع فنقوى على وضع الحقّ مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فأبوا حتّى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلمّا ضرستنا وإيّاهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا

وتزول هذه الشوائب التي تكدّر علينا الأمر [**ونجتمع**] بحيث يكون للناس جماعة ترجع إليها [**فنقوى على وضع الحقّ مواضعه**] ونتمكّن من قَتَلَة عثمان بأعيانهم ونحكم عليهم بما يقتضيه الحقّ، فأبوا وامتنعوا عن ذلك علوّاً واستكباراً.

[**فقالوا**] بلسان حالهم [**بل نداويه بالمكابرة**] والمغالبة والحرب. [**فأبوا حتّى جنحت الحرب**] أي: أقبلت [**وركدت**] أي: دامت وثبتت [**ووقدت نيرانها**] التي التهبت [**وحمست**] أي: استقرّت وثبتت، وروي استحمشت، ومن رواها بالسين فالمراد اشتدّت وصلبت.

[**فلمّا ضرستنا وإيّاهم**] أي: عضّتنا بأضراسها، يقال: قد ضرسهم الدهر، أي: اشتدّ عليهم، أي: لمّا اشتدّت الحرب علينا وعليهم وأكلت منّا ومنهم وهو قوله: [**ووضعت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه**] وسألناهم إيّاه ابتداءً، فضرعوا إلينا في رفع الحرب ورفعوا المصاحف يسألون النزول على حكمها وإغماد السيف.

[**فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا**] بالسين المهملة، وعدّيت لما فيها من معنى المسابقة والمسارعة، وتجوز باسم الجنوح إطلاقاً لاسم المضاف على المضاف إليه، واستعار النيران للحركات في الحرب وجه الشبه استلزام الأذى والهلاك، ورشح بذكر الوقد وكذا لفظ الحمس

حتّى استبانت عليهم الحجّة وانقطعت منهم المعذرة فمن تمّ على ذلك فهو الذي أنقذه اللّه من الهلكة، ومن لجّ وتمادى فهو الراكس الذي ران على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه أمّا بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل

والتضريس ووضع المخالب.

وقوله: [**حتّى استبانت عليهم الحجّة وانقطعت منهم المعذرة**] إشارة إلى انقطاع عذرهم في المطالبة إذ كان سكوتهم عن دم صاحبي لا حقّ لهم فيه أسهل من سفك دماء سبعين ألفاً من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

وقوله: [**فمن تمّ على ذلك**] أي: على الرضا بالصلح وتحكيم كتاب اللّه وهم أكثر أهل الشام وأكثر أصحابه [**فهو الذي أنقذه اللّه من الهلكة، ومن لجّ وتمادى**] في غيّه وضلاله كالخوارج الّذين لجّوا في الحرب، والتمادي في الشيء: الإقامة عليه وطلب الغاية فيه.

[**فهو الراكس الذي ران على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه**] والركس: ردّ الشيء مقلوباً، و﴿اللّه أركسهم﴾ أي: ردّهم إلى عقوبة كفرهم، والرّين: التغطية، والدائرة: الهزيمة، يقال عليهم الدائرة ويؤكّد سعتها بالإضافة إلى السوء.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان:

[**أمّا بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل**]

فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء فإنّه ليس في الجور عوض من العدل واجتنب ما تُنْكِر أمثاله وابتذل نفسك فيما فرض اللّه عليك راجياً ثوابه ومتخوّفاً عقابه واعلم إنّ الدنيا دار بليّة لم يفرغ صاحبها قطّ ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وأنّه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبداً

لأنّ اتّباع الأهوية المختلفة يوجب الانحراف عن حاق الوسط في المطالب.

[**فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء**] بلا تفاوت بينهم [**فإنّه ليس في الجور عوض من العدل**] وكلّما لم يكن في الجور عوض عنه فيجب لزومه واتّباعه.

[**واجتنب ما تُنْكِر أمثاله**] من غيرك، وهذا هو الإنصاف الذي يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه.

[**وابتذل نفسك فيما فرض اللّه عليك راجياً ثوابه ومتخوّفاً عقابه**] أي: حالتي رجائك وخوفك، إشارة إلى كونهما داعيين إلى العمل، كما في قوله تعالى: ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾.

[**واعلم إنّ الدنيا دار بليّة**] أي: دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً﴾ فالعمل الصالح فيها سبب الاستعداد للسعادة الباقية ولذا قال: [**لم يفرغ صاحبها قطّ ساعة**] عن العمل الصالح [**إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة**] على فوات ذلك العمل في ذلك اليوم الذي ﴿لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم﴾.

[**وأنّه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبداً**] لأنّ كلّ ما عدا الحقّ باطل، والباطل سبب للفقر في الآخرة.

ومن الحقّ عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بحمدك فإنّ الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباة الخراج وعُمّال البلاد أمّا بعد، فإنّي قد سيّرتُ جنوداً هي مارّة بكم إن شاء الله، وقد

[**ومن الحقّ**] الواجب [**عليك حفظ نفسك**] من زلّة القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم

[**والاحتساب على الرعية بحمدك**] وطاقتك والأخذ على أيديهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدّم حفظ النفس لأنّه أهمّ.

[**فإنّ الذي يصل إليك من ذلك**] أي: من الأعمال الصالحة والثواب المترتّب عليها [**أفضل من الذي يصل بك**] أي: الذي يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعية وحفظ نفسك من مظالمهم والحيف عليهم أفضل من الذي يصل إليهم بك من حراسة دمائهم وأعراضهم وأموالهم؛ لأنّ هذه دائمة وتلك منقطعة والنفع الدائم أفضل من المنقطع.

ومن كتاب له عليه السلام
إلى العمّال الذين يطأ عملهم الجيش

[**من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباة الخراج وعُمّال البلاد**] وجباة الخراج: الذين يجمعونه، من جببت الماء في الحوض أي: جمعته.

[**أمّا بعد، فإنّي قد سيّرتُ جنوداً هي مارّة بكم إن شاء الله، وقد**

أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى وصرف الشّذى وأنا أبرءُ إليكم وإلى ذمتكم من معرّة الجيش إلا من جوعة لا يجد المضطر عنها مذهباً إلا إلى شبعه فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم وكفّوا أيدي سفائكم عن مضارّتهم والتعرّض لهم فيما استثنيناه منهم وأنا بين أظْهُر الجيش

أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى] عمّن يمرّون به.

[وصرف الشّذى] أي: الضرر والشرّ. **[وأنا أبرءُ إليكم وإلى ذمتكم]** أي: اليهود والنّصارى الذين بينكم، على حذف مضاف أي: أهل ذمّتكم، وروى الجمهور عن النبيﷺ قال: «من آذى ذمّياً فكأنّما آذاني» وقال: «إنّما بذلوا الجزية لتكون دمائهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا» والمراد أنّه بريء.

[من معرّة الجيش] أي: مضرّته وإساءته **[إلا من جوعة لا يجد المضطر عنها مذهباً إلا إلى شبعه]** وتقدير الكلام: إنّي أبرء إليكم من معرّة الجيش ومضرّته فإنّه ليس بأمري ولا برضاي إلا من معرّة جوعه المضطرّ منهم، فأقام المضاف إليه أو أطلقه عليه مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبّب.

[فنكلوا] أي: عاقبوا **[من تناول]** وروي من يناول بالياء **[منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم]** متعلّق بنكوا؛ لأنّه بمعنى اردعوا، إذ النكال يوجب الردع لئلا يكون بسطوتهم خراب الأعمال.

[وكفّوا أيدي سفائكم عن مضارّتهم والتعرّض لهم فيما استثنيناه منهم] من المعرّة الضرورية لئلا تثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش.

ثمّ قال: **[وأنا بين أظْهُر الجيش]** أي: قريب منكم وسائر على اثر

فارفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمركم ولا تطيقون دفعه إلا بإذن الله، أُغيِّره بمعونة الله، إن شاء الله .

إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت أمّا بعد فإنّ تضييع المرء ما ولي وتكلّفه ما كفي لعجزٌ حاضرٌ ورأي متبَّرٌ وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك

الجيش [**فارفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم**] أي: غشيكم منهم [**مما يغلبكم من أمركم ولا تطيقون دفعه إلا بإذن الله، أُغيِّره بمعونة الله**] وأنتصف لكم منهم. [**إن شاء الله**].

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت**] ينكر عليه دفع من يحتاز به من جيش العدو طالباً للغارة.

قال ابن أبي الحديد: وكان من صحابة عليّ وشيعته وخاصّته، وقتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، وكان عامل علي على هيت، وكان ضعيفاً تمرّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف العراق فلا يردّها ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية، فكتب إليه عليه السلام:

[**أمّا بعد فإنّ تضييع المرء ما ولي**] أي: ماله ولاية عليه من الرعية والمزارع ونحوهما [**وتكلّفه ما كفي**] أي: ما ليس من تكليفه [**لعجزٌ حاضرٌ ورأي متبَّرٌ**] أي: هالك فاسد [**وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا**] قرية على الفرات [**وتعطيلك مسالحك**] جمع مسلحة: وهي المواضع التي يقام

التي ولّيناك إيّاها، ليس بها من يمنعها، ولا يردّ الجيش عنها لرأي شَعَاعٌ. فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك. غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا سادٌّ ثغرةً، ولا كاسر شوكة عدوّك، ولا مغنٍ عن أهل مصر، ولا مجز عن أميره. ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رضي الله عنه لمّا ولّاه إمارتها: امّا بعد، فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، ومهيمناً على المرسلين

فيها طائفة من الجند لحمايتها.

[**التي ولّيناك إيّاها**] وتركها خالية. [**ليس بها من يمنعها**] من غارة العدوّ.

[**ولا يردّ الجيش عنها لرأي شعاع**] بالفتح، أي متفرّق.

[**فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك**] استعار له لفظ الجسر باعتبار عبور العدو عليه إلى غرضه، وكما أنّ الجسر لا يمنع من يمرّ به، ويعبّر عليه كائناً مَن كان، فكذلك أنت. [**غير شديد المنكب**] كنّى به عن ضعفه. [**ولا مهيب الجانب**] كذلك. [**ولا سادٌّ ثغرة**] أي ثلمة. [**ولا كاسر شوكة عدوّك، ولا مغنٍ عن أهل مصر**] في دفع عدوّهم عنهم. [**ولا مجز**] أي مغنٍ وكافٍ. [**عن أميره**] فيما يراد منه، والأصل مجزئ بالهمزة فخفّف، والسلام.

[ومن كتاب له عليه السلام
إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رضي الله عنه لمّا ولّاه إمارتها]

[**أمّا بعد، فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ومهيمناً**] أي شاهداً.

[**على المرسلين**] قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً﴾، أي تشهد بإيمان مَن أمن وكفر من كفر، أو تشهد بصحّة الأنبياء قبلك.

فلمّا مضى صلّى اللّه عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فواللّه ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته ولا أنّهم مُنَحُّوه عنّي من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامتنعت بيدي حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلّى اللّه عليه وآله فخشيتُ إن لم أنظر الإسلام وأهله أن ارى فيه ثلماً أو هدماً وتكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول

ومبشّراً﴾ أي: تشهد بإيمان من آمن وكفر من كفر أو تشهد بصحّة الأنبياء قبلك.

[فلمّا مضى صلّى اللّه عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فواللّه ما كان يُلقى في روعي] أي: قلبي وخلدي **[ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ]** أي: تزيح أمر الخلافة **[عن أهل بيته ولا أنّهم مُنَحُّوه عنّي من بعده، فما راعني]** أي: ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي وتلك الثقة التي اطمأننت إليها.

[إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه] أي: إلا وقوع ما وقع من انصباب الناس من كلّ وجه كما ينثال التراب على أبي بكر.

[فامتنعت بيدي] أي: امتنعت عن بيعته. **[حتّى رأيت راجعة الناس]** يعني أهل الرد كمسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد وغيرهم.

[قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلّى اللّه عليه وآله] أي: إلى إبطاله.

[فخشيتُ إن لم أنظر الإسلام وأهله أن ارى فيه ثلماً أو هدماً وتكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيّام قلائل يزول

ما كان منها كما يزول السراب ، أو كما يتقشّع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتّى زاح الباطل ، واطمأنّ الدِّين وَتَنَهْنَه.

ثمّ قال عليه السلام: إنّي والله لو لقيتُهُم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليتُ ولا استوحشت ، وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه ، والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ، ويقين من ربّي. وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ

[**ما كان منها كما يزول السراب ، أو كما يتقشّع السحاب**] ووجه الشبه سرعة الزوال ، وكونها لا أصل لثباتها كما لا ثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب ، وقدّم ذكر الارتداد لغرض بيان فضيلة في الإسلام ، ولذا عقّبه باقتصاص حال نهوضه ، فقال عليه السلام:

[**فنهضت في تلك الأحداث**] التي وقف من العرب [**حتّى زاح الباطل ، واطمأنّ الدِّين**] أي: استقرّ وثبت. [**وَتَنَهْنَه**] أي: اتّسع وانتشر.

ثمّ قال عليه السلام: [**إنّي والله لو لقيتُهُم**] حال كوني [**واحداً**] منفرداً ، [**وهم**] أي: والحال إنّهم [**طلاع الأرض**] أي: ملئوها [**كلّها ما باليتُ**] بهم [**ولا استوحشت**] منهم ، علّل ذلك بأمرين أشار إليهما بقوله:

[**وإنّي من ضلالهم الذي هم فيه ، والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ، ويقين من ربّي**] ومن كان بهذه الصفة لا يبالي بالموت ، بل يكون طالباً للقاء الله ، فهو كمن ينتقل من سجن إلى قصر ، وأشار إلى الثاني بقوله:

[**وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ**] فكيف أستوحش من العدوّ أو أبالي ، فإنّي إمّا أن أكون قاتلاً ، أو مقتولاً ، وعلى كلّ حال فهي الحسنى والفوز في الدنيا والعقبى

ولكن آسى أن تلي هذه الأمّة سفهائها وفجّارها فيتّخذوا ما اللّه دولاً و عباده خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً فإنّ منهم الذي شرب فيكم الحرام وجلد حدّاً في الإسلام وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له في الإسلام الرضايخ

[**ولكن آسى**] أي: أحزن [**أن تلي هذه الأمّة سفهائها وفجّارها**] كبني أُميّة وأشياعهم وهو يجري مجرى سؤال مقدّر كأنّه قيل: فإذا كنت تعلم إنّك وإيّاهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم فقال: إنّي لا أحزن من لقائهم وحربهم ولكن أحزن أن تلي أُمّة محمد سفهائها وفجّارها.

[**فيتّخذوا ما اللّه دولاً**] والدولة بالضمّ في المال: أن يكون مرّة لهذا ومرّة لذاك [**و**] أن يتخذوا [**عباده خولاً**] أي: عبيداً [**والصالحين حرباً**] أي: يحاربونهم ويعادونهم [**والفاسقين حزباً**] وأتباعاً لهم وشيعتهم.

[**فإنّ منهم الذي شرب فيكم الحرام وجلد حدّاً في الإسلام**] أشار إلى المغيرة بن شعبة في عهد عمر حين كان والياً من قبله على الكوفة فصلّى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهدوا عليه وجُلد الحدّ وكذا عنبسة بن أبي سفيان جلده عبداللّه في الطائف.

[**وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له في الإسلام الرضايخ**] والرضخ: الرشوة، إشارة إلى أبي سفيان وابنه معاوية؛ لأنّهما كانا من المؤلّفة قلوبهم الذين يستمالون إلى الدين وجهاد العدوّ بالعطاء.

قال ابن أبي الحديد: والرضيخة شيء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن أمر يطلب منه كالأجرة، وذلك لأنّه من المؤلّفة قلوبهم الذين رغبوا في الإسلام والطاعة بجمال وشياة دُفعت إليهم وهم قوم معرضون كمعاوية

. . . .

وأخيه يزيد ، وأبيهما أبي سفيان ، وحكيم بن حزام ، وسهيل بن عمرو ، والحرث ، وخويطب ، والأخنس ، وصفوان بن اُميّة ، وعمير بن وهب الجمحي ، وعيينة بن حصين ، والأقزع بن جابر ، وعبّاس بن مرداس ، وغيرهم ، وكان إسلام هـؤلاء للطمع ، وللأغراض الدنيويّة ، ولم يكن عن أصل ، ولا عن يقين وعلم.

ثمّ قال في عمرو بن العاص إنّ إسلامه كان مدخولاً أيضاً ، إلّا إنّه لم يكن عن رضيخه ، وإنّما كان لمعنى آخر ، وذكر أنّه أراد بالذي شرب الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان ولّاه عثمان على الكوفة.

وروي عن أبي عبيدة وهشام بن الكليني والأصمعي إنّ الوليد كـان زانـياً يشرب الخمر ، فشرب بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلّى بهم أربع ركعات ، ثمّ التفت إليهم ، فقال: أزيدكم وتقيّاً في المحراب بعد أن قرأ بهم رافعاً صوته في الصلاة:

عـلق القـلب الربـابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره ، وشـهدوا عـليه بشـرب الخمر ، فأُتي به ، فأمر رجلاً من المسلمين أن يضربه الحدّ ، فلمّا دنـا مـنه قـال: ناشدتك الله وقرابتي من أمير المؤمنين ، فتركه ، فخاف عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يعطّل الحدّ فقام إليه فحدّه بيده ، فقال الوليد: ناشدتك الله والقرابة.

فقال عليّ عليه السلام: اسكت أبا وهب ، فإنّما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود ، فلمّا ضربه وفرغ منه قال: ليدعونني قريش بعدها جلّادها.

ثمّ نبّههم عليه السلام على أنّ مـا ذكـره مـن الأسـى هـو السـبب التـامّ لتـوبيخهم وتحريضهم على الجهاد

فلولا ذلك ما كثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم ونيتم ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزوى وإلى بلادكم تُغزى، انفروا رحمكم اللّه إلى قتال عدوّكم ولا تثّاقلوا إلى الأرض فَتُقِرُّوا بالخسف وتُبوّئوا بالذلّ ويكون نصيبكم الأخسّ إنّ أخا الحرب الأرق ومن نام لم يُنم عنه.

[**فلولا ذلك ما كثرت تأليبكم**] أي: تحريضكم [**وتأنيبكم**] أي: لومكم [**وجمعكم وتحريضكم**] على الجهاد [**ولتركتكم إذ أبيتم**] حين امتنعتم [**ونيتم**] وضعفتم عن النفر إلى الجهاد، ولكن ما ذكرت هو الذي دعاني إلى ذلك، ثمّ نبّههم على فعل عدوّهم بهم وافتتاحه لأمصارهم وغزوهم ليستثير بذلك حمية طباعهم فقال: [**ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت وإلى أمصاركم قد افتتحت وإلى ممالككم تزوى**] أي: تُقبض [**وإلى بلادكم تُغزى، انفروا رحمكم اللّه إلى قتال عدوّكم ولا تثّاقلوا إلى الأرض فَتُقِرُّوا بالخسف وتُبوّئوا**] أي: ترجعوا [**بالذلّ**] والصغار [**ويكون نصيبكم الأخسّ**] الأوكس.

ثمّ نبّههم عليه‌السلام على من يكون أهلاً للحرب فقال: [**إنّ أخا الحرب الأرق**] وكنّى به عن كبير الهمّة إذ كان من لوازمه قلّة النوم، وقوله: [**ومن نام لم يُنم عنه**] تنفير لهم عن التواني في الجهاد بما يلزمه من طمع العدوّ فيهم بسكوتهم عنه والرقدة عن مقاومته.

ومن كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه تثبيطه النّاس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

من عبدالله عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس، أمّا بعد: فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك، فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك، واشدد مئزرك، واخرج من جحرك

[ومن كتاب له عليه السلام]

من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل، وكان يقول للنّاس: إنّها فتنةٌ فلا يجوز القيام فيها، ويروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أخبار تتضمّن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها، ويروى أنّه كان يقول لأهل الكوفة أنّ عليّاً إمام هدى، وبيعته صحيحة، إلّا أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة، فكتب إليه عليه السلام بهذا الكتاب مع ابنه الحسن عليه السلام:

[**من عبدالله عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس، أمّا بعد: فقد بلغني عنك قول**] مرّ ذكره. [**هو لك وعليك**] إذ بعضه حقّ، وبعضه باطل، كما عرفت، وهو له باعتبار ظاهر الدين، ولمنعه عن الخوض في الفتنة، وعليه خيانة خذل النّاس عن نصرة الدين، وهو عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه، يدور كيف ما دار. فالتثبيط عنه جهل محض، والجهل يعود على صاحبه بالمضرّة؛ ولأنّه في ذلك القول مناقض لغرضه؛ لأنّه كان أميراً يتهافت على الولاية، ثمّ قال عليه السلام:

[**فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك، واشدد مئزرك**] وهما كنايتان عن الجدّ والتشمير في الأمر، والمسارعة إلى ذلك. [**واخرج من جحرك**] أي من الكوفة، واستعار لها الجحر ملاحظة لشبهه بالضبّ ونحوه.

واندب من معك فإن حققت فأنفذ وإن ثقلت فاقعد عنه وأيم اللّه لتؤتينّ من حيث أنت ولا تُتْرك حتّى يُخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتّى تُعْجَلَ عن قِعْدَتِكَ و تحذرك من إمامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو ولكنّها الداهية الكبرى يركب جملها ويذلّل صعبها

[**واندب من معك**] من العسكر إلى الخروج إلى الجهاد، [**فإن حققت**] أي: عرفت حقيقة أمري وإنّي على الحقّ [**فأنفذ**] أي: فامض فيما آمرك به [**وإن ثقلت**] أي: جبنت وضعفت عن هذا الأمر ومعرفته [**فاقعد عنه**] ثمّ توعّده عليه السلام على تقدير قعوده قائلاً:

[**وأيم اللّه لتؤتينّ من حيث أنت**] أي: بالمكان الذي أنت به [**ولا تُتْرك حتّى يُخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك**] وهما مثلان كنّى بهما عن خلط أحواله الصافية بالتكدير، كعزّته بذلّته وسروره بغمّه وسهولة أمره بصعوبته.

[**وحتّى تُعْجَلَ عن قِعْدَتِكَ**] وهي هيئة قعوده، واراد غاية الإعجال [**و**] حتّى [**تحذرك من إمامك كحذرك من خلفك**] فإنّ الإنسان من ورائه أشدّ خوفاً، ويحتمل أن يكون المراد حتّى تخاف من الدنيا كما تخاف من الآخرة.

[**وما هي بالهوينا**] أي: وما القصّة المعهودة لك بالهيئة السهلة.

[**التي ترجو**] أن يكون فيها على اختيارك، [**ولكنّها الداهية الكبرى**] من دواهي الدهر ومصائب [**يركب جملها**] أي: يرب فيها [**ويذلّل صعبها**] أي: تسهل الأمور الصعاب فيها.

ويسهل جَبَلُها ، فاعقل عقلك ، واملك أمرك ، وخذ نصيبَكَ وحَظَّكَ ، فإن كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَىٰ غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبَالْحَرِيُّ لَتَكْفِيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ ، حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ،

[**ويسهل جَبَلُها**] أي وَعْرها ، وهو كناية عن وقوع ذلك لا محالة؛ لأنّها إذا ركب جملها ، وذلّل صعبها ، وسهل وعرها ، فقد فعلت ، أي لا تقل هذا أمر عظيم صعب المرام ، فإنّه إذا دام الأمر على ما أشرت على أهل الكوفة من التخاذل والجلوس في البيوت ، وقولك لهم كن عند الله المقتول ليقعن بموجب ما ذكرته لك ، وليركبن أهل الحجاز وأهل البصرة هذا الأمر المستصعب؛ لأنّا نحن نطلب أن نملك الكوفة وأهل البصرة ، كذلك فيجتمع عليها الفريقان ، ثمّ عاد إلى أمره بالخروج إليه ، فقال له:

[**فاعقل عقلك**] نُصب على المصدر ، أي: راجع عقلك دون هواك ، أو اضبط عقلك وأجب على معرفة الحقّ من الباطل. [**واملك أمرك**] أي: شأنك وطريقتك ، واصرفها على قانون الحقّ والعدل دون الباطل. [**وخذ نصيبَكَ وحَظَّكَ**] من طاعة الله ، والقيام بأمرٍ من نصرته ، والذبّ عن دين الله ، أو المراد خذ ما قَسم لك من الحظّ ، ولا تتجاوز إلى ما ليس لك. [**فإن كَرِهْتَ**] ما أمرناك به ونصحناك [**فَتَنَحَّ**] عن ولايتنا وعَملنا [**إِلَىٰ غَيْرِ رَحْبٍ**] أي غير سعة ، ضدّ قولهم مرحباً [**وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبَالْحَرِيُّ لَتَكْفِيَنَّ**] أي: فما أجد وأن تكفي هذه المؤنة [**وَأَنْتَ نَائِمٌ**] عن طاعة الله [**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟**] أي: حتّى لا تفتقد ولا يسئل عنك لعدم المبالاة بك.

ثمّ أقسم عليه السلام فقال: [**وَاللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ**] أي: إنّي في حربي هؤلاء لعلى حقّ [**مَعَ مُحِقٍّ**] ومن أطاعني مع إمام محقّ

وما يبالي ما صنع الملحدون والسلام كتبه إلى معاوية جواباً عن كتابه أمّا بعد، فإنّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الأُلفة والجماعة ففرّق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنّا وكفرتم، واليوم أنّا استقمنا وفتنتم وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حرباً

أطاعني مع إمام محقّ [وما يبالي ما صنع الملحدون] في دين اللّه من الخلاف والشقاق.

قال ابن أبي الحديد: وهذا إشارة إلى قول النبي ﷺ: «اللّهم أدر الحقّ معه حيثما دار» [والسلام].

ومن كتاب له عليه السلام

[كتبه إلى معاوية جواباً عن كتابه] يذكّره ما كانوا عليه قديماً من الالفة والجماعة وينسب إليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعائشة ويتوعّده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان، فأجابه عليه السلام عن جميع ذلك بقوله:

[أمّا بعد، فإنّا كنّا نحن وأنتم] قبل ظهور الإسلام [على ما ذكرت من الأُلفة والجماعة ففرّق بيننا وبينكم أمس] حين بعث اللّه رسوله محمّداً ﷺ [أنّا آمنّا] به [وكفرتم، واليوم] تأكّدت الفرقة [أنّا استقمنا] على منهاج الحقّ [وفتنتم وما أسلم مسلمكم إلا كرهاً] كأبي سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من بني عبد شمس.

[وبعد أن كان أنف الإسلام كلّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله حرباً]

وذكرت انّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدتُ بعائشة، ونزلت بين المصرين. وذلك أمر غبت عنه، فلا عليك ولا العذرُ فيه إليك.

وأنف كلّ شيء أوّله وطرفه، واستعار الأنف لهم باعتبار كونهم أعزّاء أهله. قال ابن أبي الحديد: وكان أبو سفيان وأهله من بني عبد شمس أشدّ النّاس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل الهجرة إلى أن فتح مكّة.

[**وذكرت انّي قتلت طلحة والزبير، وشرّدتُ بعائشة، ونزلت بين المصرين**] أي: البصرة والكوفة.

[**وذلك أمر غبت عنه، فلا عليك ولا العذرُ فيه إليك**] وكلّ مَن غاب عن أمر ولم يكن فيه مَدخل فليس تكليفه عليه، ولا العذر عن التقصير والتفريط فيه إليه.

قال ابن أبي الحديد: أجابه عليه السلام بكلام مختصر أعرض فيه عنه هواناً به، فأمّا الجواب المفصّل فأن يقال: إنّ طلحة والزبير قتلا أنفسهما ببيعتهما ونكثهما ولو استقاما على الطريقة لسلما، ومن قتل الحقّ فدمه هدر، وأمّا كونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع، ولكنّ العيب يحدث وأصحابنا يذهبون إلى أنّهما تابا، وفارقا الدنيا نادمَين على ما صنعا، وكذلك نقول نحن: فإنّ الأخبار كثرت عنهما بذلك، فهما من أهل الجنّة لتوبتهما، ولولا توبتهما لكانا هالكَين كما هلك غيرهما، فإنّ الله تعالى لا يحابي أحداً بالطاعة والتقوى، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

وأمّا الوعد لهما بالجنّة فمشروط بسلامة العافية والكلام في سلامتهما، وإذا ثبت توبتهما فقد صحّ الوعد لهما وتحقّق، وقوله: «بشّر قاتل ابن صفيّة بالنّار». فقال قوم من علماء الحديث وأرباب

وذكرت إنّك زائري في المهاجرين والأنصار وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أبوك

السيرة: هو كلام علي غير مدفوع، وقوم منهم جعلوه مرفوعاً، وعلى كلّ حال فهو حقّ؛ لأنّ ابن جرموذ قتله مولياً خارجاً من الصف مفارقاً للحرب فقد قتله على توبة وأنابه، ثمّ قال:

وأمّا أُمّ المؤمنين عائشة فقد صحّت توبتها، والأخبار الواردة في توبتها أكثر من الأخبار الواردة في توبة طلحة والزبير؛ لأنّها عاشت زماناً طويلاً وهما لم يبقيا، والذي جرى لها كان خطأ منها، فأيّ ذنب لأميرالمؤمنين في ذلك، ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة على أنّ علياً أكرمها وصانها وعظّم من شأنها، ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت وشقّت عصى الأُمّة عليه ثمّ ظفر بها لقتلها ومزّقها إرباً إرباً، ولكن عليّاً كان حلياً كريماً، أنتهى.

أقول: لم نظفر برواية معتبرة تدلّ على توبة من ذكر، اللّهمّ إلا أن يكون المراد بالتوبة عقر الجمل والهزيمة، على أنّ خروجهم عن الحقّ دراية والتوبة رواية لا تعارض الدراية!

[**وذكرت إنّك زائري في المهاجرين والأنصار**] موهماً في كلامك أنّك من المهاجرين [**وقد انقطعت الهجرة يوم أُسر أبوك**] أي: حين الفتح، وذلك أنّ معاوية وأباه وجماعة من أهله إنّما أظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال ﷺ «لا هجرة بعد الفتح» فلا يصدق عليهم إذاً إسم المهاجرين، وفي رواية: يوم أُسر أخوك، فيكون تكذيباً له في قوله: في جمع من المهاجرين والأنصار، أي: ليس معك مهاجر، لأنّ أكثر من معك ممن رأى

فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَينَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

رسول الله هم أبناء الطلقاء مَن أسلم بعد الفتح ، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لا هجرة بعد الفتح».

وعبّر عن يوم الفتح بعبارة حسنةً فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكفر لا وأنّهم ليسوا من ذوي السوابق ، فقال: «قد انقطعت الهجرة يوم أُسِر أخوك» ، يعني يزيد بن أبي سفيان أُسر يوم الفتح في باب الجندبة ، وكان خرج في نفرٍ من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكّة ، فقتل منهم قوم أُسِر يَزيد بن أبي سفيان ، أسّره خالد بن الوليد ، فخلفه أبو سفيان منه وأدخله داره ، فأَمِنَ؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يومئذٍ: «مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ثمّ قابل عليه السلام وعيده بمثله فقال:

[**فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ**] أي إن كنت مستعجلاً في سيرك [**فَاسْتَرْفِهْ**] أي: فاطلب الرفاهيّة على نفسك في ذلك ، فإنّك إنّما تستعجل إلى ما يضرّك.

[**فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:**

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَينَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ]

قيل: وجه التمثيل إنّه شبّه استقبال معاوية في جمعه له استقبالهم رياح الصيف ، ووجه شبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه عليه السلام يضرب وجههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجه مستقبليها بالحصى

وعندي السيف الذي أغصصته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد فإنّك وإنّه الأغلف القلب المقارب العقل والأولى أن يقال لك إنّك رقيت سلّماً أطلعك مطالع سوء عليك لا لك لأنّك نشدت غير ضالّتك ورعيت غير سائمتك وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه

ثمّ قال عليه السلام: [**وعندي السيف الذي أغصصته بجدّك**] وهو عتبة [**وخالك**] الوليد بن عتبة [**وأخيك**] حنظلة بن أبي سفيان [**في مقام واحد**] يوم بدر أغصصت السيف بفلان أي: جعلته يغصّ به وهو من المقلوب؛ لأنّ المضروب هو الذي يغصّ بالسيف أي: لا يكاد يسيغه ويروى بالضاد المعجمة أي: جعلته عاضاً لهم وألزمته بهم.

[**فإنّك وإنّه الأغلف القلب**] أي: الذي لا بصيرة له كأنّ قلبه في غلاف كما قال تعالى: ﴿قالوا قلوبنا غلف﴾ ووجه الاستعارة كونه محجوباً بالهيئات البدنية وأغشية الباطل عن قبول الحقّ وفهمه فكأنّه في غلاف [**المقارب العقل**] بكسر الراء الذي عقله ليس بجيد ثمّ أعلمه على سبيل التوبيخ بما الأولى أن يقال في حاله فقال:

[**والأولى أن يقال لك إنّك رقيت سلّماً أطلعك مطالع سوء عليك لا لك**] استعار السلّم للأحوال التي ركّبها والمنزلة التي طلبها، واستعار الضالّة والسائمة في قوله: [**لأنّك نشدت غير ضالّتك ورعيت غير سائمتك**] لمرتبته التي ينبغي له أن يطلبها ويقف عندها.

[**وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه**] كنّى به عن أمر الخلافة والولاية.

فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ، وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ، عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَىٰ، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ،

[**فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!**] لأنّ مدار قولك على طلبة قتلة عثمان وإنكار المنكر، ومدار فعله وحركاته على التغلّب في الملك والبغي على الإمام معادل، وشتّان ما بينهما. [**وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ! حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ**] في محلّ جرّ صفة. [**وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ، عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله] حيث كانوا يَتَمَنَّوْنَ ويبذلون أنفسهم وأموالهم فيه من قهر الرسول صلى الله عليه وآله وإطفاء نور النبوّة، وإقامة أمر الشرك، و«ما» في قوله: «ما أشبهت» مصدريّة مبتدأ خبره قريب، وحكم عليه السلام بقرب شبهه بأعمامه وأخواله، فمن الشقاوة من جهة عمومته حمّالة الحطب، ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة، وإنّما ذكر الأعمال والأخوال لأنّه لم يكن له أعمام وأخوال كثيرون، ويجوز أن يعبّر بالجمع المنكّر عن الواحد والاثنين مجازاً في معرض الشناعة، وأشار إلى وجه الشبه بقوله: «حملتهم...»، ثمّ قال: [**فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ**] متعلّق بقوله: «صرعوا»، وقوله عليه السلام: [**مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَىٰ**] صفة السيوف، وقوله: [**وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا**] استعارة، أي إنّ تلك السيوف لم يلحق ضربها ووقعها هون ولا سهولة ولم تجرِ معها، وروي لم تماسها بالسين المهملة، أي لم يخالطها شيء، من ذلك، ثمّ قال: [**وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمانَ، فَادْخُلْ فِيما دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ**] من الطاعة والبيعة.

ثمّ حاكم القوم إلي أحملك وإيّاهم على كتاب اللّه وأمّا تلك التي تريدفإنّها خدعة الصبي عن اللبن أول الفصال والسلام لأهله.

أيضاً إليه:

أمّا بعد فقد آن وتنتفع باللّمح الباصر من عيان الأُمور فلقد سلكت مدارج أسلافك

[**ثمّ حاكم القوم إلي أحملك وإيّاهم على كتاب اللّه**] وحكمه، إذ لابدّ للمتخاصمين من حاكم بالحقّ، فليس له أنيقتل جملة من المهاجرين والأنصار وأعيان الصحابة بغير حكم شرعي.

[**وأمّا تلك التي تريد**] أي: الخدعة عن الشام بأن تقرّ على إمارتها [**فإنّها خدعة الصبي عن اللبن أول الفصال**] ووجه الشبه ضعفها وظهور كونها خدعة لكلّ أحد [**والسلام لأهله**] إشارة بأنّ معاوية ليس من أهله، والعيان يغني عن البيان.

ومن كتاب له عليه السلام

[**أيضاً إليه: أمّا بعد فقد آن**] أي: قرب وحان لك [**وتنتفع باللّمح الباصر من عيان الأُمور**] أي: حان لك أن تنتفع بما تعلمه من معاينة الأُمور والأحوال وتتحقّقه يقيناً بقلبك كما يتحقّق ذو اللمح الباصر بما يبصره بحاسّة بصره وعيان الأُمور معاينتها، وهو ما يعرفه ضرورة من استحقاق اميرالمؤمنين عليه السلام للخلافة دونه وبرائته كل كشبهة ينسبها إليه.

[**فلقد سلكت مدارج أسلافك**] أي: اتبعت طرائق أبي سفيان أبيك

بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ ، وَابْتِزَازِكَ مَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ؛ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِيءَ بِهِ صَدْرُكَ .

وعتبة جدّك وأمثالهما من أهلك من ذوي الكفر والشقاق.

[**بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ**] وما ليس لك بحقّ من دم عثمان وطلحة الزبير وغير ذلك [**وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ**] الاقتحام الدخول في الشيء بسرعة من غير رويّة ، والمين: الكذب ، والغرور ـ بالضمّ ـ مصدر ، و ـ بالفتح ـ الاسم ، والمراد دخوله في الغفلة عن سوء عاقبتها [**وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ**] الانتحال ادّعاء ما ليس له ، والمراد الخلافة ، أي: أنت دونها ولست من أهلها [**وَابْتِزَازِكَ**] أي استلابك [**مَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ**] يعني التسمّي بإمرة المؤمنين [**فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ**] أي فعلت ذلك كلّه هرباً من التمسّك بالحقّ والدين ، وحبّاً للكفر والشقاق والتقلّب [**وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ**] وجحوداً وفراراً مصدران سدّا مَسَدّ الحال ، ثمّ بينّ الإلزام بقوله: [**مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ**] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [**وَمُلِيءَ بِهِ صَدْرُكَ**] علماً في مواطن عديدة.

لابن أبي الحديد جحوداً لما هو ألزم يعني فرض طاعته عليّ عليه السلام لأنّه قد وعاها سمعه لا ريب في ذلك:

أمّا بالنصّ في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يذكره الشيعة ، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير؛ لأنّه حجّ معهم حجّة الوداع ، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من النّاس كافّة: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» ، وقد سمع غير ذلك ، وأمّا البيعة ، كما نذكره نحن ، فإنّه قد اتّصل به خبرها ، وتواترعنده وقوعها ، فصار وقوعها عنده معلوماً.

فماذا بعد الحقّ إلا الضلال وبعد البيان إلا اللّبس

بالضرورة كعلمه بأنّ في الدنيا بلدة اسمها مصر وإن كان ما رآها.

والظاهر من كلام أميرالمؤمنين أنّه يريد المعنى الأول ونحن نخرجه على وجه لا يلزم منه ما يقوله الشيعة فنقول: لنفرض أنّ النبي ﷺ ما نصّ عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنّه قال في ألف مقام «أنا حرب لمن حاربت سلم لمن سالمت» ونحو ذلك قوله: «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» وقوله: «حربك حربي وسلمك سلمي» وقوله: «أنت مع الحقّ والحقّ معك» وقوله: «هذا منّي وأنا منه» وقوله: «هذا أخي» وقوله: «يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله» وقوله: «اللّهمّ آتني بأحبّ خلقك إليك» وقوله: «وليُّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي» وقوله في كلام قاله: «هو خاصف النعل» وقوله: «لا يحبّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق» وقوله: «إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة» وجعله أوّلهم، وقوله لعمّا: «تقتلك الفئة الباغية»، وقوله: «ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي» إلى غير ذلك مما يطول تعداده جداً، ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له، أفما كان ينبغي لمعاوية أن يفكّر في هذا ويتأمّله ويخش اللّه ويتقيه.

[**فماذا بعد الحقّ إلا الضلال**] اقتباس من كلام اللّه وإشارة إلى انّ الحقّ الذي علمه ليس ورائه لمن تعدّاه إلا الضلال والهلاك.

[**وبعد البيان**] الذي بيّن لك في أمري [**إلا اللّبس**] يقال: لبست عليه الأمر لبساً أي: خلطته، والمضارع يلبس بالكسر، ثمّ حذّره الشبهة واشتمالها على لبستها فقال:

فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فإنّ الفتنة طالما أغدقت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها.

وقد أتاني كتاب منك زور أفانين من القول ضعفت وقاها عن السلم

[**فاحذر الشبهة**] كشبهة دم عثمان [**واشتمالها على لبستها**] بالضمّ يقال في الأمر لبسته أي: اشتباه، واستعار اللبسة للداخلين فيها ملاحظةً لشبهها بالقميص ونحوه وعلّل تحذيره إيّاه ووجوب وقوفه دونها بقوله:

[**فإنّ الفتنة طالما أغدقت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها**] يقال: أغدقت المرأة قناعها أي: أرسلته إلى وجهها وأغدق الليل: أرخى سدوله، والجلابيب جمع جلباب: وهو الثواب، وأغشت الأبصار ظلمتها أي: أكسبتها الغشاء وهو ظلمة العين.

استعار الجلابيب لأمورها المغطّية لبصائر أهلها عن الحقّ كما لا تبصر المرأة عند إرسال جلبابها على وجهها، وكذا استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس الأمر فيها وعدم التهدّي إلى الحقّ كالظلمة التي لا يهتدى فيها، ورشح بذكر الأغداق والإعشاء.

ثمّ شرع في أحوال كتابه فقال: [**وقد أتاني كتاب منك زور أفانين من القول**] والتفنّن: التخليط والتنويع، أي: ذي أساليب مختلفة.

[**ضعفت وقاها عن السلم**] أي: عن الإسلام، أي: لم تصدر تلك الأفانين المختلطة عن مسلم وكان كتب إليه يطلب منه أن يفرده بالشام وأن يولّيه العهد من بعده وأن لا يكلّفه الحضور عنده، أي: ليس تلك الطلبات والدعاوي والشبهات التي تضمّنها كتابك من القوّة ما يقتضي أن يكون

و أساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهباس والخابط في الريماس وترقّيت إلى مرقية بعيدة المرام نازحة الأعلام

التمسّك به مسلماً؛ لأنّه كلام لا يقوله إلا من هو إمّا كافر أو منافق وقيل المراد بالسلم الصلح، أي: ليس لها قوة أن توجب صلحاً.

[**وأساطير**] جمع أُسطورة بالضمّ وأساطرة بالكسر.

[**لم يحكها منك علم ولا حلم**] وحو الكلام: صيغته ونظمه والحلم: العقل، أي: ما صدر هذا الكلام والهجر الفاسد عن عالم ولا عاقل.

[**أصبحت منها كالخائض في الدهباس**] وهو المكان السهل اللّين دون الرمل [**والخابط في الريماس**] وهو المكان الشديد الظلمة كالسرب ونحوه، وجملة «أصبحت» صفة أساطير، ووجه الشبه بالخائض والخابط ضلاله وعدم هدايته إلى وجه الحقّ كما لا يهتدي خائض الدهاس وخابط الديماس فيهما.

ثمّ شرع في جوابه وكان مقصوده في كتابه أن ينصّ عليه بالخلافة بعده ليبايعه فوبّخه أوّلاً على طلبه أمراً ليس من أهله بقوله:

[**وترقّيت إلى مرقية بعيدة المرام**] استعار المرقية لأمر الخلافة ورشح بلظ الترقي، والمرقية في الأصل الموضع العالي.

وقوله: [**نازحة الأعلام**] جمع علم وهو ما يهتدى به في الطرقات من المنار، أي: سمت بك همّتك إلى دعوى الخلافة وهي منك كالمرقية التي لا ترام بتعدّ على من يطلبها وليس فيها اعلام تهدي إلى سلوك طريقها أي:

تقصر دونها الأنوف ويحاذى بها العيوق وحاش للّه أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً وأجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنّك إن فرّطت حتّى ينهد إليك عباد اللّه ارتجت عليك الأمور وصنعت أمراً هو منك اليوم مقبول، والسلام.

الطرق إليها غامضة كالجبل الأملس الذي ليس فيه درج ومراقي يسلك منها إلى ذروته.

[**تقصر دونها الأنوف**] بفتح الهمزة كأكول: طائر، وهو ـــــــ، وفي المثل «أعزّ من بيض الانوف» لأنّها تحرزه فلا يكاد أحد يظفر به؛ لأنّ أوكارها في رؤوس الجبال والأمكنة الصعبة البعيدة.

[**ويحاذى بها العيوق**] وهو كوكب معروف فوق زحل في العلوّ، وهذه أمثال ضربها عليه السلام في بُعد معاوية عن الخلافة، ثمّ قال:

[**وحاش للّه أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً**] أي: دخولاً في أمر من أُمورهم أو خروجاً.

[**وأُجري لك على أحد منهم عقداً أو عهداً**] والعقد: النكاح، والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والأمان واليمين والذمّة، أي: لا يمكنّه من ذلك ولا يولّيه على أمر من أُمور المسلمين كما قال عليه السلام في مقام آخر: «وما كنت متّخذ المضلّين عضداً».

ثمّ قال: [**فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها**] فيما يصلحها من الأعمال والملكات الفاضلة [**فإنّك إن فرّطت**] في أمرك [**حتّى ينهد إليك عباد اللّه ارتجت**] أي: انغلقت وصعبت [**عليك الأمور وصنعت أمراً**] وعذراً [**هو منك اليوم مقبول**] فاغتنم الفرصة، [**والسلام**] على من اتّبع الهدى.

إلى عبدالله بن العبّاس «ره» وقد مضى هذا الكتاب بخلاف هذه الرواية: أمّا بعد، فإنّ العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت من دنياك في نفسك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ ولكن إطفاء باطل وأحياء حقّ

ومن كتاب له عليه السلام

[إلى عبدالله بن العبّاس «ره» وقد مضى هذا الكتاب] مشروحاً فيما تقدّم **[بخلاف هذه الرواية: أمّا بعد، فإنّ العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه]** فيكون كلّ من فرحه وحزنه في غير محلّه، ولو كان له يقين تامّ لما فرح ولما حزن كما قيل:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبداً   و ما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته   وأخو الجهالة متعب مغبون

وينبّه على ذلك قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

[فلا يكن أفضل ما نلت من دنياك في نفسك بلوغ لذّة أو شفاء غيظ] نبّهه على لزوم فضيلتي العفّة والحلم بالنهي عن أن يجعل بلوغ لذّته من دنياه أو شفاء غيظه الّذين هما طرفا الإفراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين أفضل ما نال منها في نفسه، ثمّ نبّهه على ما ينبغي أن يكون أفضل في نفسه من دنياه بقوله:

[ولكن إطفاء باطل وأحياء حقّ] تنبيه على وجه استعمال قوّتي

ليكن سرورك بما قدّمت وأسفك على ما خلّفت وهمّك فيما بعد الموت إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكّة: أمّا بعد، فأقم للناس الحج وذكّرهم بأيّام الله واجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم

الشهوة والغضب وهو أن يكون الغرض من فعلهما دفع الضرورة وبقدر الحاجة.

[**ليكن سرورك بما قدّمت**] من الأعمال الصالحة [**وأسفك على ما خلّفت**] أي: تركت من العمل للآخرة وقدّمت للدنيا.

[**وهمّك فيما بعد الموت**] من الدار الآخرة.

ومن كتاب له عليه السلام

[**إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكّة: أمّا بعد، فأقم للناس الحج**] والمراد القيام بأعماله وتعليم الجاهلين كيفيته وجمعهم عليه.

[**وذكّرهم بأيّام الله**] وهي أيام الأنعام وأيام الانتقام لتحصل لهم الرهبة والرغبة.

[**واجلس لهم العصرين**] أي: الغداة والعشية، وخُصّا لكونهما أطيب الأوقات سيّما بالحجاز.

وأشار عليه السلام إلى أعظم فوائد جلوسه في الوقتين فقال: [**فافت المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم**] وبيان الحصر انّ الناس إمّا غير عالم أو عالم، وغير العالم إمّا مقلّد أو متعلم طالب، والعالم إمّا هو غيره فهذه أقسام أربعة.

ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها فإنّها إن ذيدت عن أبوابك في أوّل وردها لم تحمد على قضائها، وانظر إلى ما اجتمع من مال اللّه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع المفاقر والخلاّت وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا ومُرْ أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً فإنّ اللّه سبحانه يقول: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحجّ إليه من غير أهله، وفّقنا اللّه وإيّاكم لمحابّه، والسلام.

ثمّ قال: [**ولا يكن لك إلى الناس سفير**] يعبّر عنك [**إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك**] لأنّ ذلك مظنّة الكبر والجهل بأحوال الناس الذي يجب على الوالي الإحاطة بها بقدر الإمكان، و«إلا» للحصر وما بعدها خبر كان.

[**ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها**] بل أبرز نفسك لأرباب الحوائج.

[**فإنّها**] أي: الحاجة [**إن ذيدت**] أي: طُردت ودُفعت [**عن أبوابك في أوّل وردها لم تحمد**] فيما بعد [**على قضائها، وانظر إلى ما اجتمع من مال اللّه**] في بيت مال المسلمين فاصرفه [**إلى من قبلك**] أي: من في جهتك [**من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع المفاقر**] أي: الحاجات، يقال: شدّ اللّه مفاقره أي: أغنى اللّه فقره. [**والخلاّت**] جمع خلّة وهي الحاجة.

[**وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا**] من ذوي الحاجة [**ومُرْ أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً فإنّ اللّه سبحانه يقول: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحجّ إليه من غير أهله، وفّقنا اللّه وإيّاكم لمحابّه، والسلام**].

أمّا بعد، فإنّما مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليّنٌ مسّها قاتل سمّها فاعرض عمّا يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها وتصرّف حالاتها، وكن آنس ما تكون منها أحذر ما تكون منها فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور

ومن كتاب له عليه السلام
إلى سلمان الفارسي «رض» قبل أيام خلافته

[أمّا بعد، فإنّما مثل الدنيا كمثل الحيّة، ليّنٌ مسّها قاتل سمّها] ويماثل الأوّل رفاهية العيش ولذاته، والثاني هلاك المنهمكين في لذّاتها يوم القيامة.

[فاعرض عمّا يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها] فإنّ الإنسان لا يصحب منها إلا الكفن ولواحقه.

[وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها] أي: لأنّك متيقّن لفراقها وكلّما تيقنت فراقه وجب أن ـــــ همّك عن طلبه.

[وتصرّف حالاتها، وكن آنس ما تكون منها أحذر ما تكون منها فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور] و«ما» مصدرية و«آنس» نصب على الحال، و«احذر» خبر كان أي: في حال كونك آنس بها كن أحذر ما يكون منها.

قال ابن أبي الحديد: سلمان رجل من فارس من رامهرمز وقيل بل من

....

اصفهان، وهو معدود من موالي رسول اللّه ﷺ وكنيته أبو عبداللّه. وفي الاستيعاب: كان يسف الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه، ويقول: لا أُحبّ أن آكل إلا من عمل يدي.

وقال: كان سلمان خيّراً فاضلاً عالماً زاهداً متقشّعاً والأكثر انّ أوّل مشاهده الخندق ولم يفته بعدها مشهد. وروي أنّه شد بدراً وكان عطائه خمسة آلاف وكان إذا خرج تصدّق به وأكل من عمل يده وكانت له عباة يفرش بعضها ويلبس بعضها، وذكر ابن وهب وابن نافع أنّه لم يكن له بيت إنّما كان يستظلّ بالجُدر والشجر، وقد روي عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «لو كان الدّين في الثريا لناله سلمان» وعن عائشة قالت: «كان لسلمان مجلس من رسول اللّه ﷺ يتفرّد به بالليل حتّى كان يغلب على رسول اللّه ﷺ» وعنه ﷺ: «أمرني ربّي بحبّ أربعة وأخبرني أنّه يحبّهم: عليٌّ وأبوذر والمقداد وسلمان» وعن علي عليه السلام وقد سُئِل عن سلمان قال: «علم العلم الأوّل والعلم الآخر ذاك بحر لا ينزف وهو منّا أهل البيت» وعنه عليه السلام: «سلمان كلقمان الحكيم».

ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى الحرث الهمداني

قال ابن أبي الحديد كان أحد الفقهاء له يول في الفتيا وكان صاحب علي عليه السلام وإليه تُنسب الشيعة الخطاب الذي خاطبه به في قوله:

وتمسّك بحبل القرآن وانتصحه وأحلّ حلاله وحرِّم حرامه وصدّق بما سلف من الحقّ واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي فيها فإنّ بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحقٌ بأوّلها وكلّها حائل مفارق، وعظّم اسم اللّه إن تذكره إلا على حقّ وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت

يا حار همدان من ميت يرني　　　　من مؤمن أو منافق قبلا

[**وتمسّك بحبل القرآن**] أي: الزم العمل به، واستعارة الحبل لما في النبوي بعد الأمر بالتمسّك بالثقلين فقال: «أحدهما كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد اللّه وطرف بأيديكم».

[**وانتصحه**] أي: اتّخذه ناصحاً بحيث تقبل أمره وشوره لأنّه يهدي إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم.

[**وأحلّ حلاله وحرِّم حرامه**] بأن تعمل بمقتضاهما.

[**وصدّق بما سلف من الحقّ**] ممّا حكاه من أحوال القرون الماضية والأُمم الخالية وأحوال الأنبياء مع أُممهم ليصحّ منه الاعتبار.

[**واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي فيها**] فيجعل ما مضى أصلاً وما بقي فرعاً، والقدر المشترك بينهما من العلّة كونها مظنّة التغيّر والزوال، فيحم في الفرع بحكم الأصل من وجوب الزوال ونبّه على المشترك بقوله:

[**فإنّ بعضها يشبه بعضاً**] وعلى ما يلزم ذلك في الفرع بقوله: [**وآخرها لاحقٌ بأوّلها وكلّها حائل**] أي: زائل [**مفارق، وعظّم اسم اللّه إن تذكره**] حالفاً به [**إلا على حقّ وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت**] فإنّ ذكرهما يرقّق القلوب ويكفّر الذنوب وينفّر عن الدنيا ويرغّب في الآخرة.

ولا تتمنّ الموت إلا بشرط وثيق واحذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامّة المسلمين واحذر كلّ عمل يعمل به في السرّ ويحذر منه في العلانية واحذر كلّ عمل إذا سُئِل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه ولا تجعل غرضك غرضاً لنبال القول ولا تحدّث الناس بكلّ ما سمعت فكفى بذلك كذباً

[ولا تتمنّ الموت إلا بشرط وثيق] من نفسك تطمئن إليه في طاعة اللّه وولايته فإنّ تمنّيه بدون ذلك سفه وحمق.

[واحذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامّة المسلمين] وهو نهي عن الاستئثار عليهم بالخيرات كقولهم: أرد للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها.

[واحذر كلّ عمل يعمل به في السرّ ويحذر منه في العلانية] إشارة إلى التنزّه عن المعاصي ومقارفة أُمور الدنيا، وكذا كلّ عمل من شأنه أن ينكره إذا سُئِل عنه ويعتذر منه، كما أشار إليه بقوله:

[واحذر كلّ عمل إذا سُئِل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه ولا تجعل غرضك غرضاً لنبال القول] استعار لفظ الغرض والنبال لما يُرمى به من القول.

[ولا تحدّث الناس بكلّ ما سمعت فكفى بذلك كذباً] بأن تقول كان كذا وكذا دون أن تقول سمعت فلاناً يقول كذا، فإنّ بينهما فرقاً، ولذا قال: وكفى بذلك كذباً؛ إذ لعلّ ما سمعه كذباً في نفس الأمر فيكون قد كذب في قوله كان، بخلاف ما إذا قال سمعت أو أنّ فلاناً قال كذا.

ولا تردّ على الناس كلّما أحدثوك به فكفى بذلك جهلاً واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة الحسنة واستصلح كلّ نعمة أنعمها اللّه عليك ولا تضيعنّ نعمة من نعم اللّه عندك

[**ولا تردّ على الناس كلّما أحدثوك به فكفى بذلك جهلاً**] إذا جاز أن يكون في الواقع حقّاً فيحصل من إنكاره إنكار الحقّ.

[**واكظم الغيظ**] كما قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾.

[**واحلم عند الغضب**] روي أنّ عبداً لموسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قدّم إليه صفحة فيها طعام حار، فعجل فصبّها على رأسه ووجهه، فغضب عليه السلام فقال له: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال: قد كظمت، قال: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال: قد عفوت، قال: ﴿واللّه يحبّ المحسنين﴾ قال: أنت حرٌّ لوجه اللّه، وقد نحلتك ضيعتي الفلانية.

[**وتجاوز عند المقدرة**] يقرب مما قبله [**واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة الحسنة**] كما صفح رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن مشركي مكّة حين ظفر بهم وكما صفح عليه السلام عن أصحاب الجمل حين ظفر بهم وقد شقّوا عصى الإسلام.

[**واستصلح كلّ نعمة أنعمها اللّه عليك**] أي: استدمها بالشكر؛ لأنّه إذا استدامها فقد أصلحها، فإنّ بقائها صلاح.

[**ولا تضيعنّ نعمة من نعم اللّه عندك**] بالقصور عن الشكر والغفلة عنه أو المراد واس الناس فيها وأحسن إليهم واجعل بعضها لنفسك وبعضها للصدقة والإيثار، فإنّك إن لا تفعل ذلك تكن قد أضعتها.

وليـر عليك أثر مـا أنعم اللّه بـه عليك واعلم أنّ أفـضـل المؤمنين أفضلهم تقـدّمة يقدّمـها من نفسـه وأهله وماله ما تقدّم من خـير يبق لك ذخـره ومـا تؤخّره يكن لغـيرك خـيره وعليك حسـابه ووزره، واحـذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الأمصار العظام فإنّها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة اللّه

[**ولير عليك أثر مـا أنعم اللّه به عليك**] بإظهارها على نفسك وذويك وصرف فاضلها إلى أهل الاستحقاق.

[**واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفـضلهم تقدّمة**] أي: صدقة [**يقدّمها من نفسـه وأهله وماله**] بأقواله وافعاله وإنّك [**ما تقدّم من خير يبق لك ذخره ومـا تؤخّره يكن لغـيرك خيره وعـليك حسـابه ووزره، واحـذر صحـابة**] بفتح الصـاد مـصدر صـحبت [**من يفيل رأيه**] أي: يضعف [**وينكر عمله**] لسوئه ورداثته.

[**فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه**] يقاس به وينسب فعله إلى فعله ولأنّ الطبع مع الصحبة أطوع منه للفعل منه للقول فلو صحبه لسانه فعله.

[**واسكن الأمـصار العظام فـإنّها جماع المسلمـين**] أي: مجمعـهم وكان يقـال: لا تسكن إلا في مصر فيه سـوق قائمة ونهـر جار وطبيب حاذق وسلطان عادل.

[**واحذر منـازل الغفلة والجفـاء وقلّةِ الأعوان على طاعة اللّه**] كقرى السواد والرساتيق فـإنّ أهلها لا نور فيهم ولا ضوء عليـهم وإنّما هم كالدواب والأنعام همّتهم الحرث والفلاحة ولا يفقهون ومجاورتهم تعمي القلب

واقصر رأيك على ما يعنيك وإيّاك ومقاعد الأسواق فإنّها محاضر الشيطان ومعارض الفتن وأكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه فإنّ ذلك من أبواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل اللّه أو في أمر تعذر به وأطع اللّه في جمل أُمور فإنّ طاعة اللّه فاضلة على ما سواها

وتظلم الحسن وإذا لم يجد الإنسان من يعينه على طاعة اللّه وعلى تعلّم العلم قصّر فيهما.

[**واقصر رأيك على ما يعنيك**] فإنّ فيه شغلاً عمّا لا يغنيك [**وإيّاك ومقاعد الأسواق فإنّها محاضر الشيطان**] لكونها مجمع الشهوات ومحلّ الخصومات التي مبدئها الشيطان.

[**ومعارض الفتن**] جمع معرض وهو محلّ عروض الفتن.

[**وأكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه**] في نعمة من نعم اللّه تعالى.

[**فإنّ ذلك من أبواب الشكر**] لكونه سبباً للدخول إليه منه، وكلّما كان من أبواب الشكر فواجب ملازمته [**ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة**] صلاة الجمعة، فإنّه يجب السعي إليها من فرسخين، فكيف يسافر عنها.

[**إلا فاصلاً في سبيل اللّه**] كجهاد ونحوه [**أو في أمر تعذر به**] فعند الضرورات تباح المحظورات.

[**وأطع اللّه في جمل أُمور فإنّ طاعة اللّه فاضلة على ما سواها**] وكلّما فضل سواه فينبغي لزومه لأنّها توجب السعادة الدائمة والخلاص من الشقاء الدائم والأفضل ممّا يؤدّي إلى ذلك.

وخداع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنّه لابدّ من قضائها وتعاهدها عند محلّها وإيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربّك في طلب الدنيا وإيّاك ومصاحبة الفسّاق فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق

[**وخداع نفسك في العبادة**] أي: تلطّف لها في النوافل.

[**وارفق بها ولا تقهرها**] فتملّ وتضجر [**وخذ عفوها ونشاطها إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنّه لابدّ من قضائها وتعاهدها عند محلّها**] قيل: لمّا كان شأن النفس اتّباع الهوى وموافقة الطبيعة فبالحري أن تخادع عن مألوفها إلى غيره تارةً بأن يذكر الوعد وتارةً الوعيد وتارة الاستشهاد بمن هو دونها ممّن شمّر في عبادة اللّه وتارةً باللوم لها على التفريط في جنب اللّه فإذا سلك بها فينبغي أن يكون بالرفق م غير قهرها على العبادة لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما أشار إليه النبيﷺ بقوله: «إنّ هذا الدّين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة اللّه فإنّ النبت لا أرضا أقطع ولا ظهراً أبقى.

[**وإيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربّك في طلب الدنيا**] استعار له الاباق باعتبار خروجه عن أمره ونهيه واشتغاله بالدّنيا التي هي عدوّة للّه ولرسوله.

[**وإيّاك ومصاحبة الفسّاق فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق**] فيصير لك شرّاً كشرّهم لانّ القرين بالمقارن يقتدي ونعم ما قيل:

صاحب أخاً ثقة تحضى بصحبته ... فالطبع مكتسب من كلّ مصحوب
كالريح آخذه مما تمرّه به ... نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

ووقّر اللّه وأحبّ أحبائه واحذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس والسلام أمّا بعد، فقد بلغني أنّ رجالاً من قبلك يتسلّلون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحقّ وإيضاعهم إلى العمى والجهل

[**ووقّر اللّه**] وعظّمه في السرّ والعلانية.

[**وأحبّ أحبائه**] وأوليائه [**واحذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس**] وهو أعظم ما يدخل به على الإنسان فيملكه ويصير في تصريفه كما يملك الداخل بالجند العظيم على المدينة، [**والسلام**].

ومن كتاب له عليه السلام
إلى سهل بن حنيف الأنصاري

وهو عامله على المدينة في مضي قوم من أهلها أُلحقوا بمعاوية:

[**أمّا بعد، فقد بلغني أنّ رجالاً من قبلك يتسلّلون**] أي: يخرجون [**إلى معاوية**] محاربين في خفية واستتار [**فلا تأسف**] أي: لا تحزن [**على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم**] تسليةً له عمّا فاته من عددهم ومددهم.

[**فكفى لهم غيّاً**] أي: ضلالاً [**ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحقّ وإيضاعهم**] أي: إسراعهم [**إلى العمى والجهل**] أي: يكفيك في الانتقام منهم وشفاء النفس من عقوبتهم أنّهم يتسلّلون إلى معاوية.

وإنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أُسوة فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً إنّهم لم يفرّوا للّه من جور منّا ولم يلحقوا بعدل وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل اللّه لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه إن شاء اللّه، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

أمّا بعد، فإنّ صلاح أبيك غرّني منك وظننت أنّك تتّبع هديه

[وإنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون] أي: مسرعون [إليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أنّ الناس عندنا في الحقّ أُسوة فهربوا إلى الأثرة] أي: لمّا كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا وعلموا تساوي الناس عندنا في الحقّ هربوا إلى الاستئثار والاستبداء عند معاوية.

[فبعداً لهم وسحقاً] مصدران وصفا للدعاء.

[إنّهم لم يفرّوا للّه من جور منّا ولم يلحقوا بعدل] من معاوية [وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل اللّه لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه إن شاء اللّه والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته].

ومن كتاب له عليه السلام
إلى المنذر بن الجارود العبدي

وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة:

[أمّا بعد، فإنّ صلاح أبيك غرّني منك وظننت أنّك تتّبع هديه

وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقّى إليّ عنك لا تدع لهواك انقياد ولا تبقى لآخرتك عتاداً تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغراً أو ينفذ به أمراً أو يعلى له قدراً أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جباية

وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقّى] بالتشديد أي: رُفع **[إليّ عنك لا تدع لهواك انقياد]** بل تنقاد لهواك وتخالف هواك، ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

[ولا تبقى لآخرتك عتاداً] أي: عدّة **[تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك]** قيل: كان فيما رقى إليه عنه أنّه يقتطع المال ويضعه على رهطه وقومه ويخرج بعضه في لذّته ومآربه.

[ولئن كان ما بلغني عنك حقّاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك] قيل: يضرب بالجمل المثل في الهوان، وأصله انّ الجمل يكون لأب القبيلة فيصير ميراثاً لهم يسوقه كلّ منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير بينهم، وبشسع النعل في الاستهانة لابتذالها ووطئها الأقدام في التراب.

[ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسدّ به ثغراً] أي: لا يصحّ للولاية.

[أو ينفذ به أمراً أو يعلى له قدراً أو يشرك في أمانة] لأن الخلفاء أُمناء اللّه في بلاده فمن ولوه من قبلهم فقد أشركوه في أمانتهم.

[أو يؤمن على جباية] بالجيم ثمّ الباء الموحّدة ثمّ الياء المثنّاة من تحت أي: استجباء الخراج وجمعه، وفي رواية «خيانة» أي: حال خيانتك لأنّ

فأقبل إليّ حتّى يصل إليك كتابي هذا إن شاء اللّه ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بأنّ الدهر يومان يومٌ لك ويومٌ عليك

كلمة «على» تفيد الحال.

[**فأقبل إليّ حتّى يصل إليك كتابي هذا إن شاء اللّه**].

قال السيّد الرضي «ره» المنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام إنّه لنظّار في عطفيه مختال في برديه تفّال في شراكه، والتفل في الشراك نفخ الغبار عنه.

وقال ابن أبي الحديد: المنذر بن الجارود كان مرجئاً وابنه الحكم يتلوه في الشرف، والمنذر غير معدود في الصحابة ولا رأى رسول اللّه ولا ولد في أيّامه وكان تائهاً معجباً بنفسه وقال: وفد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله في سنة تسع وقيل في سنة عشر وفي الاستيعاب انّه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبداللّه بن العبّاس: أمّا بعد، فإنّك لست بسابق أجلك] لأنّه هو الوقت الذي علم اللّه موت الشخص فيه ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.

[**ولا مرزوق ما ليس لك**] إذ الرزق مقدّر معيّن وما علم اللّه أنّه ليس رزقاً له فمحال أن يرزقه.

[**واعلم بأنّ الدهر يومان يومٌ لك**] وهو اليوم الذي يكون فيه المنافع واللّذات والكمالات [**ويومٌ عليك**] وهو ما فيه المضار والآلام.

وإنّ الدنيا دار دول وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك أمّا بعد، فإنّي على التردّد في جوابك والاستماع لكتابك لموهن رأي ومخطئ فراستي فيك وإنّك إن تخاذلني الأمور وتراجعني السطور

[**وإنّ الدنيا دار دول**] كما قال تعالى: ﴿تلك الأيّام نداولها بين الناس﴾.

[فما كان منها لك أتاك على ضعفك وإعراضك وعجزك [**وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك**] بل الأمور والأرزاق مستندة إلى مدبّر حكيم فاسترح وفوّض الأمر إلى اللّه ولا تتعب نفسك وبدنك في الطلب، فإنّ ما قدّر لك يصل إليك، وما لم يقدّر لا يأتيك، ولو بذلت جهدك، فما هذا التعب والجهد. وفي النبوي: «إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب».

ومن كتاب له عليه السلام
إلى معاوية

[**أمّا بعد، فإنّي على التردّد في جوابك والاستماع لكتابك لموهن**] أي: مضعف [**رأي ومخطئ فراستي فيك**] لغلبة ظنّي انّ مكاتبتك وجوابك لا فائدة فيه.

[**وإنّك إن تخاذلني الأمور وتراجعني السطور**] أي: مراجعة الكتب في ذلك.

كالمشتغل النائم تكذبه أحلامه أو المتحيّر القائم ينهظه مقامه لا يدري أله ما يأتي أم عليه ولست به غير أنّه بك شبيه وأُقسم باللّه لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك منّي قوارع تقرع العظم وتهلس اللّحم عن أن تراجع أحسن أُمورك

[**كالمشتغل النائم**] أي: الغريق في النوم [**تكذبه أحلامه**] أي: تخيلاته وأمانيه في وصول هذا الأمر إليه تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالأحلام الكاذبة للمستغرق في نومه إذا استيقظ لم يجدها شيئاً.

[**أو المتحيّر القائم**] وأشار إلى وجه الشبه بقوله: [**ينهظه مقامه**] حيث انّ معاوية مجدّ في هذا الأمر متحيّر في تحصيله متهوّر في طلبه مع جهله بعاقبة سعيه هل هي خير أو شرّ كالقائم المتحيّر في أمر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غايته من مقامه.

[**لا يدري أله ما يأتي أم عليه**] ثمّ لم يرض له بهذا التشبيه بل زاد مبالغةً في غفلته ونومه في مراقد طبيعته وحيرته فقال:

[**ولست به**] أي: ولست بهذا شبيهاً فيكون هو أصلاً لك في الشبه [**غير أنّه بك شبيه**] أي: إنّك أصل له في ذلك الشبه [**وأُقسم باللّه لولا بعض الاستبقاء**] للمصالح [**لوصلت إليك منّي قوارع**] أي: حروب شديدة [**تقرع العظم وتهلس اللّحم**] أي: تذهب به ويقرب منه النهش كما في بعض النسخ.

واعلم انّ الشيطان قد ثبّطك] أي: أشغلك وأقعدك [**عن أن تراجع أحسن أُمورك**].

قال ابن أبي الحديد: إنّي لموهّن رأيي ـ بالتشديد أي: لائم يقيني ـ

. . . .

ومستضعف رأيي في أن جعلتك نظيراً أكتب وتجيبني وتكتب وأُجيبك وإنّما كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت لهوانك وإنّك في مناظرتي ومقاومتي بالأُمور التي تحاولها والكتب التي تكتبها كالنائم يرى أحلاماً كاذبة أو كمن قام مقاماً بين يدي سلطان قد أثقله مقامه ذلك فهو لا يدري هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحيّر ويدركه العي، ثمّ قال: وإن كنتُ لستُ بذلك الرجل فإنّك شبيه به.

أمّا تشبيهه بالنائم ذوي الأحلام، فإنّ معاوية لو رأى في المنام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه خليفة يخاطبه بإمرة المؤمنين ويحارب عليّاً على الخلافة ويقوم في المسلمين مقام رسول الله صلى الله عليه وآله لما طالب لذلك المنام تأويلاً ولا تعبيراً واحدة من وساوس الخيال وأضغاث الأحلام. ثمّ قال: وأمّا تشبيهه إيّاه بالقائم... إلخ، فلأنّ الحجج وألسنة المعاذير التي يذكرها معاوية في كتبه أوهن من نسج العنكبوت فهو حال ما يكتب كالقائم ذلك المقام يخبط خبط عشواء ويكتب ما يعلم هو والعقلاء من الناس أنّه سفه وباطل، ثمّ قال في معنى قوله «لولا بعض الاستبقاء ... إلخ»: قيل إنّ النبي صلى الله عليه وآله فوّض إليه أمر نسائه بعد موته وجعل إليه أن يقطع عصمة أيّتهن شاء إذا رأى ذلك ولجماعة من الصحابة يشهدون له بذلك فقد كان قادراً أن يقطع عصمة أُم حبيبة ويبيح نكاحها للرجال عقوبة لها ولمعاوية ـــــ فإنّها كانت تبغض عليّاً كما يبغضه أخوها ولو فعل ذلك لانتهش لحمه وهذا قول الإمامية، وقد رووا عن رجالهم أنّه عليه السلام تهدّد عائشة بضرب من ذلك.

وأمّا نحن فلا نصدّق هذا الخبر، وتفسير كلامه على معنى آخر وهو أنّه

هذا ما أجمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها أنّهم على كتاب الله يدعون إليه ويأمرون به ويحييون من دعى إليه لا يشترون به ثمناً ولا يرضون به بدلاً

قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا رسول اللّهﷺ يلعن معاوية بعد إسلامه ويقول: إنّه منافق كافر وإنّه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة، فلو شاء أن يحمل إلى أهل الشام خطوطهم وشهاداتهم بذلك ويسمعهم قولهم ملافظةً ومشافهةً لفعل.

ومن حلف له عليه السلام

كتبه بين اليمن وربيعة نقل من خطّ هشام بن الكلبي.

قال ابن أبي الحديد: الحلف: العهد، أي: من كتاب حلف، فحذف المضاف، واليمن كلّ من ولده قحطان نحو حمير وعك وحذام وكندة والأزد وغيرهم، وربيعة هو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب وعبدالقيس وهشام بن محمد نسّابة بن نسّابة عالم بأيام العرب وأخبارها وأبوه أعلم منه.

[**هذا ما أجمع عليه أهل اليمن حاضرها**] أي: ساكنوا الحضر [**وباديها**] أي: ساكنوا البادية [**أنّهم**] مجتمعون [**على كتاب اللّه يدعون إليه ويأمرون به ويحييون من دعى إليه لا يشترون به ثمناً**] أي: لا يتعوّضون عنه بالثمن.

[**ولا يرضون به بدلاً**] كناية عن لزومهم له وللعمل به.

وإنّهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه وإنّهم أنصار بعضهم لبعض، دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوماً

[وإنّهم يد واحدة] أي: يتعاونون **[على من خالف ذلك وتركه]** فأطلق اسم اليد على التعاون مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبّب.

[وإنّهم أنصار بعضهم لبعض، دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب] أي: لا يؤثّر في هذا العهد والحلف ولا ينقضه أن يعتب أحد منهم على بعضهم؛ لأنّه استجداه فلم يجده أو طلب منه أمراً فلم يقم به.

[ولا لغضب غاضب] ولا لأنّ أحداً منهم غضب من أمر صدر من صاحبه.

[ولا لاستذلال قوم قوماً] أي: ولا لأنّ عزيزاً منهم استذلّ ذليلاً منهم أو أنّ إنساناً منهم سبّ آخر وهجا أحداً، وروي «لمشيّة قوم قوماً» أي: لإرادتهم لهم.

[على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم، ثمّ إنّ عليهم بذلك عهد اللّه وميثاقه ﴿إنّ عهد اللّه كان مسؤولاً﴾ وكتب عليّ بن أبي طالب وفي رواية مشهورة ابن أبو طالب، فجعل الكنية علماً بمنزلة لفظة واحدة لا يتغيّر إعرابها.

من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد، فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم حتّى كان ما لابدّ له منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد أدبر من أدبر وأقبل من أقبل فبايع من قبلك وأقبل إليّ وفد من أصحابك، والسلام.

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية من المدينة في أوّل ما بويع له بالخلافة ذكره الواقدي في كتاب الجمل

[**من عبدالله علي أميرالمؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد، فقد علمت إعذاري فيكم**] إلى الله في نصح عثمان وكوني ذا عذر لولتكم أو زعمتكم في أيّام عثمان.

[**وإعراضي عنكم**] أي: مع كوني ذا عذر لو فعلت ذلك فلم أفعله بل أغرضت عن إسائتكم إليّ وضربت عنكم صفحاً.

[**حتّى كان ما لابدّ له منه ولا دفع له**] من قتل عثمان وما جرى بعده [**والحديث طويل والكلام كثير**] في أمره ومن قتله وكيف قُتل وما آل إليه.

[**وقد أدبر من أدبر**] كطلحة والزبير ومن تابعهما [**وأقبل من أقبل**] على النصرة والمقاتلة، والمراد قد دخل في الإدبار من أدبر عنّي وفي الإقبال من أقبل عليّ، والمراد قد أدبر بذلك الزمان وأقبل زمان آخر.

[**فبايع من قبلك**] من الجماعة لي [**وأقبل إليّ وفد من أصحابك، والسلام**].

ومجلسك وحكمك وإيّاك والغضب فإنّه طيرة من الشيطان واعلم انّ ما قرّبك من اللّه يباعدك من النار وما باعدك من اللّه يقرّبك من النار لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه

ومن وصيّة له عليه السلام

لعبداللّه بن عباس عند استخلافه إيّاه على البصرة: سع الناس بوجهك بالبشر وطاقة المحيّا.

[**ومجلسك**] بالتواضع [**وحكمك**] بالعدل؛ لأنّ العدل يسع كلّ أحد والجور ضيق لا يحتمل الكلّ.

[**وإيّاك والغضب فإنّه طيرة من الشيطان**] بفتح الطاء وسكون الياء فعلة من الطيران أي: خفّة وطيش، وروي طيرة من التطيّر وهو التشاؤم أي: إنّه مما يتشئم الناس بصاحبه ويكرهه.

[**واعلم انّ ما قرّبك من اللّه يباعدك من النار وما باعدك من اللّه يقرّبك من النار**] فتحرّ ما ينفعك واجتنب ما يضرّك واللّه المستعان.

ومن وصيّة له عليه السلام
لعبداللّه بن عباس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج

[**لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال**] يحتمل المعاني الكثيرة [**ذو وجوه**] عديدة فيه مجال واسع للقيل والقال والنزاع والجدال، له ظهور

ولكن خاصمهم بالسنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً فإنّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى وإنّي نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً

وبطون ولبطونه بطون وفيه المحكم والمتشابه والنصّ والظاهر والمجمل والمؤول والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيّد والعامّ والخاصّ.

[**ولكن خاصمهم بالسنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً**] أي: معدلاً، فإنّه لو احتجّ عليهم على حقيقة أميرالمؤمنين بقوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك﴾ ونحو ذلك لكان لهم في القول مجال بخلاف ما لو احتجّ عليهم بقول النبيﷺ «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار»، وقولهﷺ: «اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» ونحو ذلك.

ومن كتاب لهعليه السلام

أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي أقعدوا فيه للحكومة وكذر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي.

[**فإنّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم**] الحظّ الذي ينبغي لهم من الدّين والهدى [**فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى وإنّي نزلت من هذا الأمر**] أي: أمر الخلافة [**منزلاً معجباً**] بكسر الميم أي: يعجب من

اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم وأنا أُداوي منهم قرحاً اخاف أن يعود علقاً وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أُمّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله وأُلفتها منّي أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالّذي وأيتُ على نفسي وإن تغيّرت على صالح ما فارقتني عليه

رآه أن يجعله متعجباً منه بحيث صار محكوماً لهم في قبول الحكومة والرضى بالصلح وغيره.

[**اجتمع به أقوام**] صفة منزل، أي: إنّ هذا المنزل الذي أنا فيه من هذا الأمر قد اجتمع معي وشاركني في رأيي فيه أقوام.

[**أعجبتهم أنفسهم**] وآرائهم فاعتدوا عليّ الأمر [**وأنا أُداوي منهم قرحاً**] استعار القرح لما فسد من حاله باجتماعهم على التحكيم والمداواة لاجتهاد في إصلاحهم.

[**اخاف أن يعود علقاً**] استعار العلق لما يخافه من تفاقم أمرهم. [**وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أُمّة محمّد صلّى اللّه عليه وآله وأُلفتها منّي**] و«أحرص» خبر ليس، وقوله «فاعلم» اعتراض حسن بين ليس وخبرها، و«رجل» يفيد العموم؛ لكونه نكرة في سياق النفي، ثمّ أبان غرضه من الحرص على الالفة بقوله: [**أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب**] من الكريم الوهّاب.

[**وسأفي بالّذي وأيتُ على نفسي وإن تغيّرت على صالح ما فارقتني عليه**] أي: أنا سوف أفي بما وعدت وما استقرّ بيني وبينك من العهد والشروط وإن كنت أنت قد تغيّرت عن صالح ما فارقتني عليه.

فإنّ الشقي من حُرم نفع ما أُوتي من العقل والتجربة وإنّي لأعبد أن يقول قائل بباطل ولن أفسد أمراً قد أصلحه اللّه فدع عنك حالاً تعرف فإنّ شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء، والسلام.

أمّا بعد، فإنّما أُهلك من كان قبلك أنّهم منعوا الناس الحقّ فاشتروه وأخذوهم بالباطل فاقتدوه

[**فإنّ الشقي من حُرم نفع ما أُوتي من العقل والتجربة**] إشارة إلى أنّه إن خدع أو تغيّر بأمراض فقد حرم نفع عقله وسابقة تجربته فلزمته الشقاوة.

ثمّ قال: [**وإنّي لأعبد**] أي: أنف من عبد بالكسر أي: أنف [**أن يقول قائل بباطل**] أي: آنف من ان يقول غيري قولاً باطلاً فكيف لا آنف ذلك من نفسي.

[**ولن أفسد أمراً قد أصلحه اللّه**] وهو أمر الدّين [**فدع عنك حالاً تعرف**] من الحكم في هذه القضية بالشبهة [**فإنّ شرار الناس**] كعمرو بن العاص ونحوه [**طائرون إليك بأقاويل السوء**] أي: لا تصغ إلى قول الوشاة والنمّامين فإنّهم سرّاع إلى أقاويل السوء [**والسلام**].

ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف أُمراء الأجناد

[**أمّا بعد، فإنّما أُهلك من كان قبلك أنّهم منعوا الناس الحقّ فاشتروه**] أي: فاشترى الناس الحقّ منهم بالوشاء والأموال.

[**وأخذوهم بالباطل فاقتدوه**] أي: جعلوا تصرّفاتهم معهم بالباطل فاقتدوا بالباطل وسلكوا فيه مسلك من أخذهم به كقوله تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج عن سائر أغراضه

كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيُركتب ولا ضرع فيُحلب

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

قال عليه السلام:

[**كن في الفتنة كابن اللبون**] وهو ولد الناقة الذي إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة يقال للأُنثى ابنة اللبون وذلك لأنّ أُمّها في الأغلب تضع غيرها فتكون ذات لبن واللّبون من الإبل والشاء ذات اللّبن، وأشار إلى وجه الشبه بقوله:

[**لا ظهر فيُركتب ولا ضرع فيُحلب**] أي: ليس هو كاملاً قويّ ظهره فيُركب، وليس بأُنثى ذات ضرع فتُحلب، فهو مطرح لا ينتفع به، والمراد أن يكون في زمن الفتنة خاصل الذكر ضعيفاً غير مستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به في الفتنة، كابن اللبون لا ينفع

أزرى بنفسه من استشعر الطمع ورضيّ بالذلّ من كشف عن ضرّه وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه.

بظهره ولا لبنه، و«ظهر» مبتدأ خبره محذوف، أي: لا ظهر له فيُركب، و«يركب» عطف على الجملة، وروي منصوباً بإضمار أن في جواب المنفي وكذا قوله «فيُحلب».

وقال عليه السلام:

[**أزرى بنفسه**] أي: قصر بها [**من استشعر الطمع**] أي: جعله شعاره، أي: لازمه، وفي النبوي: سُئِلَ صلى الله عليه وآله عن الغنى فقال: «اليأس عمّا في أيدي الناس ومن مشى منكم إلى طمع الدنيا فليمش رويداً» وذلك أنّ الطمع بما في أيدي الناس يستلزم الحاجة إليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهون عليهم وسقوط المنزلة، واستعار الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد.

[**ورضيّ بالذلّ من كشف عن ضرّه**] أي: من شكى إلى الناس بؤسه وفقره فقد رضي بالذلّ؛ لأنّه إن كان عدواً سرّه وإن كان صديقاً سائه، ويلزم ذلك الذلّ والرضى به.

[**وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه**] وفيه تنفير للإنسان عن الإكثار في القول من غير تدبّر ومراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه في الدنيا؛ لأنّ زيادة القول تكون سبباً للهلاك في الآخرة لقوله صلى الله عليه وآله: «وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» واستعار وصف التأمير لتسليط اللّسان على ما يؤذي النفس من غير مراجعتها فكأنّها صارت محكومة له.

وقال عليه السلام:

البخلُ عارٌ والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حاجته والمقلّ غريب في بلدته.
والعجز آفة الصبرُ شجاعة والزهد ثروة

[**البخلُ عارٌ**] فبقدر حمد الإنسان على الكريم يذمّ على البخل.

[**والجبن منقصة**] لأنّه رذيلة التفريط من مظنّة الشجاعة التي هي أصل من الكمالات النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة.

[**والفقر يخرس الفطن عن حاجته**] لكونه مذلّة وله في النفس فعل عظيم بالقبض والفتور والانفعال عن الغير ومبدء كلّ ذلك تصوّر العجز وتوهّم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصوم فيحصل التخوّف من الكلام والعي عنه، وإن كان صاحبه فطناً، واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظةً لشبهه به.

[**والمقلّ غريب في بلدته**] أي: الفقير، واستعار له الغريب باعتبار عدم التفات الناس إليه وقلّة الأعوان والاخوان له لإقلاله، فهو كالغريب الذي لا يعرف.

[**والعجز آفة**] لأنّ الآفة هي النقص أو ما أوجب النقص، والعجز كذلك، والعجز بندي وهو عدم القدرة على التصرّفات البدنية عمّا من شأنه أن يقدر، ونفساني وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه، والأوّل آفة بدنية ونقصان فيه، والثاني آفة في العقل وعاهة فيه.

[**الصبرُ شجاعة**] الصبر مقاومة الهوى وهو جهاد مع النفس الأمّارة يستلزم الشجاعة، ونعم ما قيل: الصبر لا يتجرّعه إلا حرّ.

[**والزهد ثروة**] والثروة: ما استغنى به عن الناس ولا غنى عنهم، كالزهد في دنياهم، فهو الغنى الأكبر وفسّر الزهد بإعراض النفس عن متاع

والورع جُنّة ونِعْم القرين الرضا العلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية وصدر العاقل صندوق سرّه

الدنيا وطيّباتها، وروي أنّه كلمتان في كتاب اللّه ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ وقيل هو ترك كلّ شيء يشغلك عن اللّه، وقيل: الزهد في الدنيا هو الزهد في المحمدة والرياسة لا في المطعم والمشرب.

[**والورع جُنّة**] الورع لزوم الأعمال الجميلة، فلذا استعار له لفظ الجُنّة لمشابهتها في الوقاية من عذاب اللّه في الآخرة ومن أكبر المصائب الدنيوية كما يجتن بالترس وغيره من السلاح.

[**ونِعْم القرين**] في الدنيا والآخرة [**الرضا**] بما قضى اللّه وقدره، وفي الحديث القدسي: «من لم يرض بقضائي فليتّخذ ربّاً سواي وليخرج من أرضي وسمائي» وقيل: من سخط القضاء طاح ومن رضى به استراح.

[**العلم وراثة كريمة**] لأنّ كلّ عالم من البشر إنّما يكتب علمه من أُستاذ يهذّبه ومعلّم يعلّمه فكأنّه ورث العلم عنه كما يرث الابن المال عن أبيه، وروي أنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنّما ورّثوا العلم.

[**والآداب حلل مجددة**] أي: الآداب الشرعية ومكارم الأخلاق الحسنة، واستعار لها الحُلَل المجددة لزينة الإنسان بها وتجدّد بهائه وحسنه وتهذيب نفسه على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي لا تزال تتجدّد على لابسها.

[**والفكر مرآة صافية**] أي: القوّة المفكّرة، واستعار لها المرآة باعتبار أنها إذا وُجّهت نحو تحصيل المطالب التصوّرية والتصديقية أدركتها وتمثّلت فيها كما يتمثّل في المرآة الصورة الجاذبة لها.

[**وصدر العاقل صندوق سرّه**] استعار للصدر صندوق السرّ لحفظه له

والبشاشة حبالة المودّة والاحتمال قبر العيوب.
وروي أنّه عليه السلام قال في العبارة المسالمة خباء العيوب ومن رَضِيَ عن نفسه كثر الساخط عليه والصدقة دواء منجح

كما يحفظ الصندوق ما فيه، وفيه إشارة إلى الأمر بكتمان السرّ، وقيل: لاتنكح خاطب سرّك.

[**والبشاشة حبالة المودّة**] استعار الحبالة باعتبار اقتناص الناس بها واستمالتهم إلى صداقته ومودّته كحبالة الصائد التي يقتنص فيها الطير.

[**والاحتمال قبر العيوب**] أي: احتمال المكروه والأذى من الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة، واستعار له قبر العيوب باعتبار ستره لمعائب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميّت.

[**وروي أنّه عليه السلام قال في العبارة**] عن هذا المعنى [**المسالمة خباء العيوب**] الخباء مصدر خبأته أخبوه وقال الجوهري: الخباء واحد الأخبية: بيت من وبر أو صوف ولا يكون من شعر ويكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك، فهو بيت، والمسالمة فضيلة تحت العفّة، واستعار لها الخباء باعتبار أنّها تستجلب المودّة والمحبّة وتستلزم سكوت الناس عن العائب وسترها كالخباء، ونقيضها المخاصمة المستلزمة لثوران الطباع وإبراز المعايب.

[**ومن رَضِيَ عن نفسه كثر الساخط عليه**] لأنّه إذا اعتقد كمال نفسه وأكمليّتها نظر إلى غيره بعين الاحتقار ولم يوف الناس حقوقهم فيستحطوا عليه؛ ولأنّه يرفع نفسه فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكثر المتنقص له والساخط عليه.

[**والصدقة دواء منجح**] أي: نافع لمشابهتها الدواء، أمّا في الدنيا فللنبوي «داووا مرضاكم بالصدقة» ولأنّها تطابق القلوب على محبّة المتصدّق

وأعمال العباد في عاجلهم نُصب أعينهم في آجلهم إعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلّم بلحم ويسمع بعظم ويتنفّس من خرم

والرغبة إلى اللّه في دفع المكاره عنه فهي في ذلك سبب للشفاء كالدواء، وأمّا في الآخرة فلأنّها سبب لدفع المكاره الأُخروية.

[**وأعمال العباد في عاجلهم نُصب أعينهم في آجلهم**] أي: ظاهرة قائمة في أعينهم وهي الآن في أغشية من الهيئات البدنية وحجاب الشهوات النفسانية، فإذا زالت بمفارقة الجسد تجرّدت وانكشفت لها الأُمور، كما قال تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾، وقال تعالى: ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً﴾.

وقال عليه السلام:

[**إعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم**] وهي الرطوبة المسمّاة بالبيضة والرطوبة الجليدية.

[**ويتكلّم بلحم**] وعنى به اللّسان، فإنّه لحم أبيض رخو تلتفّ به عروق صغار كثيرة فيها دم، ولذلك يتبيّن أحمر وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة، وقيل: ليس اللّسان آلة ضرورية في الكلام لأنّ من انقطع لسانه من أصله يتكلّم بخلاف ما إذا قطع رأسه، وإنّما الكلام باللّهوات وهي لحم أيضاً.

[**ويسمع بعظم**] وهو المسمّى بالحجري عظم صلب فيه مجرى الأُذن كثير التعاريج والعطفات يمرّ كذلك إلى أن يلقى العصبة الناتئة من الدماغ التي هي مجرى الروح الحاصل للقوّة السامعة.

[**ويتنفّس من خرم**] من خرم الأنف والفم وصّ هذه الأربعة بالذكر لكونها مع صفتها ضرورية في وجود الإنسان لا يقوم إلا بها.

إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم خالطوا الناس مخالطةً إن متّم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنّوا إليكم إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه

وقال عليه السلام:

[إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم] أي: إذا أقبلت بجاهها ومالها على قوم أعارتهم محاسن أسباب السعادة الدنيوية لهم، استلزم ذلك إقبال الناس وتقرّبهم إليهم بكلّ ممكن ميلهم إلى الدنيا ومحبّتهم لها وأحسنوا في أعينهم واستعاروا لهم الأوصاف الجميله التي كانت في غيرهم وإن لم يكونوا في نفس الأمر كذلك وربّما كان إقبال الدنيا عليهم سبباً لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانية والملكات الفاضلة التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم ويحتمل أن يراد محاسن الدنيا من مركوب وملبوس وأُبّهة ونحوها، وأطلق عليه العارية لعدم دوامه، وإذا أدبرت عنهم بحسب توافق أسباب الشقاوة فيها قبحوا في أعين الناس فإن زهد في الدنيا نسبوه إلى الرياء والسمعة وإن حسنته أخلاقه نسبوه إلى الملق والطمع.

قال عليه السلام: **[خالطوا الناس مخالطةً إن متّم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنّوا إليكم]** إذ من لوازم حسن العشرة أن يحنّ إليه في الحياة ويفقد ويبكى على بعد الوفاة، والجملة الشرطية في محلّ النصب صفة المخالطة.

وقال عليه السلام: **[إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه]** لأنّ القدرة عليه نعمة من اللّه يجب شكرها والاعتراف للّه والخضوع له، ويلزمه الرقّة وفتور الغضب ويتبع ذلك العفو فأقامه مقام الشكر

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفّروا أقصاها بقلّة الشكر

للملازمة بينهما، ولما كان الشكر واجباً كان العفو لازماً.

وقال عليه السلام:

[**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان**] أي: الأصدقاء الصادقين؛ لأنّ ذلك لا يحتاج إلى إتعاب قوّة بدنية ولا إعمال فكرة عقلية وإنّما يفتقر إلى كرم الأخلاق وحسن العشرة والبشر والطلاقة وهي أُمور طبيعيّة هيّنة، فالعاجز عنها أعجز الناس عمّا هو مقدور لهم.

[**وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**] لأنّ المكتسب للاخوان ربّما احتاج إلى أدنى كلفة في اكتسابهم بخلاف الظافر بهم فإنّه غير محتاج إلى ذلك القدر من الكلفة، فكان سبب حفظ الاخوان أسهل من سبب تحصيلهم، فكان المضيّع لحفظهم أعجز من العاجز، عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ الأمر الأسهل، فإن: قيل: قد قال: إنّ المضيّع لهم أعجز من أعجز الناس فلا يكون أعجز الناس هذا خلف، قيل: لفظ الناس مطلق وإنّما يلزم الخلف لو كان للعموم.

وقال عليه السلام:

[**إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفّروا أقصاها بقلّة الشكر**] استعار التنفير ملاحظةً لشبهها بالطير المتثل إذا سقط أوّله اتصل به آخره إن لم ينفر وفيه إشارة إلى أنّ دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾.

وقال عليه السلام:

من ضيّعه الأقرب أُتيح له الأبعد.

ما كلّ مفتون بعاتب تذلّ الأُمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التدبير عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود، فقال عليه السلام إنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدّين قلّ فأمّا الآن وقد

[من ضيّعه الأقرب أُتيح له الأبعد] أي: إذا ضيّعه وأهمله عشيرته وأقربائه قدّر اللّه له من يقوم بمصالحه من هو أبعد عنه، وقد ضيّع رسول اللّه صلى الله عليه وآله رهطه من قريش وخذلوه وقام بنصره الأوس والخزرج، وهم من قحطان، وهو صلى الله عليه وآله من عدنان وكلّ منهما لا يحبّ الآخر، وقامت ربيعة بنصر أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين وهم أعداء مضر الذين هم أهله ورهطه.

وقال عليه السلام:

[ما كلّ مفتون بعاتب] أي: ليس كلّ مفتون ينفع معه العتاب، وقيل: هذه الكلمة قالها لسعد بن أبي وقّاص ومحمد بن مسلمة وعبداللّه بن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل.

وقال عليه السلام:

[تذلّ الأُمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التدبير] استعار ذلّ الأُمور لمطاوعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء، وفيه إشارة إلى وجوب إسناد الأُمور إلى اللّه والانقطاع إليه وعدم الاعتماد على التدبير، فإنّ التقدير يضحك على التدبير.

وقال عليه السلام:

[عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود] أي: غيّروه بالخضاب بالسواد أو الحناء ونحوهما، واليهود لا يفعلون ذلك.

[فقال عليه السلام إنّما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدّين قلّ] أي: قليل [فأمّا الآن وقد

اتّسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار في الّذين اعتزلوا القتال معه: خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل من جرى في عنان أمله عثر بأجله

اتّسع نطاقه] والنطاق: ثوب تلبسه المرأة لبسة مخصوصة ليس بصدر ولا سراويل، وقد استعاره لعظمه وما انتشر منه.

[**وضرب بجرانه]** أي: أقام وثبت لأنّ البعير إذا ضرب بجرانه الأرض وجرانه مقدّم عنقه، فقد استناخ وبرك.

وقوله: [**فامرؤ وما اختار]** أي: امرؤ مع اختياره، و«امرؤ» مبتدأ وإن كان نكرة، كقولهم: شراهر ذا ناب لحصول الفائدة، والواو للمعيّة و«ما» مصدرية والخبر محذوف، أي: مقرونان.

وقال عليه السلام:

[**في الّذين اعتزلوا القتال معه: خذلوا الحقّ]** يعني نفسه عليه السلام، حيث إنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور كيفما دار.

[**ولم ينصروا الباطل]** يعني معاوية ومن شاهد من هؤلاء الجماعة: عبدالله بن عمرو أبو موسى الأشعري، والأحنف بن قيس، وأشباههم.

وقال عليه السلام:

[**من جرى في عنان أمله عثر بأجله]** استعار العنان ملاحظةً لشبهه بالفرس، ولفظ الجري للاندفاع في الأمل والعمل بحسب تطويله، ولفظ العثار للامتناع عن ذلك إلجري يعارض الأجل وقواطعه، كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه.

أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه قُرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان فانتهزوا فرص الخير لنا حقٌّ فإنْ أُعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى

وقال عليه السلام:

[**أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه**] ترغيبٌ في إقالة ذوي المروءات عثراتهم التي يتّفق وقوعها نادراً، واستعار العثرات لما يقع منهم خطأً من غير تثبّت، ولفظ «اليد» لعناية الله وقدرته، وكنّى عن تعلّقاته وتدارك حاله بكون يده بيد الله يرفعه؛ لأنّ المروءة فضيلة عظيمة تستجلب همم الخلق وقلوبهم ومساعداتهم، وقيل: اللّذة ترك المروءة والمروءة ترك اللّذة، وقيل: هي صلاح المال والرزانة في المجلس والغداء والعشاء بالفناء، وقيل: هي أن تقف عمّا حرّم الله وتحترز فيما أحلّ الله.

وقال عليه السلام:

[**قُرنت الهيبة بالخيبة**] لأنّ الهيبة وهي الخوف من المقابل يستلزم عدم قضاء الحاجة منه، وعدم الظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه، وهو معنى اقترانها بالخيبة.

[**والحياء بالحرمان**] لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرّض له [**فانتهزوا فرص الخير**] أي: بادروا إلى فعله عند حضور وقت إمكانه، والفرصة تمرّ مرّ السحاب لأنّها سريعة الزوال، فيجب المبادرة إليها واغتنام وقت إمكانها.

وقال عليه السلام:

[**لنا حقٌّ فإنْ أُعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى**] قال

من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب

السيّد «ره»: وهذا من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه أنّا إذا لم نعط حقّنا كنّا أذلاء؛ وذلك أنّ الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما، وقيل: المعنى إن منعنا حقّنا ركبنا مركب المشقّة وصبرنا عليه وإن طال ولم نضجر منه.

وقيل: ضربه عليه السلام مثلاً لتأخّره عن غيره في حقّه من الإمامة وتقدّم غيره عليه، أي: إن أخّرنا عن حظّنا صبرنا على الاثرة فيها وإن طالت الأيام، والسرى: سير الليل؛ لأنّه إذا طال كانت المشقّة على راكب عجز البعير أعظم والصبر أشدّ وأصعب.

وقال عليه السلام:

[**من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه**] أي: من لم يكن له عمل صالح حسن فتأخّر بسبب ذلك عن معالي الرتب الدنيوية والأُخروية لم يسرع به حسبه وشرف بيته إليها إن كان ذا حسب، وكنّى ببطؤ عمله عن عدم وصوله إلى الخير لعدم ما يوصله إليه من زكيّ العمل وجعل الإسراع في مقابلة البطؤ.

وقال عليه السلام:

[**من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف**] أي: المظلوم [**والتنفيس**] أي: التفريج [**عن المكروب**] فتزيل الغمّ الذي يأخذ بنفسه وجعلها من كفّارات الذنوب العظام؛ لأنّها تستلزم فضائل عظيمة كالرحمة والعدل والسخاء والمروءة وغيرها، وظاهر أنّ حصول هذه الملكات في

يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره ما أضمر أحدكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه

النفس مما يستلم ستر الذنوب ونحوها ومنافاة ملكات السوء التي يعبّر عنها بالسيّئات والذنوب.

وقال عليه السلام:

[يابن آدم إذا رأيت ربّك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره] فكما أنّ دوام شكرها معدّ لزيادتها فكفرانها مستلزم لعدم الاستعداد للمزيد بل معدّ للنقصان وزوال النعمة، كما قال تعالى: ﴿ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾ وهو محلّ الحذر منه، والواو في قوله «وأنت» للحال.

وقال عليه السلام:

[ما أضمر أحدكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه] الفلتة: الأمر يقع من غير تروٍّ، وصفحة الوجه: بشرته، قيل: لمّا كان الإنسان إنّما يضمر في نفسه أمراً مهمّاً عنده من عداوة أو بغض أو محبّة إلى غير ذلك وكان الوجود اللّساني عبارة عن الوجود النفساني ومظهراً له لم يتمكّن المرء أن يحفظ ما أضمره بالكلّية؛ لأنّ مراعاة ذلك الحفظ إنّما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة، والعقل قد يشتغل بالتصرّف في مهمّ آخر فيغفل عن ضبط ما أضمره فينقلب الخيال به من أسر العقل فيلقيه في فلتات القول من غير تروٍّ، وكذلك لمّا كانت التصوّرات والأُمور النفسانية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم تنفكّ بعض الأُمور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين، وقال زهير:

امش بدائك ما مشى بك أفضل الزهد إخفاء الزهد إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتّى كأنّه قد غفر. وقد سُئِل عن الإيمان فقال: الإيمان على أربع دعائم على الصبر

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالفها تخفى على الناس تعلم

وقال عليه السلام:

[**امش بدائك ما مشى بك**] وفي رواية «ما حملك» أي: ما دام المرض لا يعجزك فلا تنم ولا تطرح جانبك إلى الأرض، وفي النبوي «من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة».

وقال عليه السلام:

[**أفضل الزهد إخفاء الزهد**] لبعده عن الرياء والسمعة، وفي النبوي «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم».

وقال عليه السلام:

[**إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى**] وذلك واضح كشخصين استقبل كلّ منهما صاحبه.

وقال عليه السلام:

[**الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتّى كأنّه قد غفر**] تحذيرٌ من سخط الله بسبب معصيته لطول إمهاله وستره إلى الغاية المذكورة.

وقال عليه السلام:

[**وقد سُئِل عن الإيمان فقال: الإيمان على أربع دعائم**] أي: أعمدة [**على الصبر**] وهو ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبايح اللّذات

واليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقّب فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار اجتنب المحرّمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات من ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة

[**واليقين**] وهو العلم الذي صار ملكة [**والعدل**] وهو ملكة فاضلة تنشأ عن الفضائل الثلاث المشهورة [**والجهاد**] الظاهري والباطني، واستعار لهذه الأربعة الدعائم لأنّ الإيمان الكامل لا يقوم في الوجود إلا بها كدعائم البيت.

[**فالصبر منها على أربع شعب: على الشوق**] إلى الجنّة ومحبّة الخيرات الباقية [**والشفق**] وهو الخوف من النار وما يؤدّي إليها [**والزهد**] في الدنيا وهو الإعراض بالقلب عن ملاذّها وطيّباتها [**والترقّب**] أي: ترقّب الموت [**فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات**] إذ السالك إلى اللّه مالم يشتق إلى ما وُعد المتّقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفّر الدواعي إليها فلم يسأل عنها.

[**ومن أشفق**] أي: خاف [**من النار اجتنب المحرّمات**] وهو ظاهر [**ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات**] لأنّ جلّها بل كلّها إنّما يلحق بسبب فقد محبوب من الأمور الدنيوية، فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هيّنة عنده.

[**من ارتقب الموت سارع في الخيرات**] والعمل للموت ولما بعده.

[**واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة**] أي: إعمال الفطنة،

وتأوّل الحكمة وموعظة العبرة وسنّة الأوّلين فمن تبصّر في الفطنة ثبتت له الحكمة ومن ثبتت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين، والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم

وهي سرعة هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها.

[**وتأوّل الحكمة**] أي: تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الأخلاق من مظانّها، ككلام يؤثّر أو عبرة تعتبر. [**وموعظة العبرة**] وهو أن يحصل من اعتبار الغير على اتعاظ وانزجار [**وسنّة الأوّلين**] بأن يلاحظها حتّى يصير كأنّه فيهم، وهذه الأربع فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض كما أشار إليه بقوله.

[**فمن تبصّر في الفطنة ثبتت له الحكمة ومن ثبتت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين، والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم**] أي: الفهم الغائص، أي: قوّة إدراك المعنى المشار إليه بلفظ أو كتابة أو إشارة ونحوها [**وغور العلم**] أي: العلم بالشيء كما هو بحقيقته وكنهه [**وزهرة الحكم**] أي: تكون الأحكام الصادرة عنه مزرهة نيّرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة.

[**ورساخة الحلم**] أي: ملكة الحلم، وعبّر عنها بالرسوخ لأنّ شأن الملكة ذلك والحلم هو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه.

[**فمن فهم علم غور العلم**] لأنّ جودة الفهم وغوصه يستلزم الوقوف

ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنئآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أُنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين أو غضب للّه غضب اللّه له وأرضاه يوم القيام في دار الكرامة

على غامض العلم.

[**ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم**] إذ الوقوف على غامض العلم يستلزم الوقوف على شرائع الحكم العادل والصدور عنها بين الخلق من القضاء الحقّ.

[**ومن حلم لم يفرط في أمره**] بحيث يتّصف برذيلة الجبن.

[**وعاش في الناس حميداً**] بفضيلته.

[**والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف**] وهو شدّ ظهور المؤمنين ومعاونتهم على إقامة هذه الفضيلة، [**والنهي عن المنكر**] بإرغام أُنوف المنافقين وإذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات [**والصدق في المواطن**] المكروهة وقضاء الواجب من أمر اللّه في دفع أعدائه والذبّ عن الحريم.

[**وشنئآن الفاسقين**] أي: بغضهم. وقد أشار إلى الارتباط بقوله:

[**فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أُنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين أو غضب للّه غضب اللّه له وأرضاه يوم القيام في دار الكرامة**].

والكفر على أربع دعائم: على التعمّق والتنازع والزيغ والشقاق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيّئة وسكر سكر الضلالة ومن شاقّ وعرت عليه طرقه وأغضل عليه أمره وضاق مخرجه. والشكّ

[**والكفر**] وهو جحد الصانع أو إنكار أحد رسله ﷺ أو ما علم مجيء أحدهم به بالضرورة.

[**على أربع دعائم: على التعمّق**] وهو الغلوّ في طلب الحقّ والتعسّف فيه بالجهل والخروج إلى حدّ الإفراط وهو رذيلة الجور.

[**والتنازع**] وهو رذيلة الإفراط من فضيلة العلم ويسمّى جربزة ويعتمدة الجهل المركّب.

[**والزيغ**] ولعلّه رذيلة الإفراط من فضيلة العفّة، وهو الميل عن حاق الوسط منها إلى رذيلة الفجور.

[**والشقاق**] وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الشجاعة المسمّى تهوّراً.

[**ومن زاغ**] أي: مال عن العفّة إلى رذيلة الفجور [**ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيّئة وسكر سكر الضلالة**] واستعار السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرّف وعدم وضع الأشياء مواضعها.

[**ومن شاقّ**] وتهوّر [**وعرت عليه طرقه**] وصعبت مسالكه.

[**وأغضل عليه أمره وضاق مخرجه**] من الأمور؛ لأنّ مبدء سهولة المسالك واتّساع المداخل والمخارج في الأمور وهو مسالمة الناس والتجاوز عمّا يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم.

[**والشكّ**] وهو التردّد في اعتقاد أحد طرفي النقيض ويقابل اليقين.

على أربع شعب: التمادي والهون والتردّد والاستسلام فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه ونكص على عقبيه ومن تردّ في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما

[**على أربع شعب: التمادي**] أي: المراء إذ مبدء المراء الشك [**والهون**] لانّ الشك في الأمور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح أو فساد وذلك يستلزم الفزع منها والخوف من الإقدام عليها [**والتردّد**] في الشكّ أي: الانتقال من حالة إلى حالة، ومِن شكٍّ في أمر إلى شكٍّ في آخر من غير ثقة بشيء، وذلك دأب من تعوّد الشك في الأمور.

[**والاستسلام**] لهلكة الدنيا والآخرة، لأنّ الشاكّ في الأمور الدنيوية والأخروية المتعوّد لذلك غير عامل لشيء منهما ولا مهتمٍّ بأسبابهما [**فمن جعل المراء ديدناً**] أي: ملكةً وعادةً له، [**لم يصبح ليله**] كنّى به عن عدم وضوح الحقّ له من ظلمة ليل الشكّ والجهل.

[**ومن هاله ما بين يديه**] من الأمور لعدم علمه بما فيها من صلاح أو فساد خاف من الإقدام.

[**ونكص على عقبيه**] إذ لا يمكنه السير لعدم العلم.

[**ومن تردّ في الريب**] وانتقل من حالة إلى أُخرى ومن شكٍّ إلى آخر.

[**وطئته سنابك الشياطين**] وهو كناية عن ملك الوهم والخيال لأرض قلبه حتّى يكون سلطان بمعزل عن الحزم عمّا من شأنه الحزم.

[**ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة**] لعدم الاستعداد والعمل لهما [**هلك فيهما**] لا محالة، قال السيّد «ره»: وبعد هذا كلام تركنا ذكره خوف

فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشرّ شرٌّ منه كُن سمحاً ولا تكن مبذّراً، وكن مقدّراً ولا تكن مقتّراً أشرف الغنى ترك المُنى من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون

الإطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب.

وقال عليه السلام:

[**فاعل الخير خيرٌ منه، وفاعل الشرّ شرٌّ منه**] لأنّ العلّة أقوى من معلولها فكان أقوى في خيريّته وشرّيه وتأثيرهما مما صدر عنه من خير أو شرّ.

وقال عليه السلام:

[**كُن سمحاً**] أي: كريماً [**ولا تكن مبذّراً، وكن مقدّراً ولا تكن مقتّراً**] نهى عن الكون على طرفي الإفراط وهو التبذير، وطرف التفريط وهو التقتير، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ وقوله: ﴿إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين﴾.

وقال عليه السلام:

[**أشرف الغنى ترك المُنى**] جمع مُنية بمعنى التمنّي، ولمّا كان ذلك رذيلة تلزم رذائل كالشره والحرص ونحوهما، جعل أشرف الغنى؛ لأنّ ترك المنى يستلزم القناعة، ومعلوم أنّها تستلزم الغنى النفساني وعدم الحاجة.

وقال عليه السلام:

[**من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون**] لمّا كان من شأن الطبع النفرة عن الأذى وبعض المؤذي وعداوته كان من شأنه في غالب

من أطال الأمل أساء العمل ما هذا الذي صنعتموه؟! قالوا: خُلُق منّا نعظّم به أُمرائنا، فقال: واللّه ما ينتفع بهذا أُمرائكم وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وتشقون به في آخرتكم وما أخسر المشقّة ورائها العقاب وأربح الدعة معها الأمان من النار يا بنيّ احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، لا يضرّك ما عملت معهنّ

الخلق يقبح ذكره بما يمكن من قول صادق أو كاذب أو مجمل لغرض أن يوافقهم السامعون على دفعه وأذاه.

وقال عليه السلام:

[**من أطال الأمل أساء العمل**] لأنّ طول الأمر في الدنيا مستلزم للإقبال عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الآخرة كان ذلك عملاً سيّئاً بالنسبة إلى الآخرة.

وقال عليه السلام وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه أي: أسرعوا مشياً فقال:

[**ما هذا الذي صنعتموه؟! قالوا: خُلُق منّا نعظّم به أُمرائنا، فقال: واللّه ما ينتفع بهذا أُمرائكم وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم**] من تعب الأبدان [**وتشقون به في آخرتكم**] لأنّكم تخضعون للولاة كما زعمتم أنّه خلق وعادة لكم خضوعاً يطلبون به الدّنيا والمنافع العاجلة فيها وكلّ خضوع وتذلّل لغير اللّه فهو معصية.

[**وما أخسر المشقّة ورائها العقاب وأربح الدعة**] أي: السكون والراحة [**معها الأمان من النار**].

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: [**يا بنيّ احفظ عنّي أربعاً وأربعاً، لايضرّك ما عملت معهنّ**] وإنّما قال: أربعاً وأربعاً، ولم يقل ثمانية؛ لأنّ

إنّ أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العُجب وأكرم الحسب حُسْنُ الخُلُق يا بنيّ إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه

الأربع الأُولى من باب واحد، وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية، والأربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق، أو لأنّ الأُولى من باب الإثبات والثانية من باب النفي.

[**إنّ أغنى الغنى العقل**] بالملكة، وهو أن يحصل لنفسه من العلوم البديهية والحسّية والتجربية قوّة يتوصل بها إلى العلوم النظرية، وإنّما كان أغنى الغنى لأنّه يحصل به الدنيا والآخرة فهو أعظم أسباب الغنى.

[**وأكبر الفقر الحمق**] وهو رذيلة الغباء وهو طرف التفريط من العقل المذكور وهو سبب الفقر من الكمالات، خصوصاً النفسانية التي بها الغنى التامّ فكان أكبر فقر.

[**وأوحش الوحشة العُجب**] وهو رذيلة الكبر ومضاد للتواضع، وهو أقوى اسباب الوحشة ونفرة الأنيس؛ لأنّ تواضع المتواضع لما استلزم انس الخلق به وشدّة ميلهم إليه كان ضدّه مستلزماً لنفرتهم وتوحّشهم التامّ منه.

[**وأكرم الحسب حُسْنُ الخُلُق**] لكونه أشرف الكمالات الباقية.

[**يا بنيّ إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك**] لعدم فرقه بين الامرين.

[**وإيّاك ومصادقة البخيل فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه**] و«أحوج» حال من الضمير في «عنك».

وإياك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه وإيّاك ومصادقة الكذّاب فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه

[وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتافه] وهو القليل من المال والفجور رذيلة الإفراط من فضيلة العفّة.

[وإيّاك ومصادقة الكذّاب فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب] بحسب أغراضه وكذبه مع أنّه ليس كذلك في نفس الأمر كالسراب الذي يظنّ ماء وليس به وكلّما كان كذلك فيجب أن يحذر صحبته ويجتنب مصادقته.

وقال عليه السلام:

[لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض] أي: ببعض أركانها أو شرائطها إذ لا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصية والعقاب المنافيين للقربة، وقد تذهب قدماء الأصحاب إلى عدم جواز التنفّل لمن عليه فريضة.

وقال عليه السلام:

[لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه] قال السيّد «ره»: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والأحمق يسبق حذقات لسانه وفلتات كلامه على مراجعة فكره وماخضه رأيه فكان لسان العاقل تابعاً لقلبه وكان قلب الأحمق تابعاً للسانه، وروي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ آخر وهو:

قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه جعل اللّه ما كان من شواك حطّاً لسيّئاتك، فإنّ المرض لا أجر فيه ولكنّه يحطّ السيّئات ويحتّها حتّ الأوراق وإنّما الأجر في القول باللّسان والعمل بالأيدي والأقدام، وإنّ اللّه سبحانه يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة

[قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه] ومعناهما واحد.

أقول: استعارعليه السلام لفظ «الوراء» في الموضعين لما يعقل من تأخّر لفظ العاقل عن رويته ومن تأخّر روية الأحمق وفكره فيما يقول عن نوادر مقاله من غير مراجعة لعقله والمعنى ما أشار إليه السيّد «ره» والمعنى على الرواية الأخرى ما يتصوّره الأحمق يبرز على لسانه من غير فكر وأمّا نطق العاقل فمخزون في عقله لا يخرج إلا عن روية صادقة، ولفظ القلب في الأول مجاز فيما يبرز من تصوّراته في ألفاظه، ولفظ اللّسان مجاز في ألفاظه الذهنية.

وقالعليه السلام لبعض أصحابه في علّة اعتلّها: **[جعل اللّه ما كان من شواك حطّاً لسيّئاتك، فإنّ المرض لا أجر فيه ولكنّه يحطّ السيّئات ويحتّها حتّ الأوراق وإنّما الأجر في القول باللّسان والعمل بالأيدي والأقدام، وإنّ اللّه سبحانه يدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنّة]** قال السيد «ره»: وأقول صدقعليه السلام انّ المرض لا أجر فيه؛ لأنّه من قبيل ما يستحقّ عليه العوض، لأنّ العوض يستحقّ على ما كان في مقابلة فعل اللّه بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرى ذلك، والأجر والثواب يستحقّان على ما كان في مقابلة فعل العبد، فبينهما فرقٌ قد بيّنهعليه السلام

يرحم اللّه خبّاباً فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب بالكفاف ورضي عن اللّه لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن

كما يقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب.

وقال عليه السلام:

في ذكر خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة أصابه سبي فبيع بمكّة وكانت أُمّه خبابة، وخباب من فقراء المسلمين وخيارهم وكان به مرض وكان في الجاهلية قبنا يعمل السيوف وهو قديم الإسلام، قيل: كان سادس ستّة وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وأوقد له أهل مكّة ناراً سحبوه عليها فما أطفاها إلا ورك ظهره ومات بالكوفة سنة سبع وثلاثين بعد أن شهد مع علي عليه السلام صفين والنهروان وصلّى عليه علي عليه السلام وهو أوّل من دُفن بظهر الكوفة وكان عمره ثلاث وسبعين سنة فقال عليه السلام:

[**يرحم اللّه خبّاباً**] بالخاء المعجمة والباء المشدّدة [**فلقد أسلم راغباً وهاجر**] إلى رسول اللّه [**طائعاً**] رغبةً في اللّه ورسوله [**وعاش مجاهداً**] مع النبي والوصيّ.

[**طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب بالكفاف ورضي عن اللّه**] في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفّة والرضا فضيلة تحت العدل، وفيه إشارة إلى أنّ خبّاباً كان كذلك.

وقال عليه السلام:

[**لو ضربت خيشوم المؤمن**] وهو أقصى الأنف [**بسيفي هذا على أن**

يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدّنيا بجماتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني وذلك أنّه قضى فانقضى على لسان النبيّ الأُمّي ﷺ قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق سيّئة تسؤك خيرٌ من حسنة تعجبك قدر الرجل على قدر همّته

يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدّنيا بجماتها] بالفتح جمع جمة وهي المكان يجتمع فيه الماء، استعير لجامع أموال الدنيا وملاحظةً للمشابهة المعقولة.

[على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني وذلك أنّه قضى فانقضى] أي: قدّر [على لسان النبيّ الأُمّي ﷺ قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق] ولمّا كان الإيمان الحقّ يوجب الاتحاد وصدق المحبة في اللّه بين المؤمنين لا جرم لم يجتمع معها البغض ولمّا كان النفاق منافياً لما يلازمه من المحبّة في اللّه فلا تجتمع معه ولو ببذل أجزل مال للمنافق.

وقال عليه السلام:

[سيّئة تسؤك خيرٌ من حسنة تعجبك] أي: المعصية التي يندم عليها بعد فعلها خير من الحسنة يعجبه بها؛ لأنّ الندم ماح للسيّئة والعجب محبط للحسنة.

وقال عليه السلام:

[قدر الرجل على قدر همّته] أي: مقداره عند الناس من رفع رتبة أو تبجيل أو خسّة واحتقار من لوازم علوّ همته أو دنائتها، فعلوّ الهمّة أن لا يقتصر على بلوغ غاية من الأمور التي يراد بها فضيلةً وشرفاً حتّى يسمو إلى ما ورائها مما هو أعظم قدراً وأجلّ خطراً ويلزم ذلك نبله وتعظيمه ومدحه،

وصدقه على قدر مروءته وشجاعته على قدر أنفته وعضبه على قدر غيرته الظفر بالحزم والحزم بإجالة الرأي والرأي بتحصين الأسرار

وصغرها أن يقتصر على محقّرات الأمور وخسائسها ويقصر عن علياتها، وبحسب ذلك يكون صغر خطره وقلّة قدره.

[**وصدقه على قدر مروءته**] والمروءة فضيلة يتعاطى معها الإنسان الأفعال الجميلة واجتناب ما يعود إليه بالنقص وإن كان مباحاً، فلذلك يلزمه الصدق في مقاله.

[**وشجاعته على قدر أنفته**] والأنفة: حمية الأنف وثوران الغضب لما يتخيّل من مكروه يعرض استنكاراً له واستنكافاً من وقوعه وظاهر كونه مبدءً للشجاعة والإقدام على الأمور، وبحسبها يكون قوّة الإقدام وضعفه [**وعضبه على قدر غيرته**] والغيرة: نفرة طبعيّة تكون من الإنسان عن تخيّل مشاركة الغير في أمر محبوب له أو معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدّة ذلك الاعتقاد والتخّيل وضعفهما وتصوّر وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه أو حريمه مثلاً يكون امتناعه عن مشاركة الغير ووقوعه عن اتباع الشهوات في مشاركة الناس في الأمور المحبوبة لهم.

وقال عليه السلام:

[**الظفر بالحزم**] وهو أن يقدم العمل في الحوادث الواقعة في باب الإمكان قبل وقوعها بما هو أقرب إلى السلامة وأبعد من الغرور.

[**والحزم بإجالة الرأي**] أي: إعماله [**والرأي بتحصين الأسرار**] أي: كتمانها وحفظها، فالمبدء القريب للظفر الحزم، والبعيد كتمان السرّ، والوسط إجالة الرأي، وإنّما كان كتمان السرّ سبباً للرأي الصحيح لأنّ إظهار

احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع، قلوب الرجال وحشية فمن تألّفها أقبلت عليه

السرّ فيما يى من الرأي في الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدوّ على ذلك وعلاج ما يفسده، وأمّا إجالة الرأي فلأنّه لولاه لجاز أن يكون العمل في الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم وكون الحزم سبباً للظفر ظاهر.

وقال عليه السلام:

[**احذروا صولة الكريم**] أي: شريف النفس ذا الهمّة العليّة [**إذا جاع**] أي: اشتدّت حاجته أو ضيم وامتهن لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس إليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب أمر كبير يصول عليهم به ويتسلّط بواسطته على قهرهم ومكافاتهم كالولاية عليهم ونحوها، ولذا وجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات إليه في وقت حاجته بما يدفعها.

[و] احذروا صولة [**اللئيم إذا شبع**] كنّى به عن غناه وعدم حاجته المستلزم لاستمراره على مقتضى طاعته من اللوم وشبعه مؤكّد ذلك وربّما كان رجوعه سبباً لتغيّر أخلاقه واستمرار ذي الشبع من اللئام مستلزم لأذى من كان تحت يده.

وقال عليه السلام:

[**قلوب الرجال وحشية فمن تألّفها أقبلت عليه**] ولذا قيل: من لان استمال ومن قسى نفر، وما استعبد الحر بمثل الإحسان إليه.

وقال عليه السلام:

عيبك مستور ما أسعدك جدّك أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة السخاء ما إذا كان ابتداء فإذا كان عن مسألة فحياء وتذمُّم لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل

[**عيبك مستور ما أسعدك جدّك**] الجد: حسن البخت وتوافق أسباب المصلحة في حقّ الإنسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل وبحسب دوام ذلك يدوم سترها.

وقال عليه السلام:

[**أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة**] من كان أشدّ قدرةً على العقوبة وعدمها كان أولى بأن يسمّى عفواً، وقال الحكماء: لذّة العفو أطيب من لذّة التشفّي والانتقام، لأنّ لذّة العفو يشفعها حميد العاقبة ولذة الانتقام يلحقها ألم الندم.

وقال عليه السلام:

[**السخاء ما إذا كان ابتداء**] عن طيب نفس وحسن مواساة لذوي الحاجة، [**فإذا كان عن مسألة فحياء**] من السائل ومن الناس، فيتكلّف البذل لذلك.

[**وتذمُّم**] أي: استنكاف مما يصدر من السائل من إلحاح، ونسبته إلى البخل ونحوه.

وقال عليه السلام:

[**لا غنى كالعقل**] لما مرّ أنّه أغنى الغنى.

[**ولا فقر كالجهل**] لما مرّ إنّ أكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل ما يقابل العقل بالملكة وهو الحمق أو ما يلازمه.

ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عمّا تحب الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة. القناعة مال لا ينفد

[**ولا ميراث كالأدب**] وهو التحلّي بمكارم الأخلاق وهو أفضل من موروث من مال أو ــــــــــ.

[**ولا ظهير كالمشاورة**] لأنّها في الغالب تنتج الرأي الصحيح الذي هو أنفع في التدبير من القوّة وكثرة العدد والعدد.

وقال عليه السلام:

[**الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عمّا تحب**] والأوّل أشقّ لأنّه صبر على مضرّة نازلة، والثاني صبر عن محبوب متوقّع لم يحصل.

وقال عليه السلام:

[**الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة**] استعار الوطن للغنى في الغربة باعتبار أنّه يسكن إليه ويؤنس فلا يرى أثر الغربة على الإنسان معه، واستعار الغربة للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق معهما وتعسّر الأمور فيهما.

وقال عليه السلام:

[**القناعة مال لا ينفد**] وهي ضبط قوّة النفس عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ومبلغ الحاجة من المعاش والأقوات وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ المال الذي لا ينفد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف.

المال مادّة الشهوات من حذّرك كمن بشّرك اللّسان سبع إن خُلّي عنه عقر المرأة عقرب حلوة اللسبة الشفيع جناح الطالب أهل الدنيا ركبٌ يسار بهم وهم نيام

وقال عليه السلام:

[**المال مادّة الشهوات**] أي: منه تكون استمدادها وزيادتها، والمادّة هي الزيادة.

وقال عليه السلام:

[**من حذّرك**] من أمر [**كمن بشّرك**] بالنجاة منه.

وقال عليه السلام: [**اللّسان سبع إن خُلّي عنه عقر**] استعار السبع للسان لأنّه إن تُرك عن ضبط العقل له نطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع إذا لم يُحفظ.

وقال عليه السلام:

[**المرأة عقرب حلوة اللسبة**] أي: اللّسعة، استعار للمرأة العقرب؛ لأنّ من شأنها الأذى لكن أذاها مشوب بما فيها من اللّذة بها فلا تحسّ به كأذى الجرب المشوب بلذّته في زيادة حكته.

وقال عليه السلام:

[**الشفيع جناح الطالب**] استعار له الجناح لكونه وسيلة إلى مطلوبه كجناح الطائر.

وقال عليه السلام:

[**أهل الدنيا ركبٌ يسار بهم وهم نيام**] لأنّ الدنيا لأهلها طريق هم فيها سائرون إلى الآخرة حال ما هم في غفلة عن غايتهم والعمل حتّى يوافوها، فأشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتّى يوافوا منزلهم.

فقد الأحبّة غربة فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها. لاتستحي من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقلّ منه العفاف زينة الفقر إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَلْ ما كنت

وقال عليه السلام:

[**فقد الأحبّة غربة**] استعار الغربة لما يلزمها من الوحشة وعدم الأُنس.

وقال عليه السلام:

[**فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها**] كاللّئام ومحدثي النعم؛ لأنّ فوتها يستلزم غمّاً واحداً وطلبها من غير أهلها يستلزم مع ذلك ثقل الاستنكاف والندم من دفعها إليهم وغمّ ذلّ الحاجة لهم وغمّ ردّهم لها.

وقال عليه السلام:

[**لا تستحي من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقلّ منه**] اي: أحقر في الاعتبار إذ ليس هو من باب الكم حتى تلحقه القلّة والكثرة.

وقال عليه السلام:

[**العفاف**] أي: العفّة [**زينة الفقر**] فإنّ الفقير إذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفّة وزان فقره بفضيلته في أعين المعتبرين وإذا أهملها وأسلس قيادها تقحّمت به في موارد القبح وقادته إلى الهلع والحرص والحسد والمنّ والكذب فصار بسببها في أقبح صورة.

وقال عليه السلام:

[**إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَلْ ما كنت**] أي: إذا فاتك مرادك من الأمر فلا تبل بأيّ حال كنت عليه في ذلك الأمر، وفيه إشارة إلى النهي عن الاهتمام والأسف على ما لم يقع من الأمور المطلوبة لأنّ الأسف على فوات

لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً إذا تمّ العقل نقص الكلام الدهر يُخْلِق الأبدان ويجدّد الآمال ويقرّب المنيّة ويبعّد الأمنية

المراد يستلزم غمّاً وألماً وهو مضرّة عاجلة لا تثمر فائدة فارتكابه سفه.

وقال عليه السلام:

[**لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً**] الجهل إمّا بسيط وهو التفريط من فضيلة، ويسمّى غباوة، وإمّا مركّب وهو طرف الإفراط منها لأنّ الجاهل المركّب حصل على شبهة غطّت بصيرته عن إدراكه مع جزمه بأنّها برهان أصابه الحقّ.

وقال عليه السلام:

[**إذا تمّ العقل نقص الكلام**] لأنّ نقصه يستلزم كمال القوّة على ضبط القوى البدنية وتعريفها بمقتضى الآراء المحمودة الصالحة دون ما يبرز إلى الوجود الخارجي عنها من الأقوال والأفعال بميزان الاعتبار، وفي ذلك من الكلفة والشرايط ما يستلزم نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الأقوال.

وقال عليه السلام:

[**الدهر يُخْلِق الأبدان**] لأنّه معدّ لضعفها وفسادها بمروره وما يحلق أجزائه وفصوله من الحرّ والبرد والمتاعب المنسوبة إليه.

[**ويجدّد الآمال**] بحسب الغرور الحاصل بالبقاء والصحّة فيه وأكثر ما يعرض ذلك للمشايخ فإنّ طول أعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومدّ الأمل فيه لتحصيل الدنيا.

[**ويقرّب المنيّة**] لأنّه يخلق الأبدان [**ويبعّد الأمنية**] بحسب تقريبه

من ظفر به نصب لها ومن فاته]تعب من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدء بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من مؤدّب الناس ومعلّمهم نَفَسُ المرء خطاه إلى أجله

للمنية [**من ظفر به**] أي: بموافاته وإعداده ما يراد فيه من متاع الدنيا [**نصب لها**] وسعى بضبطها وحفظها [**ومن فاته**] ذلك منه [**تعب**] في تحصيلها وشقى بعدمها.

وقال عليه السلام:

[**من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدء بتعليم نفسه قبل تعليم غيره**] برياضتها بما يعلم من الآداب ليكون أفعاله وأقواله موافقة لعلمه؛ لأنّ الناس أقرب إلى الاقتداء بما يشاهد من الأفعال والأحوال منهم بالأقوال فقط، خصوصاً مع مشاهدتهم لمخالفتها بالأفعال، فإنّ ذلك يكون سبباً لسوء الاعتقاد في الأقوال المخالفة للعقل كما قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

[**وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه**] لأنّ الطباع لمشاهدة الأفعال أطوع وأسرع انفعالاً منها للأقوال ثمّ يطابقها بعد ذلك بالأقوال.

[**ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من مؤدّب الناس ومعلّمهم**] لكمال مؤدّب نفسه بالفضيلة وكون تأديب الغير فرعاً على تأديب النفس والاصل أشرف وأحقّ بالتعظيم من الفرع.

وقال عليه السلام:

[**نَفَسُ المرء خطاه إلى أجله**] استعار للنفس الخطاء باعتبار أنّه على

كلّ متعدّد منقضٍ وكلّ مُتوقَّع آتٍ إنّ الأُمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأوّلها فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك

التعاقب والتقضي فهو مقرّب من الغاية التي هي الأصل كالخطاء المتعاقبة الموصلة للإنسان إلى غاية من طريقه.

وقال عليه السلام:

[**كلّ متعدّد منقضٍ وكلّ مُتوقَّع آتٍ**] أشار بالأُولى إلى أنفاس العباد وحركاتهم، والثانية تخويف بما يتوقّع من الموت وتوابعه.

وقال عليه السلام:

[**إنّ الأُمور إذا اشتبهت**] أي: التبست في مباديها وتعسّر معرفة وجه تحصيلها والدخول فيها [**اعتبر آخرها بأوّلها**] أي: قيس على ذلك آخرها، واستدلّ على أنّه كذلك في المعسر فيجب التوقّف عنها وعدم التعسّف فيها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضابي عند دخوله على معاوية ومسألته عن أمير المؤمنين قال له: صف لي علياً؟ فقال: أوتعفني عن ذلك؟ فقال: واللّه لتفعلنّ.

[**فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله**] جمع سدل وهو ما أُسبل على الهودج [**وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم**] أي: الملسوع، سُمّي سليماً تفؤلاً له بالسلامة.

[**ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك**] إسم فعل أي:

عني أبي تعرّضت أم أليّ تشوّقت لا حان حينك هيهات غُرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك فقير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلّة الزاد وطول الطريق وبُعد السفر وعظم المورد

تنحّي [**عني**] متعلّق بما فيه من معنى الفعل [**أبي تعرّضت أم أليّ تشوّقت**] نظر إليها بصورة امرأة تزيّنت وتعرّضت لوصوله إليها مع كونها مكروهة إليه فاستفهم إنكاراً عن تعرّضها به وتشوّقها إليه استحقاراً لها واستبعاد لموافقته إيّاها.

[**لا حان حينك**] أي: لا قرب وقتك، أي: وقت انخداعي لك وغرورك بي.

[**هيهات**] أي: بُعد ما تطلبين منّي.

[**غُرّي غيري**] كنّى به عن أنّه لا طمع لها في ذلك منه أي: إنّ خداعك لا يدخل عليّ.

[**لا حاجة لي فيك قد طلّقتك ثلاثاً**] لتحصل البينونة [**لا رجعة فيها**] وهو كناية عن غاية كراهتها، ثمّ أشار إلى مذامّها بقوله: [**فعيشك**] أي: مدة الحياة فيك [**فقير وخطرك يسير**] إشارة إلى قلّة قدرها [**وأملك حقير**] أي: ما يؤمّل منك حقير، ثمّ قال عليه السلام عن أُمور فقال:

[**آه من قلّة الزاد**] في السفر إلى اللّه الذي هو التقوى والأعمال الصالحة [**وطول الطريق**] إلى اللّه ولا شيء في الاعتبار أطول مما لا يتناهى [**وبُعد السفر**] بعد غايته وعدم تناهيها [**وعظم المورد**] إذ أوّل منازله الموت ثمّ البرزخ ثمّ موقف القيامة البكرى.

للسائل الشامي لمّا سأله هذا مختاره فقال: ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد إنّ اللّه سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً

وروي خشونة المضجع، وهو القبر، فبكى معاوية حتّى اخضلّت لحيته وقال: رحم اللّه أباحسن كان واللّه كذلك فكيف حزنك عليه ياضرارة قال: حزن من ذُبح ولدها في حجرها.

ومن كلام له عليه السلام

[**للسائل الشامي لمّا سأله**] أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من اللّه وقدر؟ بعد كلام طويل [**هذا مختاره**] روي أنّه قال له: والذي فلق الحبّة وبرء النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء وقدر، فقال السائل: عند اللّه أحتسب عنائي، يعني ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال عليه السلام: أيّها الشيخ لقد أعظم اللّه أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنت منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين وإليها مضطرّين، فقال الشيخ: وكيف والقضاء والقدر ساقانا؟

[**فقال: ويحك لعلّك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً**] أي: واجباً بناء على تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم الملزم والإيجاد الواجب على وفقه.

[**لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد إنّ اللّه سبحانه أمر عباده تخييراً**] إشارة إلى تفسير القضاء بالأمر كما في قوله: ﴿وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾.

[**ونهاهم**] عن المعاصي [**تحذيراً**] لهم عن العقاب ومعلوم أنّ أمر اللّه

وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً

ونهيه لا ينافي اختيار العبد في فعله.

[**وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً**] فقال: ﴿لا يكلّف اللّه نفساً إلا وسعها﴾ والوسع: دون الطاقة، وقال: ﴿ما جعل عليكم في الدّين من حرج﴾ وقال: ﴿يريد اللّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

[**وأعطى على**] العمل [**القليل كثيراً**] من الثواب [**ولم يعص مغلوباً**] ومقهوراً بحيث لا يقدر على منع العبد من العصيان كما زعمه جماعة من المفوّضة.

[**ولم يطع مكرهاً**] عباده على الطاعة [**ولم يرسل الأنبياء لعباً**] بل ليكونوا مبشّرين ومنذرين لمن أطاع بالجنّة، ولمن عصى بالنار، وذلك من لوازم الاختيار [**ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً**] بل ليعرفوا من ذلك وجوه تكليفهم وأحكام افعالهم التي أُمروا أن يكونوا عليها، وبيان حدود اللّه التي أمرهم بالوقوف عندها وكلّ ذلك من لوازم الاختيار.

[**ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً**] بل لوجوه عديدة ومصالح وحكم سديدة منها أن يحصل لعباده بما وهب لهم من الفكر في آياتها اعتبار فيتنبّهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلّوا على كمال عظمته كما قال تعالى: ﴿إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب﴾.

ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار خذ الحكمة إن كانت فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن.

الحكمة ضالّة المؤمن

وقوله: [**ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار**] اقتباس من القرآن إشارة إلى كفر أرباب هذه العقيدة الفاسدة.

ثمّ قال عليه السلام: تلك مقالة عبّاد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمّة ومجوسها، فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللّذان ما سرنا إلا بهما؟ فقال: هو الأمر من اللّه والحكم ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿وقضى ربّك الا تعبدوا إلا إيّاه﴾ فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الـذي نرجو بطاعته ... يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً ... جزاك ربّك عنّا فيه إحسانا

وقال عليه السلام:

[**خذ الحكمة إن كانت**] أي: حيث وجدت ولو من المنافق [**فإنّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج**] وفي نسخة فتختلج، وكنّى بذلك عن اضطرابها وعدم ثباتها في صدره وكونه ليس مظنّة لها فهي غير مستقرّة فيه.

[**حتّى تخرج**] إلى مظنتها وهي صدر المؤمن [**فتسكن إلى صواحبها**] من الحكم [**في صدر المؤمن**].

قال السيّد الرضي: وقد قال عليه السلام في مثل ذلك [**الحكمة ضالّة المؤمن**

فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق قيمة كلّ امرئ ما يحسنه أُوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً لا يرجونَّ أحدٌ منكم أحداً إلا ربّه ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستحينّ أحدٌ منكم إذا سُئِل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم

فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق] ورد أنّه خطب الحجّاج فقال: إنّ اللّه أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا، فليتنا كفينا مؤنة الآخرة وأُمرنا بطلب الدنيا، فسمعها الحسن فقال: هذه ضالّة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

وقال عليه السلام:

[**قيمة كلّ امرئ ما يحسنه]** قال السيّد «ره»: هذه الكلمة التي لا يصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ولا يقرن إليها كلمة، وفيها ترغيب في اكتساب الكمالات النفسانية، فأعلا الناس قيمة وأرفعهم منزلة أعظمهم كمالاً، وبالعكس.

وقال عليه السلام:

[**أُوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً]** كنّى بذلك عن الرحلة في طلبها؛ لأنّ الراكب للجمل يضرب إبطيه بكعبيه.

[**لا يرجونَّ أحدٌ منكم أحداً إلا ربّه]** ولازم ذلك إخلاص العمل له ودوام طاعته [**ولا يخافنّ إلا ذنبه]** دون غيره لأنّ العقاب إنّما يلحق العبد بواسطة ذنبه.

[**ولا يستحينّ أحدٌ منكم إذا سُئِل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم]** فإنّ الاستحياء من ذلك يستلزم القولة بغير علم وهو ضلال وإضلال وفيه هلاك الدنيا والآخرة.

ولا يستحينّ أحد منكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه وعليكم بالصبر فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا خير في إيمان لا صبر معه أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك بقيّة اليسف أنمى عدداً وأكثر ولداً

[**ولا يستحينّ أحد منكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه**] لما في استحياء الجاهل من التعلّم من بقائه على جهله ونقصانه وذهاب آخرته.

[**وعليكم بالصبر فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد**] ووجه الشبه أنّ الصبر لمّا كان موجوداً في كلّ الفضائل التي مجموعها هو الإيمان فلا يقوم إلا به أشبه الرأس من الجسد في عدم قيامه بدونه، ثمّ أكّد التشبيه والمناسبة بقوله: [**ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا خير في إيمان لا صبر معه**].

وقال عليه السلام لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متّهماً [**أنا دون ما تقول**] ردٌّ لإفراطه في المدح [**وفوق ما في نفسك**] جواب لما في نفسه مما يتّهمه به من عدم اعتقاد فضيلته.

وقال عليه السلام:

[**بقيّة اليسف**] أي: الفرقة الباقية من الذين فشا فيهم القتل.

[**أنمى عدداً وأكثر ولداً**] أي: يكثر عددهم ونسلهم أكثر من غيرهم، ولعلّ ذلك للعناية الإلهية ببقاء النوع وحفظه وإقامته وبإخلاف من قتل ممن بقي وقد وجد مصداق قوله عليه السلام في نسله وأولاده والذرّية العلوية، فقد اجتهد بنو أُمية وبنوالعباس في إبادتهم عن جديد الأرض وقتلهم ومع ذلك قد بورك فيهم حتّى لا يحصي عددهم إلا اللّه.

من ترك قول لا أدري أُصيبت مقاتله رأي الشيخ أحبّ إليّ من جلد الغلام عجبت لمن يقنط و أنّ معه الاستغفار

وقال عليه السلام:

[**من ترك قول لا أدري أُصيبت مقاتله**] أصابت المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والإضلال وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والآخرة، ولذا قيل: لا أعلم نصف العلم، وسُئل بعض العلماء وهو عليه السلام على المنبر فقال: لا أدري، فقيل: انزل فليس هذا مكان من لا يدري، فقال: هذا مكان من يدري ولا يدري، وأمّا من يعلم كلّ شيء فليس له مكان، وسُئل آخر فقال: لا أدري، فقيل: يعطيك الملك كلّ سنة كذا وكذا وتقول لا أدري، فقال: إنّما يعطني الملك على ما أدري ولو أعطاني على ما لا أدري لما كفاني بيت ماله.

وقال عليه السلام:

[**رأي الشيخ أحبّ إليّ من جلد الغلام**] وجلده قوّته والرأي مقدّم على القوّة والشجاعة وخصّ الرأي بالشيخ والجلد بالغلام لأنّ كلاً منهما مظنّة ما خصّه به، فإنّ الشيخوخة مظنّة ألوان الصحيح كثرة تجاربه وممارسته للأمور والغلام مظنّة القوّة والجلد، ويروى من مشهد الغلام أي: من حضوره.

وقال عليه السلام:

[**عجبت لمن يقنط**] وييأس من الرحمة [و] الحال [**أنّ معه الاستغفار**] الذي هو مبدء الرحمة، قال تعالى: ﴿واستغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ إلخ، وقال تعالى: ﴿وما كان اللّه معذّبهم وهم

من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن اصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ

يستغفرون﴾ وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال:

كان في الأرض أماناً من عذاب اللّه فرُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رُفع فهو رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأمّا الأمان الباقي فالاستغفار قال اللّه تعالى: ﴿وما كان اللّه ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان اللّه معذّبهم وهو يستغفرون﴾ قال الرضي «ره»: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط.

وقال عليه السلام:

[**من أصلح ما بينه وبين اللّه أصلح اللّه ما بينه وبين الناس**] لأنّ ذلك إنّما يكون بالقوى المستلزمة لإصلاح قوّتي الغضب والشهوة الذين هما مبدء الفساد بين الناس ويلزمه الإصلاح فيما بينهم، وروي ما من وال رضي اللّه عنه إلا رضى عنه رعيّته.

[**ومن اصلح أمر آخرته أصلح اللّه أمر دنياه**] لأنّ في إصلاح الآخرة الكفّ عن الناس وقطع الطمع عمّا في أيديهم وذلك مع مسالمتهم ومعاملتهم بمكارم الأخلاق التي هي من إصلاح أمر الآخرة مستلزم لانفعالهم وميلهم إلى من كان كذلك وإقبالهم عليه بالنفع والمعونة وكفّ الأذى، وبحسب ذلك يكون صلاح دنياه.

[**ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من اللّه حافظ**] لأنّ واعظ النفس باعث على تقوى اللّه ولزوم العدل في قوّتي الشهوة والغضب الّذين

الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة اللّه ولم يؤيسهم من روح اللّه ولم يؤمنهم من مكر اللّه أوضع العلم ما وقف على اللسان

هما مبدء الشر المستلزم للهلاك في الدارين، وذلك مستلزم لحفظ اللّه فيهما قال تعالى: ﴿إنّ اللّه مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون﴾.

وقال عليه السلام:

[**الفقيه كلّ الفقيه**] أي: الكامل في الفقه [**من لم يقنط الناس من رحمة اللّه**] بآيات وعيده ــــــــ [**ولم يؤيسهم من روح اللّه**] لما يلزم اليأس من إغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى.

[**ولم يؤمنهم من مكر اللّه**] بالجزم بآيات وعده وبشارته لما يلزم السكون إلى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي في اتباع الهوى بل يكون تابعاً في وعظه وجذبه إلى اللّه مقاصد سننه ووضع شريعته ولذا ترى الكتاب والسنّة مشتملين على الجمع بين الوعد والوعيد والرغبة والرهبة، فيقول ﴿شديد العقاب﴾ ويقول: ﴿غفور رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّه إنّ اللّه يغفر الذنوب جميعاً﴾ وقال تعالى: ﴿لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾ وقال: ﴿ومن يقنط من رحمة ربّه إلا الضالّون﴾ وقال: ﴿فلا يأمن مكر اللّه إلا القوم الخاسرون﴾.

وقال عليه السلام:

[**أوضع العلم ما وقف على اللسان**] كنّى به عن العلم الخالي من العمل بل الذي يقف على اللّسان.

وأرفعه ما ظهر على الجوارح والأركان إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة لا يقولنّ أحدكم اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة لأنّه ليس أحد إلا وهو يشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإنّ اللّه سبحانه يقول ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن ليظهر الأفعال التي

[وأرفعه ما ظهر على الجوارح والأركان] كنّى به عن العلم المقرون بالعمل فإنّ الأعمال الصالحة لمّا كانت من ثمرات العلم باللّه وما هو أهله كان العلم فيها ظاهراً على جوارح الإنسان وأركان ظهور العلّة في معلولها.

وقال عليه السلام:

[إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة] أي: لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة لها في الحكمة العملية وأقسامها أو الأعمّ منها.

وقال عليه السلام:

[لا يقولنّ أحدكم اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفتنة لأنّه ليس أحد إلا وهو يشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإنّ اللّه سبحانه يقول ﴿واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن ليظهر الأفعال التي

بها يستحقّ الثواب والعقاب؛ لأنّ بعضهم يحبّ الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحبّ تثمير المال ويكره انثلام الحال ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وعملك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربّك فإن أحسنت حمدت اللّه وإن أسأت استغفرت اللّه

بها يستحقّ الثواب والعقاب؛ لأنّ بعضهم يحبّ الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحبّ تثمير المال ويكره انثلام الحال] قال السيّد «ره»: وهذا من غريب ما سمع منه من التفسير، قيل: حاصله انّ الفتنة أعمّ من الفتنة المستفاد منها لصدقها على المال والبنين باعتبار ابتلاء اللّه عباده واختباره لهم بهما وغير مستعاذ منهما إذا راعى العبد فيهما أمر اللّه ولزم طاعته، وأمّا الفتنة المستفاد منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل اللّه كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشهوات واتّباع الهوى.

وقال عليه السلام وقد سُئل عن الخير ما هو فقال: **[ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وعملك وأن يعظم حلمك]** فكثرة العلم كمال القوّة النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال القوّة العملية وهو فضيلة القوّة الغضبية.

وقوله: **[وأن تباهي الناس بعبادة ربّك]** إشارة إلى المفاخرين بها بالكثرة والإخلاص **[فإن أحسنت حمدت اللّه]** على توفيقك للحسنة **[وإن أسأت استغفرت اللّه]** عن فعل السيّئة وذلك من فضائل القوّة الشهوية وكمال القوّة العملية.

ولا خير في الدنيا إلا لرجلين، رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقلّ عمل مع التقوى وكيف يقلّ ما يتقبل إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جائوا به ثمّ تلى ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبيّ﴾ إنّ وليّ محمد صلى الله عليه وآله من أطاع اللّه وإن بعدت لحمته وإنّ عدوّ محمد من عصى اللّه وإن قربت قرابته

[**ولا خير في الدنيا إلا لرجلين، رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات**] إذ الإنسان إمّا أن يشتغل بمحو السيّئات وإعدامها ويتدارك قانط ذنوبه فيعد نفسه بذلك لاكتساب الحسنات ويشتغل باتخاذ الحسنات فيها.

ثمّ قال عليه السلام: [**ولا يقلّ عمل مع التقوى وكيف يقلّ ما يتقبل**] والقبول مستلزم للأجر العظيم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنّما يتقبّل اللّه من المتّقين﴾.

وقال عليه السلام:

[**إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جائوا به**] إذ الأبلغ في الطاعة أشدّ موافقة لهم وأقرب إلى قلوبهم، ولما لم يكن طاعتهم إلا بالعلم بما جائوا به كان أعلم الناس بذلك أقربهم إليهم وأولاهم بهم.

[**ثمّ تلى ﴿إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النبيّ﴾**] الآية، ثمّ قال عليه السلام: [**إنّ وليّ محمد صلى الله عليه وآله من أطاع اللّه وإن بعدت لحمته وإنّ عدوّ محمد من عصى اللّه وإن قربت قرابته**] إشارة إلى أنّ العمدة العمل، واللّحمة بالضمّ النسب والقربة، وفي النبوي: «ائتوني بأعمالكم لا تأتوني بأنسابكم، إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم» وروي «إنما خلقت النار لمن عصى اللّه ولو كان سيّداً قرشياً والجنّة لمن أطاع اللّه ولو كان عبداً حبشياً».

نومٌ على يقين خيرٌ من صلاة في شكٍّ اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل قولنا إنّا للّه إقرار على أنفسها بالملك وقولنا وإليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك

وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرء فقال عليه السلام: [**نومٌ على يقين خيرٌ من صلاة في شكٍّ**] الحرورية: فرقة من الخوارج نسبوا إلى حرورا تمدّ وتقصر، قرية بالنهروان، والتهجّد: السهر في العبادة، والغرض انّ نوم العالم على يقين معنه بما ينبغي تيقّنه وعلمه أيضاً بما ينبغي له وعبادة الجاهل على شكّ فيما ينبغي تيقّنه من أُصول العبادة مما لا ينبغي لما فيه من إتعاب البدن من غير فائدة، وفيه إشارة إلى أنّ الشاكّ في الأمانة أو المنكر لها عمله لا ينفع وجوده كعدمه.

وقال عليه السلام:

[**اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية**] بضبطه بالفهم ورعاية العلم [**لا عقل رواية**] بضبط الألفاظ والسماع من دون تفهّم المعنى. [**فإنّ رواة العلم كثير ورعاته**] أي: من يراعيه ويتدبّره [**قليل**].

وقال وقد سمع رجلاً يقول: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون إنّ: [**قولنا إنّا للّه إقرار على أنفسها بالملك**] أي: انّا مملوكون للّه وعبيد له؛ لأنّ اللام للملك ما في الدار لزيد.

[**وقولنا وإليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك**] المستلزم للاعتراف بالنشور والقيامة؛ لأنّ هلاكنا يفضي إلى رجوعنا يوم القيامة إليه سبحانه، فعبّر بمقدّمة الشيء عن الشيء نفسه.

اللّهمّ إنّك أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهمّ اجعلني خيراً ممّا يظنون واغفر لي ما لا يعلمون لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث، باستصغارها لتعظم وباستكتامها لتظهر وبتعجيها لتهنأ يأتي على الناس زمان لا يقرّب فيه إلا الماحل

وقال عليه السلام وقد مدحه قوم في وجهه: [**اللّهمّ إنّك أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهمّ اجعلني خيراً ممّا يظنون**] بي من الخير وفوق ذلك [**واغفر لي ما لا يعلمون**] من عيب سترته عنهم.

قال عليه السلام ذلك هضماً لنفسه وكسراً لها أو أنّ المباحات وترك الأولى ذنوب في حقّهم إذ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين.

وقال عليه السلام:

[**لا يستقيم قضاء الحوائج**] على ما ينبغي من العدل [**إلا بثلاث، باستصغارها لتعظم**] أي: استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطائه [**وباستكتامها لتظهر**] فإنّ طباع الناس أدعى إلى إظهار ما استكتم وأكثر عناية من غيره.

[**وبتعجيها لتهنأ**] أي: لتكون هنيئة من هنأ الطعام يهنأ وذلك لأن الإبطاء بقضاء الحاجة ينغّصها على طالبها فتكون لذّتها مشوبة بتكدير بطؤها.

وقال عليه السلام:

[**يأتي على الناس زمان لا يقرّب فيه إلا الماحل**] وهو الساعي بالنميمة إلى السلطان، وأصل المحل الكيد والمكر، وروي الماجن وهو المتكلّ بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء يريد انّ ذلك الزمان لسوء أهله وبعدهم عن الدّين وقوانين الشريعة تجعل فيه الرذائل مكان الفضائل

ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف يعدّون الصدقة فيه غرماً وصلة الرحم منّاً والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشروة الإماء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان فقال: يخشع له القلب وتذلّ به النفس ويقتدي به المومنون

ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فتقرّب الملوك السعاة إليهم بالباطل مكان أصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه وبعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الإفراط في قوّته الشهوية صاحب فضيلة الطرف في حركاته ضعيفاً عاجزاً، ولذا قال:

[**ولا يظرف فيه إلا الفاجر**] أي: لا يعدّ الناس الإنسان طريفاً إلا إذا كان ــــــ ماجناً متظاهراً بالفسق.

[**ولا يضعف فيه إلا المنصف**] أي: إذا رأوا إنساناً عنده ورع وإنصاف في معاملة الناس عدّوه ضعيفاً ونسبوه إلى الركّة والرخاوة وليس الشهم عندهم إلا الظالم.

ثمّ قال: [**يعدّون الصدقة فيه غرماً**] أي: خسارة [**وصلة الرحم منّاً**] أي: يمنّون إذا وصلوا الرحم [**والعبادة استطالة على الناس**] ويتبجّحوا بها وأعجبتهم أنفسهم واحتقروا غيرهم [**فعند ذلك يكون السلطان**] والحكم بين الرعايا [**بمشروة الإماء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان**] وهو من باب الأخبار بالغيب وإحدى آياته ومعجزاته عليه السلام.

وقال عليه السلام وقد رأى عليه ازار خلق أي خلق واندرس مرقوع فقيل له في ذلك:

[**فقال: يخشع له القلب وتذلّ به النفس ويقتدي به المومنون**].

إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن أحبّ الدنيا وتولّاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلّما قرب من واحد بُعد من الآخر يا نوف أراقد أنت أم رامق يا نوف طوبى للزاهدى في الدنيا الراغبين في الآخرة أُولئك

وقال عليه السلام:

[**إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان**] لما بينهما من البعد لطالبهما [**وسبيلان مختلفان**] كما قال عليه السلام [**فمن أحبّ الدنيا وتولّاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب**] ووجه الشبه بتباينهما واختلاف جهتيهما.

[**وماش بينهما**] شبّه الطالب لهما بالماشي بينهما، وأشار إلى وجه الشبه بقوله: [**كلّما قرب من واحد بُعد من الآخر**] فإنّ الطالب للدنيا بقدر توجّهه في طلبها تكون غفلته عن الآخرة وانقطاعه عنها وكلّما أمعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعداً عن الأُخرى كالزوج ذي الضرّتين.

وقال نوف البكالي بكسر الباء نسبة إلى بكالة، قرية من اليمن قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم فقال: [**يا نوف أراقد أنت أم رامق**] أي: مستيقظ ترمق السماء والنحوم بنظرك، فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين.

ولعلّ خروجه عليه السلام في ذلك الوقت لما نقله عن داود، ولأنّه محلّ الفراغ للاعتبار والتفكير في خلق السموات والأرض.

قال: [**يا نوف طوبى للزاهدى في الدنيا الراغبين في الآخرة أُولئك**

قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً ومائها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً ثمّ قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح يانوف إنّ داودعليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنّها ساعة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له إلا أن يكون عشّاراً أو عريفاً أو شرطياً أو صاحب عرطبة أو صاحبة كوبة إنّ اللّه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها

قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً ومائها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً] استعار الشعار للقرّن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفّهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد، والدثار للدعاء باعتبار احتراسهم به من عذاب اللّه والشدائد النازلة بهم كالاحتراس بالدثار عن البرد ونحوه.

[**ثمّ قرضوا الدنيا قرضاً]** أي: تركوها وخلّفوها وراء ظهورهم أو قطعوها بأيسر ما يدفع ضرورتهم عنها.

[**على منهاج المسيح]** وطريقته وفعله لهذه الأوصاف.

[**يانوف إنّ داودعليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنّها ساعة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له إلا أن يكون عشّاراً أو عريفاً أو شرطياً أو صاحب عرطبة أو صاحبة كوبة]** لملازمتهم للمعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة اللّه. وقال‌عليه السلام:

[**إنّ اللّه فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها]** وهي ما أوجبه على عباده [**وحدّ لكم حدوداً]** محدودة معيّنة [**فلا تعتدوها]** ولا تتجاوزوها [**ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها]** وهي ما جاز حدوده من المحرّمات

وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح اللّه عليهم ما هو أضرّ منه ربّ عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه وذلك

والرذائل.

[**وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلّفوها**] كما قال تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم﴾ وفي الخبر: «أبهموا ما أبهم اللّه».

وقال عليه السلام:

[**لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح اللّه عليهم ما هو أضرّ منه**] كمن يؤخّر الصلاة عن وقتها اشتغالاً بالبيع والشراء للربح فيفوته من الدنيا أكثر مما رامه فيخسر الدنيا والآخرة.

وقال عليه السلام:

[**ربّ عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه**] وذلك كالمشتغل بغير العلوم الدينية فيفتي بغير علم أو يتعدّى حدّاً من حدود اللّه أو يرتكب شيئاً فيكون ذلك سبب هلاكه في الدنيا والآخرة بل المشتغل بالعلوم الكفائية قبل اتقان العلوم العينية.

وقال عليه السلام:

[**لقد علق بنياط هذا الإنسان**] والنياط: عرق علّق به القلب من الوتين، فإذا قُطع مات صاحبه ويقال له النيط أيضاً.

[**بضعة**] بفتح الباء وهي القطعة من اللحم [**هي أعجب ما فيه وذلك**

القلب، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فإنّ سنح له الرجاء أذلّه الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص وإن ملكه اليأس قلته الأسف وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ وإن أسعده الرضا ينسى التحفّظ وإن غاله الخوف شغله الحذر وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة

القلب، وله مواد من الحكمة] أي: فضائل خلقية فإنّها بأرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي أن يفعل.

[**وأضداد من خلافها]** إشارة إلى الرذائل المضادة للفضائل وهي أطراف الإفراط والتفريط.

[**فإنّ سنح له الرجاء أذلّه الطمع]** والفرق بينهما أنّ الرجاء توقع منفعة ممن سبيله أن تصدر تلك المنفعة منه والطمع توقّع منفعته ممن يستبعد وقوع تلك المنفعة منه.

[**وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص]** لأنّ الحرص يتبع الطمع إذا لم يعلم الطامع أنّه طامع وإنّما يظنّ أنّه راج.

[**وإن ملكه اليأس قلته الأسف]** واليأس رذيلة التفريط من الرجاء ويلزمه الأسف القاتل، كما أنّ الطمع رذيلة الإفراط من الرجاء.

[**وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ]** وهو رذيلة الإفراط من الغضب المسمّى طيشاً والوسط من الغضب فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ.

[**وإن أسعده الرضا]** بما يحصل من دنياه [**ينسى التحفّظ]** وتركه وهو رذيلة الإفراط من الرضا [**وإن غاله الخوف]** أي: أخذه على غرّة [**شغله الحذر]** عمّا ينبغي عند عروضه، والذي ينبغي فيه الأخذ بالحزم وترك الإفراط في الخوف والعمل للأمر المخوّف [**وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة]**

وإن أصابته معيبة فضحه الجزع وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى وإن عضّته الفاقة شغله البلاء وإن جهده الجوع تعدّ به الضعف وإن أفراط به الشبع كظّته البطنة فكلّ تقصير به مضرّ وكلّ إفراط له مفسد نحن النمرة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي

أي: استلبت عقل الآمن حتّى لا يفكّر في مصحلته وحفظ ما هو عليه من الأمن.

[**وإن أصابته معيبة فضحه الجزع**] وكان ينبغي له الصبر عند المصيبة.

[**وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى**] فتجاوز فيه الحدود ﴿إنّ الإنسان ليشقى أن رآه استغنى﴾.

[**وإن عضّته الفاقة**] أي: الحاجة [**شغله البلاء**] والمحنة وضيق الصدر عن الصبر [**وإن جهده الجوع تعدّ به الضعف**] عن الصبر عليه [**وإن أفراط به الشبع كظّته البطنة فكلّ تقصير به مضرّ وكلّ إفراط له مفسد**] وخير الأمور أوسطها، والعدالة الدرجة الوسطى بين الطرفين الرذيلتين كالجود الذي يكتنفه التبذير والإمساك، والذكاء الذي تكتنفه الغباوة والجربزة، والشجاعة التي يكتنفها التهوّر والجبن.

وقال عليه السلام:

[**نحن النمرة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي**] النمرقة والنمرق بالضمّ فيهما الوسادة الصغيرة ويجوز الكسر، واستعير له عليه السلام ولأهل بيته بصفة الوسطى باعتبار كونهم أئمة الحقّ ومرجع الخلق في دينهم ودنياهم على وجه العدل المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط ومن حقّ الإمام العادل أن يلحق به التالي أي: المفرط المقصّر ويرجع إليه الغالي أي:

لا يقيم أمر اللّه سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتّبع المطامع لو أحبّني جبل لتهافت من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلباباً

المفرط المتجاوز لحدّ العدل.

وقال عليه السلام:

[**لا يقيم أمر اللّه سبحانه**] في أوامره ونواهيه وحدوده وشرائعه وأحكامه [**إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتّبع المطامع**] المصانعة المصالحة برشوة ونحوها، والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلّة، كأنّ كلاً منهما يفرع للآخر وظاهر أنّ مصانعة الغير يستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من إقامة حدود اللّه وأمره في حقّه وكذا المضارعة واتّباع المطامع من الغير فإنّهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشقّ عليه من أوامر اللّه وحدوده.

وقال عليه السلام وقد توفّي سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه من صفّين معه وكان من أحبّ الناس إليه:

[**لو أحبّني جبل لتهافت**] قال السيّد «ره»: ومعنى ذلك أنّ المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار المصطفين الأخيار وهذا مثل قوله عليه السلام:

[**من أحبّنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلباباً**] وقد يؤول ذلك على معنىً آخر ليس هذا موضع ذكره، ولعلّه أراد به الفقر في الآخرة، أي: من أحبّنا فليعدّ لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والتقرّب إلى اللّه والزلفة عنده وتهافت الجبل: سقط قطعة قطعة، وهو مبالغة في كثرة ما يلحقه ويفجئه من المصائب والابتلاء، والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر

لا مال أعود من العمل ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولا قرين كحسن الخلق

والصبر عليه، ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستتر بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق الصدر والتحيّر الذي ربّما يؤدّي إلى الكفر كما يستر بالملحفة، ولما كانت محبّتهم عليهم السلام بصدق تستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستشعار لشعارهم من شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب أن يكون كلّ محبّ لهم مستشعراً للفقر ومستعداً له جلباباً من توطين النفس عليه والصبر.

وقال عليه السلام:

[**لا مال أعود**] بالنفع على صاحبه [**من العمل**] واستعار المال للعقل باعتبار أنّ به ــــــ النفس وهو أس مالها الذي به تكتب الأرباح الباقية والكمالات المعدّة كالمال الذي به الكمال الظاهر.

[**ولا وحدة أوحش من العجب**] لأنّ العجب يوجب المقت ومن مقت أُفرد عن المخالطة واستوحش منه.

[**ولا عقل كالتدبير**] فإنّ جملة تصرّفات العقل العملي التدبير واستخراج الآراء الصائبة في الأمور، ولمّا كان المقصود منه التدبير لا جرم لم يكن له التصرّف يشبهه فلا عقل مثله.

[**ولا كرم كالتقوى**] إذ خشية اللّه يلزمها الزهد في الدنيا والإعراض عن متاعها ويلزم ذلك بذل جميعها وإذا كان بذل بعض قنياتها يسمّى كرماً فبذلها بأسراها أولى بان يسمّى كرماً.

[**ولا قرين كحسن الخلق**] لأنّ غاية سائر القرناء أن يستفاد من

ولا ميراث كالأدب ولا قائد كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ورا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكّر ولا عبادة كأداء الفرائض ولا إيمان كالحياء والصبر

صحبتهم ومحبّتهم حسن الخلق فكون الخلق الحسن ــــ الذي هو الغاية قريناً أشرف من ذي الغاية الذي عساه لا يحصل منه فرا قرين إذاً يشبهه.

[**ولا ميراث كالأدب**] وقد مرّ بيانه [**ولا قائد**] إلى المطالب [**كالتوفيق**] وهو عبارة عن توافق الأسباب حتّى تستلزم حصول المسبب فهو نِعم القائد في سرعة الوصول إلى المطلوب.

[**ولا تجارة كالعمل الصالح**] لاستلزامه الخير كاستلزام التجارة الربح، وربح العمل الصالح الثواب الدائم الأُخروي الذي لا ربح أعظم منه.

[**ورا ورع كالوقوف عند الشبهة**] إذ الورع الوقوف عن المناهي والمحرّمات، فالوقوف عن الشبهة أبلغ أصناف الورع وأكثرها تحرّزاً.

[**ولا زهد كالزهد في الحرام**] لما كان الزهد في الحرام هو المأمور به وغيره مندوب كان الأوّل أفضل كفضل الواجب على المندوب.

[**ولا علم كالتفكّر**] أي: كالعلم الحاصل من التفكّر في خلق السموات والأرض وما خلق اللّه من شيء، وهو أفضل من العلم الحاصل بالحواس، ويحتمل أن يراد العلم بكيفية التفكّر والقوانين التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال.

[**ولا عبادة كأداء الفرائض**] لكونها واجبة، والواجب أشرف من غيره.

[**ولا إيمان كالحياء والصبر**] لشرف هاتين الفضيلتين وإطلاقهما على

ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا مظاهرة أوثق من المشاورة إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثمّ أساء رجل الظنّ برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله ثمّ أحسن رجل الظن برجل فقد غراه كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحّته

الإيمان مجاز من إطلاق اللازم على الملزوم.

[**ولا حسب كالتواضع**] لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضائل كان التواضع أشرف ما يعد بالقياس إلى كثير منها لما يستلزم من الحوادث.

[**ولا شرف كالعلم**] أي: كشرف العلم؛ لأنّه أشرف الكمالات.

[**ولا مظاهرة أوثق من المشاورة**] لأنّ فيه إضافة عقل غيره إلى عقله.

وقال عليه السلام:

[**إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثمّ أساء رجل الظنّ برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله ثمّ أحسن رجل الظن برجل فقد غراه**] يريد أنّه يتعيّن على العاقل سوء الظنّ حيث الزمان فاسد، ولا ينبغي له سوء الظنّ حيث الزمان صالح، إشارة إلى أنّ من جملة الأسباب المعدّة لتوافق أسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم ولذا يقال زمان صالح وزمان فاسد، وقوله «قد غرّر» أي: أوقع نفسه في الغرّة به والغفلة عن حاله، وروي إذا غلب الجور على العدل فلا يحلّ لأحد أن يظنّ بأحد خيراً حتّى يعرف ذلك منه.

وقيل له عليه السلام كيف نجدك يا أمير المؤمنين قال: [**كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحّته**] إذ استمرار الزمان وتعاقب أجزائه مقرّب

كم من مستدرج بالإحسان إليه ومغرور بالستر ومفتون بحسن القول فيهوما ابتلى اللّه أحداً إلا بمثل الإملاء له

للأجل فلبقائه سببٌ في فنائه، وكذا لما كان غاية لصحّة السقم فالصحّة سبب في سقمه.

وقوله: [ويؤتى من مأمنه، لعلّ المراد أن نزول ما يكرهه الإنسان به من الموت وأهوال الآخرة هو أمنه في الدنيا وسكونه إليها وغفلته عمّاورائها مما لابدّ منه، فالمأمن مصدر، ويحتمل أن يكون المأمن محلّ الأمن وهو الدنيا ومعنى كونه يؤتى من مأمنه أي: انّ ما يدخل عليه من الأدواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه من أحوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها التي يعرض له من مأمنه حال أمنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه.

وقال عليه السلام:

[**كم من مستدرج بالإحسان إليه**] بضروب النعم، والمستدرج المأخوذ على غرّة [**ومغرور بالستر**] أي: ستر المعصية [**ومفتون بحسن القول فيه**] والثناء عليه [**وما ابتلى اللّه أحداً إلا بمثل الإملاء له**] أي: الإمهال وتأخير المدّة، ولمّا كانت غاية الابتلاء بهذه الأُمور التي كلّها نِعمٌ في الحقيق إمّا شكرها أو كفرها كما قال تعالى: ﴿ليبلوني ءأشكر أم أكفر﴾ الآية، وكان الشكر هو الخيرية المطلوبة بالذات نبّه المبتلى بالنعم على وجوب شكرها بأنّه كثيراً ما يستدرج بها فينبغي أن لا يغفل عنها، ونبّه المبتلى بالثانية على أنّها كثيراً ما تكون سبباً لغرّته باللّه والأمن من مكره فينهمك في المعاصي، ونبّه الثالث بكون نعمته قد تكون سبباً لفتنته وصرفه عن شكر اللّه وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه، ونبّه الرابع بكون نعمته أعظم ما يبتلى به من النعم.

هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غلا ومبغضٌ قال إضاعة الفرصة غصّة مثل الدنيا كمثل الحيّة ليّن مسّها والسمّ الناقع في جوفها الأليم يهوي إليها الغرّ الجاهل ويحذرها ذو اللّب العاقل عن قريش فقال: أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش يحبّ حديث رجالهم والنكاح

وقال عليه السلام:

[**هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غلا ومبغضٌ قال**] الغلاة هم الذين أخرجوه عن حدّ البشرية إلى سماء الإلهية، والمبغضون كثيرون ولا ريب أنّ بغض أولياء اللّه معاداة للّه.

وقال عليه السلام:

[**إضاعة الفرصة غصّة**] أي: إنّ تضييع الأمر وقت إمكانه من نفسه يستلزم الأسف والحزن على تفويته.

وقال عليه السلام:

[**مثل الدنيا كمثل الحيّة ليّن مسّها والسمّ الناقع في جوفها**] لأنّ تناول شهواتها سهل في عين الناظر إليها مع ــــــ يشتهيه منها ويتناوله الشقاوة الأُخروية والعذاب [**الأليم يهوي إليها الغرّ الجاهل**] بما فيها من سوء العاقبة [**ويحذرها ذو اللّب العاقل**] العارف بها كما أنّ الحيّة ليّن مسّها حسن منظرها يحبّها الجاهل سواراً من ذهب أو فضّة يهوي إليها لغرّته بما فيه من سم ويحذرها من يعرفه.

وسُئِل عليه السلام: [**عن قريش فقال: أمّا بنو مخزوم**] وهم بطن من قريش ومنهم أبو جهل وآل المغيرة [**فريحانة قريش**] قيل: كانت لمخزوم ريح طيّبة كالخزامى ولوناً كلونه [**يحبّ حديث رجالهم**] لأنّ فيهم كيساً [**والنكاح**

في نسائهم وأمّا بنو عبد شمس فأبعدها رأياً وأصنعها لما وراء ظهورها وأمّا نحن فأبذل لما أيدينا وأسمح عند الموت بنفوسنا هم أكثر وأمكر وأنكر ونحن أفصح وأنصح وأصبح شتّان بين عملين، عمل تذهب لذّته وتبقى تبعته

في نسائهم] لما فيهنّ من اللّطف والتصنّع والتحبّب إلى الرجال.

[**وأمّا بنو عبد شمس]** بن عبد مناف ومنهم ربيعة وأبناء شيبة وحرب بن أُمية وأبو سفيان وأسيد بن عتاب.

[**فأبعدها رأياً]** كنّى به عن جودة الرأي، يقال: فلان بعيد الرأي إذا كان يرى المصلحة من بعيد.

[**وأصنعها لما وراء ظهورها]** كنّى به عن الحمية [**وأمّا نحن]** معشر بني هاشم [**فأبذل لما أيدينا]** كناية عن السخاء [**وأسمح عند الموت بنفوسنا]** كنّى به عن شجاعتهم، ثمّ وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم بثلاث فضائل بدنيتين ونفسانية فقال: [**هم أكثر]** عدداً [**وأمكر]** أي: أكثر حيلة وخداعاً [**وأنكر]** أي: أكثر نكراً ومنكراً [**ونحن أفصح]** لساناً [**وأنصح]** للناس لمن ينبغي نصيحته [**وأصبح]** أي: أحسن وجوهاً وأجمل، والمراد ألقى الناس بالطلاقة والبشر.

وقال عليه السلام:

[**شتّان بين عملين، عمل تذهب لذّته وتبقى تبعته]** وهو عمل الدنيا وتبعته ما يتبعه من الشقاوة الأُخروية [وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره وهو عمل الآخرة، ومعنى «شتّان» افترق ما بينهما فرقاً عظيماً.

وقد تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال عليه السلام: كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتِب! وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب! وكأنّ الذي نرى من الأموات سَفْرٌ عمّا قليل إلينا راجعون! نبوّهم أجداثهم ونأكل تراثهم قد نسينا كلّ واعظ وواعظة ورمينا بكلّ جايحة طوبى لمن ذلّ في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وأنفق الفضل من ماله

وقال عليه السلام:

[**وقد تبع جنازة فسمع رجلاً يضحك، فقال عليه السلام: كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتِب! وكأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب!**] من حيث قلّة اهتمامنا بالموت وعدم الالتفات إلى اداء واجب حقّ اللّه علينا.

[**وكأنّ الذي نرى من الأموات سَفْرٌ عمّا قليل إلينا راجعون!**] من حيث عدم اعتبارنا بمن يموت [**نبوّهم أجداثهم**] جمع جدث وهو القبر.

[**ونأكل تراثهم**] أي: إرثهم، وهو من تمام وجه التشبيه فإنّ الفاعل مثل هذا الفعل بالأموا كأنّه لقساوة قلبه وعدم اتّعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت.

[**قد نسينا كلّ واعظ وواعظة ورمينا بكلّ**] فادح و[**جايحة**] وهي الداهية المستأصلة [**طوبى لمن ذلّ في نفسه**] للّه من ملاحظة حاجتها وفقرها إليه ونظرها إلى معادها.

[**وطاب كسبه**] بأن أخذه من وجهه الذي ينبغي [**وصلحت سريرته**] للّه وأخلص باطنه من فساد النيّة في المعاملة مع الخلق [**وحسنت خليقته**] باقتناء الفضائل واجتناب الرذائل [**وأنفق الفضل**] عن الحاجة [**من ماله**]

وأمسك الفضل من لسانه وعزل عن الناس شرّه وسعته السنّة ولم ينسب إلى بدعة غيرة الرجل إيمان وغيرة المرأة كفر لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي: الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق

فيما ينبغي من وجوه القربات [**وأمسك الفضل من لسانه**] بأن يتكلّم في محلّ الكلام ويسكت في محلّ السكوت.

[**وعزل عن الناس شرّه**] وهو العدل أو لازمه [**وسعته السنّة**] أي: سنّة اللّه ورسوله [**ولم ينسب إلى بدعة**] أي: لم يخرج أي: لم يخرج من السنّة إلى ما يبتدع في الدّين وما لا ينبغي.

قال السيّد «ره»: ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وقال عليه السلام:

[**غيرة الرجل إيمان**] لاستلزامه سخط ما يسخط اللّه من اشتراك رجلين في امرأة [**وغيرة المرأة كفر**] لأنّها تروم بغيرتها تحريم ما أحلّ اللّه وهو اشتراك امرأتين فما زاد في رجل واحد وتحريم ما أحلّ اللّه وسخط ما رضيه كفر.

وقال عليه السلام:

[**لأنسبنّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحدٌ قبلي: الإسلام هو التسليم**] لأنّ الإسلام الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم للّه وعدم النزاع في ذلك [**والتسليم هو اليقين**] لأنّ التسليم الحقّ إنّما يكون عن تيقّن استحقار المطاع للتسليم له واليقين بذلك من لواز التسليم للّه [**واليقين هو التصديق**] لأنّ اليقين باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان

والتصديق هو الإقرار والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل الصالح
عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء وعجبتُ للمتكبّر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة

رسوله صلى الله عليه وآله من وجوب طاعته فصدق على اليقين به أنّه تصديق له.

[**والتصديق هو الإقرار**] لأنّ التصديق للّه في وجوب طاعته إقرار بصدق اللّه [**والإقرار هو الأداء**] لأنّ الإقرار والاعتراف بوجوب أمر يستلزم أداء المقرّ المعترف لما أُمر به فكان إقراره أداءً لازماً. [**والأداء هو العمل الصالح**] لأنّ أداء ما اعترف به للّه من الطاعة الواجبة لا يكون إلا عملاً ويؤول حاصل هذا الترتيب إلى إنتاج أنّ الإسلام هو العمل للّه بمقتضى أوامره.

وقال عليه السلام:

[**عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه**] حيث إنّه يتخيّل خوف الفقر في العاقبة لو أنفق المال فتقتيره وعدم انتفاعه به في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلاً للفقر، ورأي حكيمٌ رجلاً مثرياً يأكل خبزاً وملحاً فقال: لمَ تفعل هذا؟ قال: أخاف الفقر، قال: فقد تعجّلته.

[**فيعيش في الدنيا عيش الفقراء**] لتقتيره على نفسه [**ويُحاسب في الآخرة حساب الأغنياء**] لكونه ذا مال وثروة وقدرة.

[**وعجبتُ للمتكبّر الذي كان بالأمس نطفة**] قذرة في غاية الحقارة [**ويكون غداً جيفة**] منتنة، فجمعه بين هذين الأمرين وبين التكبّر من العجب العجيب.

وعجبتُ لمن شكّ في اللّه وهو يرى خلق اللّه وعجبت لمن ينسى الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن أنكر النشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأُولى وعجبتُ لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء من قصّر في العمل ابتلي بالهم

[**وعجبتُ لمن شكّ في اللّه وهو يرى خلق اللّه**] وذلك جمع بين الشكّ في وجوده وبين رؤيته ظاهراً في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محلّ العجب.

[**وعجبت لمن ينسى الموت وهو يرى من يموت**] ومعلوم أنّ نسيان الموت مع رؤيته دائماً محلّ التعجب.

[**وعجبت لمن أنكر النشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأُولى**] إذ استبعاده إعادة الأبدان بعد عدمها مع اعترافه بالنشأة الأُولى وهي الوجود الأوّل بعد العدم البحت محلّ التعجّب لأنّ الأُخرى أهون كما قال تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾.

[**وعجبتُ لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء**] إذ إذ إقباله على عمارة الدنيا مع كونها خزفاً فانياً وإعراضه عن الآخرة مع كونها ذهباً باقياً محلّ التعجّب.

وقال عليه السلام:

[**من قصّر في العمل ابتلي بالهم**] لأنّ المقصّر في العمل للّه يكون غالب أحواله متوفّراً على الدنيا مفرطاً في طلبها وجمعها، وبقدر التوفّر عليها يكون شدّة الهمّ في جمعها وتحصيلها أوّلاً، ثمّ في ضبطها والخوف على فواتها ثانياً.

ولا حاجة للّه فيمن ليس للّه في نفسه وماله نصيب توقّوا البرد في أوّله وتلقّوه في آخره فإنّه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار أوّله يحرق وآخره يورق عظم الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينك

[**ولا حاجة للّه فيمن ليس للّه في نفسه وماله نصيب**] كنّى به عن إعراضه عنه وعدم النظر إليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك.

وقال عليه السلام:

[**توقّوا البرد في أوّله وتلقّوه في آخره فإنّه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار أوّله يحرق وآخره يورق**] وأوّله أوّل الخريف، قيل: والسبب فيه أنّ الصيف والخريف يشتركان في اليبس فإذا ورد البرد حينئذ ورد على أبدان استعدّت بحرارة الصيف ويبسه للتخلخل وتفتح المسام والجفاف فاشتدّ انفعال البدن عنه وأسرع تأثيره في قهر الحرارة الغريية فيقوى بذلك في البدن وقتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت فيكون بذلك يبس الأشجار واحتراق الأوراق وضمور الأبدان وضعفها، بخلاف آخره وهو آخر الشتاء أوّل الربيع فإنّهما يشتركان في الرطوبة ويفترقان في برد الشتاء وحرّ الربيع، فالبرد المتأخّر إذا امتزج بحرارة الربيع وانكسرت سورته بها لم تكن له بعد ذلك نكاية في الأبدان فقويت لذلك الحرارة الغريية فيها وانتعشت فكان من اعتدالها بالبرد مع الرطوبة استعداد المزاج وهو طبيعة الحياة وكان منه النموّ وقوّة الأبدان وبروز الأوراق والثمار.

وقال عليه السلام:

[**عظم الخالق عندك يصغّر المخلوق في عينك**] إذ لا نسبة للمخلوق إلى الخالق، سيّما البشر فإنّهم بالنسبة إلى فلك القمر كالذرّة بالنسبة إلى

يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنت لنا فرطٌ سابق ونحن لكم تبعٌ لاحق، أمّا الدور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسّمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ أما واللّه لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى

قرص الشمس بل أدون، وفلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ونسبة الفلك المحيط الذي لا قوام له إلا باللّه إلى الباري كنسبة العدم المحض والنفي الصرف إلى وجود الواجب، فالأمر أعظم وأجلّ والعقل قاصر عن التصوّر واللّسان عاجز عن التعبير.

وقال عليه السلام وقد رجع من صفّين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة:

[**يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنت لنا فرطٌ سابق**] والفرط المتقدّم [**ونحن لكم تبعٌ لاحق، أمّا الدور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسّمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟**] ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: [**أما واللّه لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى**] خاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع إقامة لحالهم المعهودة مقام أشخاصهم الموجودة في الدنيا، والغرض ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا وما تؤول إليه، والاستعداد للآخرة التي هي خيرٌ وأبقى.

وقد سمع رجلاً يذمّ الدنيا: أيّها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المنخدع بأباطيلها أتغترّ بها ثمّ تذمّها أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك متى استهوتك أم متى غرّتك أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أُمّهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفّك وكم مرّضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطبّاء غداة لا يغني عنهم دوائك لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تُسْعَفْ فيه

وقال عليه السلام:

[**وقد سمع رجلاً يذمّ الدنيا: أيّها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها المنخدع بأباطيلها أتغترّ بها ثمّ تذمّها**] توبيخٌ له على الاغترار بها وذمّها مع ذلك، ثمّ كذّب دعواه بقوله: [**أنت المتجرّم عليها**] أي: المدعي جريمته [**أم هي المتجرّمة عليك**] يقال: تجرّمت على فلان: ادّعيت عليه جرماً وذنباً، [**متى استهوتك**] أي: طلبت هويك إليها وهواك فيها [**أم متى غرّتك**] استفهام إنكاري عن وقت استهوائها له وغرورها، وأكّد ذلك باستفهام أنّ ذلك الغرور له منها بأيّ شيء كان.

[**أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أُمّهاتك تحت الثرى**] وذلك بمنزلة الإنكار على وجه الاستهزاء، ثمّ أشار إلى كونها منبّهة على الغفلة لا أنّ قصدها الغرّة فقال: [**كم علّلت بكفّك وكم مرّضت بيديك**] أي: قد صورّت لك الدنيا نفسك بمن أكثرت تعليله وتمريضه من أهلك [**تبتغي**] أي: تطلب [**لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطبّاء غداة لا يغني عنهم دوائك**] ولا يجدي عليهم بكائك [**لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تُسْعَفْ فيه**

بطلبتك وقد مثّلت لك الدنيا به نفسك ومصرعه مصرعك إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها ودار موعظة لمن اتّعظ بها مسجد أحبّاء اللّه ومصلّى ملائكة اللّه ومهبط وحي اللّه ومتجر أولياء اللّه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة

بطلبتك] ولم تدفع عنهم مبرّتك **[وقد مثّلت لك الدنيا به نفسك ومصرعه مصرعك]** وإذا كانت الدنيا بهذه المثابة قد مثّلت لك ذلك فهي ليست من أهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نُصحائك ومنبّهيك عن غفلتك، ثمّ لمّا نفى عنها الذمّ أخذ في مدحها بأوصاف ثمانية فقال:

[إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها] فيما أخبرت به بلسان حالها من فنائها وزوالها وصديقه لها اعترافه بذلك منها والعمل به.

[ودار عافية لمن فهم عنها] ما أخبرت به من عطائها حتّى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب اللّه.

[ودار غنى لمن تزوّد منها] بالتقوى كما قال تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾ وظاهر أنّ التقوى وثمراتها في الآخرة أعظم غنى للمتّقين.

[ودار موعظة لمن اتّعظ بها] واعتبر فعلم وصفها وغايتها **[مسجد أحبّاء اللّه]** من رسله وأوليائه **[ومصلّى ملائكة اللّه]** الأرضية الذين سجدوا لآدم عليه السلام. **[ومهبط وحي اللّه]** على الأنبياء والمرسلين.

[ومتجر أولياء اللّه] أي: محلّ تجارتهم التي لن تبور.

[اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنّة] بالأعمال الصالحة

فمن ذا يذمّها قد أذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثّلت لهم ببلاياها البلى وشوّقتهم بسرورها إلى السرور وراحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً تحذيراًفذمّها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا فتذكّروا وحدّثتهم

والملكات الفاضلة.

[**فمن ذا يذمّها**] استفهم بعد هذه المدائح عمّن يذمّها منكراً عليه والحال أنّها [**قد أذنت**] أي: أعلمت أهلها [**ببينها**] أي: بفراقها [**ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها**] بلسان حالها من التغيّر والانتقال المؤذن بالزوال [**فمثّلت لهم ببلاياها البلى**] في الآخرة [**وشوّقتهم بسرورها إلى السرور**] في الجنّة؛ لأنّ كلّ ما في هذا العالم صورة ومثال لعالم الغيب ونسخة منه، فالعارف يشاهد بلاء الآخرة من بلاء الدنيا وسرورهامن سرورها مع العلم بما بينهما من الفرق العظيم وإنّ الأشرف لا يحصل إلا برفض الأخس، فباعوا الفاني بالباقي.

[**وراحت بعافية وابتكرت بفجيعة**] كنّى بذلك عن سرعة انتقال أحوالها وتبدّل أطوارها من رخاء إلى شدّة ومن صحّة إلى سقم.

[**ترغيباً**] في الثواب [**وترهيباً**] من العقاب ومنها [**تحذيراً**] من الحساب [**فذمّها رجال غداة الندامة**] أي: إنّ سبب ذمّها ممن ذمّها ندامة المفرطين في اتّخاذ الزاد التقوى إلى الآرة منها فنسبوا ذلك التفريط إلى غرورها لهم.

[**وحمدها آخرون يوم القيامة ذكّرتهم الدنيا**] بزوالها انّ ورائهاآخرة باقية يجب العمل لها [**فتذكّروا**] ما ذكّرتهم وعملوا [**وحدّثتهم**] بلسان حالها

فصدّقوا ووعظتهم فاتّعظوا إنّ للّه ملكاً ينادي في كلّ يوم: لِدُوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب الدنيا دار ممرّ إلى دار مقرّ والناس فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فأوبقها ورجلٌ ابتاع نفسه فأعتقها

بذلك [**فصدّقوا ووعظتهم**] بِغِيَرَها [**فاتّعظوا**] واعلم أنّه قد كثر ذمّ الدنيا في الكتاب والسنّة وقد ورد مدحها أيضاً في جملة من الأخبار والآثار، وروي «نعم العون على الآخرة الدنيا» فالدنيا المذمومة كلّ ما يبعّد عن اللّه وإن كان صلاة أو صوماً أو حجّاً أو إنفاقاً إذا لم يقصد بها وجه اللّه، والآخرة كلّما يقرّب إلى اللّه وإن كان دياراً وخدماً وحشماً وأموالاً إذا صُرفت في رضاء اللّه، وليست الدنيا المذمومة النشأة الدنيوية، إذ هي محلّ العبادة والأعمال الصالحة ولا مطلق المال والخدم والحشم فقد كان لجملة من الأنبياء والأولياء كسليمان ويوسف بل المدار على ما ذكر.

وقال عليه السلام:

[**إنّ للّه ملكاً ينادي في كلّ يوم: لِدُوا للموت، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب**] الأمور الثلاثة غايات طبيعية، واللام فيها للعاقبة، كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزناً﴾ وقوله: «فللموت ما تلد الوالدة».

وقال عليه السلام:

[**الدنيا دار ممرّ**] باعتبار أنّها طريق [**إلى دار مقرّ**] وهي الآخرة [**والناس فيها رجلان: رجلٌ باع نفسه فأوبقها**] أي: أهلكها [**ورجلٌ ابتاع نفسه فأعتقها**] استعار البائع لبائع نفسه باعتبار تسليمه لها إلى الهلاك

لايكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته من أُعطي أربعاً لم يُحرم أربعاً: من أُعطي الدعاء لم يُحرم الإجابة، ومن أُعطي التوبة لم يُحرم القبول، ومن أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة، ومن أُعطي الشكر لم يُحرم الزيادة

الأُخروي واعتياضه عنها ما أصابه من اللّذة الدنيوية، وكذا لفظ الابتياع لمشتري نفسه باعتبار إنقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والإعراض عنه.

وقال عليه السلام:

[لا يكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته] جعل عليه السلام لصديق الصدق خاصّة يعرف بها وهو أن يحفظ صديقه في الأُمور الثلاثة وحفظه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الإمكان.

وقال عليه السلام:

[من أُعطي أربعاً لم يُحرم أربعاً: من أُعطي الدعاء لم يُحرم الإجابة، ومن أُعطي التوبة لم يُحرم القبول، ومن أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة، ومن أُعطي الشكر لم يُحرم الزيادة] قال الرضي «ره»: وتصديق ذلك في كتاب اللّه تعالى قال في الدعاء: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقال في الاستغفار ﴿من يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر اللّه يجد اللّه غفوراً رحيماً﴾ وقال في الشكر: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ وقال في التوبة: ﴿إنّما التوبة على اللّه للّذين يعملون السوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فأُولئك يتوب اللّه عليهم وكان اللّه عليماً حكيماً﴾.

قال ابن أبي الحديد: وفي بعض الروايات أنّ ما نُسب إلى الرضي من

الصلاة قربان كلّ تقي والحجّ جهاد كلّ ضعيف ولكلّ شيء زكاة وزكاة البدن الصيام جهاد المرأة حسن التبعُّل استنزلوا الرزق بالصدقة

استنباط هذه المعاني من الكتاب العزيز من متن كلام أميرالمؤمنين عليه السلام.

أقول: وورد في روايات أُخر عن الصادقين عليهما السلام.

وقال عليه السلام:

[**الصلاة قربان كلّ تقي**] بل هي أعظم ما يتقرّب به المتّقون إلى اللّه؛ إذ هي عمود الدّين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها.

[**والحجّ جهاد كلّ ضعيف**] وإنّما كان جهاداً في سبيل اللّه لما فيه من مشقّة السفر ومجاهدة الطبيعة ومفارقة النفس الأمّارة بالسوء، وإنّما خصّ الضعيف بذلك جذباً له إلى اللّه ولأنّ للقويّ جهاداً آخر.

[**ولكلّ شيء زكاة وزكاة البدن الصيام**] لما فيه من تنقيص قوّته وكسر شهوته لغاية طاعة اللّه والثواب الأُخروي كما أنّ الزكاة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب في الآخرة.

[**جهاد المرأة حسن التبعُّل**] أي: حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة اللّه، وفي ذلك كسر النفس الأمّارة للمرأة وانقيادها في صراط اللّه.

وقال عليه السلام:

[**استنزلوا الرزق بالصدقة**] فيه ترغيبٌ في الصدقة بذكر كونها سبباً لاستنزال الرزق مضافاً إلى استلزامها تآلف قلوب أهل اللّه والصالحين من عباده، ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة﴾ الآية.

تنزل المعونة على قدر المؤنة ما عال امرؤ اقتصد قلّة العيال أحد اليسارين والتودّد نصف العقل

وقال: [**تنزل المعونة**] أي: معونة اللّه وقوّته على القيام بأحوالهم [**على قدر المؤنة**] والمؤنة: التعب والشدّة، أي: إنّ الشدّة والثقل بالعيال ونحوهم معدٌّ لاستنزال معونة اللّه برزقه. وقال عليه السلام: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» إذ من لا يوقن بالخلف ويتخوف الفقر يضنّ بالعطيّة، ومن يوقن بالخلف يعلم أنّ الجود شرف لصاحبه ممدوح عند الناس محمود عند اللّه مضاعف له بذله.

وقال عليه السلام:

[**ما عال امرؤ اقتصد**] العيلة: الفقر، والاقتصاد: الانفاق بقدر الحاجة؛ لأنّ قدر الحاجة من المال أمر قد تكفّل اللّه بإدراره مدّة البقاء وهو ما لابدّ للمقتصد منه.

وقال عليه السلام:

[**قلّة العيال أحد اليسارين**] أي: اليسار الثاني كثرة المال؛ لأنّ الغنى يكون بحصول المال، وللمال اعتباران أحدهما حصوله والثاني عدم إنفاقه، فحصوله يسار وعدم إنفاقه على العيال لقلّتهم يسار ثاني.

[**والتودّد نصف العقل**] أراد بالعقل العملي ولفظه مجاز في تصرّفاته إطلاقاً للسبب على المسبّب ومن جملة تصرّفاته في التدبير التودّد إلى الخلق؛ لأنّ الإنسان محتاج في إصلاح معاشه إلى غيره ومعاملته للناس إمّا على وجه التودّد وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب، وإمّا على وجه القهر والغلبة والترهيب فلا جرم كان التودّد وما

والهمّ نصف الهرم ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء والسهر

يلزمه نصف العقل أي: نصف تصرّفه في تدبير أمر معاشه.

[**والهمّ نصف الهرم**] لأنّ الهرم إمّا طبيعي وإمّا بسبب من خارج وهو الهمّ والحزن والخوف المستلزم له فهو إذا قسيم للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالضعف له، فاستعار له النصف وأراد الهمّ نصف سبب الهرم.

وقال عليه السلام:

[**ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره**] مقتضى الحكمة أن يجعل اللّه للإنسان قوّة استعداد الصبر بقدر المصيبة، فمن تمّ استعداده أُفيض عليه ذلك المقدار من الصبر ومن قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدّها وهو الجزع حبط ثوابه على الصبر، وكنّى بالجزع عمّا يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين لأنّ شدّة الجزع يستلزم كراهية قضاء اللّه وسخطه وعدم الالتفات إلى ما وعد به من ثواب الصابرين.

وقال عليه السلام:

[**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**] كالذي يستعمل الكذب والغيبة في صومه أو يفطر على المحرّم فيكون كمن بنى قصراً وهدم مصراً.

[**وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء والسهر**] وكالذي يقصد

حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم سُوسوا إيمانكم بالصدقة وحصّنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء فلمّا أصحر تنفّس الصعداء

بعبادته الرياء والسمعة أو يأتي بها مع فقد شرائطها أو أركانها.

[**حبّذا نوم الأكياس وإفطارهم**] والأكياس: العلماء الذين يستعملون ذكاهم وفطنتهم على الوجه المرضي للشارع، ويضعون كلّ شيء موضعه، ومن كان كذلك كان نومه وإفطاره وجميع تصرّفاته في عباداته في محلّها من رضاء اللّه ومحبّته.

وقال عليه السلام:

[**سُوسوا إيمانكم بالصدقة**] أي: املكوها بها وذلك انّ الصدقة من الإيمان التامّ فملكه وحفظه لا يكون بدونها.

[**وحصّنوا أموالكم بالزكاة**] لأنّ منعها إنّما يكون عن البخل وشدّة الحرص وذلك باعث لمستحقّيها على ذمّه وداع للخلق إلى التسبب في أذاه فكان مانعها معرّضاً بذلك لتلف ماله وبأدائها محصّناً له.

[**وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء**] استعار الأمواج للحوادث المتواترة والدعاء بإخلاص يعد النفس للإجابة بالمطلوب.

ومن كلام له عليه السلام

قاله لكميل بن زياد النخعي، قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبّان والجبان والجبانة: الصحراء.

[**فلمّا أصحر**] أي: صار في الصحراء [**تنفّس الصعداء**] وهو نوع من

ياكميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عنّي ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالمٌ ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم

النفس يُصعّده المتلّهف والحزين، ثمّ قال:

[**ياكميل**] بن زياد [**إنّ هذه القلوب أوعية**] للعلوم والمعارف [**فخيرها أوعاها فاحفظ عنّي ما أقول لك، الناس ثلاثة:**] لأنّهم باعتبار الأمور الإلهية إمّا عالم على الحقيقة يعرف اللّه تعالى، وإمّا شارع في ذلك فهو بعد في السفر إلى اللّه بطلبه بالعلم والاستفادة من العالم، وإمّا لا ذا ولا ذاك وهو العامي الساقط الذي لا يعبأ به.

فقال عليه السلام: [**عالمٌ ربّاني**] نسبةٌ إلى الربّ تعالى، زيدت الألف والنون للمبالغة في التشبيه، قال تعالى: ﴿كونوا ربّانيين﴾ أي: العالم علم ربوبيّته وهو العارف باللّه تعالى، وقيل: سمّوا بذلك لأنّهم يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها، وقيل: لأنّهم يربّون العلم أي: يقومون بإصلاحه.

[**ومتعلّم على سبيل نجاة**] إذ العلم سبب النجاة في الآخرة، فالمتعلّم في طريق تحصيله على سبيل النجاة ليصل إليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبة.

[**وهمج رعاع**] الهمج ذباب صغير كالبعوض، والرعاع: الأحداث والعوام، استعار لهم ذلك باعتبار حقارتهم وكونهم مظنّة الجهل.

وقوله: [**أتباع كلّ ناعق**] ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والغباوة.

وقوله: [**يميلون مع كلّ ريح**] كناية عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه.

[**لم يستضيئوا بنور العلم**] أي: هُم باقون على جهالتهم.

ولم يلجئوا إلى ركن وثيق يا كميل العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد، العلم دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكومٌ عليه

[**ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**] كناية عن الاعتقادات الحقّة البرهانية التي يعتمد عليها في دفع مكاره الآخرة.

ثمّ شرع في مدح العلم وبيان فضائله فقال:

[**يا كميل العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك**] من مكاره الدنيا والآخرة [**وأنت تحرس المال**] وبونٌ بعيد بين من يكون حارساً لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه إلى حراسته في الفضيلة.

[**والمال تنقصه النفقة**] والإخراج منه [**والعلم يزكو على الإنفاق**] ويزيد بإخراجه وإفادته لطالبه لتذكّر العالم بتعليمه ومذاكرته لما غفل عنه واستنباطه مالم يكن عنده.

[**وصنيع المال**] وهو الإحسان [**يزول بزواله**] أي: بزوال المال والإحسان بالعلم باق لبقائه.

[**يا كميل بن زياد، العلم**] أي: تحصيله [**دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة**] أي: طاعة الخلق له [**في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته**] أي: الذكر الجميل بعد وفاته.

[**والعلم حاكم والمال محكومٌ عليه**] أي: إنّ تصريفه في جمعه وإنفاقه إنّما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه.

يا كميل بن زياد هلك خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ها إنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو أصبتُ له حملةً بل أُصيب لقناً غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم اللّه على عباده وبحجبه على أوليائه

[**يا كميل بن زياد هلك خزّان الأموال**] في الآخرة [**وهم أحياء**] في الدنيا لأنّ المخزون لا فرق بينه وبين الصخرة المدفونة تحت الأرض فخازنه هالك لا محالة لأنه لم يلتذّ بإنفاقه ولم يصرف في الوجوه التي ندب اللّه إليها، وهذا هو الهلاك المعنوي وهو أعظم من الهلاك الحسّي.

[**والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**] مشاهدة، أي: آثارهم وما دوّنوه من العلوم موجود في القلوب، فكأنّهم موجودون.

ثمّ قال عليه السلام: [**ها إنّ هاهنا لعلماً جمّاً**] وأشار إلى صدره عليه السلام.

[**لو أصبتُ له حملةً**] «ها» للتنبيه، وجواب «لو» محذوف أي: لأظهرته، أشار إلى أنّ في صدره من هذه الفضائل شيئاً كثيراً وإنّما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يتحمّله.

[**بل أُصيب لقناً غير مأمون عليه**] اللّقن: سريع الفهم، أي: هو مظنّة أن يذيعه إلى غير أهله ويضعفه في غير موضعه وأراد به الموصوف برذيلة الجربزة.

[**مستعملاً آلة الدين للدنيا**] أي: استعمل العلم بكسب أُمور الدنيا.

[**ومستظهراً بنعم اللّه**] وهو العلم [**على عباده**] كالفخر عليهم ومغالبتهم [**وبحجبه على أوليائه**] أي: مستعملاً حجّة اللّه وما علّمه منها

أو متقلّداً لحملة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللّذة سلسل القياد للشهوة أو مغرماً بالجمع والادّخار ليسا من رعاة الدّين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه

في مقابلة أوليائه وتلبيس الحقّ بالباطل.

[**أو متقلّداً لحملة الحقّ لا بصيرة له في أحنائه**] أي: جوانبه [**ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة**] وفي بعض النسخ أو منقاداً وهو عطف على «لقناً»، أي: منقاداً للحقّ مؤمناً به، ولكنّه غرير صالح لحمله؛ لكونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله ولأنّه ينقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة؛ لعدم العلم وعدم ثباته في نفسه بالبرهان والحجّة الواضحة ومقام المعرفة صعب لا يثبت عنده إلا أوحدي من الرجال.

وقوله: [**ألا لا ذا ولا ذاك**] أي: من حملة العلم.

وقوله: [**أو منهوماً باللّذة سلسل القياد للشهوة**] أي: صاحب لذّات وطرب ولهو، مشتهر بقضاء الشهوة، فليس من رجال هذا الباب.

وقوله: [**أو مغرماً بالجمع والادّخار**] أي: شديد المحبّة لهما وأتبعهما في معرض الذمّ بوصفين فقال: [**ليسا من رعاة الدّين في شيء**] أي: لا تعلّق لهما بالدّين وأهله.

[**أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة**] باعتبار غفلتها عن الدّين وثمرته في الآخرة، [**كذلك**] أي: يقارب تلك الأحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له [**يموت العلم بموت حامليه**] لأنّ التشبيه يفيد مقاومة الأحوال وعنى بحامله نفسه ومن عساه يكون من أهله يومئذ!

اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج اللّه وبيّناته وكم ذا وأين أُولئك؟ أُولئك واللّه الأقلّون عدداً والأعظمون قدراً بهم يحفظ اللّه حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون

ثمّ استدرك بقوله: [**اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً**] وهو المتمكّن من إظهار العلم والعمل به من حجج اللّه [**أو خائفاً مغموراً**] الذي لا يتمكّن من ذلك كإمام زماننا عجّل اللّه فرجه وهو نصٌّ في وجوب وجود الإمام في كلّ زمان وعدم خلوّ الأرض منه مادام التكليف باقياً كما عليه الفرقة المحقّة.

[**لئلا تبطل حجج اللّه وبيّناته**] ﴿ولئلاّ يكون للناس على اللّه حجّة بعد الرسل﴾.

وقوله: [**وكم ذا**] استبطأ لغيبته وتبرّمه من امتداد دولة أعدائه [**وأين أُولئك؟ أُولئك واللّه الأقلّون عدداً والأعظمون قدراً**] عند اللّه [**بهم يحفظ اللّه حججه وبيّناته**] المشتمل عليها دينه [**حتّى يودعوها نظرائهم**] وأمثالهم [**ويزرعوها في قلوب أشباههم**] بعدهم [**هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة**] أي: فاجئهم ودخل على عقولهم دفعة لأنّ علومهم لدنية حسّية، وقيل: هو من باب القلب أي: هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم.

[**وباشروا روح اليقين**] أي: وجدوا لذّته [**واستلانوا ما استوعره المترفون**] من الأمور الشاقّة كجشوبة المطعم وخشونة المضجع والملبس

وأنسوا بما استوحشوا منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى أُولئك خلفاء اللّه في أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم انصرف إن شئت المرء مخبوء تحت لسانه هلك امرؤٌ لم يعرف قدره لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل

ومضايرة الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه من لذّة اليقين وحلاوة العرفان هيّن ليّن عندهم.

[**وأنسوا بما استوحشوا منه الجاهلون**] وهي الأحوال التي ألفوها مما ذكرنا فإنّ الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من أهلها.

[**وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى**] وصحبة الملائك [**أُولئك خلفاء اللّه في أرضه والدعاة إلى دينه**] تأوّه عليه السلام شوقاً إليهم فقال: [**آه آه**] كلمة توجّع أصلها واه [**شوقاً إلى رؤيتهم**] ثمّ قال عليه السلام لكميل: [**انصرف إن شئت**]. وقال عليه السلام:

[**المرء مخبوء تحت لسانه**] كناية عن سكوته، وذلك إنّ مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه إذ الكلام صفة المتكلم.

وقال عليه السلام:

[**هلك امرؤٌ لم يعرف قدره**] فإنّ من لم يعرف محلّه من العلم مثلاً أوشك أن يرفع به فوق محلّه أو يفتي بما لا يعلم لاعتقاده كماله فيقع في الهلاك والخسران.

وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

[**لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل**] فإنّ ذلك منيّ على اللّه والمنى بضائع النوكى ومن رجى شيئاً عمل له واستعد.

ويرجئ التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين إن أُعطي منها لم يشبع وإن مُنع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما أولي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي عنها ويأمر بما لا يأتي يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم ما يكره الموت له إن سقم ظلّ نادماً وإن صحّ أمن لاهياً

[**ويرجئ التوبة**] أي: يؤخّرها وروي بالزاء المعجمة أي: يدفعها [**بطول الأمل**] فإنّ ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها في الآخرة.

[**يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين**] فإنّه مخادع للّه، وإذا كان من الراغبين في الدنيا أصابه ما أصابه من عذاب الآخرة بها.

[**إن أُعطي منها لم يشبع**] وهو علامة رذيلة الشره والحرص.

[**وإن مُنع منها لم يقنع**] وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة [**يعجز عن شكر ما أولي**] من نعم اللّه [**ويبتغي الزيادة فيما بقي**] وهو الجمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص.

[**ينهى**] عن المعاصي [**ولا ينتهي عنها**] وهو نفاق وخداع للّه.

[**ويأمر بما لا يأتي**] أي: بما يقصر عن فعله وهو كالذي قبله.

[**يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم**] وذلك ينافي محبّتهم، وكذا قوله: [**ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم ما يكره الموت له**] من كثرة ذنوبه، فإقامته على ذنوبه نقص لكراهيته الموت مع ما يلزمها من العذاب الاخروي.

[**إن سقم ظلّ نادماً وإن صحّ أمن لاهياً**] أي: جمع بين ندمه حال

يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي إن أصابه بلاء دعى مضطراً وإن ناله رخاء أعرض مغتراً تغلبه نفسه على ما يظنّ ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله إن استغنى بطن وفتن وإن افتقر قنط ووهن

سقمه على تفريطه في جنب اللّه وبين لهوه في لذّته حال أمنه وهو أيضاً كالمنافق.

[**يعجب بنفسه إذا عوفي**] والعجب من المهلكات [**ويقنط إذا ابتلي**] أي: إذا ابتلاه ربّه وييأس من رحمته وقال تعالى: ﴿لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾ وقال: ﴿ومن يقنط من رحمة ربّه إلا الضالّون﴾.

[**إن أصابه بلاء دعى مضطراً**] إليه عند نزول البلاء [**وإن ناله رخاء أعرض**] عن ربّه ونأى بجانبه [**مغتراً**] بالدنيا عند إصابته الرخاء، والأوّل رذيلة الإفراط والثاني رذيلة التفريط.

[**تغلبه نفسه على ما يظنّ ولا يغلبها على ما يستيقن**] جمع بين الانقهار لنفسه والانقياد بها إلى ما يظنّه فائدة من الأمور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها إلى ما يستيقنه من ثواب الآخرة وعذابها فلا يلزمها العمل لذلك فإنّ ذلك عند العقل سفه وجنون.

[**يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله**] يعني أنّه جمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي أقل من ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثواباً أكثر مما يستحقّ على عمله فإنّ الحقّ من ذلك أن يخاف على نفسه أكثر من الخوف على غيره لأكثرية ذنوبه ويعمل لذلك الخوف.

[**إن استغنى بطن وفتن**] وذلك رذيلة الفخر [**وإن افتقر قنط ووهن**]

يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة فلا يتّعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقلّ ينافس فيما يفنى أي: في الدنيا ؤيسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً يخشى الموت ولا يبادر الفوت

وهو رذيلة التقصير والتفريط [**يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل**] وهو رذيلة الإلحاف في السؤال [**إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة**] عند نزول المحنة، أي: يخرج عن فضيلة الصبر على المعصية الذي هو شرط الملكة ويتركها.

[**يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة فلا يتّعظ**] وقد قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

[**فهو بالقول مدل ومن العمل مقلّ ينافس**] أهل الدنيا [**فيما يفنى**] أي: **في الدنيا ؤيسامح فيما يبقى**] وهو ثواب الآخرة ولو كانت الآخرة خزفاً باقياً والدنيا ذهباً فانياً لكانت الآخرة أولى بالمنافسة فكيف والدنيا خزف فاني والآخرة ذهب باقي!

[**يرى الغنم مغرماً**] كالإنفاق في سبيل اللّه.

[**والغرم مغنماً**] كالإنفاق في المعصية وهو عكس مقتضى العقل.

[**يخشى الموت ولا يبادر الفوت**] بالأعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من أهواله وما بعده.

يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره وعلى الناس طاعن وللنفس مداهن اللّهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربّه ولا يخشى ربّه في خلقه لكلّ امرئ عاقبة حلوة أو مرّة

[**يستعظم من معصية غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره**] ويلزم من ذلك أن يكون طاعناً على الناس في أفعالهم ومداهناً لنفسه في فعلها كما قال: [**وعلى الناس طاعن وللنفس مداهن اللّهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذكر مع الفقراء**] وذلك لفرط محبّة الدّنيا، وقد روي: إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبّ يحوط ما أحبّ.

[**يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره**] فيما يشتهيه وإن كان باطلاً ولا يحكم عليها لغيره في حقّ [**يرشد غيره**] بالقول [**ويغوي نفسه**] بالفعل، أي: يعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك أن يطيعه غيره وهو يعصي اللّه [**ويستوفي**] ماله على غيره [**ولا يوفي**] ما عليه من حقّ اللّه [**ويخشى الخلق في غير ربّه**] أي: في أمر ليس للّه [**ولا يخشى ربّه في خلقه**] ويلزم الأوّل أن يرضيهم بما يسخط اللّه والثاني أن يسخط بمايسخط خلقه.

قال السيّد الرّضي «ره»: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وتبصرة المبصر وعبرة لناظر مفكّر.

وقال عليه السلام:

[**لكلّ امرئ عاقبة**] وروي لكلّ أمر عاقبة [**حلوة أو مرّة**] استعار لفظي

لكلّ مقبل إدبار وما أدبر كأن لم يكن لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان

الحلوة والمرّة للذيذة والمكروه فغاية الحركات الخيرية الجنّة ولذّاتها وهي العاقبة الحلوة وغاية الشرّية النار وعذابها وهي العاقبة المرّة، وقال عليه السلام:

[لكلّ مقبل إدبار وما أدبر كأن لم يكن] أي: المقبل من الدنيا ولذّاتها وشهواتها في معرض الزوال ولذا قيل بقدر الصعود يكون الهبوط وإيّاك والرتب العالية وقال بعض الحكماء: حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة؛ لأنّ المقبل كالصاعد من مرقاة إلى مرقاة والمدبر كالمقذوف من علوّ إلى سفل، وقال الشاعر:

ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

وقال عليه السلام:

[لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان] والمراد بالصبور كثير الصبر، وقد مرّ أنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وذلك لأنّه قوام الأخلاق الحسنة، فإذا كان عن مشتهى سمّي عفّة وإن كان في نزول مصيبة سمّي صبراً ويضادّه الجزع، وفي احتمال الغنى ويسمّى ضبط النفس ويضاده البطر والأشر وإن كان في الحرب سُمّي شجاعة، ويضاد بالجبن، وإن كان في الإمساك عن الغضب سمّي حلماً، ويضادّه التذمر، وإن كان في نائبة مضجرة سمّي سعة، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمّي كتماناً يضادّه الإضاعة، وإن كان عن فضول العيش سمّي قناعةً وزهداً، ويضاده الحرص والشره.

وقال عليه السلام:

الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كلّ داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة ما كذبتُ ولا كُذِّبت ولا ضللتُ ولا ضُلّ بي الرحيل وشيك

[**الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كلّ داخل في باطل إثمان إثم العمل به وإثم الرضى به**] لأنّ الرضا بالباطل يستلزم محبّته.

وقال عليه السلام:

[**ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة**] لأنّ الحقّ واحد لا اختلاف فيه ولا تعدّد يعتريه قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحقّ إلا الضلال﴾ واجتماع النقيضين كارتفاعهما محال.

وقال عليه السلام:

[**ما كذبتُ ولا كُذِّبت ولا ضللتُ ولا ضُلّ بي**] قال ابن أبي الحديد: هذه كلمة قد قالها مراراً إحداهن في وقعة النهروان و«كُذّبت» بالضمّ: أخبرت بخبر كاذب أي: لم يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله عن ــــــ خبراً كاذباً، و«ضُلّ بي» بالضمّ ونحو ذلك أي: لم يضللني مُضلّ عن الصدق والحقّ.

وقال عليه السلام:

للظالم البادي بفكّه غداً غصّة، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم يعضّ الظالم على يديه﴾ وإنّما قال البادي لأنّ من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه، وفي المثل: البادي أظلم، وهو على المقابلة من قبل ﴿ومكروا ومكر الله﴾ ﴿وجزاء سيّئة سيّئة مثلها﴾.

وقال عليه السلام:

[**الرحيل وشيك**] أي: الرحيل عن الدنيا سريع وهو الموت.

من أبدى صفحته للحقّ هلك استعصموا بالذمم في أوتادها عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته ما شككت في الحقّ منذ أُريته

وقال عليه السلام:

[**من أبدى صفحته للحقّ هلك**] أي: من نابذ اللّه وحاربه هلك، يقال لمن خالف أو كاشف: قد أبدى صفحته.

وقال عليه السلام:

[**استعصموا بالذمم في أوتادها**] أي: في مظانّها وفي مركزها أي: لا تستندوا إلى ذمام الكافرين والمارقين، فإنهم ليسوا أهلاً للاستعصام بذممهم كما قال تعالى: ﴿لا يرقبون في من آمن إلاً ولا ذمّة﴾ قيل: وهذه كلمة قالها بعد انقضاء الجمل وقصور قوم من الطلقاء بين يديه ليبايعوه منهم مروان فقال عليه السلام: وماذا أصنع ببيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس؟! يعني بعد قتل عثمان، ثمّ أمر بإخراجهم ورفع نفسه عن مبايعة أمثالهم وتكلّم بكلام ذكر فيه ذمام العربية وذمام الإسلام وذكر أنّ من لا دين له فلا ذمام له، ثمّ قال في أثناء الكلام: فاستعصموا بالذمم في أوتادها، أي: إذا صدرت عن ذوي الدين فمن لا دين له لا عهد له.

وقال عليه السلام:

[**عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته**] وهو اللّه سبحانه أو نفسه عليه السلام وسائر أئمة الحقّ ممن لا يعذر الناس بجهالتهم لتعلّم قوانين الدّين وأحكام الشريعة منهم.

وقال عليه السلام:

[**ما شككت في الحقّ منذ أُريته**] أي: منذ أُعلمته، والمفعول الثالث محذوف أي: منذ أُريته حقّاً؛ لأنّ «أرى» تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل.

قد بصرتم إن أبصرتم وهُديتم إن اهتديتم وأُسمعتم إن سمعتم عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شرّه بالإنعام عليه من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ من ملك استأثر ومن استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها

وقال عليه السلام:

[**قد بصرتم إن أبصرتم وهُديتم إن اهتديتم وأُسمعتم إن سمعتم**] أي: قد بصرتم سبيل الرشاد وهديتم إليها وأُسمعتم الدلالة عليها إن كان لكم استعداد أن تبصروها وتسمعوا وتهتدوا إليها.

وقال عليه السلام:

[**عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شرّه بالإنعام عليه**] أي: اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الإحسان إليه والإنعام في حقّه فإنّهما أنفع في عطف جانبه إليك ودفع شرّه عنك والعتاب مستعار للإحسان لاستلزامهمارجوع العاتب.

وقال عليه السلام:

[**من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ**] لأنّه هو السبب في إساءة الظنّ بنفسه، وقال عليه السلام ثلا كلمات [**من ملك استأثر**] أي: الغالب في لملوك أن يستأثروا على الرعية بالمال والعزّ والجاه والانفراد بذلك لتسلّطهم وعدم المنازع لقواهم الأمّارة بالسوء فيهم.

[**ومن استبدّ برأيه هلك**] لأنّ انفراده برأيه وعدم قبوله النصيحة سّما في الحرب ونحوها مظنّة الخطأ المستلزم للهلاك.

[**ومن شاور الرجال شاركها في عقولها**] لأنّه تستنتج منها الرأي الأصحّ ليعمل به، فكان عقول الرجال بأسرها حاصلة له لانتفاعه بثمرتها.

من كتم سرّه كانت الخيرة بيده الفقرُ الموتُ الأكبر من قضى حقّ من لا يقضي حقّه فقد عبده لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لا يعاب المرء بتأخير حقّه إنّما يعاب بأخذ ما ليس له

وقال عليه السلام:

[**من كتم سرّه كانت الخيرة بيده**] وهو ترغيب في كتمان السرّ، أي: كان مختاراً في إذاعته وكتمانه بخلاف من أذاع سرّه فإنّه لا يتمكّن بعد ذلك من كتمانه.

وقال عليه السلام:

[**الفقرُ الموتُ الأكبر**] لانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي مادّة الحياة وتألّمه لفقدها، فأشبه الموت وكان أكبر ـــــ الأمّة على الفقير مدّة حياته وألم الموت ـــــ في وقت واحد.

وقال عليه السلام:

[**من قضى حقّ من لا يقضي حقّه فقد عبده**] بالتشديد أي: اتّخذ معبداً واستعبده، والمراد مدح من يقضي حقّ من لا يقضي حقّه أي: من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك الإنسان لأنّه لم يفعل ذلك معه مكافاة له عن حقّ قضاه إيّاه بل فعل ذلك إنعاماً مبتدأ.

وقال عليه السلام:

[**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**] يحتمل النفي والنهي.

وقال عليه السلام:

[**لا يعاب المرء بتأخير حقّه إنّما يعاب بأخذ ما ليس له**] إن أخذ ما ليس له ظلم من أقبح الرذائل التي يعاب بها المرء، بخلاف تركه حقّه فقد

الإعجاب يمنع من الازدياد الأمر قريب والاصطحاب قليل قد أضاء الصبح لذي عينين ترك الذنب أهون من طلب التوبة كم من أكلة منعت أكلات

يكون مباحاً وقد يكون مندوباً.

وقال عليه السلام:

[**الإعجاب يمنع من الازدياد**] أي: إعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه أو الخارجة كغناه إنّما يكون عن قصور كماله فيها واعتقاده وأنّه قد بلغ منه الغاية والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها.

وقال عليه السلام:

[**الأمر قريب والاصطحاب قليل**] هذه الكلمة تذكير بالموت وسرعة زوال الدنيا أي: أمر اللّه وهو الموت قريب والاصطحاب في الدنيا قليل.

وقال عليه السلام:

[**قد أضاء الصبح لذي عينين**] هو مثل استعار الصبح لسبيل اللّه والضياء لوضوحه وظهوره بوصف الشارع ودلالته.

وقال عليه السلام:

[**ترك الذنب أهون من طلب التوبة**] إذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدماً وطلب التوبة من اللّه يحتاج إلى استعداد شديد يصلح معه العبد لقبولها منه وإفاضة العفو عليه.

وقال عليه السلام:

[**كم من أكلة منعت أكلات**] تجري مجرى المثل يضرب لمن يفعل فعلاً يكون سبباً لحرمانه ما كان يناله من خير سابق وأصله أنّ الرجل يمتلي من الطعام فينتخم ويمرض فيحتاج إلى الحمية والامتناع من الأكل.

الناس أعداء ما جهلوا من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ من أحدّ سنان الغضب للّه قوي على قتل أشداء الباطل إذا خفت أمراً فقع فيه فإنّ شدّة توقّيه أعظم مما يخاف منه

وقال عليه السلام:

[**الناس أعداء ما جهلوا**] لأنّه يخاف من تعريضه بالنقص وبعدم العلم بذلك الشيء خصوصاً إذا ضمّه ناد وجمع من الناس فإنّه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه وينقص في أعين الحاضرين، وكلّ شيء آذاك ونال منك فهو عدوّك.

وقال عليه السلام:

[**من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ**] لأنّ المتصفّح للآراء لابدّ أن يعرف مواقع الخطأ في الأُمور ومظانّها.

وقال عليه السلام:

[**من أحدّ سنان الغضب للّه قوي على قتل أشداء الباطل**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن تنصروا اللّه ينصركم﴾ واستعار السنان لحدّة الغضب باعتبار استلزامهما للنكاية في العدو ورشح بذكر الحدّ.

وقال عليه السلام:

[**إذا خفت أمراً فقع فيه فإنّ شدّة توقّيه أعظم مما يخاف منه**] قيل: للنفوس فيما يتوقّع مكروهه انفعال كثير وفكر عظيم في كيفية دفعه والخلاص منه، وذلك أصعب بكثير من الوقوع فيه لطول الخوف هناك وتأكّده بتوقّع الأُمور المخوف.

وقال عليه السلام:

آلة الرياسة سعة الصدر زجر المسيء بثواب المحسن أحصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من مدرك اللّجاجة تسلّ الرأي

[آلة الرياسة سعة الصدر] الرئيس يحتاج إلى أُمور: كالجود، والشجاعة، وسعة الصدر وهو أمهمّها، إذ الرياسة مظنّة ورود الأحداث المهمّة والخطوب العظيمة وأحوال الخلق فمن لم يكن محتملاً لهذه الأمور وسيع الصدر بها فلابدّ أن يحار فيها ويدهش ــــــ رياسته.

وقال عليه السلام:

[زجر المسيء بثواب المحسن] لأنّ تصوّر المسيء جزاء المحسن بإحسانه يدعوه إلى الإحسان والرجوع عن الإسائة فالمجازاة بالإحسان كالزجر للمسيء في استلزام ارتداعها وانزجاره.

وقال عليه السلام:

[أحصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من مدرك] لأنّ أغلب ما ينشأ الشر في صدر العدو بسبب ما يتخيّله في عدوّه من إضمار الشرّ له وظنّ ذلك فيه وذلك التخيّل والظنّ لابدّ أن يكون عن امارة من حركات عدوّه وفلتات لسانه بالقول في حقّه مادامت عداوته وإضمار الشرّ له قائماً في صدره فإذا محى ما أضمر له من العداوة والشرّ زالت امارات ذلك من لسانه ووجهه وبحسب ذلك ينقص تخيّل العداوة ويضعف سوء ظنّ عدوّه به ولا يزال يتأكّد إلى أن ينمحي ذلك الظنّ في حقّه كذا قيل، والحقّ انّ ذلك سرّ إلهي لا يعلم حقيقته، واستعار الحصد لإزالته ملاحظةً لشبهه بالزرع في زيادته.

وقال عليه السلام:

[اللّجاجة تسلّ الرأي] أي: تأخذه وتذهب وذلك أنّ الإنسان قد يطلب شيئاً والرأي الحقّ هو الثاني في طلبه فيحمله طبعه على اللّجاجة فيه

الطمع رقٌّ مؤبّد ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة لا خير في الصمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل الرحيل وشيك

حتّى يكون ذلك سبباً لفواته واستعار لفظ السلّ له ونسبه إلى اللّجاجة مجازاً باعتبار أنّها هي المفوّتة له.

وقال عليه السلام:

[**الطمع رقٌّ مؤبّد**] استعار الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبّد للمطموع فيه والخضوع له كالرقّ وتأبيده باعتبار دوام التعبّد بسببه فإنّ الطامع دائم العبودية لم يطمع فيه مادام طامعاً، وهو في ذلك كالدائم من الرق.

وقال عليه السلام:

[**ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة**] التفريط: إضاعة الحزم في الأمور، والحزم: تقديم العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو أقرب للسلامة وأبعد من الغرور لا جرم كان ذلك مظنّة السلامة، ومنها كانت إضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنّة الوقوع فيها وعدم السلامة من بلائها، وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته.

وقال عليه السلام:

[**لا خير في الصمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل**] لأنّ الصمت عن الحكمة تفريطٌ في القول، والنطق بالجهل إفراط، والعدل هو النطق بالحكمة.

وقال عليه السلام:

من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة

[فإن كنت بالشورى هلكت أُمورهم
فكيف بهذا و المشاورون غيّب
وإن كنت بالقرب حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبيِّ وأقربُ]

وقال عليه السلام:

[من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع] لأنّ المصيبة قد تكون عظيمة يلزم الهلاك بسببها فيجب أن يقابل الجزع فيها بصبر ينجي من الهلاك، أي: من لم يصبر على المصيبة لينجو فجزع هلك، أو المعنى من لم ينجه فضيلة الصبر هلك برذيلة الجزع.

وقال عليه السلام:

[واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة]

قال السيّد «ره»: وقد روي له شعر قريب من هذا المعنى وهو:

[فإن كنت بالشورى هلكت أُمورهم
فكيف بهذا و المشاورون غيّب
وإن كنت بالقرب حججت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبيِّ وأقربُ]

قال ابن أبي الحديد: حديثه في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النثر فإلى عمر توجيهه؛ لأنّ أبابكر لمّا قال لعمر امدد يدك قال له عمر أنت صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله في المواطن كلّها شدّها ورخائها فامدد أنت يدك، فقال علي عليه السلام: إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في

إنّما المرء في الدنيا غرضٌ تتنصل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كلّ جرعة شرق وفي كلّ أكلة غصص ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أُخرى ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق اخرى

المواطن فهلاّ سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك وزاد عليه بالقرابة. وأمّا النظم فموجّه إلى أبي بكر لأنّه حاجّ الأنصار في السقفية فقال: نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنه فلمّا بويع احتجّ على الناس بالبيعة وأنّها صدرت عن أهل الحلّ والعقد، فقال علي: أما احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول الله ﷺ ومن قومه فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضى الجماعة بك فقد كان قوم من جلّة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف ثبت!

وقال عليه السلام:

[**إنّما المرء في الدنيا غرضٌ**] أي: هدف [**تتنصل**] أي: ترمي [**فيه المنايا**] استعار الغرض للإنسان باعتبار رميه بمقدّمات المنايا وأسبابها من الأمراض والأعراض المهلكة كأن المنايا هي الرامية [**ونهب**] النهب: المال المنهوب غنمه وجمعه نهاب [**تبادره**] أي: تتبادره [**المصائب**] استعار النهب لسرعة المصائب إلى أخذه [**ومع كلّ جرعة شرق وفي كلّ أكلة غصص**] كنّى بذلك عن تنغّص لذّات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الأعراض والأمراض.

[**ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أُخرى**] لأنّ النفيس في الدنيا لا يمكن أن تحصل على لذّتين دفعة، فإنّ من حصلت له لذّة الجماع لابدّ أن يكون حالها مفارقاً لذّة الأكل والشرب وكذا من يأكل ويشرب ويكون مفارقاً حال أكله وشربه لذة الركض على الخيل في طلب الصيد.

من أجله فنحن أعوان المنون وأنفسنا نصب الحتوف فمن أين نرجو البقا وهذا اللّيل والنهار لم يرحضا من شيء شرفاً إلا شرعا الكرّة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا يابن آدم ما كسبت فوق قوّتك فأنت فيه خازن لغيرك إنّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها فإنّ القلب إذا كره عمى،

[**ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله**] لأنّ طبيعة الزمان النقص والسيلان [**فنحن أعوان المنون**] لأنّ كلّ نفس وحركة من الإنسان مقرّبة له إلى أجله فكأنّه ساع إلى أجله ومساعد عليه.

[**وأنفسنا نصب الحتوف**] أي: منصوبة كالغرض نحو الموت [**فمن أين نرجو البقا**] استفهام إنكار لوجوده مع وجود الزمان الذي من شأنه أنّه لم يرفع لشيء شرفاً ويجمع لأحد شملاً إلا أسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع.

كما قال: [**وهذا اللّيل والنهار لم يرحضا من شيء شرفاً إلا شرعا الكرّة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا**].

وقال عليه السلام:

[**يابن آدم ما كسبت فوق قوّتك فأنت فيه خازن لغيرك**] إذ اكتساب الزيادة على المؤنة وادّخاره غير نافع للمدّخر لأنّه يفارق ما ادّخره ويصل إلى الوارث فهو كالخازن له.

وقال عليه السلام:

[**إنّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها فإنّ القلب إذا كره عمى**] أراد بالإقبال الميل وبالإدبار النفرة عن ملال ونحوه وأمر بأعمالها فيما ينبغي من فكر ونظر إذا كان لها ميل وإقبال وإلا فلا؛ لأنّ

متى أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرت؟ أم حين أقدر عليه فيقال لي: لو عفوت هذا ما بخل به الباخرون هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس لم يذهب من مالك ما وعظك كلمة حقّ يُراد بها باطل

إكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال أو ضعف قوّة يزيدها كراهية له ونفرة فلا تدرك كالأعمى لأنّ فعل غير المحبوب متعب.

وقال عليه السلام:

[**متى أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرت؟ أم حين أقدر عليه فيقال لي: لو عفوت**] استفهم إنكاراً عن وقت شفاء الغيظ فإنّه حين العجز إنّما يكون بالسبب والشناعة ويقطع العرض ونحو ذلك وذلك مستلزم للايمة الخلق وتعتيبهم وحين القدرة لا يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لايمة الخلق والعدول عن فضيلة العفو.

وقال عليه السلام وقد مرّ بقذر على مزبلة:

[**هذا ما بخل به الباخرون**] وفي آخر [**هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس**] أشار بذلك إلى أنّه غاية ما بخل به الباخلون وتنافس فيه الناس من المال والطعام إقامة للغاية مقام ذي الغاية

وقال عليه السلام:

[**لم يذهب من مالك ما وعظك**] أي: القدر الذي ذهب من مالك على طريق الامتحان والابتلاء بحيث حصل لك بذهابه موعظة لا يعدّ ذاهباً تالفاً بل كأنّه باق لبقاء منفعته وشرف ثمرته وهي الموعظة.

وقال عليه السلام لمّا سمع قول الخوارج لا حكم إلا لله:

[**كلمة حقّ يُراد بها باطل**] لأنّ معناها إنّ اللّه إذا أراد شيئاً من أفعال

في صفة الغوغاء هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرّقوا لم يعرفوا هم الذين إذا اجتمعوا أضرّوا وإذا تفرّقوا نفعوا يرجع أصحاب المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلا عند كلّ سوء

نفسه وحكم به فلابدّ من وقوعه نحو ﴿ما شاء اللّه كان﴾ كما قال يعقوب: ﴿لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرّقة وما أغني عنكم من اللّه من شيء إنّ الحكم إلا للّه﴾ والمعنى الباطل الذي أراده الخوارج ما أنكروه عليه عليه السلام من التحكيم وقالوا: كيف تحكم الرجال والحكم مختصّ باللّه، وذلك باطل؛ لأنّ اللّه قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع.

وقال عليه السلام:

[في صفة الغوغاء] وهم العوام **[هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرّقوا لم يعرفوا]** وقيل: بل قال عليه السلام **[هم الذين إذا اجتمعوا أضرّوا وإذا تفرّقوا نفعوا]** فقيل: قد علمنا مضرّة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم.

وقال عليه السلام:

[يرجع أصحاب المهن إلى مهنهم] والمهنة: الحرفة والصناعة.

[فينتفع الناس بهم كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه].

وقال عليه السلام وقد أوتي بجان ومعه غوغاء فقال:

[لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلا عند كلّ سوء] أي: لا تُرى مجتمعة، إذ العوام لا تجتمع غالباً إلا في مثل ذلك والسوئة فعلة من السوء، وكان يقال:

إنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإنّ الأجل جُنّة حصينة لا ولكنّكما شريكان في القوّة والاستعانة وعونان على العجز والأود.

أيّها الناس اتقوا اللّه الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم وبادروا

العامة كالبحر إذا هاج أهلك راكبه، وقيل: لا تسبوا الغوغاء فإنّهم يطفئون الحريق وينقذون الغريق.

وقال عليه السلام:

[**إنّ مع كلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإنّ الأجل جُنّة حصينة**] قيل: إنّ مذهب كثير من الحكماء أنّ للّه ملائكة موكّلة بحفظ البشر من التردّي في بئر ومن أصابه سهم معترض في طريق ومن رفس دابة ومن نهش حيّة أو لسع عقرب.

أقول: وفي القرآن: ﴿ويرسل عليكم حفظة حتّى إذا جاء أحدكم الموت﴾ واستعار الجنّة الحصينة للأجل لأنّه مانع من الموت قبل وقته المقدّر له وكفى به حارساً وقال له طلحة والزبير: نبايعك على أنّا شركائك في هذا الأمر، فقال:

[**لا ولكنّكما شريكان في القوّة والاستعانة وعونان على العجز والأود**] أي: الاعوجاج، أي: على دفع ما يعرض منهما وأفاد أنّ الشركة في الخلافة ممتنع إذ لا يدبّر أمر الرعية إمامان، ولا يجتمع السيفان في غمد واحد.

وقال عليه السلام:

[**أيّها الناس اتقوا اللّه الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم وبادروا**

الموت الذي إن هربتم منه أدرككم وإن أقمتم أخذكم وإن نسيتموه ذكّركم. لا يزهّدنّك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا تستمتع بشيء منه وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحبّ المحسنين﴾
كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلا وعا العلم فإنّه يتّسع به

الموت الذي إن هربتم منه أدرككم وإن أقمتم أخذكم وإن نسيتموه ذكّركم] رغّب عليه السلام في تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما يقول العبد وعلمه بضميره، حذف المفعولين للعلم بهما أي: سمع مقالكم وعلم ضميركم، ورغّب عليه السلام في مبادرة الموت ومسابقته بالأعمال الصالحة إلى حفظ النفوس بها من عذاب الآخرة وهول الموت ونفّر منه ليسارع إلى مبادرته بكون لا ينجو منه أحد، واستعار لوروده على الإنسان لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظةً لشبهه بالقاصد له عن علم به.

وقال عليه السلام:

[لا يزهّدنّك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا تستمتع بشيء منه وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر والله يحبّ المحسنين﴾] نهى عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن إليه، ورّغب فيه بقوله: «فقد يشكرك ... إلخ» لمحبّة الناس للإحسان والمحسنين وأنّه قد يحصل لك من شكر من لم تحسن إليه أكثر مما أضاعه كافر نعمك من شكر إحسانك إليه وإنّ الله يحبّ المحسنين، فادخل في زمرتهم.

وقال عليه السلام:

[كلّ وعاء يضيق بما جُعل فيه إلا وعا العلم فإنّه يتّسع به] إذ الأوعية المحسوسة لمّا كانت متناهية فمن شأنها أن تضيق بما يحمل فيها وأوعية العلم

أوّل عوض الحليم من حمله أنّ الناس أنصاره على الجاهل إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قل من تشبّه بقوم إلا وشكّ أن يكون منهم من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر

معقولة وهي النفوس وقوة إدراك العلوم فيها غير متناهية وكلّ مرتبة من إدراكها تعد لما بعده إلى غير النهاية فبالواجب أن تتسع بالعلم وتزيد بزيادته.

وقال عليه السلام:

[**أوّل عوض الحليم من حمله أنّ الناس أنصاره على الجاهل**] فيه ترغيبٌ في الحلم بما يلزمه من النصر.

وقال عليه السلام:

[**إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قل من تشبّه بقوم إلا وشكّ أن يكون منهم**] التحلّم: تكلّف الحلم، ولا ريب انّ من تشبّه بقوم وتكلّف التخلّق بأخلاقهم والتأدّب بآدابهم اكتسب ملكة قوية وصار ذلك طبيعة.

وقال عليه السلام كلمات أحدها:

[**من حاسب نفسه ربح**] أنّ المحاسب لنفسه على أعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل للربح ويحترز من الترك المستلزم للخسران.

[**ومن غفل عنها خسر**] لأنّ قربها من اللّذات الحاضرة يستلزم ميلها إليها مالم تجذبها المواعظ الإلهية وتنبيهها بوعد اللّه ووعيده يستلزم إهمالها للأعمال الصالحة وهو الخسران المبين.

[**ومن خاف**] من عذاب [**أمن**] أي: عمل للخلاص منه ليأمن لحوقه.

[**ومن اعتبر أبصر**] اي: من نظر مواقع الفتنه بعين الفكر والاعتبار أبصر الطريق إلى الحقّ.

ومن أبصر فهم، ومن فهم عَلِم لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ اتّقوا اللّه تقاة من شمّر تجريداً وجدّ جرّد تشميراً وأكمش في مهل وبادر في وجل

[**ومن أبصر**] ذلك [**فهم، ومن فهم**] العبور منها إليه [**عَلِم**] أي: حصل له العلم النافع بالحقّ.

وقال عليه السلام:

[**لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها**] مصدر شمس: الفرس إذا منع ظهره [**عطف الضروس**] وهي الناقة السيّئة الخلق [**على ولدها**] فإنّها تعضّ حالبها لتبقي لبنها لولدها شفقة عليه، واستعار الشماس للدنيا باعتبار إعدادها لمنعه عليه السلام منها ملاحظةً لشبهها بالفرس الذي يمنع ظهره أن يركب وشبه عطفها بعد ذلك بالضروس بشدّة العطف.

[**وتلا عقيب ذلك قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**] والمراد من ذلك زمان الرجعة التي أجمعت عليها الإمامية وتظافرت بها الآيات وتواترت فيها الروايات، كما أوضحنا ذلك في الحقّ اليقين.

وقال عليه السلام:

[**اتّقوا اللّه تقاة من شمّر تجريداً وجدّ**] وفي نسخة [**جرّد تشميراً**] أي: تقاة من شمّر عن ساق الجدّ في طاعة اللّه وجرّد نفسه لمرضاته تشميراً.

[**وأكمش في مهل**] أي: سارع في الأعمال الصالحة مادام في مهلة الحياة الدنيا [**وبادر**] مغفرة اللّه ورضوانه وهو [**في وجل**] من سيّئاته

ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع الجود حارس الأعراض والحلم فدام السفيه والعفو زكاة الظفر والسلو عوضك ممن غدر والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه

وأعماله.

[**ونظر في كرة الموئل**] الكرة: الرجعة، والموئل: الملجأ، أي: فكّر في عوده إلى الملجأ الأوّل الذي منه بدأ وهو حضرة الربوبية.

[**وعاقبة المصدر**] الذي عنه صدر في ابتداء كونه وإليه يعود [**ومغبة المرجع**] أي: عاقبته من خير ليداوم عليه أو شرّ ليعمل للخلاص منه.

وقال عليه السلام:

[**الجود حارس الأعراض**] استعار الحارس باعتبار أنّ الجود يقي عرض صاحبه من السبّ كالحارس.

[**والحلم فدام السفيه**] والفدام خرقة تجعل على فم الابريق، استعير للحلم باعتبار أنّ الحليم إذا قابل السفيه بحلمه عن عقوبته سكن عنه أو أقلع عن سفهه في حقّه فأشبه الفدام له.

[**والعفو زكاة الظفر**] استعار الزكاة للعفو باعتبار أنّه فضيلة تستلزم زيادة الثواب في الآخرة.

[**والسلو عوضك ممن غدر**] وهو أمر الإنسان بالسلو عن الهمّ بسبب غدر من يطلب وفائه، ورغّب فيه بكونه عوضاً منه ونعم العوض.

[**والاستشارة عين الهداية**] أي: مستلزمة لها أو جعلها عينها تأكيداً لقوّة استلزامها لها.

[**وقد خاطر من استغنى برأيه**] أي: أشرف على الهلاك من استبدّ برأيه لأنّه مظنّة الخطأ المستلزم للهلاك.

والصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان واشرف الغنى ترك المُنى وكم من عقل أسير تحت هوى أمير ومن التوفيق حفظ التجربة والمودّة قرابة مستفادة ولا تأمنن ملولاً عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله

[**والصبر يناضل الحدثان**] استعار المنافضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب.

[**والجزع من أعوان الزمان**] لأنّه معدّ للهرم والفناء فكان معيناً له.

[**واشرف الغنى ترك المُنى**] لأنّ أشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية من الحكمة ومكارم الأخلاق وهو مستلزم لترك المُنى.

[**وكم من عقل أسير تحت هوى أمير**] لانقياده لهواه فهو كالأسير له وهذا كثير.

[**ومن التوفيق حفظ التجربة**] أي: لزومها ومداومتها لغاية الانتفاع بها، وذلك من توفيق اللّه وتسهيله الأسباب وتقديره لتوافقها في حقّ العبد.

[**والمودّة قرابة مستفادة**] لأنّ القرابة اسم للقرب وهو إمّا أن يكون أصلياً كقرب النسب أو مستفاداً مكتسباً كقرب الصداقة والمودّة.

[**ولا تأمنن ملولاً**] لأنّ الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السرّ ونحوها.

وقال عليه السلام:

[**عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله**] لأنّ الحاسد لايزال مجتهداً في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه ولمّا كان عجب الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه؛ ولذا قيل من رضى عن نفسك كثر الساخط عليه.

أغض على القذى والألم، ترضَ أبداً مَنْ لان عوده كَثُفَت أغصانه الخلاف يهدم الرأي من قال استطال في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال

وقال عليه السلام:

[**أغض على القذى**] كناية عن كتم الغيظ واحتمال المكروه [**والألم، ترضَ أبداً**] لدوام ورود المكاره عليه فإذا لم يقابلها بالاحتمال لم يزل ساخطاً.

وقال عليه السلام:

[**مَنْ لان عوده كَثُفَت أغصانه**] استعار العود لطبيعته وكنّى بلينه عن التواضع واستعار الأغصان للأعوان والأتباع وكنّى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرته وقوتهم بهم، والمراد من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كَثُرت أعوانه وأتباعه وقوى اجتماعهم عليه.

وقال عليه السلام:

[**الخلاف يهدم الرأي**] لأنّ أمر الجماعة على أمر يكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيهدم ما اجتمعوا عليه ورأوه من المصلحة وقريب منه ما قيل: لا رأي لمن لا يطاع.

وقال عليه السلام:

[**من قال استطال**] أي: من قال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان ومال استطال بسبب ذلك أي: كان في مظنّة أن يستطيل على غيره بما يناله.

وقال عليه السلام:

[**في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال**] أي: تقلّب أحوال الدنيا

حسد الصديق من سقم المودّة أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ليس من العدل القضاء على الثقة بالظنّ

على المرء كرفعته بعد اتضاعه وبالعكس وكنزول الشدائد به يفيد العلم التجربي بأحواله الباطنة من خير وشر وفضيلة ورذيلة، ولذا قيل: الولايات مضامين الرجال.

وقال عليه السلام:

[حسد الصديق من سقم المودّة] فإنّ الصديق إذا حسدك لم تكن صداقته صحيحة، إذ الصديق الصدوق من يجري مجرى نفسك، والإنسان لا يحسد نفسه، وقيل لحكيم: ما الصديق؟ فقال: إنسان هو أنت إلا أنّه غيرك.

وقال عليه السلام:

[أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع] استعار المصارع للعقول ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها، فأشبهت في الذلّة والانقياد لها وترك مقاومتها من أخذ مضرعه من الحرب واستعار البروق لما لاح من تصوّر المطموع فيه وكثيراً ما تشبه العلوم والخواطر الذهنية بالبروق للطفه وضيائه وسرعة حركته، وفي لفظ «تحت» إشارة إلى أنّ المصارع من شأنها أن تكون تحت.

وقال عليه السلام:

[ليس من العدل القضاء على الثقة بالظنّ] أي: من كان عندك ثقة معروفاً بالامانة فحكمك عليه بالخيانة بمجرّد الظنّ خروج عن العدل وهو جور.

وقال عليه السلام:

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد مِنْ أشرف أفعال الكريم غفلته عمّا يعلم من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر الواصلون

[**بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد**] لأنّ الظلم رذيلة عظيمة مستلزمة للشقاء الأشقى، فهي بئس الزاد إذاً، واستعار الزاد باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس إلى الآخرة كالزاد.

وقال عليه السلام:

[**مِنْ أشرف أفعال الكريم غفلته عمّا يعلم**] أي: تغافله وإغضائه عمّا يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم، لاستلزام ذلك الحلم والعفو والصفح ونحوها من الفضائل الجزيلة أركان، يقال: التغافل من التودّد.

وقال عليه السلام:

[**من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه**] استعار الثوب لما يشمل الإنسان من الحياء، ورشح بذكر الكسوة أي: الحياء يستلزم ترك العائب فلا يرى في صاحبه وإن ارتكب عيباً فعلى غاية من التستر.

وقال عليه السلام:

[**بكثرة الصمت تكون الهيبة**] لأنّ الصمت من توابع العقل غالباً ومهابة أهل العقل ظاهرة فإن عرف أنّ صمت الصامت عن عقل، كانت مهابته أوكد إن لم تعرف كانت لتجوز أن يكون عن كمال عقله.

[**وبالنصفة**] وهي فضيلة العدل كالإنصاف [**يكثر الواصلون**] لأنّ قلّة الإنصاف مستلزمة للفرقة وقطع الالفة كما قيل:

ولم تزل قلّة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

وبالافضال تعظم الأقدار وبالتواضع تتمّ النعمة وباحتمال المؤمن يجب السؤدد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه العجيب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد

[**وبالافضال تعظم الأقدار**] أي: بالافضال على الخلق بما يحتاجون إليه ــــــــ القدر للحاجة إلى التفضّل ومحبته، ولأنّه إنعام والمنعم مشكور.

[**وبالتواضع تتمّ النعمة**] بكثرة الاخوان وأهل المودة لأنّ فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها.

[**وباحتمال المؤمن يجب السؤدد**] لأنّ احتمال الخلق يستلزم فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه.

[**وبالسيرة العادلة يقهر المناوي**] أي: المعادي؛ لأنّ العدوّ لا يجد لصاحب السيرة العدالة عيباً يستظهر به عليه ويسعى به في فساد أمره فيبقى مقهوراً.

[**وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه**] والاتفاق على ذمّ ذلك السفيه وتقبيح فعله ومدح حلم الحليم.

وقال عليه السلام:

[**العجيب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد**] لأنّ الغالب أنّ الحسد إنّما يكون بالغنى والجاه وسائر فئات الدنيا فترك الحسّاد الحسد بصحّة الجسد مع كونه أجلّ النعم محلّ التعجّب، ولعلّ غفلة الحساسيد عنها لكونها من الأمور العقلية بخلاف سائر النعم، فإنّها حسّية مشاهدة.

وقال عليه السلام:

الطامع في وثاق الذلّ الإيمان معرفة بالقلب وإقرارٌ باللّسان وعمل بالأركان من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح على قضاء اللّه ساخطاً ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه

[**الطامع في وثاق الذلّ**] استعار لفظ الوثاق للذلّ لأنّه يثبّط صاحبه عن الخير، وروي: عزّ من قنع ذلّ من طمع.

وقال عليه السلام وقد سُئِل عن الإيمان:

[**الإيمان معرفة بالقلب وإقرارٌ باللّسان وعمل بالأركان**] والمراد الإيمان الكامل، ولا تكاد ترى في القرآن ذكر الإيمان إلا وهو مردف بالعمل، كقوله: ﴿الّذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

وقال عليه السلام:

[**من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح على قضاء اللّه ساخطاً**] إذ الرزق بقضاء اللّه وقدره فمن حزن لفوات شيء منه فقد سخط قضاء اللّه.

[**ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنّما يشكو ربّه**] لأنّه تعالى هو المبتلي بها إذ لم تنزل من تلقاء نفسها.

[**ومن أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه**] إذ مدار الدين على كمال النفس الإنسانية بالحكمة وكمال القوة الشهوية بالعفّة، وقوّة الغضب بالشجاعة، ولمّا كان التواضع للغني من جهة غناه يستلزم زيادة محبّة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة إلى طرف الفجور حتّى كأنّه عابد لغير اللّه ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها وضع كلّ شيء موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجاً عن فضيلة هاتين القوّتين وهما ثلثا الدّين؛ ولأنّ مدار الدّين على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان والعمل بالأركان

ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات اللّه هزواً ومن لهج قلبه بحبّ الدنيا التاط بقلبه منها بثلاث: همٌّ لا يغبّه، وحرص لا يتركه، وأصل لا يدركه كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً

كما مرّ ومن شأن المتواضع للغني لغناه اشتغال لسانه بمدحه وشكره، وإشعار جوارحه بخدمته عن طاعة اللّه والقيام بشكره، فهو مهمل لثلثي دينه؛ ولأنّ التواضع للغني لغناه يستلزم حبّ الدنيا وحبّها رأس كلّ خطيئة، فاستعمل لفظ الثلثين في الأكثر مجازاً إطلاقاً لاسم الملزوم على لازمه.

[**ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات اللّه هزواً**] لأنّ قراءة القرآن للّه بالإخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنّة ودخول النار يستلزم عدم الإخلاص في قراءة القرآن وعدم العمل به، فيكون في قرائته حينئذ كالمستهزئ بآيات اللّه إذ من شأن المستهزئ أن يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعير له لفظ المستهزئ.

[**ومن لهج قلبه بحبّ الدنيا التاط بقلبه**] أي: لصق [**منها بثلاث: همٌّ لا يغبّه، وحرص لا يتركه، وأصل لا يدركه**] ووجه لزوم الثلاثة للحرص والولوع بها انّ حبّها يستلزم الجدّ في طلبها وجمعها ولمّا كان حصولها مشروطاً بأسباب مقدورة للعباد وأسباب غير مقدورة، والمقدورة منها قد لا تكون مقدورة للاطلب لا جرم يلزم الحزن غالباً في تحصيلها، والهمّ الذي لا يغبّه أي: لا يأتيه غبّاً وهو يوم ويوم لا، ثمّ في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الأمل في وجود مكاسبها وأرباحها وتجاراتها، ونبّه على طوله بقوله: «لا يدركه».

وقال عليه السلام:

[**كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً**] استعار الملك للقناعة؛

وسُئِل عن قوله عزّ وجلّ ﴿فلنحيينه حياة طيّبة﴾ فقال: هي القناة شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنّه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ في قوله عزّ وجلّ ﴿إنّ اللّه يأمر بالعدل والإحسان﴾ والعدل: الإنصاف، والإحسان التفضّل

لأنّ غاية الملك الغناء عن الخلق والترفّع عليهم بذلك والالتذاب به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات، وكذا استعار النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما للالتذاذ بهما.

[**وسُئِل عن قوله عزّ وجلّ ﴿فلنحيينه حياة طيّبة﴾ فقال: هي القناة**] فسرّها بلازمها إذ لمّا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلّهم حاجة إلى الناس.

وقال عليه السلام:

[**شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنّه أخلق للغنى**] أي: أجدر وأولى [**وأجدر بإقبال الحظ**] لما كان إقبال الرزق بتوافق أسبابه في حقّ من أقبل عليه كانت مشاركته مظنّة إقبال حظّ الشريك وإقبال الرزق عليه بمشاركته، والضمير في «انّه» يعود إلى ما دلّ عليه شاركوا من المصدر، والكلام بمنزلة صغرى وتقدير كبراه: وكلّما كان كذلك ففعله مصلحة.

وقال عليه السلام:

[**في قوله عزّ وجلّ ﴿إنّ اللّه يأمر بالعدل والإحسان﴾ والعدل: الإنصاف، والإحسان التفضّل**] وإنّما دخل الندب تحت الأمر لأنّ الصفة زائدة على حسنة وقال الزمخشري العدل هو الواجب، والإحسان الندب، وإنّما علق أمره بهما جميعاً لأنّ الغرض لابدّ أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب.

من لم يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة لا تدعونّ إلى مبارزة، وإن دعيتَ إليها فأجب، فإنّ الداعي باغ والباغي مصروع

وقال عليه السلام:

[**من لم يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة**] أشار به إلى قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وقوله: ﴿إن تقرضوا اللّه قرضاً حسناً يضاعفه لكم﴾ واستعار اليد في الموضعين للنعمة والعطاء، وكنّى بالطول والفقر عن الكثرة والقلّة.

وقال السيد الرضي: معنى ذلك أن ما ينقصه المرء من ماله في سبيل الخير والبرّ وإن كان يسيراً فإنّ اللّه يجعل الجزاء عظيماً كثيراً.

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

[**لا تدعونّ إلى مبارزة، وإن دعيتَ إليها فأجب، فإنّ الداعي باغ والباغي مصروع**] قال ابن ابي الحديد: قد ذكر عليه السلام الحكمة، ثمّ ذكر العلّة وما سمعنا أنّه عليه السلام دعى إلى براز قط، وإنّما كان هو يدعى بعينه أو يدعى من يبارز فيخرج إليه فيقتله، دعى بنو ربيعة بن عبدشمس بن هاشم إلى البراز فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمزة في قتل عتبة، ودعاه طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أُحد فخرج إليه فقتله، ودعى مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه عليه السلام فقتله، وأمّا الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدودّ فإنّها أجل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن تقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبوالهذيل وقد سأله سائل: أيّهما أعظم منزلةً عند اللّه، عليٌّ أم أبوبكر؟ فقال: يابن أخي! واللّه لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم كلّها وتربي عليها فضلاً عن أبي بكر وحده!!

وعن حذيفة قال: والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أُمّة

خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل فإذا كانت المرأة مزهوّة لم تمكّن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، فقيل: فصف لنا الجاهل، قال: قد فعلت

محمدﷺ في كفّة الميزان منذ بعث اللّه تعالى محمداًﷺ إلى يوم الناس ووضع عمل واحد من أعمال عليّ في الكفّة الأُخرى لرجح على أعمالهم كلّها.

وفي الحديث المرفوع أنّ رسول اللّهﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه».

وقال عليه السلام:

[خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل فإذا كانتَ المرأة مزهوّة] أي: متكبّرة **[لم تمكّن من نفسها]** فإنّ ذلك ينافي الزهو والافتخار والكبر **[وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت]** أي: خافت **[من كلّ شيء يعرض لها]**.

قال الطغرائي: الجود والإقدام في فتياتهم والبخل في الفتيات والإشفاق والطعن في الأحداق دأب رماتهم والراميات سهامها الأحداق.

وقال عليه السلام وقيل له صف لنا العاقل:

[فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، فقيل: فصف لنا الجاهل، قال: قد فعلت] قال السيد الرضي «ره»: يعني إنّ الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه، وكان ترك وصفه صفة له إذ كان بخلاف صفة العاقل.

وقال عليه السلام:

والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم
إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار
المرأة شرّ كلّها وشرّ ما فيها أنّه لابدّ منها

[والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم] العراق جمع عرق: وهو العظم عليه شيء من اللّحم وهو مبالغة في هون الدنيا وحقارتها في عينه إذ لا شيء أحقر ولا أبغض إلى الإنسان من عراق خنزير في يد مجذوم.

وقال عليه السلام:

[إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار] قسمّ عليه السلام العبادة إلى عبادة الرغبة والرهبة والشكر وجعل الأوّل عبادة التجّار لأنّهم يستعيضون عنها ثواب الآخرة كالتجّار المكتسبين للأرباح، وعبادة العبيد لأنّ خدمتهم لساداتهم أكثر ما تكون رهبة، والشاكر الذي يعبد الله لا لرغبة ولا لرهبة، بل لأنّه مستحقّ العبادة، وهي عبادة العارفين، وروي أنّها أفضل العبادة، وفيه دلالة على صحّة العبادة المقصود بها الثواب أو دفع العقاب.

وقال عليه السلام:

[المرأة شرّ كلّها وشرّ ما فيها أنّه لابدّ منها] أي: إنّ أحوالها كلّها شرٌّ على الرجل، أما من جهة مؤنتها فظاهر وأمّا من جهة لذّتها واستمتاعه بها فلاستلزام ذلك البعد عن الله والاشتغال عن طاعته وأسباب الشر شرور وإن كانت عرضية ولما كان كونها لابدّ منها أغنى وجوب الحاجة إليها في طبيعة الوجود الدنيوي هو السبب في تحمّل الرجل للمرأة ووقوعها في شرورها

من أطاع التواني ضيّع الحقوق وضيّع الصديق الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها

وجب أن يكون ذلك الاعتبار أقوى الشرور المتعلّقة بها؛ لأنّ السبب أقوى من المسبّب.

وقال عليه السلام:

[من أطاع التواني ضيّع الحقوق] بين الأحبة **[وضيّع الصديق]** رفع إلى كسرى أنّ النصارى الذين بحضرة باب الملك يعرفون بالتجسّس إلى ملك الروم فقال من لم يظهر ذنبه لم يظهر منّا عقوبة له، ورفع إليه أنّ بعض الناس ينكر إصغاء الملك إلى أصحاب الأخبار، فوقع هؤلاء بمنزلة مداخل الضياء إلى البيت المظلم، وليس لقطع مواد النور مع الحاجة إليه وجه عند العقلاء، وهذا محمول على الأخبار المتعلّقة بالدّين والمصالح العامة والخاصة.

وقال عليه السلام:

[الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها] قال السيّد الرضي: وقد روي ما يناسب هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا عجب أن يشتبه الكلامان فإنّ مستقاهما من قليب ومفرغهما من ذنوب، استعار الرهن للحجر المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سبباً لخرابها كما أنّ الرهن سبب لأداء ما عليه من المال، وكنّى عن استلزام الظلم هلاك الظالم وخراب ما بيته بظلم وإن تأخر أمده، وفي النبوي: «اتقوا الحرام في البنيان فإنّه أسباب الخراب، والذنوب: الدلو، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب.

وقال عليه السلام:

يومُ المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم اتّق اللّه بعض التقى وإن قلّ واجعل بينك وبين اللّه ستراً وإن رقّ إذا ازدحم الجواب خفي الصواب إنّ للّه في كلّ نعمة حقّاً فمن أدّاه زاده منها ومن قصّر فيه خاطر بزوال نعمته

[**يومُ المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم**] أراد بيوم المظلوم يوم القيامة، وخصّصه لأنّه يوم إنصافه وأخذ حقّه وكذا تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه؛ لأنّه في الدنيا له وقصارى أمر الظالم في الدنيا أن يقتل غيره فيميته ميتة واحدة، وأمّا يوم الجزاء فلا يموت الظالم فيه حتّى يستريح بل عذابه دائم متجدّد.

وقال عليه السلام:

[**اتّق اللّه بعض التقى وإن قلّ**] لأنّها الزاد إلى اللّه تعالى ولا يجوز تركها بالكلّية [**واجعل بينك وبين اللّه ستراً وإن رقّ**] استعار الستر لحدود اللّه الساترة من عذابه وأن يجعلها بينه وبين اللّه أي: يحفظ حدوده ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك، وغلظ هذا الستر شدّة المحافظة على حدود اللّه وعدم استيفاء المباحات لخوف الوقوع في الحرام ورقّته باستيفاء الأُمور الحايرة من المباحات والمكروهات.

وقال عليه السلام:

[**إذا ازدحم الجواب خفي الصواب**] أي: إذا سُئل عن مسألة فأجاب جماعة كلّ بما يخطر بباله أو شخص بعده من رد أجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحقّ من تلك الأجوبة.

وقال عليه السلام:

[**إنّ للّه في كلّ نعمة حقّاً فمن أدّاه زاده منها ومن قصّر فيه خاطر بزوال نعمته**] قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي

إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة احذروا نفار النعم فما كلّ شارد بمردود الكرم أعطف من الرحم من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه

لشديد﴾ وروي من أُوتي نعمة فأدّى حقّ اللّه منها بردّ اللهيفة وإجابة الدعوة وكشف المظلمة كان جديراً بدوامها ومن قصر قصّر به.

وقال عليه السلام:

[**إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة**] لأنّ قليل القدرة على ما يشتهيه لايزال مستشعراً لخوف فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقباً للذته به فلا تزال في قلبه دغدغة نفسانية تحمله على منتهاه وتبعث شهوته عليه، أمّا إذا تمّت قدرته عليه فإنّه يأمن فوته، وبحسب ذلك يضعف الباعث على الشهوة فتقلّ الحاجة إليه.

وقال عليه السلام:

[**احذروا نفار النعم فما كلّ شارد بمردود**] استعار النفار والشرود لزوال النعم ملاحظةً لشبهها بالنعم وحذّر منه حثّاً على تقييدها بالشكر.

وقال عليه السلام:

[**الكرم أعطف من الرحم**] أي: الكريم بكرمه أعطف على المنعم عليه من ذوي الرحم على رحمه؛ لأنّ عاطفة الكريم طبيعية وعاطفة الرحم قد تكون تكليفية على أنّ الكرم يستلزم عطف الخلق على الكريم ومحبّتهم له أشدّ من عاطفة ذي الرحم على رحمه.

وقال عليه السلام:

[**من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه**] أي: افعل ما ظنّه فيك من خير.

وقال عليه السلام:

[**أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه**] أي: من الأعمال الصالحة،

عرفت اللّه سبحانه بفسخ العزام وحلّ العقود مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة فرض اللّه سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً من الكبر

إذ أفضل الأعمال أحمزها بالزاي المعجمة، أي: أشقّها.

وقال عليه السلام:

[**عرفت اللّه سبحانه بفسخ العزام وحلّ العقود**] قد روي ما يفسّره في خبر آخر وهو عرف اللّه بفسخ العزام ونقض الهمم لما هممت فحيل بيني وبين همّي وعرفت تخالف القضاء والقدر عزمي علمت أنّ المدبّر غيري.

وقال عليه السلام:

[**مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة**] إذ الدنيا ضدّ الآخرة فحكم كلّ منهما مضاد لحكم الأُخرى كالسواد يجمع البصر والبياض يفرّق البصر، والحرارة توجب الخفّة والبرودة توجب الثقل، وآلام الدنيا لازمة عن ترك لذّاتها طلباً للآخرة، وهو مستلزم لحلاوة الآخرة ولذّاتها والابتهاج بلذّات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها، وذلك مستلزم لعذابها، واستعار الحلاوة والمرارة للّذة والألم، وعثرت امرأة فانقطع ظفرها وهي مستبشرة فقيل لها: أما تألّمت؟ فقالت: لذّة الأجر أنستني ألم العثرة.

وقال عليه السلام:

[**فرض اللّه سبحانه الإيمان تطهيراً من الشرك**] إذ للمتطهر من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة اللّه تعالى كان التطهير غاية فرضه من الإيمان.

[**والصلاة تنزيهاً من الكبر**] إذ فيها الركوع والسجود، وهما غاية

والزكاة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق والحجّ تقوية للدّين والجهاد عزّاً للإسلام والأمر بالمعروف مصلحة العوام والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء وصلة الأرحام منماة للعدد

الخضوع وفيها مثال العبد للمعبود بين الركوع منه والسجود.

[**والزكاة تسبيباً للرزق**] إذ منها رزق الفقراء والمساكين أو أنّها تنمي المال الذي يعطي منه الزكاة.

[**والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق**] وإن كانت هذه غاية من كلّ العبادات [**والحجّ تقوية للدّين**] لأنّه عبادة يستلزم اجتماع أكثر أهل الملّة في مجمع واحد على غاية من الذلّة والخضوع والانقياد للّه ومشاهدة كلّ من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيتأكّد في قلبه قوّة الدّين في عظمته دون سائر العبادات.

[**والجهاد عزّاً للإسلام**] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم اللّه كثيراً﴾ وقال تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ اللّه وعدوّكم﴾.

[**والأمر بالمعروف مصلحة العوام**] في معاشهم ومعادهم، وخصّ العوام لأنّهم أغلب الخلق، ولأنّ من عداهم العلماء والولاة الآمرون بالمعروف والفاعلون له.

[**والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء**] لأنّ السفيه مالم يكن له رادع من سلطان الدّين تكثر مفسدته المضادّة لمصلحة العالم.

[**وصلة الأرحام منماة للعدد**] أي: عدد أُولي الرحم إذ زيادة عددهم

والقصاص حقناً للدماء وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة وترك الزنا تحصيناً للنسب وترك اللواط تكثيراً للنسل والشهادات استظهاراً للمجاحدات وترك الكذب تشريفاً للصدق والإسلام أماناً من المخاوف

باستقامة أمر معاشهم وصلة الرحم سبب لذلك.

[**والقصاص حقناً للدماء**] وكذا عن سفكها كخوف المكافاة، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب﴾.

[**وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم**] كي لا تنهتك وتحرز الخلق إليها عن قصد السبيل فيضيع غرض الشارع من وضع الدّين.

[**وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل**] من مخامرتها له وإشغاله عمّا خلق لأجله من طلب الاستكمال بكمال الحكمة.

[**ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة**] إذ السرقة تنشأ عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها إلى حدّ الإفراط.

[**وترك الزنا تحصيناً للنسب**] وما يتبعها من المواريث فإنّ الزنا يوجب اختلاط الأنساب وضياع الأموال التي هي قوام الخلق في الدّنيا.

[**وترك اللواط تكثيراً للنسل**] وتوفير مادّته على محاله لغاية كثرة النوع وبقائه.

[**والشهادات استظهاراً للمجاحدات**] أي: بها يستظهر المستشهد على مجاحدة خصمه كيلا يضيع حقّه.

[**وترك الكذب تشريفاً للصدق**] وتعظيمه بتحريم ضدّه لبناء مصلحة العالم عليه ونظام أمور الخلق به.

[**والإسلام أماناً من المخاوف**] إذ من غايات الإسلام الأمن من

والإمامة نظاماً للأمّة والطاعة تعظيماً للإمامة احلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنّه بريء من حول اللّه وقوّته فإنّه إذا حلف بها كاذباً عوجل وإذا حلف باللّه الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنّه قد وحّد اللّه سبحانه يابن آدم كن وصيّ نفسك واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من

مخاوف الدنيا والآخرة، وروي السلم، إذ هو سبب للتودّد إلى الخلق فكان أمناً من مخاوفهم.

[**والإمامة نظاماً للأمّة**] إذ متى كان للناس رئيس منبسط اليد قويّ الشوكة يردع الظالم عن ظلمه ويأخذ للمظلوم بحقّه فكان في ذلك صلاح أحوالهم ونظام أُمورهم في معاشهم ومعادهم.

[**والطاعة تعظيماً للإمامة**] أي: إمامة الإمام لغاية امتثال الخلق لقوله والاقتداء به.

وقال عليه السلام:

[**احلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنّه بريء من حول اللّه وقوّته فإنّه إذا حلف بها كاذباً عوجل وإذا حلف باللّه الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنّه قد وحّد اللّه سبحانه**] روي أنّ واشياً سعى بالصادق عليه السلام إلى المنصور فاستحضروه وقال: إنّ فلاناً ذكر عنك كذا وكذا، فقال عليه السلام: لم يكن ذلك منّي، وأبى الساعي إلا كونه منه، فحلّفه الصادق عليه السلام بالبراءة من حول اللّه وقوّته، وإن كان كاذباً فحلف، فلما انقطع كلامه حتّى صار كقطعة لحم فجر برجله ونجى الصادق عليه السلام.

وقال عليه السلام:

[**يابن آدم كن وصيّ نفسك واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من**

بعدك الحدّة ضربٌ من الجنون صحّة الجسد من قلّة الحسد يا كميل! مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويُدْلجوا في حاجة من هو نائم فوالّذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق اللّه من ذلك السرور لطفاً فإذا نزلت به نائبه جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل

بعدك] حيث إنّ الإنسان يرغب في أن يخرج ماله بعد موته في وجوه البرّ ليصل ثوابه إليه، لكنّه يضنّ بإخراجه وهو حيّ لحبّه العاجلة وخوفه الفقر فيقيم وصيّاً يعمل ذلك في ماله بعد موته، فأمره أن يكون ذلك الوصيّ ويضعه مواضعه في حياته.

وقال عليه السلام:

[الحدّة ضربٌ من الجنون] لأنّ في الحدّة خروج قوّة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل فكانت قسماً من الجنون؛ ولذا قيل: أوّل الحدّة جنون وآخرها ندم.

وقال عليه السلام:

[صحّة الجسد من قلّة الحسد] أي: إنّ الحسد قد يكون أيضاً بالصحة كما يكون بغيرها، فصحّة الجسد دليل أنّه لم يتعلّق بها.

وقال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

[يا كميل! مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويُدْلجوا في حاجة من هو نائم] والادلاج: السير باللّيل.

[فوالّذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق اللّه من ذلك السرور لطفاً فإذا نزلت به نائبه] أي: مصيبة **[جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل]** شبّه

إذا أملقتم فتاجروا اللّه بالصدقة الوفاء لأهل العذر عذرٌ عند اللّه، والعذر بأهل العذر وفاءٌ عند اللّه فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدّين بذنبه فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف

جري ذلك اللطف إلى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره، ووجه الشبه سرعة الانحدار للدفع والحفظ لأنّه من أمر اللّه ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ وكذا دفع ذلك للنائبة بطرد غريبة الإبل، ووجه الشبه شدّة الطرد والإبعاد.

وقال عليه السلام:

[**إذا أملقتم فتاجروا اللّه بالصدقة**] والإملاق: الفقر، واستعار التجارة لاستعاضة ما يحصل عمّا يبذل، وقال الحكمة: أفضل العبادات الصدقة لأنّ نفعها يتعدّى ونفع الصلاة والصوم لا يتعدى.

وقال عليه السلام:

[**الوفاء لأهل العذر عذرٌ عند اللّه، والعذر بأهل العذر وفاءٌ عند اللّه**] لأنّ من عهد اللّه في دينه العذر بأهل المعذور وعدم الوقاء لهم.

وقال عليه السلام:

[ومن كلامه عليه السلام المتضمّن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير قوله عليه السلام في حديث [**فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدّين بذنبه فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف**] قال: الرضي «ره»: يعسوب الدّين السيّد العظيم المالك لأمور الناس يومئذ، والقزع: قطع الغيم الذي لا ماء فيها، قيل: أومئ بقوله ذلك إلى علامات ذكرها في آخر الزمان لظهور صاحب الأمر، واستعار اليعسوب وهو الأصل أمير النحل ملاحظة لشبهه به فأما ضربه بذنبه فلعلّ الضرب هو السير في الأرض، وذنبه استعارة في أعوانه وأتباعه،

هذا الخطيب شحشح إنّ للخصومة قحماً

أو حيث كان ضرب النحل بذنبه لسعه فكنّى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في أعدائه لقتلهم وأذاهم، وقيل: كنّى بذلك عن ثورانه وغضبه لدين اللّه ملاحظةً لشبهه بالسبع حال صوته وغضبه وشبّه اجتماع المؤمنين وأهل طاعة اللّه باجتماع قطع الغيم المتفرقة، ووجه الشبه سرعة الاجتماع لأنّ قزع الخريف سريع التألّف.

وفي حديثه عليه السلام:

[هذا الخطيب شحشح] قال السيّد «ره»: يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها وكلّ ماض في كلام وسير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك.

قال ابن أبي الحديد: هذه الكلمة قالها عليه السلام لصعصعة وكفاه بها فخراً أن يكون مثل علي عليه السلام يثني عليه بالمهارة وفصاحة اللّسان وكان من أفصح الناس.

ومنه: **[إنّ للخصومة قحماً]** قال السيّد «ره»: يريد بالقحم المهالك لأنّها تقحم أصحابها في المهالك والمتالف ومن ذلك قحمة الاعراب وهو أن تصيبهم السنة فتفرّق أموالهم فذلك تقحّمها فيه، وقد قيل فيها وجه آخر وهو أنّها تقحمتهم بلاد الريف أي: تحوجهم إلى دخول الحضر عند محول البدو وقيل: قالها عليه السلام حين وكّل عبداللّه بن جعفر في الخصومة عنه وهو شاهد وأبوحنيفة لا يجيز الوكالة على هذه الصورة، ويقول لا تجوز إلا عن غائب أو مريض، وأبو يوسف ومحمد يجيزانها أخذاً بفعل أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال عليه السلام:

إذا بلغ النساء نَصَّ الحقايق فالعَصَبَةُ أولى

[إذا بلغ النساء نَصَّ الحقايق فالعَصَبَةُ أولى] قال: ويروى نصّ الحقاق، والنص: منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في المسير لأنّه أقصى ما تقدر عليه الدابة وتقول: نصصت الرجل عن الأمر، إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه. فنصّ الحقائق يريد به الإدراك؛ لأنّه منتهى الصغرى، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حدّ الكبير، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأغربها. يقول: فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبَة أولى بالمرأة من أُمّها، إذا كانوا محرماً، مثل الإخوة والأعمام؛ وبتزويجها إن أرادوا ذلك. والحقاق: محاقّة الأمّ للعصبَة في المرأة، وهو الجدال والخصومة، وقول كلّ واحد منهما للآخر «أنا أحقّ منك بهذا» يقال منه: حاقته حقاقاً، مثل جادلته جدالاً. وقد قيل: «إن نص الحقاق» بلوغ العقل، وهو الإدراك؛ لأنّه عليه السلام إنّما أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام، ومن رواه «نص الحقائق» فإنما أراد جمع حقيقة.

هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام، والذي عندي أنّ المراد بنص الحقاق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحدّ الذي يجوز فيه تزويجها وتصرّفها في حقوقها، تشبيهاً بالحِقاق من الإبل، وهي جمع حِقّة وحِقّ وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، وعند ذلك يبلغ إلى الحدّ الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره، ونصه في السير، والحقائق أيضاً: جمع حِقة. فالروايتان جميعاً ترجعان إلى معنىً واحد، وهذا أشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أوّلاً.

أقول: العصبة بنو الرجل وقرابته لأبيه، سُمّوا بذلك لأنّه عصبوا به وعلّقوا عليه.

إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة إنّ الرجل إذا كـان له الدّين الظنون يجب عليه أن يزكّيه لما مضى إذا قبضه

وقال في حديثه عليه السلام: [**إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة**] قال السيّد: اللّمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض ومنه قيل: فرس ألمظ: إذا كان بجحفلته شيء من البياض قيل: والمراد أنّ الإيمان أوّل ما يكون في النفس حالة ثمّ لا يزال يتأكّد بالبراهين والأعمال الصالحة إلى أن يصير ملكة تامّة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الإيمان في النفس أول كونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نور الشمس.

ومن حديثه:

[**إنّ الرجل إذا كان له الدّين الظنون يجب عليه أن يزكّيه لما مضى إذا قبضه**] قال الظنون الذي لا يعلم صاحبه أيقضيه من الذي هو عليه أم لا فكأنّه الذي يظنّ به ذلك فمرّة يرجوه ومرّة لا يرجوه، وهو من أفصح الكلام وكذلك أمر تطلبه ولا تدري على أيّ شيء أنت منه، فهو ظنون، على ذلك قول الأعشى:

من يجعل الجدّ الظنون الذي ... جُنِّبَ صـوب اللَّجِب الماطِرِ

مثلَ الفُـراتيِّ إذا مـا طَمَـا ... يقـذفُ بالبُوصِـيِّ والماهِـر

والجدّ: البئر العادية في الصحراء، والظنون: التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا.

قيل: معنى كلامه عليه السلام إنّه إذا كان لك مثلاً عشرون ديناراً ديناً على رجل وقد أخذها منك ووضعها كما هي من غير تصرّف فيها، وأنت تظنّ إن

اعْذِبُوا عن النساء ما استطعتم كالياسر الفالج ينتظرُ أوّل فوزة من قِداَحِهِ

استرددتها منه ردّها إليك فإذا مضى عليها إحدى عشر شهراً واستهلّ هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك، واللجب في بيت الأعشى السحاب المصوّت ذو الرعد، والفراتي: الفرات، والياء للتأكيد، والبوص: ضرب من صغار السفن، والماهر: السابح، والمراد أنّه لا يقاس البئر المشكوك هل فيه ماء أم لا لبعده بالفرات إذا ما طمى وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل للكريم.

ومن حديثه أنّه شيّع جيشاً بغزية فقال:

[اعْذِبُوا عن النساء ما استطعتم] قال السيّد: ومعناه: اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهنّ، وامتنعوا من المقاربة لهنّ، لأنّ ذلك يَفُتّ في عضد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العَدْو، ويلفت عن الإبعاد في الغزو، وكلّ من امتنع من شيء فقد عذب عنه. والعاذب والعذوب: الممتنع من الأكل والشرب.

أقول: فتّ عضد الحمية كناية عن كسرها.

ومن حديثه:

[كالياسر الفالج ينتظرُ أوّل فوزة من قِدَاحِهِ] قال السيّد: الياسرون هم الّذين يتضاربون بالقداح على الجزور، والفالج: القاهر الغالب، يقال: قد فلج عليهم وفلجهم، قال الراجز:

لمّا رأيت فالجاً قد فلجا.

قال ابن أبي الحديد: أوّل الكلام انّ المرء المسلم مالم يغش دنائه يخشع لها إذا ذكرت ويغري بها لئام الناس كالياسر الفالج ينتظر فوزة من قداحه أو

كنّا إذا احمرّ البأس اتَّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدوّ منه

داعي اللّه ﴿فما عند اللّه خير للأبرار﴾ ويقول هو بين خيرتين، إمّا أن يصير إلى ما يحبّ من الدنيا فهو بمنزلة صاحب القداح المعلى وهو أوفرها نصيباً، أو يموت فما عند اللّه خيرٌ له.

ومن حديثه: [**كنّا إذا احمرّ البأس اتَّقينا برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدوّ منه**] قال السيّد: معنى ذلك أنّه إذا عظم الخوف من العدو واشتدّ عضاض الحرب، فزع المسلمون إلى قتال رسول اللّه صلى الله عليه وآله بنفسه، فينزل اللّه عليهم النصر به، ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه.

وقوله: «إذا احمرّ البأس» كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها: أنّه شبه حَمْيَ الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها. ومما يقوي ذلك قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وقد رأى مُجْتَلَدَ الناس يوم حنين وهي حرب هوازن: «الآن حَمِيَ الوطيس» فالوطيس: مستوقد النار، فشبّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما استحرّ من جلاد القوم باحتدام النار وشدّة التهابها، إنتهى.

استعار عليه السلام وصف احمرار البأس لشدّته ملاحظةً لشبهه بالنار الموقدة، وقيل: البأس: الحرب نفسها، أي: إذا احمرّ موضع البأس وهو الأرض التي عليها معركة القوم واحمرارها لما يسيل عليها من الدم.

وقال عليه السلام لّما بلغه اغارة أصحاب معاوية على الأنبار وخرج بنفسه ماشياً حتّى أتى النخيلة وأدركه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم، فقال عليه السلام:

والله ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم، إن كانت الرعايا قبلي لتشكوا حيف رعاتها وإنّي اليوم لأشكو حيف رعيّتي كأنّني المقود وهم القادة والموزوع وهم الوزعة وأين تقعان مما أُريد إنّك يا حار نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحِرْتَ إنّك لم تعرف الحقَّ فتَعْرف مَنْ أتاهُ إنّ سعداً وعبدالله لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل

[والله ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم، إن كانت الرعايا قبلي لتشكوا حيف رعاتها وإنّي اليوم لأشكو حيف رعيّتي كأنّني المقود وهم القادة والموزوع وهم الوزعة] قال: فلمّا قال هذا القول في لام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة من الخطب تقدّم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إنّي لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك يا أميرالمؤمنين ننفذ له، فقال: **[وأين تقعان مما أُريد]**.

أقول: السنن: الطريقة، والنخيلة بظاهر الكوفة، والحيف: الظلم، والوزعة: جمع وازع وهو الدافع الكاف، و«إن» في «وإن كانت الرعايا» مخفّفة من الثقيلة، لذا دخلت اللام في جوابها.

وقيل: إنّ الحرث بن حوط أتاه فقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة، فقالعليه السلام: **[إنّك يا حار نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحِرْتَ إنّك لم تعرف الحقَّ فتَعْرف مَنْ أتاهُ]** فقال الحرث: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبدالله بن عمر، فقالعليه السلام: **[إنّ سعداً وعبدالله لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل]**.

بيان: «أتراني» استفهام إنكار لرؤيته كذلك، و«حار» مرخّم حارث، و«نظرت تحتك» أي: من هو دونك من الناكثين فاغتررت بشبهتهم، و«لم

صاحب السلطان كراكب الأسد يغتبط بموقعه وهو أعلم بموضعه أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم إنّ كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأ فإذا كان غداً فأتيني حتّى أُخبرك على سماع الناس فإن نسيت مقالتي حفظه عليك غيرك فإنّ الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا

تنظر إلى من فوقك» أي: الحقّ المتلقى من اللّه.

وقال عليه السلام:

[صاحب السلطان كراكب الأسد يغتبط بموقعه وهو أعلم بموضعه] أي: يتمنى الناس موقعه وهو يعلم أنّه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك وجه الشبه، ولذا قيل: بينا هو فرسه إذ افترسه.

وقال عليه السلام:

[أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم] إذ الدنيا دار مكافاة والذكر الجميل يعطف الناس على عقب المحسن بعده، والعقب: ما يخلّفه الإنسان من الولد وأولادهم.

وقال عليه السلام:

[إنّ كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً وإذا كان خطأ] وذلك لاعتقاد الخلق فيهم وحسن الظنّ بأقوالهم إن كانت حقّاً كان داءً من الجهل وإن كان باطلاً أوجبت داء الجهل ولذا قيل زلّة العالم زلّة العالم.

وسأل رجلٌ ما الإيمان فقال: **[فإذا كان غداً فأتيني حتّى أُخبرك على سماع الناس فإن نسيت مقالتي حفظه عليك غيرك فإنّ الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا]** قال: وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب وهو قوله: «الإيمان على أربع شعب... إلخ». ويثقفها: يجدها،

يابن آدم لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي أتاك فإنّه إن يكن من عمرك يأت اللّه فيه برزقك احبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، وعامل علم للدنيا فما بعدها، فجائه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الخطّين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند اللّه لا يسأل اللّه شيئاً فيمنعه

والشاردة: الضالّة من الإبل.

وقال عليه السلام:

[يابن آدم لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي أتاك فإنّه إن يكن من عمرك يأت اللّه فيه برزقك] فلا ينبغي الاهتمام له.

وقال عليه السلام:

[احبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما] الهون بالفتح: التأنّي، والبغيض: المبغض، والمراد الأمر بالاعتدال في المحبّة والبغض وعدم الافراط فيهما فربّما انقلب الصديق عدوّاً والعدوّ صديقاً و«هوناً ما» صفة مصدر محذوف أي: حبّاً هيّناً معتدلاً، وما بين الموضعين المراد بها مقداراً دون الإفراط ووقتاً من الأوقات.

وقال عليه السلام:

[الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، وعامل علم للدنيا فما بعدها، فجائه الذي له من الدنيا بغير عمل فأحرز الخطّين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند اللّه لا يسأل اللّه شيئاً فيمنعه] قوله: «فما بعدها» أي: للآخرة، فالناس عاملان عاملٌ للدنيا فقط،

إنّ القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وآله والأموال أربعة أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّمه على مستحقّيه، والخمس فوضعه اللّه حيث وضعه، والصدقات فجعلها اللّه حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه اللّه على حاله، ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فأقرّه حيث أقرّه اللّه ورسوله

وعامل للآخرة معها، واأوّل قد اشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فقضى عمره في منفعة يتخيّلها لغيره ولا يخشى الفقر الأكبر في الآخرة والعامل للآخرة يأتيه ما قُدّر له من الرزق بدون تعب ويعطى ثواب الآخرة بعمله، فقد أحرز حظّ الدنيا والآخرة.

وذكر عند عمر بن الخطاب حلي الكعبة وكثرته فقال: لو أخذته فجهزّت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر وما تصنع الكعبة بالحلي، فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أميرالمؤمنين فقال:

[**إنّ القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وآله والأموال أربعة أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّمه على مستحقّيه، والخمس فوضعه اللّه حيث وضعه، والصدقات فجعلها اللّه حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه اللّه على حاله، ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً فأقرّه حيث أقرّه اللّه ورسوله**] فقال عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحلي بحاله، قيل: خلاصة حجّته عليه السلام إشارة إلى صغرى تقديرها: إنّ حلي الكعبة قد أقرّه اللّه ورسوله على حاله من غير نسيان ولا جهل بمكانه مع تعرّضه لجميع الأموال، وتقدير كبراه: وكلّما أقرّه اللّه ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في ذلك. ورُفع إليه رجلان سرقا من مال اللّه أحدهما عبد من مال اللّه والآخر من عرض الناس فقال:

أمّا هذا فهو من مال اللّه فلا حدّ عليه مال اللّه أكل بعضه بعضاً، وأمّا الآخر فعليه الحد الشديد، فقطع يده لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء لا يصدق إيمان عبد حتّى يكون بما في يد اللّه أوثق منه بما في يده

[**أمّا هذا فهو من مال اللّه فلا حدّ عليه مال اللّه أكل بعضه بعضاً، وأمّا الآخر فعليه الحد الشديد، فقطع يده**] أقول: المراد بعرض الناس سائرهم وعامتهم والحد محمول على بلوغ المسروق والنصاب وهو ربع دينار.

وقال عليه السلام:

[**لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء**] المداحض: المزالق، واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكّنه من إجراء أحكام اللّه، واستعار لتلك المسائل «المداحض» لأنّها مزالق الأفكار.

وقال عليه السلام:

[**لا يصدق إيمان عبد حتّى يكون بما في يد اللّه أوثق منه بما في يده**] هذا هو معنى التوكّل، وهو أن يأتي بالأسباب ولا يعتمد عليها بل يكون اعتماده على اللّه لا بما في يده ولذا ورد: «أبى اللّه أن يجعل رزق المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» وروي: «كن لما ترجو أقرب من أن ترجو ذهب موسى ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو نبي مرسل» وقال عليه السلام لأنس بن مالك وقد بعثه إلى طلحة والزبير لما جائا إلى البصرة يذكّرهما شيئاً سمعه من رسول اللّه صلى الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع إليه فقال: إنّي أُنسيت ذلك الأمر.

فقال عليه السلام:

إن كنت كاذباً فضربك اللّه بها بيضاء لا تواريها العمامة إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم

[**إن كنت كاذباً فضربك اللّه بها بيضاء لا تواريها العمامة**] قال يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى إلا مبرقعاً.

قال ابن أبي الحديد: المشهور أنّ عليّاً عليه السلام ناشد الناس اللّه في الرحبة بالكوفة فقال: انشد اللّه رجلاً سمع رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول وهو منصرف من حجّة الوداع: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه؟ فقام رجال فشهدوا بذلك فقال عليه السلام لأنس بن مالك: لقد حضرتها فما بالك، فقال: يا أمير المؤمنين كبرت سنّي وصار ما أنساه أكبر مما أذكره، فقال: إن كنت كاذباً فضربك اللّه بها بيضاء لا تواريها العمامة، فما مات حتّى أصابه البرص، ثمّ استبعد ما ذكره السيد «ره» ثمّ قال وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة على أنس في كتاب المغازي وابن قتيبة غير متّهم في حقّ علي للمشهور من انحرافه عنه، إنتهى.

أقول: لا يبعد أن يكون عليه السلام احتجّ بذلك في مقامين.

وقال عليه السلام:

[**إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض**] أقول: قد مرّ شرحه

وقال عليه السلام:

[**في القرآن نبأ ما قبلكم**] من القرون الماضين [**وخبر ما بعدكم**] من الغيوب وأخبار الحشر والنشر والجنّة والنار [**وحكم ما بينكم**] من المسائل

ردّ الحجر من حيث جاء فإنّ الشرّ لا يدفعه إلا الشر لكاتبه عبدالله بن أبي رافعة ألق دواتك وأطل جلفة قلمك وفرّج بين السطور وقرمط بين الحروف فإنّ ذلك أجدر بصباحة الخطّ أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار

الشرعية والفروع الفقهية.

وقال عليه السلام:

[**ردّ الحجر من حيث جاء فإنّ الشرّ لا يدفعه إلا الشر**] قيل: هو مثل قولهم إنّ الحديد بالحديد يفلج والحجر كناية عن الشرّ وردّه من حيث جاء كناية عن مقابلة الشرّ بمثله.

وقال عليه السلام:

[**لكاتبه عبدالله بن أبي رافعة**] وكان أبو رافع مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله

[**ألق دواتك**] أي: أصلحها، يقال: ألقت الدواة ولقتها: أصلحتها بالمداد.

[**وأطل جلفة قلمك**] أي: سنانه، فإنّ الجلفة الطويلة تقبل المداد أكثر فيستمرّ القلم في كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطّع بين المداد بخلاف الجلفة الصغيرة فإنّ مدادها أقلّ والمقاطع بين مداتها أكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات في أواخر كلّ مدة وأوّل الأخرى بعدها.

[**وفرّج بين السطور**] لظهور الفصل بينها وتمييز بعضها عن بعض.

[**وقرمط بين الحروف**] أي: قرّب بعضها عن بعض [**فإنّ ذلك**] المذكور من الشرائط [**أجدر**] أحقّ وأولى [**بصباحة الخطّ**] أي: حسنه.

وقال عليه السلام:

[**أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار**] قال السيد: ومعنى

إنّما اختلفنا عنه لا اختلفنا فيه، ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من ماء البحر حتّى قلتم لنبيّكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون من يذكر بعد السفر استعد

ذلك انّ المؤمنين يتّبعوني والفجّار يتّبعون المال كما يتّبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

قال ابن أبي الحديد: هذه كلمة قالها له رسول اللّه صلى الله عليه وآله بلفظين مختلفين تارةً «أنت يعسوب الدين» وتارةً «أنت يعسوب المؤمنين» والكل راجع إلى معنى واحد، كأنّه جعله رئيس المؤمنين وسيّدهم، أو جعل الدّين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب، وهذا نحو قوله: «وأدر الحقّ معه كيف دار».

وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيّكم حتّى اختلفتم فقال له:

[إنّما اختلفنا عنه لا اختلفنا فيه، ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من ماء البحر حتّى قلتم لنبيّكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون] أراد عليه السلام إنّا لم نختلف في نبوّته أو في مرسله بل في فروع وأحكام صادرة عنه نحو الإمامة والميراث وأنتم اختلفتم في إنّ لكم صانعاً أم لا، حتّى قلتم لنبيّكم اجعل لنا إلهاً كواحد منها بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام وخلاصهم من رقّ العبودية وعبورهم البحر ومشاهدتهم غرق فرعون، وهذا غاية الجهل.

وقال عليه السلام:

[من يذكر بعد السفر] أي: بُعد طريق الآخرة **[استعد]** لها بالتقوى.

وقال عليه السلام:

ليس الرؤية مع الإبصار وقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل لمن استنصحه بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرّة جاهلكم مزداد مسوّف قطع العلم أعذر المقللين

[**ليس الرؤية مع الإبصار وقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل لمن استنصحه**] أي: ليست الرؤية بمجرّد نظر العين، وإنّما الرؤية الحقيقية مع العقل الذي هو مستند الحواس وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الذي لا يغشّ من استنصحه كما قال تعالى: ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ واستعار الاستنصاح لمراجعته وإعماله بصدق وتوجيهه إلى استخراج الآراء الصالحة ولفظ «الغش» لكذبه، أي: لا يكذب من انتصحه، وجعله رائداً له، وأمّا الحواس فقد تكذب أهلها.

وقال عليه السلام:

[**بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرّة**] استعار الحجاب لما يعرض للنفوس من الغفلة عن النظر في العبر وقبول الموعظة والانتفاع بها.

وقال عليه السلام:

[**جاهلكم مزداد مسوّف**] أي: مزداد من الإثم، مسوّف بالتوبة.

وقال عليه السلام:

[**قطع العلم أعذر المقللين**] أي: العلم بالدّين وما بلّغه الرسول من البشارة والنذارة فإنّ ذلك قاطع لعذر من عساه يقول ﴿إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾ أي: قطع العلم أعذر الذين يعلّلون أنفسهم بالباطل ويقولون ربّنا غفور رحيم، فلا حاجة إلى إتعاب أنفسنا، ونعم ما قيل:

تقول مع العصيان ربّي غافرٌ   صدقت ولكن غافر بالمشية

كلّ معاجل يسأل الأنظار وكلّ مؤجّل يتعلّل بالتسويف ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبّأ له الدهر يوم سوء طريق مظلم فلا تسلكوه وبحرٌ عميقٌ فلا تلجوه

وربّك رزاق كما هو غافرٌ   فلم لا تصدق فيهما بالسوية

وقال عليه السلام:

[**كلّ معاجل يسأل الأنظار وكلّ مؤجّل يتعلّل بالتسويف**] الغرض التوبيخ على ترك العمل الصالح للمعاجل والمؤجل فالعاجل كما حكى اللّه عنه ﴿حتّى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاّ إنّها كلمة هو قائلها﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخّر اللّه نفساً إذا جاء أجلها﴾ هذا المعجّل، وأمّا من أجّل فإنّه يعلّل نفسه بالتسويف ويقول سوف أتوب حتّى يخترم قبل التوبة، ونِعمَ ما قيل:

نحن لا نريد أن نموت حتّى نتوب   ولا نتوب حتّى نموت

وقال عليه السلام:

[**ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبّأ له الدهر يوم سوء**] أي: ما استحسن الناس شيئاً من الدنيا إلا وفي قوّة الدهر إعداده لفساده وإهلاكه يوماً ما، ولابدّ من خروج ما فيه بالقوّة إلى الفعل.

وقال عليه السلام وقد سُئِل عن القدر: [**طريق مظلم فلا تسلكوه**] استعار لفظ المظلم له باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحقّ.

[**وبحرٌ عميقٌ فلا تلجوه**] استعار له البحر مع صفة العمق باعتبار غرق الافكار وسبح الأنظار فيه.

وسرّ اللّه فلا تتكلّفوه إذا أرذل اللّه عبداً أحظر عليه العلم كان لي فيما مضى أخ في اللّه وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يتشهّى ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وكان أكثر دهره صامتاً

[**وسرّ اللّه فلا تتكلّفوه**] أي: سرّ اللّه الذي أوجب كتمانه ومنع الخوض فيه فلا يجوز تكلّف الخوض فيه وهتكه.

وقال عليه السلام:

[**إذا أرذل اللّه عبداً**] أي: جعله رذلاً [**أحظر عليه العلم**] بإعداده لغيره وتعويق أسبابه بحيث ينصرف عنه فلا يكون له استعداد، قال الشاعر:

شكوت إلى حكيم سوء حظّي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لأن حفظ العلم فضل وفضل اللّه لا يؤتيه عاصي

وقال عليه السلام:

[**كان لي فيما مضى أخ في اللّه**] قيل هو أبوذر الغفاري، وقيل عثمان بن مظعون.

[وكان يعظّمه في عيني صِغَرُ الدّنيا في عينه فإنّ استصغار الدّنيا والنظر إليها بعين الاحتقار يستلزم عظمه في عيون أهل اللّه.

[**وكان خارجاً من سلطان بطنه**] كنّى به عن خروجه من أسر شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور إلى رذيلة العفّة.

[**فلا يتشهّى ما لا يجد**] وذلك يستلزم نزاهته عن رذيلة الحرص والحسد ونحوهما.

[**ولا يكثر إذا وجد**] وذلك يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره واللهم.

[**وكان أكثر دهره صامتاً**] لقوّة عقله كما قال عليه السلام فيما مرّ: «إذا تمّ العقل نقص الكلام».

فإن قال بذّ القائلين، ونقع غليل السائلين وكان ضعيفاً مستضعفاً فإن جاء الجهد فهو ليث غاب وصلّ وادلا يدلى بحجّته حتّى يجد قاضياً وكان لا يلوم أحداً على ما لا يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه وكان يفعل ما يقول

فإن قال بذّ] أي: غلب **[القائلين، ونقع غليل السائلين]** نقع العليل: سكون العطش.

[وكان ضعيفاً مستضعفاً] أي: فقيراً منظوراً إليه بعين الذلّة والفقر، وذلك من لوازم فضيلة التواضع.

[فإن جاء الجهد فهو ليث غاب] استعار له لفظ اللّيث باعتبار سطوته وعداوته.

[وصلّ واد] استعار لفظ الصلّ باعتبار بأسه ونكأته في العدوّ والمثل يُضرب لحيّة الوادي في الشجاعة ونكاية السمّ.

[لا يدلى بحجّته حتّى يجد قاضياً] وهو من فضيلة العدل في وضع الأشياء مواضعها.

[وكان لا يلوم أحداً على ما لا يجد العذر في مثله حتّى يسمع اعتذاره] فإن كان هناك عذر قَبِلَهُ، وذلك من لوازم العدل والإنصاف وفضيلة الثبات واحتمال المكروه.

[وكان لا يشكو وجعاً] ينزل به لتسليمه لأحكام اللّه ورضاه بالقضاء.

[إلا عند برئه] فربّما حكاها على سبيل الإخبار دون الشكاية أو المعنى أنّه كان يكتم مرضه كيلا يكلّف الناس زيارته فيشقّ عليهم ذلك.

[وكان يفعل ما يقول] أي: يطابق قوله فعله ويحترز عن الكذب

ولا يقول ما لا يفعل كان إن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلّم وكان إذا بدههأمران[ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلايق فالزموها وتنافسوا فيها، فإنْ لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير لو لم يتوعّد اللّه سبحانه على معصيته لكان يجب أن لا يُعصى

والخلف.

[**ولا يقول ما لا يفعل**] حذراً من قوله تعالى: ﴿لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُر مقتاً عند اللّه أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

[**كان إن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلّم**] أي: كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الأقوال، ويعدل إلى السكوت إذا غولب في القول وذلك من فضيلة الحكمة، لعلمه بمواقع السكوت والكلام، وكان يرجّح جانب الاستفادة على الإفادة وذلك من فضيلة الحكمة.

[**وكان إذا بدهه**] أي: حظر بباله [**أمران**] دفعة من غير سابقة [**ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى**] وميل الشهوة كالتزويج مثلاً [**فخالفه**] إلى تركه، ولمّا كان الغرض من هذا الفصل أن يقتدي السامعون بالفضائل المذكورة، فقال:

[**فعليكم بهذه الخلايق فالزموها وتنافسوا فيها، فإنْ لم تستطيعوها فاعلموا أنّ أخذ القليل خير من ترك الكثير**].

وقال عليه السلام:

[**لو لم يتوعّد اللّه سبحانه على معصيته لكان يجب أن لا يُعصى**

يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقّت ذلك منك الرحموإن تصبر ففي اللّه من كلّ مصيبة خلفيا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجوروإن جزعت جرى عليك القدر وأن مأزوريا أشعث سرّك وهو بلاء ومحنته فتنةوحزنك وهو ثواب ورحمةإنّ الصبر لجميلٌ إلا عنك، وإنّ الجزع لقبيح إلا عليك

شكراً لنعمته] إذ لمّا وجب شكر النعمة قولاً وفعلاً وجب ترك المعصية الذي هو لازم للطاعة الواجبة؛ لأنّ لازم الواجب واجب، أي: لو لم يتوعّد على معصية لوجب تركها لأجل شكره، فكيف وقد توعّد مع ذلك عليها.

وقال عليه السلام وقد عزى الأشعث بن قيس على ابن له:

[**يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقّت ذلك منك الرحم**] أي: فهو في محلّه لأنّ الرحم يستحقّ من ذي رحم ذلك [**وإن تصبر ففي اللّه من كلّ مصيبة خلف**] وكلّما كان خلف عنه فالصبر عنه أولى.

[**يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور**] على صبرك [**وإن جزعت جرى عليك القدر وأن مأزور**] أي: موزور ومأثوم على جزعك، ثمّ نفّره عن إفراط السرور به بقوله:

[**يا أشعث سرّك وهو بلاء ومحنته فتنة**] إذ الإفراط في محبّته يستلزم رذائل خلقية كالجبن عمّا ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل خوف فقره ونظراً له في عاقبته وكالحزن في أمراضه وأعراضه وكذا بغضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال عنه في غير وجهه، والواو في قوله «وهو بلاء» للحال، وكذا في قوله: [**وحزنك وهو ثواب ورحمة**] ما يلزم تركه من الصبر على المصيبة به من ثواب اللّه ورحته.

وقال عليه السلام عند وقوفه على قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله ساعة دُفن: [**إنّ الصبر لجميلٌ إلا عنك، وإنّ الجزع لقبيح إلا عليك**] لأنّه صلى الله عليه وآله أصل الدّين والقدوة

وإنّ المصاب بك لجليل وإنّه بعدك لقليل لا تصحب المائق فإنّه يزيّن لك فعله ويودّ أن تكون مثله مسيرة يوم للشمس أصدقائك ثلاثة، وأعدائك ثلاثة، فأصدقائك صديقك وصديق

فيه، فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكّره المستلزم لدوام ذكر أخلاقه وسيرته وسنّته فكان غير قبيح من هذا الوجه، أو لأنّ المصيبة به مصيبة عظيمة وهو أعظم فائت فيستحسن الجزع عليه، وأمّا الصبر فإنّه يؤول إلى سلوانه والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه.

[**وإنّ المصاب بك لجليل**] لأنّه أعظم مصاب بأحد م الناس.

[**وإنّه بعدك لقليل**] هيّن بالنسبة إليك، أو المراد المصاب قبله عظيم على المسلمين لحذرهم منه وبعده كذلك لاختلال أمرهم وأمر الدّين بفقده.

وقال عليه السلام:

[**لا تصحب المائق**] الشديد الحمق، والموق: شدّة الحمق.

[**فإنّه يزيّن لك فعله ويودّ أن تكون مثله**] إذ هو لحمقه يعتقد كمال نفسه وحسن أفعاله ووجوب الاقتداء بها هو يزيّنها ويحب أن يكون مثله فيها ويدعوه إلى ذلك وكلّ من كان كذلك فلا تجوز صحبته.

وقال عليه السلام وقد سُئِل عليه السلام عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال:

[**مسيرة يوم للشمس**] قيل: ولا يقال مسير يوم بدون التاء لأنّ المسير مصدر، والمسيرة الاسم، وهو جواب اقناعي، إذ لو قال له في ملإٍ من الخلق: بينهما ألف فرسخ مثلاً لشقّ فهمه على السائل وشقّ إقامة البرهان عليه، فعدل إلى جواب صحيح إجمالي أسكت السائل وقنع به السامعون.

وقال عليه السلام:

[**أصدقائك ثلاثة، وأعدائك ثلاثة، فأصدقائك صديقك وصديق**

صديقك وعدوّ عدوّك وأعدائك عدوّك وعدوّ صديقك وصدق عدوّك إنّما أنت كالطاعن نفسه لتقتل ردفه ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار من بالغ في الخصومة أثم ومن قصّر فيها ظلم

صديقك وعدوّ عدوّك] قيل: والحكم بصداقة الآخرين من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم بأنّ لصديقه صديقاً وإنّ لعدوّه عدوّاً فضلاً أن يعاديه أو يصادقه.

وكذا الكلام في قوله: **[وأعدائك]** ثلاثة **[عدوّك وعدوّ صديقك وصدق عدوّك]** وتوضيح ذلك انّ صديقك جار مجرى نفسك فاحكم عليه بما تحكم على نفسك وعدوّك ضدّك فاحكم عليه بما تحكم به على الضدّ فمن عادى صديقك عدوّ لك كما أنّ من صادق صديقك صديقك، وعدو عدوّك ضدّ ضدّك وضدّ ضدّك ملائم لك؛ لأنّك ضدّ لذلك الضدّ، ومن صادق عدوّك فقد ماثل ضدّك وكان ضداً لك أيضاً.

وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدوّ له بما فيه إضرار لنفسه: **[إنّما أنت كالطاعن نفسه لتقتل ردفه]** ووجه الشبه قصده لأذى غيره بما يستلزم أذى نفسه.

وقال عليه السلام:

[ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار] أراد بالعبر محالّ الاعتبار إذ كلّ شيء في الوجود فيه عبرة ولكن المعتبر قليل لغلبة الجهل والهوى وحبّ الدنيا.

وقال عليه السلام:

[من بالغ في الخصومة أثم] إذ المبالغة فيها يستلزم الظلم المستلزم للإثم.

[ومن قصّر فيها ظلم] بتسليط خصمه عليه.

ولا يستطيع أن يتقّي اللّه من خاصم ما أهمّني ذنب أمهلت بعده حتّى أُصلّي ركعتين كما يرزقهم على كثرتهم كما يرزقهم ولا يرونه رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ من ينطق عنك

[**ولا يستطيع أن يتقّي اللّه من خاصم**] لصعوبة الوقوف فيها على حدّ العدل.

وقال عليه السلام:

[**ما أهمّني ذنب أمهلت بعده حتّى أُصلّي ركعتين**] وأسأل اللّه العافية أي: لم أحزن من ذنب أمهلني اللّه بعده إلى أن أُصلّي ركعتين لأنّ الصلاة تكفّر الذنب فإذا أمهل أن يصلّيهما لم يحزن بسببه.

وسُئِل عليه السلام كيف يحاسب اللّه الخلق على كثرتهم؟ قال:

[**كما يرزقهم على كثرتهم**] فقيل: فكيل يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال:

[**كما يرزقهم ولا يرونه**] شبّه كيفية محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا أصلاً في التشبيه لظهوره وعلم السائل به وكذا تشبه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤيته لشمول قدرته وعدم حاجته.

وقال عليه السلام:

[**رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ من ينطق عنك**] استعار للرسول الترجمان للعقل باعتبار أنّه ينبئ عنه ويعرف مقداره منه إشارة إلى وجوب اختيار ذوي العقل الراجح للرسالة، وأمّا أنّ الكتاب أبلغ من ينطق عن صاحبه لضبط مراده فيه دون لسان الرسول لأنّه ربّما لم يؤدّ الرسالة على وجهها سهواً أو لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك وربما كان فيه هلاك المرسل وفي المثل: الرسول على قدر الرسل، وفي آخر: الرسول صفة المرسل.

ما المبتلي الذي اشتدّ به البلاء بأحوج من المعافى الذي لا يأمن من البلاء والناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حبّ أُمّه الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم إنّ المسكين رسول الله فمن منعه منع الله ومن أعطاه فقد أعطى الله ما زنى غيور قط كفى بالأجل حارساً

وقال عليه السلام :

[**ما المبتلي الذي اشتدّ به البلاء بأحوج من المعافى الذي لا يأمن من البلاء**] أي : انّهما سواء في الحاجة إلى دعاء الله، فذاك لحاجته إلى الخلاص من بلائه وهذا لبقاء عافيته وأمنه من لحوق البلاء.

وقال عليه السلام :

[**والناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حبّ أُمّه**] استعار لهم الأبناء باعتبار تولّدهم منها وميلهم إليها.

وقال عليه السلام :

[**الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم**].

وقال عليه السلام :

[**إنّ المسكين رسول الله فمن منعه منع الله ومن أعطاه فقد أعطى الله**] استعار للمساكين رسول الله باعتبار أنّه طالب لله وبأمر الله فيجب إعطائه وإرضائه.

وقال عليه السلام :

[**ما زنى غيور قط**] لأنّ الغيور الحقّ إذا همّ بالزنا تخيّل مثل ذلك في نفسه من الغير فيغار من خياله داعيه فيحجم عنه، وفي الأثر : من زنا زني به.

وقال عليه السلام :

[**كفى بالأجل حارساً**] استعار الحارس باعتبار أنّ الإنسان لا يهلك

ينام الرجل على الثُّكْل ولا ينام على الحرب مودّة الآباء قرابة بين الأبناء والقرابة أحوج إلى المودّة من المودّة إلى القرابة اتقوا ظنون المؤمنين فإنّ اللّه جعل الحقّ على ألسنتهم اعلموا علماً يقيناً إنّ اللّه لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدّت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمّي له في الذكر الحكيم

مادام أجله فهو كالحارس له.

وقال عليه السلام:

[**ينام الرجل على الثُّكْل ولا ينام على الحرب**] قال السيّد: ومعنى ذلك أنّه يصبر على قتل الأولاد ولا يصبر على سلب الأموال، وفي الخبر: من قلت دون ماله فهو شهيد.

وقال عليه السلام:

[**مودّة الآباء قرابة بين الأبناء والقرابة أحوج إلى المودّة من المودّة إلى القرابة**] استعار القرابة للمودة المتأكّدة بين الأبناء فهي كالقرابة وأخبر بها عنمودّة الآباء إخباراً باللازم على ملزومه إذ كانت صداقة الآباء والمودّة بينهم تستلزم تأكّدها بين الأبناء وشدّة اتصالهم، وأشار إلى تفضيل المودّة على القرابة بكون القرابة أكثر حاجة إلى المودّة في الانتفاع بها بين الخلق والمودّة أكثر استغناء من القرابة في الانتفاع بها.

وقال عليه السلام:

[**اتقوا ظنون المؤمنين فإنّ اللّه جعل الحقّ على ألسنتهم**] وهو من قبيل ما روي: اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه، وقيل: المؤمن كهانة.

وقال عليه السلام:

[**اعلموا علماً يقيناً إنّ اللّه لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدّت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمّي له في الذكر الحكيم**] أي:

ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم والعارف بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة والتارك له الشاكّ فيه أعظم الناس شغلاً في مضرّة وربّ منعمٌ عليه مستدرج بالغي وربّ مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد أيّها المتمتع في شكرك وقصّر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكّاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقّنتم فأقدموا

ما علم اللّه وصوله إليه بقلم القضاء الإلهي في اللوح المحفوظ.

[**ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمّي له في الذكر الحكيم**] أي: لا يقصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سُمّي له.

[**والعارف بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة**] إذ حيث علم أنّ ما كتب له لابدّ أن يصل إليه فيترك لذلك شدّة الاهتمام به والكدح له.

[**والتارك له الشاكّ فيه أعظم الناس شغلاً في مضرّة**] لأنّه يشغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فتلزمه مضرّة خالصة.

[**وربّ منعمٌ عليه مستدرج بالغي**] فينبغي لهم شكر اللّه على النعم كيلا يستدرجهم بها.

[**وربّ مبتلى مصنوع له بالبلوى**] فيجب عليهم شكر ذلك الصنع ولذا قال: [**فزد أيّها المتمتع في شكرك وقصّر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك**] وروي: أجملوا في الطلب فإنّه ليس ــــــ إلا ما كتب له ولن يخرج عبد من الدنيا حتّى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة.

وقال عليه السلام:

[**لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكّاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقّنتم فأقدموا**] نهاهم عليه السلام أن يجعلوا علمهم بما هم عليه من أحوال الآخرة في قوّة الجهل ويقينهم في قوّة الشكّ وبمنزلته لتركهم العمل بما علموا

إنّ الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربّما شرق شارب الماء قبل ريّه وكلّما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والأماني تعمي أعين البصائر والحظ يأتي من لا يأتيه اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما

وتيقّنوا.

وقال عليه السلام:

[**إنّ الطمع مورد غير مصدر**] أي: يورد الطامع الوارد المهلكة ولا يصدره عنها [**وضامن غير وفي**] استعار له ذلك باعتبار أنّه يرغّب في الطلب ويدعو إليه مع أنّه قد يكون كاذباً كمن يضمن شيئاً ويحيف عنه، وما كان كذلك فلا ينبغي أن يتّبع ويوثق به.

[**وربّما شرق شارب الماء قبل ريّه**] تنبيهٌ على أنّه لا يجوز الاسترسال في طلب الدنيا لأنّ المسترسل في طلبها قد يخترم ويقتطع دون بلوغ أمله فيها.

[**وكلّما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده**] وما عظمت المصيبة لفقده فلا ينبغي اقتنائه إذ كان من ضرورته فقده وفنائه.

[**والأماني تعمي أعين البصائر**] لأنّها تشغل الفكر بما لا يغني عن طلب ما يعني من الكمالات العقلية، واستعار الأعين للإنكار باعتبار إدراكها.

[**والحظ يأتي من لا يأتيه**] أي: من لا يسعى في طلبه، وما كان كذلك فلا حاجة في طلبه وإتيانه.

وقال عليه السلام:

[**اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما**

أبطن لك سريرتي محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي فأُبدي للناس حسن ظاهري وأمضي إليك بسوء عملي تقرّباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك لا والّذي أمسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشّر عن يوم أعزّ ما كان كذا وكذا قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول ما لقيت أحداً إلا أعانني على نفسه

أبطن لك سريرتي محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي فأُبدي للناس حسن ظاهري وأمضي إليك بسوء عملي تقرّباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك] لامعة العيون: من إضافة الصفة إلى الموصوف أي: العيون اللامة، وأفضي أصل، ومحافظاً حال، وتقرّباً وتباعداً مصدران سدّا مسدّ الحال، استعاذ باللّه أن يجتمع له حسن الظاهر في عيون الناس مع قبح باطنه عند اللّه بالرياء والسمعة.

وقال عليه السلام:

[لا والّذي أمسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشّر عن يوم أعزّ ما كان كذا وكذا] غبر الليل: بقاياه، والدهماء: السواد، والتكشّر: التبسّم بحيث تبدو الأسنان، والأمر الواضح استعار التكشير لليلة باعتبار إسفارها عن ضوء يومها فهي كالضاحكة، وهذا يمين في غاية الفصاحة والبلاغة.

وقال عليه السلام:

[قليل تدوم عليه] من الأفعال **[أرجى]** لفلاحه وأكثر **[من كثير مملول]** منقطع وأقوى إعداداً في النفس كالزيارة القليلة للصديق مع الدوام بالنسبة إلى الكثرة مع الانقطاع والعطاء القليل الدائم خير من الكثير المنقطع.

وقيل له عليه السلام: بأيّ شيء غلبت الأقران فقال: **[ما لقيت أحداً إلا أعانني على نفسه]** قال السيّد «ره»: يومي إلى تمكّن هيبته في القلوب.

يا بنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ باللّه منه، فإنّ الفقر منقصة للدّين ومدهشة للعقل داعية للمقت لسائل سأله عن معضلة سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً

أقول: لأنّ للوهم تأثيراً، ولذا إنّ الماشي على جذع معترض على مهواة فإنّ وهمه وتخيّله السقوط يقتضي سقوطه وإلا فمشيه عليه وهو منصوب على المهواة كمشيه عليه وهو ملقى على الأرض لا فرق بينهما إلا الوهم والحذر، فكذا من بادره تقصر نفسه عن مقاومته وتنخذل أعضائه وجوارحه عن مناهضته.

وقال عليه السلام لابنه محمّد [**يا بنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ باللّه منه، فإنّ الفقر منقصة للدّين ومدهشة للعقل داعية للمقت**] أمره بالاستعاذة من الفقر لأنّ فيه مكاره ذكر منها ثلاثة: منقصة الدّين، للاشتغال بهمّه عن العبادة وكونه محلّ دهشته العقل وحيرته وضيق الصدر به وداعياً إلى مقت الخلق لصاحبه وقد ورد ذمّ الفقر ومدحه باعتبار تفاوت معانيه، فنقول: الفقر إمّا أن يكون إلى اللّه فقط وهذا هو الذي افتخر به النبي صلى الله عليه وآله فقال: الفقر فخري، وإمّا أن يكون إلى الناس فقط، وهذا هو الذي قال فيه صلى الله عليه وآله: الفقر سواد الوجه في الدارين، لأنّ صاحبه ممقوت عند الحقّ وعند الخلق، وإمّا أن يكون إلى اللّه مرّة وإلى الناس مرّة أُخرى ولعلّه هو المراد بقوله صلى الله عليه وآله: كاد الفقر أن يكون كفراً.

وقال عليه السلام:

[**لسائل سأله عن معضلة**] أي: مسألة مشكلة [**سل تفقّهاً**] أي: طلباً للفهم والفقه [**ولا تسأل تعنّتاً**] والتعنّت: طلب الأمر الشاق على من يطلبه منه، وهما مفعولان أو مصدران سدّا مسدّ الحال.

فإنّ الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم وإنّ العالم المتعنّت شبيه بالجاهل لك أن تشير عليّ وأرى فإذا عصيتك فأطعني وروي أنّه عليه السلام لمّا ورد أتغلبكم نسائكم على ما أسمع ألا تنهوهنّ عن هذا الرنين فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسى لكم

[**فإنّ الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم**] لاشتراكهما في طلب العلم وقصده [**وإنّ العالم المتعنّت شبيه بالجاهل**] لوضع سؤال في غير موضعه وطلبه ما لا ينبغي كالجاهل بوضع الأسئلة ومواقعها.

وقال عليه السلام لعبدالله بن عباس وقد أشار عليه بشيء لم يوافق رأيه [**لك أن تشير عليّ وأرى**] رأيي فيما أشرت، فإن كان مصلحة أخذت به وإلا فلا، [**فإذا عصيتك**] في عدم قبول مشورتك [**فأطعني**] في ذلك ولا تلحّ علي بالقبول، فإنّ الإمام الرئيس أعرف بالتدابير ووجوه المصالح.

[**وروي أنّه عليه السلام لمّا ورد**] الكوفة قادماً من صفّين مرّ بالشاميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفّين وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشامي وكان من وجوه قومه فقال له عليه السلام: [**أتغلبكم نسائكم على ما أسمع**] من النوح والبكاء [**ألا تنهوهنّ عن هذا الرنين**] أي: الصوت، إذ الجزع مع كونه رذيلة يجبّن الرجال ويثبّطهم عن الحرب، فلذا نهى عليه السلام عن ذلك وأقبل حرب يمشي معه عليه السلام وهو راكب فقال له: ارجع [**فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي**] لما يتداخله من العجب بنفسه والزهو.

[**ومذلّة للمؤمن**] لأنّ الماشي في ركاب الفارس ذليل في الناس.

وقال عليه السلام:

[**وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسى لكم**] نصب على المصدر، يقال: بؤسى لزيد أي: شد ذو بؤساً له.

لقد ضرّكم من غرّكم الشيطان المضلّ والنفس الأمّارة بالسوء غرّتهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الاظهار على من غالبهم اتقوا معاصي اللّه في الخلوات فإنّ الشاهد هو الحاكم إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنّهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباص العمر الذي أعذر اللّه فيه لابن آدم ستون سنة

[**لقد ضرّكم من غرّكم**] فقيل له: من غرّهم يا أميرالمؤمنين؟ فقال: [**الشيطان المضلّ والنفس الأمّارة بالسوء غرّتهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي**] ترخيصاً لهم وتوسيعاً بتزيينها.

[**ووعدتهم الاظهار على من غالبهم**].

وقال ﷺ:

[**اتقوا معاصي اللّه في الخلوات فإنّ الشاهد هو الحاكم**] فيستغني عمّن يشهد عنده وإذا كان الشاهد عليه هو حاكم وجب عليه أن يتّقيه.

وقال ﷺ:

[لمّا بلغه قتل محمد بن أبي بكر «ره»]:

[**إنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنّهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباص**] ما أنصحها وأبلغها وأظهرها وأسلسها غنية عن الإيضاح.

وقال ﷺ:

[**العمر الذي أعذر اللّه فيه لابن آدم**] أي: أمهله إيّاه وسوّغ له أن يعتذر به [**ستون سنة**] لأنّ ما قبلها أيام الصبى والشبيبة والكهولة يمكن أن يعذر فيه لغلبة الشهوة وشره الحداثة وما بعد الستين تضعف القوى النفسانية والبدنية فلا عذر في الجهل.

وقال ﷺ:

ما ظفر من ظفر الإثم به والغالب بالشرّ مغلوب إنّ اللّه سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غنّي، واللّه تعالى سائلهم عن ذلك الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به إنّ أقل ما يلزمكم للّه أن لا تستعينوا بنعمته على معاصيه إنّ اللّه سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة

[**ما ظفر من ظفر الإثم به والغالب بالشرّ مغلوب**] لأنّ الظافر حقّاً من قهر خصمه على وجهالعدل فلمن لا يكون كذلك يلزم الظلم ويقهره عند اللّه الإثم فيكون مغلوباً بظلمه وهو في صورة غالب.

وقال عليه السلام:

[**إنّ اللّه سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غنّي، واللّه تعالى سائلهم عن ذلك**] المراد بذلك الزكاة كما صرّحت به جملة من الأخبار، وكذا سائر الحقوق المفروضة.

وقال عليه السلام:

[**الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به**] أي: ترك ما تحتاج فيه إلى العذر أنفع لك من أن تأتيه ويكون لك فيه عذر صادق، ويحتمل أن يكون المراد بقوله أعزّ أكثر عزّة لك إذ الإتيان بالعذر يحتاج إلى ذلّة ومهانة.

وقال عليه السلام:

[**إنّ أقل ما يلزمكم للّه أن لا تستعينوا بنعمته على معاصيه**] وذلك لأنّ العدل أن تستعينوا بنعمه على طاعته فإن لم تفعلوا ذلك فلا أقلّ من أن تستعمل في الأمور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته، فإنّ ذلك مما يعدّ لسخطه.

وقال عليه السلام:

[**إنّ اللّه سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة**]

السلطان وزعة الله في أرضه المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدراً وأذلّ شيء نفساً يكره الوقعة ويشنأ السُّمعة طويلٌ غمّه بعيدٌ همّه كثيرٌ صمته

الأكياس: العقلاء أُولوا الألباب، وإنّما كانت غنيمة لهم باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة وسبب الغنيمة غنيمة، والأكياس: هم الذين استعملوا فطنتهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصّهم الله بهذه الغنيمة عند تفريط الفجرة وهم المقصّرون عمّا ينبغي لهم.

وقال عليه السلام:

[**السلطان وزعة الله في أرضه**] الوازع عن الشيء: الكافّ عنه والمانع، والجمع وَزَعَة، كقاتل وقتلة، أي: إنّ الله وضعه في أرضه ليمنع به ما يريد منعه، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ أراد السلطان، وقيل: ما يزع الله عنه بالسلطان أكثر مما يزع عنه بالقرآن.

وقال عليه السلام في صفة [**المؤمن بشره في وجهه**] وهو من فضيلة التواضع ولين الجانب [**وحزنه في قلبه**] من خشية الله ونظره إلى ما عساده فرّط في جنب الله. [**أوسع شيء صدراً**] وهو مستلزم لفضيلة القوّة الغضبية واعتدالها [**وأذلّ شيء نفساً**] لتواضعه لله ونظر نفسه إلى محلّها ومقدارها من الحاجة إلى الله، و«صدراً ونفساً» مميّزان.

[**يكره الوقعة**] لأنّها مبدء الرذائل كالعجب والكبر وكذا قوله: [**ويشنأ السُّمعة**] أي: يبغضها احترازاً من تلك الرذائل [**طويلٌ غمّه**] لنظره دائماً إلى ما بين يديه من الموت وما بعده [**بعيدٌ همّه**] لبعد همتها وعلوّها عن دنايا الدنيا [**كثيرٌ صمته**] لكمال عقله فهو لا ينطق إلا بما يحتاج إليه مما فيه

مشغولٌ وقته شكورٌ صبور مغمور بفكرته ضنين بخلّته سهل الخليقة لين العريكة نفسه أصلب من الصلد وهو أذلّ من العبيد الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس

حكمة وصلاح.

[**مشغولٌ وقته**] بعبادة ربّه [**شكورٌ**] أي: كثير الشكر للّه [**صبور**] على بلاء اللّه [**مغمور بفكرته**] في ملكوت السموات والأرض وفي آيات اللّه والاعتبار بها.

[**ضنين بخلّته**] لترصّده مواقع الخلّة وأهلها الذين هم إخوان الصدق في اللّه وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق ومع كلّ من طلب مودّته وخلّته، ويحتمل أن يريد أنّه إذا خال أحد ضنّ بخلّته أن يضيّعها أو يهمل خليله، وروي بفتح الخاء والخلة: الحاجة، أي: إذا عرضت له حاجة ضنّ بها أن يسأل أحداً فيها.

[**سهل الخليقة**] أي: لا جفاوة في طباعه ولا خشونة [**لين العريكة**] كناية عن سهولة تناول ما يراد منه وأصله الجلد من الأديم يكون ليناً عند العرك في الدباغ سهلاً على دابغه.

[**نفسه أصلب من الصلد**] بشجاعته وثباته في طاعة اللّه [**وهو أذلّ من العبيد**] لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة بارئه والواو للحال.

وقال عليه السلام:

[**الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس**] ولذا قيل: ارغب فيما عند اللّه يحبّك اللّه، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس، وقال القائل:

قد أرحنا واسترحنا من غدوّ ورواح
واتصال بأمير أو وزير ذي سماح

المسؤول حرّ حتّى يعد معاشر الناس اتقوا اللّه فكم من مؤمّل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حقّ منعه أصابه حراماً واحتمل به آثاماً فباء بوزره وقدم على ربّه أسفاً لاهفاً قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين من العصمة تعذر المعاصي

بعفاف وكفـــاف وقـنـوع وصـلاح
وجعلنا اليأس مفتاحاً لأبواب النجاح

وقال عليه السلام :

[**المسؤول حرّ حتّى يعد**] وروي من وعد وعداً فكأنّما عهد عهداً، وقيل الوعد دين الكرام والمطل دين اللئام، وقيل: الوعد مرض المعروف والانجاز بر وقيل: الوعد سحاب والانجاز مطر.

وقال عليه السلام :

[**معاشر الناس اتقوا اللّه فكم من مؤمّل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حقّ منعه أصابه حراماً واحتمل به آثاماً فباء بوزره وقدم على ربّه أسفاً لاهفاً قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين**] مبلوة أي: مختَبرة، ودخل فلان فهو مدخول ومدخل أي: في عقله دخل وعلّة، وتنكاه أي: تؤثّر فيه ويستحيله بغيره، وباء: رجع، واللاهف: المتحسّر.

وقال عليه السلام :

[**من العصمة تعذر المعاصي**] ونحوه ما روي من العصمة أن لا تقدر ومن العصمة أو لا تجد، والمراد انّ غير القادر في اندفاع العقوبة عنه كالقادر الذي لا يفعل.

ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره

وقال عليه السلام:

[**ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره**] ولذا قيل:

ما ماء كفّــــك إن أرسلت مزنته   من ماء وجهي إذا استقطرته عوض

استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونوره على الوجه الذي يذهب من وجه السائل بسؤال، ورشح بذكر الجمود والتقطير، أو كنى به عمّا يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤال واستحيائه، والغرض وضع السؤال موضعه من أهل المروءة والبيوتات. وروي: وجهك ماء جامد، فيكون استعارة للماء في الوجه باعتبار بذله، فكأنّه ذاب وقطر كالماء الجامد.

وقال عليه السلام:

[**الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد**] الملق: هو التلطّف الشديد بالقول والإفراط في المدح ـــــ عن طرفي الإفراط والتفريط في الثناء، فالإفراط بما يلزمه من رذيلة الملق والتفريط بما يلزمه من العيّ عن المدح أو الحسد بالفضيلة الممدوح عليها.

وقال عليه السلام:

[**أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه**] لأنّ استهانته يستلزم انهماكه فيه واستكثاره منه وعدم إقلاعه عنه حتّى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب.

وقال عليه السلام:

[**من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره**] إذ عيب الغير إنّما

ومن رضي برزق اللّه لم يحزن على ما فاته ومن سلّ سيف البغي قُتل به ومن كابد الأمور عطب ومن اقتحم اللُّجج غرق ومن دخل مداخل السوء اتُّهم ومن كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قلّ حياؤه

يكون غالباً في موضع الافتخار عليه بالبراءة من ذلك العيب، فإذا نظر إلى مثله من نفسه شغله هذا عن ذلك.

[**ومن رضي برزق اللّه لم يحزن على ما فاته**] لأنّ الحزن على ما فات يستلزم عدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق، فعدم ذلك اللازم مستلزم لعدم ملزومه وهو الحزن به على الفائت.

[**ومن سلّ سيف البغي قُتل به**] كنّى به عن الظلم وهو سبب لهلاك الظالم، كما مرّ.

[**ومن كابد الأمور**] أي: قاساها بنفسه [**عطب**] أي: هلك، أي: استعدّ بها للهلاك.

[**ومن اقتحم اللُّجج غرق**] استعار اللُّجج للأمور العظام كالحروب وتدبير الدول، والغرق للهلاك.

[**ومن دخل مداخل السوء اتُّهم**] لأنّها مظنّة التهمة ودخولها من الأمورات الموجبة للظنّ كمعاشرة الفسّاق ونحوه.

[**ومن كثر كلامه كثر خطأه**] لأنّ كمال العقل مستلزم لقلّة الكلام فكثرة الكلام مستلزم لنقصان العقل.

[**ومن كثر خطأه قلّ حياؤه**] لأنّ الحياء هو أن يحسن الإنسان الارتداع عن الأمور التي يقبح تعاطيها والإقدام عليها لملاحظة ما ينتج من ارتكابها من قبح الاحدوثة والإقدام على الخطأ بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الأمور وهو من جملتها.

ومن قلّ ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثمّ رضيها لنفسه فذاك الأحمق بنفسه والقناعة مال لا ينفد ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية

[**ومن قلّ ورعه مات قلبه**] لما كانت الفضيلة هي حياة القلب استعار لعدمها أو قلّتها لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه بها، كخروج الميت عن الانتفاع بالحياة.

[**ومن مات قلبه دخل النار**] ولأنّ المزحزح له عنها إلى الجنّة هو استكماله بالفضيلة، فإذا فقدها فالنار موعده.

[**ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثمّ رضيها لنفسه فذاك الأحمق بنفسه**] لأنّ إنكاره لها من غيره يستلزم كون الرأي الحقّ أن لا يفعلها، ورضاه بها لنفسه مخالفة للرأي الحقّ له، وخروج عن المصلحة، وذلك حمق ونقصان ظاهر في العقل، والألف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار إليه ولذلك أكّده بعينه.

[**والقناعة مال لا ينفد**] كما مرّ.

[**ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير**] لأنّ الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به، وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له.

[**ومن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه**] لأنّ الإنسان مؤاخذٌ على ما لا يعني من عمله.

وقال عليه السلام:

[**للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية**] وذلك

ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة عند تناهي الشدّة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء لبعض أصحابه: لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك وولدك فإن يكن أهلك وولدك أولياء اللّه فإنّ اللّه لا يضيع أوليائه وإن يكونوا أعداء اللّه فما همّك وشغلك بأعداء اللّه

عصيان اللّه وتعدّي لحدوده العادلة [و] يظلم [**من دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة**] والثانية مستلزمة للأُولى، والثالثة مستلزمة للاولتين، إذ من وجبت عليه طاعة من فوقه فهو بعصيانه ظالم له، وكذا من قهر من دونه وغلبه، والثالث واضح.

وقال عليه السلام:

[**عند تناهي الشدّة تكون الفرجة**] أي: الفرج المستلزم للخلاص منها [**وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء**] استعار لفظ الحلق للأُمور الشديدة المحيطة بالإنسان لا يجد عنها محيصاً ملاحظةً لشبهها في البن والحزام.

وقال عليه السلام:

[**لبعض أصحابه: لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك وولدك**] بحيث يصرفك ذلك عن طاعة اللّه، كما قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللّه ومن يفعل ذلك فأُولئك هم الخاسرون﴾.

[**فإن يكن أهلك وولدك أولياء اللّه فإنّ اللّه لا يضيع أوليائه**] كما قال تعالى: ﴿ألا إنّ أولياء اللّه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾.

[**وإن يكونوا أعداء اللّه فما همّك وشغلك بأعداء اللّه**] استفهام على سبيل التوبيخ والتقريع.

أكثر العيب أن تعيب ما فيك مثله لا تقل ذلك، ولكن قل شكرت الواهب وبورك في الموهوب وبلغ أشدّه ورزقت برّه رجلٌ من عمّاله بناءً فخماً فقال عليه السلام: أطلعت الورق ردئها إنّ البناء ليصف لك الغنى قال من حيث يأتيه أجله

وقال عليه السلام:

[**أكثر العيب أن تعيب ما فيك مثله**] ولذا قيل:

إذا أنت عبت الأمر ثمّ أتيته فأنت ومن تزري عليه سواء

وهنّأ بحضرته رجلٌ رجلاً بغلام وُلد له، فقال: ليهنك الفارس، فقال عليه السلام: [**لا تقل ذلك، ولكن قل شكرت الواهب وبورك في الموهوب وبلغ أشدّه ورزقت برّه**] ذكر عليه السلام أربع فوائد أحدها تذكير الوالد بشكر اللّه والغايةإليه، والثانية استنزال البركة بالدعاء فيما وهب له، الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء وبلوغ الأشد وهو كمال القوة لغاية الانتفاع به، الرابعة بثمرة الانتفاع به وهي أن يرزقه برّه ونفعه، والكلمة التي نهى عنها من شعار الجاهلية.

وبنا [**رجلٌ من عمّاله بناءً فخماً**] أي: عظيماً [**فقال عليه السلام: أطلعت الورق ردئها**] كناية عن ظهور أثرها في البناء ملاحظةً لشبهها بالحيوان في ظهوره.

[**إنّ البناء ليصف لك الغنى**] استعار الوصف ونسبه إلى البناء باعتبار أنّه ينبئ عن الغنى كما ينبئ الوصف عن موصوفه.

وقيل له عليه السلام لو سدّ على رجل باب بيت وترك فيه من أين كان يأتيه الرزق؟ [**قال من حيث يأتيه أجله**] قاس الرزق على الأجل لاشتراكهما في مبدء واحد وهو قدرة الصانع وقيل: المعنى انّ اللّه تعالى إذا علم فيمن يجعل في دار وسدّ عليه بابها أنّ في بقاء حياته لطفاً لبعض المتكلّفين فإنّه يجب على

إنّ هذا الأمــر ليس بكم بدا، ولا إليكم انتــهى، وقــد كــان صاحبكم هذا يسافر، فعدوه في بعض سفراته فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه أيّها الناس ليركُمْ اللّه من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوّفاً، ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً يا أسرى الرغبة اقصروا فإنّ المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلا صريف نياب الحدثان

اللّه أن يديم حياته كما يشاء سبحانه، إمّا بغذاء يقيم به مادة حياته أو يديم حياته بغير سبب.

وعزى عليه السلام قوماً عن ميت مات لهم فقال: [**إنّ هذا الأمر ليس بكم بدا، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر، فعدوه في بعض سفراته فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه**] غدوة أي: افرضوا أنّه كذلك.

وقال عليه السلام:

[**أيّها الناس ليركُمْ اللّه من النعمة وجلين**] أي: خائفين [**كما يراكم من النقمة فرقين**] أي: خائفين [**إنّه من وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوّفاً، ومن ضيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً**] لأنّ النعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر، كما أنّ النقمة بلاء يجب مقابلته بالصبر، والغرض الحثّ على فضيلتي الشكر والصبر والتحذير من الركون إلى النعمة والغفلة فيها عن اللّه.

وقال عليه السلام:

[**يا أسرى الرغبة اقصروا فإنّ المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلا صريف نياب الحدثان**] استعار الأسرى لمن ملكته رغبة في الدنيا وحبّهم

أيّها الناس تولّوا عن أنفسكم تأديبها واعدلوا عن ضراية عاداتها لا تظنّنّ بكلمة خرجت من أحد سوءً وأنت تجد لها في الخير محملاً إذا كانت لك إلى اللّه سبحانه حاجة فابدء بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ اسئل حاجتك فإنّ اللّه أكرم من أن يُسئَل حاجتين فيقظي أحدهما ويمنع الأُخرى من ضنّ بعرضه فليدع المراء

لها، والأنياب جمع ناب، والصريف: سوط الأسنان عند رعده أو عند شدّة الغضب، استعار الصريف والأنياب ملاحظةً لشبه الموت عند قدومه بالبعير الهائج.

[**أيّها الناس تولّوا عن أنفسكم تأديبها واعدلوا عن ضراية عاداتها**] ضرى يضري ضراية كرمى يرمي رماية، أي: جرى وسال، أمرهم أن يتولّوا من أنفسهم تأديبها ورياضتها والوقوف فيها على حدّ العدل من الحركات والأفعال وأن يعدلوا بها عن جرئتها وإقدامها على الانهماك في المشتهيات.

وقال عليه السلام:

[**لا تظنّنّ بكلمة خرجت من أحد سوءً وأنت تجد لها في الخير محملاً**] أي: مادمت تجد لكلامه محملاً وتأويلاً فلا تظنّن به سوءً فإنّ النفوس السليمة أقرب إلى اللّه من غيرها، والواو للحال.

وقال عليه السلام:

[**إذا كانت لك إلى اللّه سبحانه حاجة فابدء بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ اسئل حاجتك فإنّ اللّه أكرم من أن يُسئَل حاجتين فيقظي أحدهما ويمنع الأُخرى**] وفي رواية أُخرى: ابدء بالصلاة واختم بها ووسّط سؤال الحاجة بينهما فإنّ اللّه أكرم من أن يقبل الطرفين ويردّ الوسط.

وقال عليه السلام:

[**من ضنّ بعرضه**] أي: بخل به [**فليدع المراء**] لأنّه يثير القوّة الغضبية

من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والإنابة بعد الفرصة الخرق: الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والإسراع إليها قبل وقت إمكانها إفراط في طلبها والأناة فيها إذا أمكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه وهو حمق ظاهر ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل وضع المطلب في وقت الإمكان والفرصة. لا تسأل عمّال يكن ففي الذي قد كان لك شغل الفكر مرآة صافية وكفى أدباً لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك

بين المتمارين ومبدء الشتم والسبّ بينهما.

وقال عليه السلام:

[**من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والإنابة بعد الفرصة**] **الخرق: الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والإسراع إليها قبل وقت إمكانها إفراط في طلبها والأناة فيها إذا أمكنت تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه وهو حمق ظاهر ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل وضع المطلب في وقت الإمكان والفرصة. لا تسأل عمّال يكن ففي الذي قد كان لك شغل**] أمر بالسؤال عمّا لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي أُعطيها الإنسان ورغب فيما أمر به من السلو ففي ذلك شغل لك عمّا تتوقع من غيره، وأراد الشغل بضبط ما في يده من النعمة وما ينبغي من الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله.

وقال عليه السلام:

[**الفكر مرآة صافية**] استعار له المرآة باعتبار أنّه يرى به المعقولات كما ترى الأشباح في المرأة.

[**وكفى أدباً لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك**] أشار إلى أنّ تجنّب المرء

العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل أيّها الناس إنّ متاع الدنيا حطام موبي فتجنّبوا مرعاه قلقها أحظى من طمأنينتها وبلغتها

لما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة أدب كاف له ونفر عنه بكونه مكروهاً للغير ورغّب في تجنّبه بكونه أدباً كافياً للنفس.

وقال عليه السلام:

[**العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل**] أي: من علم ما ينبغي لزمه في الحكمة أن يعمل بمقتضى علمه وكان ذلك داعياً له إلى العمل مستلزماً لوجوده منه ويحتمل أن يكون «عمل» خبراً في معنى الأمر، أي: فمن علم فليعمل، والهتف للنداء، واستعار الارتحال لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح لاستيطانه، ولعلّ المراد أنّه إذا ترك العمل للّه ولابدّ أن يشتغل بغيره عن ذكره وتنقطع ملاحظة له حتّى يكون ذلك سبباً لنسيانه والغفلة عنه، وقيل: أراد بالارتحال عدم المنفعة مجازاً.

وقال عليه السلام:

[**أيّها الناس إنّ متاع الدنيا حطام موبي**] أي: مهلك [**فتجنّبوا مرعاه**] استعار الحطام وهو ما يكسر من الحشيش واليبس لمتاعها باعتبار حقارته وسرعة زواله كما قال تعالى: ﴿إنّما الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾ وموبي: محدثٌ للوباء، وهو المرض العام، ومرعاه: رعيه. [**قلقها**] الضمير للدنيا [**أحظى من طمأنينتها**] أي: كون الإنسان فيها منزعجاً متهيّئاً للرحيل عنها من يكون ساكناً مطمئناً بالمقام فيها. [**وبلغتها**] أي: ما يتبلغ به من

أزكى من ثروتها حكم على مكثريها بالفاقة وأغنى من غني عنها بالراحة من راقه زبرجها أعقبت ناظريه كمهتها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً لهنّ رقص على سويداء قلبه

العيش فيها [**أزكى من ثروتها**] أي: يسارها وغناها لما يستلزمانه من الشقاء الاخروي، فالاقتصار على القدر الضروري منها أسلم.

[**حكم على مكثريها بالفاقة**] لأنّ كلّ زيادة منها موجبة للحاجة إلى أُخرى فلذا كان أكثر الناس حاجةً فيها الملوك ثمّ من دونهم على اختلاف درجاتهم فيها، وأمّا في الآخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها عن ملكات الخير والفضائل.

[**وأغنى من غني عنها بالراحة**] أي: من غنى عنها بزهده فيها أُعين من اللّه بالراحة منها.

[**من راقه زبرجها أعقبت ناظريه كمهتها**] أي: من أعجبته زينتها فأنصت إليها عمي عمّا فيها من العبر وعمّا ورائها من أحوال الآخرة، واستعار الكمه للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار؛ لأنّ ذلك أشدّ من العمى، كما قال تعالى: ﴿فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

[**ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجاناً**] أي: من اتّخذ محبّتها شعاراً ملأت قلبه هموماً وغموماً وأحزاناً على ما لم يحصل بطلبه وعلى ما فات منها بالأسف عليه.

[**لهنّ رقص**] أي: اضطراب وحركة [**على سويداء قلبه**] استعار الرقص لتعاقب تلك الأحزان والهموم واضطرابها في قلبه إلى غاية الأخذ بكظمه والكظم بفتح الظاء: مجرى النفس، وكنّى به عن الموت فقال:

همٌّ يشغله وغمٌّ يحزنه كذلك حتّى يؤخذ بكظمه فيلقى بالقضاء منقطعاً أبهراه هيناً على اللّه فنائه وعلى الإخوان إلقائه وإنّما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها بأذن المقت من الأبغاض إن قيل أثرى قيل أكدى وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذاو لم يأتهم يوم هم فيه مبلسون إنّ اللّه سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته

[**همٌّ يشغله وغمٌّ يحزنه كذلك حتّى يؤخذ بكظمه فيلقى بالقضاء منقطعاً أبهراه هيناً على اللّه فنائه وعلى الإخوان إلقائه**] في قبره وحفرته، إلقائه بالفضاء كناية عن دفنه، ومنقطعاً وهيّناً حالان، الأبهران: عرقان متعلّقان بالقلب، ويقال للميت: قد قُطع أبهراه.

[**وإنّما ينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار**] ليحصل منها عبرة وذلك هوالذي خُلق لأجله [**ويقتات منها ببطن الاضطرار**] أي: لا يتناول منها إلا بلغته ومقدار ضرورته.

[**ويسمع فيها بأُذن المقت من الأبغاض**] كنّى به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما تمدح به بل معايبها [**إن قيل أثرى**] أي: كثر ماله [**قيل أكدى**] أي: قلّ خيره أي: إنّ الإنسان فيها منغّص اللّذة مكدّر العيشة بينا هو ــــــــ لحقّه الاكداء والفقر.

[**وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء**] وإن فرح ببقاء حبيب لحقه الحزن عليه [**هذا**] البلاء [**و**] الحال انّه [**لم يأتهم يوم هم فيه مبلسون**] والإبلاس: اليأس من الرحمة.

وقال عليه السلام:

[**إنّ اللّه سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته**

ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا اسمه ومن الإسلام إلا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم تهوى الخطيئة يردون من شذّ عنها فيها ويسوقون من تأخّر عنها إليها، يقول اللّه سبحانه فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل اللّه إقالة عثرة الغفلة .

ذيادة] والذودة: الدفع والمنع. [**لعباده عن نقمته وحياشة**] أي: صرفاً [**لهم إلى جنته**] من حشت العيد بضم الحاء أحوشه إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة.

وقال عليه السلام:

[**يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا اسمه**] أي: أثره وهو تلاوته [**ومن الإسلام إلا اسمه**] أي: اسم الإسلام دون عمله وشعائره [**مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض**] لعلّه أراد قرّاء السوء وأئمة الضلال [**منهم تخرج الفتنة**] في الدّين [**وإليهم تهوى الخطيئة**] أي: ترجع خطايا الخلق إذ بهم يقتدون وعنهم يأخذون ومن كان كذلك فقد استعدّ للفتنة التي يحار فيها الحليم، ولذا قال: [**يردون من شذّ عنها فيها**] أي: من خرج منها إليها [**ويسوقون من تأخّر عنها**] أي: من لم يدخل فيها [**إليها، يقول اللّه سبحانه فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة أترك الحليم**] أي: العاقل اللبيب وفي رواية الحكيم [**فيها حيران**] لا يعلم كيف وجه خلاصه.

ثمّ قال عليه السلام: [**وقد فعل ونحن نستقيل اللّه**] أي: نطلب منه [**إقالة عثرة الغفلة**] اللّهمّ أقلنا منها وسائر إخواننا المؤمنين.

أيّها الناس اتقوا اللّه فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا تُرك سُدى فيلغو وما دنياه التي تحسّنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده، وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلا همّته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى نهمته لا شرف أعلا من الإسلام ولا معقل أحسن من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ولا كنز أغنى من القناعة

وروي أنّه قلّ ما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبته [**أيّها الناس اتقوا اللّه فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا تُرك سُدى فيلغو**] قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾ وقال تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾ أي: مهملاً.

[**وما دنياه التي تحسّنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده، وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلا همّته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى نهمته**] أي: نصيبه، لشرف متاع الآخرة.

وقال عليه السلام:

[**لا شرف أعلا من الإسلام**] لاستلزامه شرف الدنيا والآخرة.

ولا عزّ أعزّ من التقوى] لأنّها تستلزم جميع مكارم الأخلاق [**ولا معقل أحسن من الورع**] استعار له المعقل باعتبار تحصّن الإنسان به من عذاب اللّه، ولمّا كان عبارة عن الأمور الجميلة فلا معقل أحسن منه.

[**ولا شفيع أنجح من التوبة**] لاستلزامها العفو عن جريمة التائب قطعاً دون سائر الشفعاء بشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها.

[**ولا كنز أغنى من القناعة**] لاستلزامها سكون النفس والرضا بما قسم له وغنائه عمّا ورائه ولا شيء من الكنوز لأبناء الدنيا كذلك.

ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوّء خفض الدعة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحّم في الذنوب والشرّ جامع لمساوي العيوب يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة، عالم يستعمل علمه، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع

[**ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت**] وهو قريب مما قبله.

[**ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة**] أي: في سلك الراحلة من الهمّ بطلب الدنيا ومجاذبة أهلها.

[**وتبوّء خفض الدعة**] أي: اتّخذ لين السكون مبائة ومرجعاً.

[**والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب**] استعار للرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحه لباب التعب على الراغب وكذا لفظ المطية باعتبار استلزامها كالمطية المتعب ركوبها.

[**والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحّم**] وهو الدخول بسرعة [**في الذنوب**] فالحرص على الدنيا داع إلى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل والكبر داع إلى قلّة الإنصاف وعدم التواضع والعجب والتهوّر وعدم الاحتمال ونحوها، والحسد داع إلى الظلم والكذب والفساد في الأرض وغيرها من الآثام.

[**والشرّ جامع لمساوي العيوب**] لأنّه كلّي كالجنس لمساوي العيوب ونصاحتها إذ كلّ منها يصدق عليه أنّه شرّ مخصوص.

وقال عليه السلام لجابر بن عبدالله الأنصاري: [**يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة، عالم يستعمل علمه، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع**

آخرته بدنياه، فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نِعَم اللّه عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يحبّ اللّه تعالى فيها

آخرته بدنياه، فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه] قيل الدنيا إنّماتقوم بالمال ثمّ بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي أو لا ينبغي من حلال أو حرام، وهو علم الفقه وأُصوله، وتفسير كتاب اللّه وسنّة رسوله الذي منهما تُعلم الأحكام، ثمّ ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه، ولمّا كان العلم لابدّ له من حامل والمال لابدّ له من قان وجب أن يكون من شرط الأول أن يعمل بعلمه ومن شرط الثاني أن يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي وإلا لم يكن لهما فائدة ولا قامت بهما أحوال الخلق التي هي الدنيا، ولمّا كان الموت ضرورياً للعلماء وغيرهم ووجبت بمقتضى النظام أن يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب أن يكون هناك جهّال لا يستنكفون عن التعلّم، ولمّا كانت حاجة البعض إلى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز أن يستغني عن كلٍّ لأسباب معلومة وجب أن يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع فيما هو بصدده فإذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الأربعة وإنّما شرط في الفقير أن لا يبيع آخرته بدنياه لأنّ بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا تقوم به الدنيا ولا يصلح لعمارتها ثمّ أشار إلى ما يلزم ضدّه ذلك من الفساد بقوله فإذا ضيّع لأنّ تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به وكذا بخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال.

ثمّ قال: **[يا جابر من كثرت نِعَم اللّه عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يحبّ اللّه تعالى فيها]** من قضاء حوائج الخلق وإنجاز

فقد عرض نعمته لدوامها، و ضيّع ما يحبّ للّه فيها فقد عرّض نعمته لزوالها أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد برئ ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكونَ كلمة اللّه هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى

مطالبهم شكراً لتلك النعمة [**فقد عرض نعمته لدوامها، و**] من [**ضيّع ما يحبّ للّه فيها**] من عدم الاعتناء بالخلق [**فقد عرّض نعمته لزوالها**] بكفرانه تلك النعمة.

وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث أنّه قال فيما كان يحضّ به الناس على الجهاد: إنّي سمعت عليّاً عليه السلام رفع اللّه درجته في الصالحين وأثابه ثواب الشهداء والصدّيقين يقول يوم لقينا أهل الشام:

[**أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد برئ**] وسَلِم، أي: من عذاب اللّه، وإنّما خصّ المنكر بقلبه بذلك لأنّه لم يحمل إثماً وإنّما لم يرتّب عليه أجراً مع أنّ كلّ واجب يثاب عليه لأنّ غاية إنكار المنكر دفعه والإنكار بالقلب ليس له في الظاهر تأثير في دفعه فكأنّه لم يفعل ما يستحقّ به أجراً.

[**ومن أنكره بلسانه**] مضافاً إلى قلبه [**فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه**] السابق لترتّب الغاية.

[**ومن أنكره بالسيف لتكونَ كلمة اللّه هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى**] وأشار إلى وجه الإخلاص بأن لا يكون مقصوده الرياء والسمعة والغلبة الدنيوية.

فذاك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق الصواب ونوّر في قلبه اليقين فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده وذلك متمسّك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسّك بواحدة

[**فذاك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق الصواب ونوّر في قلبه اليقين**] استعار التنوير لوضوح الحقّ في قلبه وجلائه من شبه الباطل.

وقال عليه السلام في كلام غير هذا يجري هذا المجرى: [**فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال الخير**] لأنّ الأمر بالمعروف مستلزم للنهي عن المنكر، وبالعكس، واستجماعهما لحاصل الخير ظاهر؛ لأنّ كلّ خصلة منه معروف فالأمر بالمعروف مطلقاً أمر بها وترك كلّ واحدة من خصال الخير منكر فإنكاره يستلزم الأمر بها، ولمّا كانت هذه الأنواع الثلاثة من إنكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل وجب عدادها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل وجب أن يكون المنكر للمنكر مطلقاً مستكملاً لجميع خصال الخير وأن يكون التارك له بيده لخصلة ومتمسكاً بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيّعاً لأشرف الخصلتين من الثلاث.

كما قال: [**ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده وذلك متمسّك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسّك بواحدة**] وإنّما كانتا أشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر أو بعضه غالباً

ومنهم تاركٌ لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثه في بحر لجّي وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل ولا ينقّصان من رزق وأفضل ذلك كلمة عدل عند إمام جائر إنّ أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثمّ بألسنتكم ثمّ بقلوبكم

بخلاف الثالثة.

[ومنهم تاركٌ لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء] لخلوّه من جميع الفضائل ولفظ الميّت استعارة.

[وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثه في بحر لجّي] والنفثة: الفعلة الواحدة من نفث الماء في فمي أي: قذفه بقوّة، وبحر لجي وماء عظيم ووجه الشبه أنّ كلّ خصلة من أعمال جزئي بالنسبة إليهما كالنفثة بالنسبة إلى البحر.

[وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل ولا ينقّصان من رزق] فلا ينبغي أن يتركا ثمّ أشار إلى افضل أصنافهما بقوله:

[وأفضل ذلك كلمة عدل عند إمام جائر] لغرض ردّه عن جوره.

وروى أبو حنيفة قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: **[إنّ أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم]** وإنّما هذا أوّلاً لانّ الغرض الأوّل للعدو إزالة سلطان اليد ومقاومته فإذا تمكّن من ذلك كان سلطان اللّسان سهلاً.

[ثمّ بألسنتكم ثمّ بقلوبكم] فإن قيل: إنّ القلب لا يطّلع عليه العدو

فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله إنّ الحقّ ثقيل مري وإنّ الباطل خفيف وَبِيٌّ لا تأمنن على خير هذه الأمّة عذاب الله لقوله سبحانه ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ ولا ييأس شرّ هذه الأمة من روح الله لقوله

ولا يتمكّن من إزالة الجهاد به قيل: المراد أنّهم إذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدّة عليهم ألفوا المنكر وتكرّر على سمعهم وأبصارهم وقلوبهم فلم تبق لها إنكاره وهو معنى غلبهم عليه.

[**فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله**] استعار لفظ القلب للانتكاس في مهاوي الرذائل ودركات الجحيم وإنّما خصّ إنكار القلب بذلك لإمكانه في كلّ وقت وخلوّه عن المضار المخوّفة التي تخشى في الانكار باليد واللّسان.

وقال عليه السلام:

[**إنّ الحقّ ثقيل مري وإنّ الباطل خفيف وَبِيٌّ**] استعار للحقّ وصفي الثقل والمري باعتبار صعوبته على من يكون عليه فيؤخذ منه، والباطل وصف الخفّة باعتبار سهولته على أهله ولفظ الوبي باعتبار استلزامه إهلاكهم في الآخرة، يقال: وبي البلد بالكسر يوبا وباءةً فهو وبي على فعيل، ومرء الطعام بالضمّ يمرئ مراءةً فهو مري على فعيل كخفيف، وحاصل كلامه عليه السلام إنّ الحق وإن كان ثقيلاً إنّ أنّ عاقبته محمودة والباطل وإن كان خفيفاً إلا أنّه مذموم العاقبة.

وقال عليه السلام:

[**لا تأمنن على خير هذه الأُمّة عذاب الله لقوله سبحانه ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ ولا ييأس شرّ هذه الأمة من روح الله لقوله**

سبحانه ﴿إنّه لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾ البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء يابن آدم الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل هم سنتك على همّ يومك فتجتمع عليك أحزان متضاعفة كفاك كلّ يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإنّ اللّه سيؤتيك في كلّ يوم جديد بما قسم لك

ولا يتمكّن من إزالة الجهاد به قيل: المراد أنّهم إذا غلبوا على الجهاد باليد سبحانه **﴿إنّه لا ييأس من روح اللّه إلا القوم الكافرون﴾**] أي: لا ينبغي القطع على أحد بأحد الأمرين لأنّ المدار على العاقبة.

وقال عليه السلام:

[البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به إلى كلّ سوء] البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهو مستلزم للجهل لأنّه غير عالم بوضع المال موضعه وللفجور لعبوره في شهوته ومحبّته للدنيا وللجبن لأنّ من بخل بماله فهو بنفسه أبخل، وللانظلام بالظلم لقعوده عن فضيلة العدل في ماله ثمّ للحرص والحسد والشرور ودنائة الهمّة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة وهي مساوي العيوب وهو زمان إلى كلّ منها لأنّه يدعو إلى هذه المساوي ويقود إليها كالزمام.

وقال عليه السلام:

[يابن آدم الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل هم سنتك على همّ يومك فتجتمع عليك أحزان متضاعفة] يكفي واحد منها شغلاً.

[كفاك كلّ يوم ما فيه فإن تكن السنة من عمرك فإنّ اللّه سيؤتيك في كلّ يوم جديد بما قسم لك] لا محالة وما لابدّ منه لا يجوز الاهتمام به.

وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ بما ليس لك ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قُدّر لك رُبّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط في أوّل الليل قامت بواكيه في آخره الكلام في وثاقك مالم تتكلّم به فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فربّ كلمة سلبت نعمة

[**وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ بما ليس لك**] وليس من العقل أن يهتمّ المرء بما ليس له.

[**ولن يسبقك إلى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قُدّر لك**] وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك أن تهتمّ.

قال السيّد: وقد مضى هذا الكلام فيماتقدّم من هذا الباب إلا أنّه هاهنا أوضح وأشرح فلذلك كرّرناه على القاعدة المقرّرة في أوّل هذا الكتاب.

وقال عليه السلام:

[**ربّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره ومغبوط في أوّل الليل قامت بواكيه في آخره**] الغرض التنبيه على رقدة الغفلة عن العمل للموت وما بعده، وقال الشاعر:

يا راقد الليل مسروراً بأوّله إنّ الحوادث قد يطرقن أسحاره

وقال عليه السلام:

[**الكلام في وثاقك مالم تتكلّم به فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فربّ كلمة سلبت نعمة**] قيل لحذيفة: قد أطلت سجن لسانك، فقال: لأنّه غير مأمون إذا نطق، ومن أمثالهم: ربّ كلمة تقول دعني، وقيل: لسان المرء لغيره وسمعه لنفسه.

لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم، فإنّ اللّه سبحانه فرض على جوارحك كلّها فرائض تحتجّ بها عليك يوم القيامةاحذر أن يراك اللّه عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين وإذا قويت فاقوَ على طاعة اللّه وإذا ضعفت فاضعف عن معصية اللّه الركون إلى الدنيا مع ما يعاين منها جهلٌ والتقصير في

وقال عليه السلام :

[**لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كلّ ما تعلم، فإنّ اللّه سبحانه فرض على جوارحك كلّها فرائض تحتجّ بها عليك يوم القيامة**] نهى عن قول ما لا تعلم لأنّه كذب أو محتمل الكذب، ولأنّه قول بالجهل، وعن قول كلّما تعلم لجواز أن يكون فيه مضرّة كإذاعة سرّ ونحوه وأشار بقوله «فإنّ اللّه فرض» إلى أنّ الواجب على جارحة اللسان الكلام في محلّه والسكوت في محلّه.

وقال عليه السلام :

[**احذر أن يراك اللّه عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين**] لثواب اللّه يوم القيامة.

[**وإذا قويت فاقوَ على طاعة اللّه**] ليتمّ الاستعداد بها للرحمة [**وإذا ضعفت فاضعف عن معصية اللّه**] ليضعف الاستعداد بها عن قبول سخط اللّه ونقمته.

وقال عليه السلام :

[**الركون إلى الدنيا مع ما يعاين منها**] من الغدر وقلّة الوفاء ونقض العهود ونحوها [**جهلٌ**] بما ينبغي أن يركن إليه مما لا ينبغي [**والتقصير في**

حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن والطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار له عجز من هوان الدنيا على اللّه أن لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ما لي وللدنيا، إنّما مثلي ومثلها كراكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقعد تحت ظلّها ساعة ثمّ راح وتركها من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما

حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن] وأيُّ غبن، وهو ترك ما يوثق به من الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير، وفيه إشارة إلى أنّ التقصير في حسن العمل من ضعف اليقين بالثواب الموعود به.

[**والطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار له عجز]** عن البحث عمّن ينبغي السكون إليه وعن وضعه موضعه.

وقال عليه السلام:

[**من هوان الدنيا على اللّه أن لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها]** نفّر عليه السلام عن الدنيا بذكر هوانها من الوجهين وتوفّى اللّه صلى الله عليه وآله وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، ورأى صلى الله عليه وآله بعض الصحابة بنى بيتاً من جص فقال: أرى الأمر أعجل من هذا.

وقال عليه السلام:

[**ما لي وللدنيا، إنّما مثلي ومثلها كراكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقعد تحت ظلّها ساعة ثمّ راح وتركها]** وقال عيسى عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها» وقال النبي صلى الله عليه وآله: «سجن المؤمن وجنّة الكافر»، وقال صلى الله عليه وآله: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان للّه منها».

وقال عليه السلام:

[**من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما**

يبقى على ما يفنى من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب آبائه من طلب شيئاً ناله أو بعضه ما خير بخير بعده النار وما شرّ بشرّ بعده الجنّة وكلّ نعيم دون الجنّة محقور وكلّ بلاء دون النار عافية

يبقى على ما يفنى] وقالﷺ : «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة».

وقال عليه السلام :

[من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه] وفي رواية أُخرى : **[من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب آبائه]** وكان يقال : أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية وتبجّح بالقرون الماضية واتّكل على الأيام الخالية، وقال الشاعر :

فخرت بآباء ذوي حسب لقد صدت ولكن بئسما ولدوا

وقال عليه السلام :

[من طلب شيئاً ناله أو بعضه] هو كقولهم من طلب وجد ومن قرع باباً ولج. وقال حكيم : ما لازم أحد باب الملك فاحتمل الذل وكظم الغيظ ورفق بالبواب وخالط الحاشية إلا وصل إلى حاجته من الملك.

وقال عليه السلام :

[ما خير بخير بعده النار وما شرّ بشرّ بعده الجنّة] محل «بعده» في الموضعين الرفع لأنّه صفة «خير» التي بعد «ما»، وخبر «ترفع» لأنّه اسم «ما» وموضع الجار والمجرور نصب لأنّه خبر «ما»، والباء زائدة، أي : ما خير يتعقّبه النار بخير.

[وكلّ نعيم دون الجنّة محقور] تفسيرٌ للأوّل **[وكلّ بلاء دون النار عافية]** تفسير للثاني.

ألا وإنّ من البلاء الفاقة وأشدّ من الفاقة مرض البدن وأشدّ من مرض البدن مرض القلب ألا وإنّ من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحّة البدن وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي ربّه ويعبده وساعة يرم معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش أو حظوة في معاد أو لذّة في غير محرم

وقال عليه السلام:

[ألا وإنّ من البلاء الفاقة وأشدّ من الفاقة مرض البدن وأشدّ من مرض البدن مرض القلب] لاستلزامه في الآخرة فوات أكمل السعادات وهو الموت الذي لا حياة معه.

[ألا وإنّ من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحّة البدن وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب] باكتساب الفضائل لاستلزامه السعادة الباقية والحياة الأبدية والغرض الإشارة إلى درجات البلاء وتفاوتها في الشدّة والضعف وإلى ما يقابلها من درجات النعمة وتفاوتها كذلك.

وقال عليه السلام:

[للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي ربّه ويعبده وساعة يرم] أي: يصلح **[معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل]** دون المحرّمة والمباحة المستهجنة وهذان القسمان مرادان للأوّل إذ لا يمكن بدونهما.

[وليس للعاقل أن يكون شاخصاً] أي: ذاهباً من بلد إلى بلد **[إلا في ثلاث: مرمّة لمعاش]** أي: إصلاحه **[أو حظوة في معاد أو لذّة في غير محرم]** أي: ليس له بحسب مقتض العقل العملي أن يستعمل نفسه إلا في

إزهد في الدنيا يبصّرك اللّه عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك تكلّموا تعرفوا فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه نعم الطيب المسك خفيف محمله عطرة ريحه ضع فخرك واحطط كبرك واذكرْ قدرك

أحد هذه الأُمور الثلاثة.

وقال عليه السلام:

[**إزهد في الدنيا يبصّرك اللّه عوراتها**] لأنّ محبّتها مستلزمة لستر عيوبها، إذ حبّ الشيء يعمي ويصمّ، فبغضها والزهد فيها رافع لذلك الستر كاشف لما تحته من عيوبها وعوراتها فأمر بالزهد فيها لذلك.

[**ولا تغفل**] عن آخرتك وعمّا وراء الدنيا [**فلست بمغفول عنك**] وكلّ من ليس بمغفول عنه لا ينبغي أن يغفل.

وقال عليه السلام:

[**تكلّموا تعرفوا فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه**] قيل: هذه أحد كلماته التي لا قيمة لها ولا يقدّر قدرها وقد مرّت بنحو آخر.

وقال عليه السلام:

[**نعم الطيب المسك خفيف محمله عطرة ريحه**] الطيب: ممدوح سيّما المسك وفيه روايات عديدة.

وقال عليه السلام:

[**ضع فخرك واحطط كبرك واذكر قدرك**] الغرض التنبيه على رذيلة الكبر والفخر بتذكير الإنسان قدره بأنّ أوّله نطفة قذرة وآخره جيفة منتنة وهو حامل للجيفة يخرج منه في اللّيل والنهار ما لا يستطيع النظر إليه، فأين هو والكبر.

وقال عليه السلام:

خذ من الدنيا ما أتاك وتولّ عمّا تولّ عنك فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب رب قول أنفذ من صول كلّ مقتصر عليه كاف المنية ولا الدنية

[خذ من الدنيا ما أتاك وتولّ عمّا تولّ عنك فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب] أمر بالقناعة أوّلاً بما تيسّر من الدنيا كمن تمكّن منها وقوى عليها وبالإجمال في الطلب إن لم يتمكّن منها وهو الطلب برفق من الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي.

وقال عليه السلام:

[ربّ قول أنفذ من صول] أي: قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالشدّة والصولة فيكون القول أنفذ في غرضه كما قيل: والقول ينفذ ما لا ينفذ الأمر، ويصلح مثلاً يضرب للرفق واللّين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف. وروي أشد عوض أنفذ أي: ربّ قول يقوله الإنسان فيكون حذره عليه أشدّ من صولة عدوّ أو ربّ قول يسمعه من غيره كقذف أو هجر يكون أشدّ عليه من صولة العدو.

وقال عليه السلام:

[كلّ مقتصر عليه كاف] أي: من اقتصر على شيء وقنعت به نفسه كفاه وقام مقام الفضول الذي لا يرغب فيها المترفون.

وقال عليه السلام:

[المنية ولا الدنية] أي: المنية أسهل من الدنية، فالمنية مبتدأ وخبره «أسهل»، المدلول عليه بقوله «ولا الدنية» أو التقير «يحتمل المنية ولا يحتمل الدنية» وهي الخسيسة من الأمر ترتكب في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك.

التقلّل ولا التوسّل ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً الدهر يومان: يومٌ لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر إنّ للوالد على الولد حقّاً وإنّ للولد على الوالد حقّاً، فحقّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلا في معصية اللّه وحقّ الولد على والده أن يحسن اسمه

وقال عليه السلام:

[**التقلّل ولا التوسّل**] أي: القناعة بالقليل من العيش خير من التوسّل إلى أهل الدنيا بطلبها.

[**ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً**] كنّى بالقعود عن الطلب السهل وبالقيام عن الطلب الصعب بتعسّف أي: من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد في الطلب، والمقصود أنّ الرزق قد قسمه اللّه فمن لم يرزق قاعداً لم يجد عليه القيام والحركة.

وقال عليه السلام:

[**الدهر يومان: يومٌ لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر**] أي: يوم تسرُّ به فلا تتبطر فيه، ويوم تُساء به وهو يوم الضيق والبلاء فاصبر، وقد قيل: الدهر يومان يوم بلاء ويوم رخاء والدهر ضربان خبرة وعبرة، والدهر وقتان وقت سرور ووقت ثبور.

وقال عليه السلام:

[**إنّ للوالد على الولد حقّاً وإنّ للولد على الوالد حقّاً، فحقّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلّ شيء إلا في معصية اللّه**] وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس ل به علم فلا تطعهما﴾.

[**وحقّ الولد على والده أن يحسن اسمه**] وفي النبوي: «إنّكم تدعون

ويحسن أدبه ويعلّمه القرآن العين حقّ والرقا حق والسحر والفأل والطيرة ليست بحقّ والعدوى ليست بحقّ مقارنة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم

يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم.

[**ويحسن أدبه ويعلّمه القرآن**].

وقال عليه السلام:

[**العين حقّ**] وقد وردت الاستعاذة منها، وفي النبوي: «العين حق ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين».

[**والرقا حق**] وقال عون بن مالك كنّا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول اللّه: ما ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليّ رقاكم فلا بأس بالرقى مالم يكن فيها شرك.

[**والسحر والفأل**] حقّ وهو التفؤل ما قيل: تفألوا بالخير تجدوه.

[**والطيرة**] وهي التطيّر من أشياء مخصوصة [**ليست بحقّ والعدوى ليست بحقّ**] في الخبر المرفوع: إذا ظننتم فلا تحققوا وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى اللّه فتوكّلوا، وعنه عليه السلام أنّه قال: «أحسنها الفأل ولا يرد قدراً ولكن إذا رأى أحد ما يكره فليقل اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيّئات إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بك» والطيب نشرة والغسل نشرة والركوب نشرة والنظر إلى الخضرة نشرة قيل: كانوا يطلبون من العاين أن يتوضّأ بماء ثمّ يُسقى منه المعين ويغتسل بسائره.

وقال عليه السلام:

[**مقارنة الناس في أخلاقهم**] أي: مشاكلتهم وموافقتهم فيها [**أمن من غوائلهم**] جمع غائلة وهي الحقد، لأنّ المباعدة في أخلاقهم يستلزم منافرتهم

لقد طرت شكيراً وهدرت سغباً من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل أنّا لا نملك مع اللّه شيئاً ولا نملك إلا ما ملّكنا فمتى ما ملّكنا ما هو أملك به منّا كلّفنا ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا

وعداوتهم وأحقادهم، فالعدول عنها إلى المقاربة يستلزم الأمن منهم.

وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلّم في حضرته بكلام يستصغر عن مثله [**لقد طرت شكيراً**] والشكير: أوّل ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويسحصف.

[**وهدرت سغباً**] والسغب: الصغير من الإبل، ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل، استعار الشكير والسغب له باعتبار صغر قدره عمّا تكلّم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار نهوضه إلى ذلك الكلام الذي هو فوق محلّه وليس أهلاً له، كما أنّ الطير ليس من شأن الشكير ولا الهدير.

وقال عليه السلام:

[**من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل**] المتفاوت كالأمور المتضادة أو التي يتعذّر الجمع بينها في العرف والعادة، واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار أنّها لا تؤاتيه ولا يمكنه الجمع بين ما يرويه من تلك الأمور.

وقال عليه السلام وقد سُئِل عن معنى قولهم «لا حول ولا قوّة إلا باللّه العليّ العظيم»: [**أنّا لا نملك مع اللّه شيئاً ولا نملك إلا ما ملّكنا فمتى ما ملّكنا ما هو أملك به منّا كلّفنا ومتى أخذه منّا وضع تكليفه عنّا**] أشار بقوله «لا نملك مع اللّه ... إلخ» إلى قوله تعالى: ﴿فمن يملك لكم من اللّه شيئاً إن أراد بكم ضرّاً أو أراد بكم نفعاً﴾ الآية، والحول عبارة عن الملكية والتصرّف، والقوّة عبارة عن التكليف أي: لا نملك ولا نتصرّف إلا باللّه

دعه يا عمّار فإنّه لا يأخذ من الدّين إلا ما قاربته الدنيا وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاوزاً لسقطاته ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند اللّه، وأحسنُ منه

وإذا ملكنا شيئاً هو أقدر عليه منا صرنا مالكين كالمال والعقل والجوارح والأعضاء فإذا أخذ المال سقطت عنا الزكاة والحج والأعضاء والجوارح سقط الجهاد، وسُئِل الصادق عليه السلام عن هذه الكلمة فقال: لا حول على ترك المعاصي ولا قوّة على فعل الطاعات إلا باللّه.

وقال عليه السلام لعمّار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً:

[**دعه يا عمّار فإنّه لا يأخذ من الدّين إلا ما قاربته الدنيا**] أي: لا يعمل بشيء من الدّين إلا بما يستلزم دنياه ويقرّبه منها.

[**وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاوزاً لسقطاته**] أي: ليس هو في الحقيقة ممن التبس عليه الأمر بل لبّس الأمر على نفسه عمداً ليعتذر به في هفواته.

قال ابن أبي الحديد: كان إسلام المغيرة عن غير اعتقاد صحيح ولا إنابة ولا نيّة جميلة، كان قد صحب قوماً في بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفاً من أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما قاربه من أموالهم فقدم المدينة فأظهر الإسلام وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله لا يردّ على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن إخلاص، فامتنع بالإسلام واعتصم وحمى جانبه، ذكر حديثه أبو الفرج في الأغاني.

وقال عليه السلام:

[**ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند اللّه، وأحسن منه**

تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على اللّه ما استودع اللّه امرء عقلاً إلا استنقذه به يوماً من صارع الحقّ صرعه القلب مصحف البصر التُّقى رئيس الأخلاق

[**تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على اللّه**] تعالى، لأنّ التيه كذلك تستعدي كمال التوكّل على اللّه وهو درجة عالية في الطريق إليه.

وقال عليه السلام:

[**ما استودع اللّه امرء عقلاً إلا استنقذه به يوماً**] أمّا من بلاء الدنيا فبالتدبير والفكر في الخلاص، وأمّا من بلاء الآخرة فبالطاعة.

وقال عليه السلام:

[**من صارع الحقّ صرعه**] استعار المصارعة للمقاومة لأنّ اللّه سبحانه وملائكته ورسله وكتبه والصالحين من عباده أعوان للحقّ ولا مقاوم لأحدهم فضلاً عن جميعهم.

وقال عليه السلام:

[**القلب مصحف البصر**] استعار المصحف للقلب لتصوّره الحروف والحسّ البصري يشاهدها ويقرأها فالقلب إذن كالمصحف الذي تشاهد فيه الحروف والألفاظ ويقرأ منه بالبصر فلذا أضافه إلى البصر.

وقال عليه السلام:

[**التُّقى رئيس الأخلاق**] استعار الرئاسة للتقوى باعتبار الأفضلية في استلزام رضوان اللّه وحصول السعادة الباقية والتقى هو الورع والخوف من اللّه إذا حصل حصلت الطاعات كلّها.

وقال عليه السلام:

لا تجعلنّ ذرب لسانك على من أنطقك وبلاغة قولك على من سدّدك كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار إن صبرت صبر الأكارم وإلا سلوت سلو البهائم تضرّ بزينتهاوتضرّ وتمرّ بفراقها

[**لا تجعلنّ ذرب لسانك على من أنطقك وبلاغة قولك على من سدّدك**] ذرب اللّسان: حدّته، وهو أدب يجري مجرى المثل لمن يحصّل من إنسان علماً أو فائدة فيستعين بها عليه كأن يتفاصح على من علّمه الفصاحة، قال الشاعر:

وكم علّمته نظم القوافي   فلمّا قـــال قافية هجاني

وقيل المراد أنّ اللّه تعالى هو الذي أنطقه وعلّمه البيان كما قال: ﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾ فقبيح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه وفصاحة منطقه على من أنطقه وأقدره على العباد وبلاغة قوله على من سدّده وجعله بليغاً.

وقال عليه السلام:

[**كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك**] أي: من الرذائل فإنّها مكروهة إلى كلّ أحد من غيره ومن نفسه أيضاً إذا عقل أنّها رذيلة، ولذا إذا عُيّر بها أنف منها.

وقال عليه السلام يعزي قوماً: [**من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار**] أي: الجهّال، جمع غمر، وفي خبر آخر أنّه قال للأشعث بن قيس معزّياًل له: [**إن صبرت صبر الأكارم وإلا سلوت سلو البهائم**].

وقال في صفة الدنيا [**تضرّ بزينتها**] أهلها [**وتضرّ وتمرّ بفراقها**] استعار وصف الاضرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من ألم الجزع والحزن

إنّ اللّه لم يرضها لأوليائه ثواباً ولا عقاباً لأعدائه وإنّ أهل الدنيا كركب بينما هم حلّوا إذ صاح بهم سايقهم فارتحلوا لا تخلفنّ ورائك شيئاً من الدنيا فإنّك تخلّفه لأحد رجلين: إمّا رجلٌ عمل فيه بطاعة فسعد بما شقيت به، وإمّا رجلٌ عمل بمعصية اللّه فشقى بما جمعت له وكنت عوناً له على معصيته، وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك أمّا بعد فإنّ الذي في يديك من الدنيا قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك وأما أنت جامع لأحد رجلين رجل عمل فيما

كالمرارة، وروي تمرّ بفتح التاء أي: تذهب.

وقوله: **[إنّ اللّه لم يرضها لأوليائه ثواباً ولا عقاباً لأعدائه]** إذ لو رضيها لذلك لأعطاها أولياءه وحرمها أعدائه **[وإنّ أهل الدنيا كركب بينما هم حلّوا إذ صاح بهم سايقهم فارتحلوا]** ووجه الشبه بالركب الذي شأنه ذلك سرعة ارتحالهم إلى الآخرة كسرعة ارتحال الركب.

وقال عليه السلام لابنه الحسن: **[لا تخلفنّ ورائك شيئاً من الدنيا فإنّك تخلّفه لأحد رجلين: إمّا رجلٌ عمل فيه بطاعة فسعد بما شقيت به، وإمّا رجلٌ عمل بمعصية اللّه فشقى بما جمعت له وكنت عوناً له على معصيته، وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك]** والمراد بما شقى به شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الآخرة بادّخاره لقوله تعالى: ﴿والّذين يكنزون الذهب والفضة﴾ ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو:

[أمّا بعد فإنّ الذي في يديك من الدنيا قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك وأما أنت جامع لأحد رجلين رجل عمل فيما

جمعته بطاعه اللّه فسعد بما جمعت وشقيت به ورجل عمل فيه بمعصية اللّه فشقى بما جمعت له وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك أو تحمل له على ظهرك فَارْجُ لمن مضى رحمة اللّه ولمن بقى رزق اللّه ثكلتك أُمّك! أتدري ما الاستغفار؟! إنّ الاستغفار درجة العلّيين وهو اسم واقع على ستة معاني أوّلها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن يؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى اللّه عزّ وجلّ أملس ليس عليك

جمعته بطاعه اللّه فسعد بما جمعت وشقيت به ورجل عمل فيه بمعصية اللّه فشقى بما جمعت له وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك أو تحمل له على ظهرك فَارْجُ لمن مضى رحمة اللّه ولمن بقى رزق اللّه] يعني إنّك إن خلّفت مالاً فإمّا أن تخلّفه لمن يعمل فيه بطاعة اللّه أو لمن يعمل فيه بمعصيته، والأوّل يسعد بما شقيت به والثاني يكون معاناً منك على المعصية بما تركته من المال وكلاهما مذموم واستعار الحمل لاكتساب آثام جمع المال ورشح بذكر الظهر ثمّ أرشده إلى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة اللّه ولمن بقى رجاء رزقه الموعد ولكلّ حيّ.

وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته أستغفر اللّه: **[ثكلتك أُمّك! أتدري ما الاستغفار؟! إنّ الاستغفار]** أي: درجته **[درجة العلّيين]** وروي إنّ للاستغفار درجة العلّيين أي: لصاحب الاستغفار أي: أرباب المراتب العالية وإنّما لم يحمل على معناه المعروف من أنّه في السماء السابعة أو سدرة المنتهى أو تحت قائمة العرش لأنّه علم لا يدخله الألف واللام.

[وهو اسم واقع على ستة معاني أوّلها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن يؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى اللّه عزّ وجلّ أملس] أي: نقي الصحيفة من الآثام **[ليس عليك**

تبعة والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقوقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر اللّه الحلم عشيرة مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل إنّ أبصار هذه الفحول طوامح وإنّ ذلك سبب هبابها

تبعة والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقوقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت] أي: الحرام **[فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر اللّه]** ولعلّ مراده عليه السلام انّ الاستغفار الحقيقي الكامل هو الذي يجمع هذه الشروط.

وقال عليه السلام:

[الحلم عشيرة] استعار العشيءة للحلم باعتبار أنّه يحمي صاحبه ممن ينافره ويعاديه كما تحميه عشيرته، ولذا قيل الحلم جنود مجنّدة لا أرزاق لها.

وقال عليه السلام:

[مسكين ابن آدم مكتوم الأجل] لا يدري متى يخترم **[مكنون العلل]** علل قانة به لا يدري متى تهيج عليه **[محفوظ العمل]** ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾.

وقيل إنّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ مرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: **[إنّ أبصار هذه الفحول طوامح وإنّ ذلك سبب هبابها]**

فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه قليلاً فليلامس أهله فإنّما هي امرأة كامرأة رويداً إنّما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌ عن ذنب كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيّك من رشدك افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولنّ أحدكم إنّ أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون واللّه كذلك

الرمق: النظر، وطموح البصر: ارتفاعه، والهبيب والهباب: صوت التيس عند هياجه وطلبه للشاة، واستعار لهم الفحول والهباب لطلبهم للنكاح ثمّ أرشدهم إلى الخلاص من هذه الفتنة بقوله:

[**فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه قليلاً فليلامس أهله فإنّما هي امرأة كامرأة**] وكلّ من يشبهها فهي عوض منها، فقال رجل من الخوارج: قاتله اللّه كافراً ما أفقهه؛ لأنّه عليه السلام عندهم يخطئ وحاشاه، والمخطئ عندهم كافر، فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: [**رويداً**] أي: امهلوه [**إنّما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌ عن ذنب**].

وقال عليه السلام:

[**كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيّك من رشدك**] أي: كفى الإنسان من عقله ما يفرق به بين الغيّ والرشاد والحقّ والباطل فإنّه بذلك يتمّ تكليفه.

وقال عليه السلام:

[**افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير وقليله كثير**] أي: في الاعتبار بالنسبة إلى من يحتاج إليه.

[**ولا يقولنّ أحدكم إنّ أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون واللّه كذلك**] لأنّ ذلك القول من القائل التارك يكون باعثاً لمن توسّم فيه فعل ذلك

للخير والشرّ أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله من أصلح سريرته أصلح اللّه علانيته ومن عمل لدينه كفاه اللّه أمر دنياه ومن أحسن فيما بينه وبين اللّه أحسن اللّه فيما بينه وبين الناس الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع

الخير ونسبه إليه فيصدق في قوله وظنّه فيه بفعله له فيكون أولى به منه.

وقال عليه السلام:

[**للخير والشرّ أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله**] فيه ترغيب في الخير حتّى لا يسبق إليه وتنفير عن الشرّ.

وقال عليه السلام:

[**من أصلح سريرته أصلح اللّه علانيته**] إذ الأعمال الظاهرة تتبع الأعمال الباطنة ولا عكس، لأنّ القلب رئيس الجوارح وهي رعيته تتبعه.

[**ومن عمل لدينه كفاه اللّه أمر دنياه**] كما قال تعالى: ﴿ومن يتّق اللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾، ﴿ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه﴾.

[**ومن أحسن فيما بينه وبين اللّه أحسن اللّه فيما بينه وبين الناس**] إذ يلزمه ترك الدنيا والتعفّف عن الناس فتقبل القلوب عليه وتهشّ النفوس إليه.

وقال عليه السلام:

[**الحلم غطاء ساتر**] لأنّه يستر سورة الغضب وقبح ما يصدر عنهم من الأفعال بسببها.

[**والعقل حسام قاطع**] لقمعه بوادر النفس الأمّارة وإفراطها.

فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك إنّ للّه عباداً يختصّهم بالنعم لمنافع العباد فيقرّها في أيديهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم ثمّ حوّلها إلى غيرهم لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى، بينا تراه معافياً إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر من شكى الحاجة إلى مؤمن فكأنّما شكاها إلى اللّه، ومن شكاها إلى كافر فكأنّما شكى اللّه وإنّما هو عيدٌ لمن قَبِل اللّه صيامه وشكر قيامه، وكلُّ يوم لا يُعصى اللّه فيه فهو عيد

[فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك].

وقال عليه السلام:

[إنّ للّه عباداً يختصّهم بالنعم لمنافع العباد فيقرّها في أيديهم ما بذلوها] أي: مدّة بذلهم إيّاها [فإذا منعوها نزعها منهم ثمّ حوّلها إلى غيرهم] لكفرانهم تلك النعمة الموجب لزوالها.

وقال عليه السلام:

[لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى، بينا تراه معافياً إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر] والمعنى واضح.

وقال عليه السلام:

[من شكى الحاجة إلى مؤمن فكأنّما شكاها إلى اللّه، ومن شكاها إلى كافر فكأنّما شكى اللّه] لأنّ المؤمن كأنّه خليل اللّه فإذا شكى إليه فكأنّه جعل وسيلة إلى اللّه في شكواه بخلاف الكافر فإنّه عدوّ اللّه، فمن شكى إليه فكأنّما شكى اللّه إلى عدوّه.

وقال عليه السلام في بعض الأعياد: [وإنّما هو عيدٌ لمن قَبِل اللّه صيامه وشكر قيامه، وكلُّ يوم لا يُعصى اللّه فيه فهو] يوم [عيد] إذ العيد عبارة

إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً من غير طاعة اللّه يورثه رجلاً فأنفقه في طاعة اللّه سبحانه فدخل به الجنّة ودخل الأوّل به النار إنّ أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعياً رجل أخلق بدنَهُ في طلب آماله فلم تساعده المقادير على إرادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته الرزق رزقان: طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتّى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي رزقه منها

عن يوم تسرّ فيه الناس ويكون فيه الفرح فكلّ يوم لم يعص اللّه فهو أولى بالفرح به والسرور فيه.

وقال عليه السلام:

[إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً من غير طاعة اللّه يورثه رجلاً فأنفقه في طاعة اللّه سبحانه فدخل به الجنّة ودخل الأوّل به النار] وإنّما كان ذلك حسرةً عظيمة لعدم منفعته بالمال في الدنيا وعذابه في الآخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك.

وقال عليه السلام:

[إنّ أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعياً رجل أخلق بدنَهُ في طلب آماله فلم تساعده المقادير على إرادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته] استعار وصف الأخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا الآخرة ومع عدم موافقة القدر له في حصول آماله الدنيوية، ومعلوم أنّه أخسر من اتجر وتبعته ما يلحقه من عقوبة الآثام المكتسبة له من سعيه.

وقال عليه السلام:

[الرزق رزقان: طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتّى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي رزقه منها]

إنّ أولياء اللّه هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها واشتغلوا بآجِلِها إذ اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما أحسّوا أن تميتهم وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ودركهم لها فوتاً

استعار للرزق وصف الطالب باعتبار أنّه لابدّ من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفّر عن الدنيا بأنّ غايتها الموت فكأنّه طالب للمرء لغاية إخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها، ورغب في طلب لآخرة بما يلزمه من طلب الدنيا وأهلها لمن انقطع عنها حتّى يصل إليه رزقه منها وهو محمود، وقد قيل: مثل الدنيا كمثل ظلّك كلّما طلبته بعد عنك، فإن أدبرت عنه تبعك.

وقال عليه السلام:

[**إنّ أولياء اللّه هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا**] أي: حقيقتها وغرض الحكمة الإلهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم [**إذ نظر الناس إلى ظاهرها**] من زينتها وقنياتها [**واشتغلوا بآجِلِها**] وهو ما جعل نصب أعينهم من ثواب اللّه ورضوانه [**إذ اشتغل الناس بعاجلها**] وحاضر لذّاتها [**فأماتوا منها ما أحسّوا أن تميتهم**] وهو نفوسهم الأمّارة بالسوء التي تخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الآخرة أو كنّى بما أماتوه عن لذّاتها وشهواتها التي رفضوها ولم يلتفتوا إليها.

[**وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم**] وهو زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت.

[**ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ودركهم لها فوتاً**] أي: استقلالاً من الخير الباقي وفوتاً له إذ كان دركها والاستكثار منها سبباً لذلك.

أعداء لما سالم الناس وسلم لمن عادى الناس بهم عُلِم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرجون مرجواً فوق ما يرجون اذكروا انقطاع اللّذات وبقاء التبعات اخْبُرْ تَقْلِه

[**أعداء لما سالم الناس**] أي: للدنيا المذكورة [**وسلم لمن عادى الناس**] أي: للآخرة [**بهم عُلِم الكتاب**] لحفظهم له وتفهّمهم إيّاه [**وبه علموا**] لاشتهارهم به عند الناس [**وبهم قام الكتاب**] أي: صارت أحكامه قائمة في الخلق معمولاً بها [**وبه قاموا**] أي: بأوامره ونواهيه [**لا يرجون مرجواً فوق ما يرجون**] من ثواب اللّه [ولا مخوفاً فوق ما يخافون من عذاب اللّه.

وقال عليه السلام:

[**اذكروا انقطاع اللّذات**] الدنيوية بالموت الذي لابدّ منه ولا محيص عنه [**وبقاء التبعات**] أي: الجرائم والآثام التي تتجسّم في الآخرة بأنواع العذاب وأقسام العقاب.

وقال عليه السلام:

[**اخْبُرْ تَقْلِه**] أي: اخبر الناس وجرّبهم تقلهم وتبغضهم فإنّ التجربة تكشف لك عن مساويهم وسوء أخلاقهم ويضرب به المثل لمن يظنّ به الخير وليس هناك.

قال السيّد «ره»: ومن الناس من يروي هذا لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ومما يقوي أنّه من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ما حكاه تغلب، قال: حدّثني ابن الأعرابي، قال: قال المأمون: لولا أنّ علياً قال أنّ علياً قال «اخبر تقله» لقلت أنا أقله تخبر، والظاهر أنّ مراده بالقلاء الهجر والقطيعة أي: قاطع أخاك مجرّباً له

ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عليه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة ولا ليفتح عليه باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام العدل يضع الأُمور مواضعها والجور يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام

هل يبقى على العهد أو يتغيّر تقله.

وقال عليه السلام:

[ما كان الله] عزّ وجلّ **[ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عليه باب الزيادة]** كما قال تعالى: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنّكم﴾.

[ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة] كما قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾.

[ولا ليفتح عليه باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة] فمن تاب تاب الله عليه.

وقال عليه السلام:

[أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام] أعرقت وعرقت بمعنى أي: ضربت عروقه في الكرم أي: له سلف وآباء كرام، وسُئل أيما أفضل العدل أو الجور فقال:

[العدل يضع الأُمور مواضعها والجور يخرجها عن جهتها] والمراد به الجور العرفي وهو بذل المقتنيات للغير لأنّ الجود الحقيقي ليس يخرج إلا عن جهته كجود الباري.

[والعدل سائس عام] في جميع الأُمور الدينية والدنيوية وبه نظام العالم وقوام الوجود.

والجود عارض خاص الناس أعداء ما جهلوا الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه الولايات مضامير الرجال ما أنقض النوم لعزائم اليوم

[**والجود عارض خاص**] ليس عموم نفعه كالعدل إذ يصل من بعض الناس إلى بعض فكان العدل أفضل.

وقال عليه السلام:

[**الناس أعداء ما جهلوا**] كما مرّ، ولذا قيل: من جهل شيئاً عاداه، وقال الشاعر:

جهلت أمراً فأبديت النكير له والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال عليه السلام:

[**الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه**].

وقال عليه السلام:

[**الولايات مضامير الرجال**] أي: تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار، وهو الموضع أو المدّة التي تضمر فيها الخيل.

وقال عليه السلام:

[**ما أنقض النوم لعزائم اليوم**] «ما» للتعجب وهو كالمثل يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه أو يتهاون فيه حتّى ينقضي عزمه وأصله انّ الإنسان قد ينوي السفر مثلاً أو الحركة بقطعة من الليل ليتوفّر في نهاره على سيره

ليس بلد بأحقّ منك من بلد، خيرُ البلاد ما حملك مالك، وما مالك! لو كان جبلاً لكان فنداً لا يرتقيه الحافر ولا يرقى عليه الطائر إذا كان في رجل خلّة رائعة فانتظروا منه أخواتها

فيغلبه النوم إلى الصباح فيفوت وقت عزمه فينقض ما كان من عزم عليه في يومه.

وقال عليه السلام:

[**ليس بلد بأحقّ منك من بلد، خيرُ البلاد ما حملك**] أي: ما وجدت فيه قوام أمرك وصلاح معاشك فأمكنك الإقامة فيه، واستعار الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة لشبهه بالحمل ونحوه.

وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر: [**مالك، وما مالك!**] الأوّل مبتدأ أو فاعل فعل محذوف أي: مات مالك، و«ما» استفهامية في معرض التعجّب.

[**لو كان جبلاً لكان فنداً**] والفند: المنفرد من الجبال [**لا يرتقيه الحافر**] قيل: إنّ الفند القطعة المأخوذة من الجبل طولاً في دقّه ولا سبيل للحافر إلى صعودها.

[**ولا يرقى عليه الطائر**] كناية عن علوّه، أي: لا يصعده لعلوّه وارتفاعه.

وقال عليه السلام:

[**إذا كان في رجل خلّة رائعة**] أي: خصلة معجبة وخلق فاضل [**فانتظروا منه أخواتها**] من الأخلاق الفاضلة المناسبة لها كمن يكون من شأنه الصدق فإنّه يتوقّع منه الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس، وكمن يكون من شأنه العفّة فإنّه يتوقّع منه الكرم والمسامحة والبذل والصدقة والمحبّة.

وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما قيل إنّ

ما فعلت إبلك الكثيرة؟ قال: ذعذعتها الحقوق يا أميرالمؤمنين فقال ذاك أحمد سبلها من اتّجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا من عظّم صغار المصائب ابتلاه اللّه بكبارها

غالباً دخل على عليّ عليه السلام وهو شيخ كبير ومعه ابنه همّام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له عليه السلام: من الشيخ؟ فقال: أنا غالب بن صعصعة، قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: [**ما فعلت إبلك الكثيرة؟ قال: ذعذعتها الحقوق يا أميرالمؤمنين**] وأذهبتها الحالات والنوائب وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة: فرّقتها، قال: [**فقال ذاك أحمد سبلها**] أي: أحسن طرق ذهابها من هذا، مَن هذا الغلام معك؟ فقال: هذا ابني همّام، وقد رويته الشعر يا أميرالمؤمنين وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، فقال عليه السلام: أقرئه القرآن فهو خير له، وكان الفرزدق بعد يروي هذا الحديث ويقول: مازالت كلمته في نفسي حتّى قيد نفسه بقيد وإلى أن يفكّه حتّى يحفظ القرآن فما فكّه حتّى حفظه.

وقال عليه السلام:

[**من اتّجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا**] يقال: ارتطم في الوحل أي: وقع فيه فلم يمكنه الخلاص، استعير لغير الفقيه لأنّه لا يتمكّن من التخلّص من الربا.

وقال عليه السلام:

[**من عظّم صغار المصائب ابتلاه اللّه بكبارها**] لاستعداده بتضجّره وسخطه من قضاء اللّه ولو حمد اللّه على البلاء وصبر وسأل العافية لاستعدّ لدفعه.

وقال عليه السلام:

من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ما فرح امرء فرحة إلا مجّ من عقله مجّة زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس ما لابن آدم والفخر! أوّله نطفة، وآخره جيفة وهو حامل للجيفة الغنى والفقر بَعْدَ العرض على اللّه

[**من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته**] لأنّهما عدوان إكرام أحدهما يستلزم إهانة الآخر، فمن كرمت عليه نفسه لزمه حفظها وحمايتها من عذاب اللّه وذلك مستلزم لهوان شهوته عليه.

وقال عليه السلام:

[**ما فرح امرء فرحة إلا مجّ من عقله مجّة**] لأنّ العقل يقتضي صيانة العرض والبقاء على حدّ يوقر معه صاحبه ولا يستخفّ به والمزاح يضاده وسمّي مزاحاً لأنّه يزيح عن الحقّ واستعار المج لما يطرحه الإنسان من عقله في مزحه فكأنّه مجّه كما يمجّ الماء من فيه.

وقال عليه السلام:

[**زهدك في راغب فيك نقصان حظ**] لأنّ من تمام الحظّ كثرة الاخوان للتعاون على صلاح المعاش والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظّ.

[**ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس**] لاستلزامه الذلّ والخضوع.

وقال عليه السلام:

[**ما لابن آدم والفخر! أوّله نطفة، وآخره جيفة وهو حامل للجيفة**].

وقال عليه السلام:

[**الغنى والفقر بَعْدَ العرض على اللّه**] تعالى، أي: الغنى الحقيقي بالثواب والفقر بعدمه في الآخرة، وأمّا غنى الدنيا وفقرها فأمران عرضيان

ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنّة فلا تبيعوها إلا بها منهوما ن لا يشبعان طالب علم وطالب دنياً

زوالهما سريع.

وسُئل عليه السلام من أشعر الشعراء؟ فقال: إنّ القوم لم يجروا في حلبة تُعْرَف الغاية عند قصبته، فإن كان ولابدّ فالملك الضِّلّيلُ] يريد امرئ القيس، والمراد أنّهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتّى يفاضل بينهم بل كان لكلّ منهم حالة خاصّة يجد فيها وينبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة وآخر في الرهبة وثالث في النشاط، ولذا قيل: أشعر العرب امرئ القيس إذا ركب والأعشى إذا رغب والنابغة إذا رهب، واستعار الجلية وهي القطعة من الخيل يقرن للسباق للطريقة الواحدة ورشّح بذكر الاجراء والغاية وقصبتها لأنّ عادة العرب أن تضع قصبة في آخر المدى فمن سبق إليها وأخذها فاز بالسبق والغلب ورجّح امرئ القيس لجودة شعره غالباً ووصفه بالضلّيل لكثرة ضلاله وقوّته وكونه كثير التهتّك معلناً بالفسق في شعره وقيل إنّه تنصّر في آخر عمره.

وقال عليه السلام:

[**ألا حرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنّة فلا تبيعوها إلا بها**] اللماظة بضمّ اللام ما يبقى في الفم من الطعام ولفظها مستعار للدنيا باعتبار قلّتها وحقارتها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهم الجنّة﴾.

وقال عليه السلام:

[**منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنياً**] فلان نهم بكذا أي:

الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك وأن تتقي اللّه في حديث غيرك يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التدبير الحكم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمّة

مولع به، والنّهم بالفتح: إفراط الشهوة في الطعام.

وقال عليه السلام:

علامة [**الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك**] محبّةً للفضيلة وكراهةً للرذيلة.

[**وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك**] وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب [**وأن تتقي اللّه في حديث غيرك**] فلا تخوض في غيبته أو سماعها أو تحتاط في الرواية فتروي عنه حديثه بلا زيادة ولا نقصان.

وقال عليه السلام:

[**يغلب المقدار على التقدير حتّى تكون الآفة في التدبير**] قال السيّد: وقد مضى هذا المعنى فيما تقدّم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ، والتقدير: القدر، وحيث كان الإنسان جاهداً به ربّما دبّر لمصلحته تدبيراً يكون فيه الفساد والهلاك.

وقال عليه السلام:

[**الحكم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمّة**] استعار لهما التوأمين باعتبار استلزام علوّ الهمّة لهما وصدورهما بواسطتها لأنّ عالي الهمّة يستحقر كلّ ذنب ومذنب في حقّه فيحلم عنه ويتأنّى عن المبادرة إلى مقابلته.

وقال عليه السلام:

الغيبة جهد العاجز ربّ مفتون بحسن القول فيه إنّ الدنيا خُلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها

[**الغيبة جهد العاجز**] لأنّها أكثر ما تصدر عن الاغراء والحسّاد الّذين يعجزون عن بلوغ أغراضهم وشفاء صدورهم فيعدلون إلى إظهار معائب أعدائهم لما يجدون فيه من اللذة.

وقال عليه السلام:

[**ربّ مفتون بحسن القول فيه**] إذ كثيراً ما يفتتن الناس بثناء الناس عليهم فيقصر العالم في اكتساب العلم اتّكالاً على ثناء الناس عليه ويقصّر العابد في العبادة لذلك قائلاً كلاً منهما إنّما أردت الصيت وقد حصل.

قال السيّد الرضي «ره»: وقيل وجد هذا بخطّه قال: هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المختار من كلام أميرالمؤمنين حامدين اللّه سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه وتقريب ما بعُد من أقطاره ومقرّرين الغرم كما شرطنا أوّلاً على تفضيل أوراق بيض في آخر كلّ باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد واستحقاق الوارد وما ه أن يظهر لنا بعد الغموض ويقع إلينا بعد الشذوذ وما توفيقنا إلا باللّه عليه توكّلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال ابن أبي الحديد: ثمّ وجد نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام، قيل: إنّها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي وقُرئت عليه فأمضاها وأذن في إلحاقها بالكتاب ونحن نذكرها.

وقال عليه السلام:

[**إنّ الدنيا خُلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها**] أي: خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب اللّه في الآخرة لا ليلتذّ بها الجاهلون.

إنّ لبني أُميّة مِرْوَداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثمّ كادَتْهُم الضِّباع لغلبتهم هم واللّه ربُّوا الإسلام كما يُرَبَّى الفِلْو مع غنائهم بأيديهم السِّبَاط وألسنتهم السِّلاط العين وكاء السيِّئة

وقال عليه السلام:

[إنّ لبني أُميّة مِرْوَداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثمّ كادَتْهُم الضِّباع لغلبتهم] قال السيّد «ره»: وهذا من أفصح الكلام وأغربه، والمرود هنا مفعل من الإرواد وهو الإمهال والانظار، وكأنّه عليه السلام شبّه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

قيل: لم تزل دولتهم على الاستقامة إلى أن اختلفوا وذلك حين ولي الوليد بن يزيد فخرج إليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله وقامت حينئذ دعاة بني العباس بخراسان وأقبل مروان بن محمّد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع إبراهيم بن الوليد وقتل قوماً من بني أُميّة واضطرب أمر دولتهم وكان زوالها على يد أبي مسلم وكان في بدو أمره أضعف خلق اللّه وأشدّهم فقراً كما أشار عليه السلام إليه بقوله، ثمّ كادتهم الضباع وهو مستعار للأراذل والضعفاء.

وقال عليه السلام في مدح الأنصار: **[هم واللّه ربُّوا الإسلام كما يُرَبَّى الفِلْو مع غنائهم بأيديهم السِّبَاط وألسنتهم السِّلاط]** الفِلو: المهر، والسباط: السماح، ويقال للحاذق في الطعن انّه بسيط اليد، والسلاط الحداد: الفضيحة، ووجه الشبه بالفلو شدّة عنايتهم بالإسلام وحسن مراعاتهم إلى حين كماله.

وقال عليه السلام:

[العين وكاء السيّئة] قال السيّد «ره» وهذه من الاستعارات العجيبة،

ووليهم وال فأقام واستقام حتّى ضرب الدّين بجرانه يأتي على الناس زمان عضوض يعضّ فيه الموسر على ما في يديه

كأنّه شبّه السيّئة بالوعاء والعين الوكاء فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء وهذا القول في الأشهر والأظهر من كلام النبي ﷺ وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلّمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية.

أقول: السه: الاست، واستعار الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الإنسان في يقظته لنفسه من أن يخرج منه ربح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به وشبّه السيه بالوعاء كالقربة ومن تمام الخبر النبوي «فإذا نامت العيان استطلق الوكاء».

وقال عليه السلام في كلام له [**ووليهم وال فأقام واستقام حتّى ضرب الدّين بجرانه**] قال ابن أبي الحديد: الجران مقدّم العنق وهذا الوالي عمر بن الخطاب وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة يذكر فيها قربه من النبي ﷺ واختصاصه به وإفضائه بأسراره إليه حتّى قال فيها فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثمّ وليهم بعد وال فأقام واستقام حتّى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجز كانا فيه ثمّ استخلفوا ثالثاً لم يملك من أمر نفسه شيئاً غلب عليه أهله فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل.

وقال عليه السلام:

[**يأتي على الناس زمان عضوض يعضّ فيه الموسر على ما في يديه**

ولم يؤمر بذلك قال اللّه سبحانه: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ينهد فيه الأشرار ويستذلّ الأخيار ويبايع المضطرّون وقد نهى رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرّين يهلك فيّ رجلان: محبٌّ مُطْرٍ وباهت مفترٍ قوله يهلك فيّ رجلان محبّ غال ومبغضٌ قال التوحيدً أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتهمهاللّهمّ أسقنا ذلل السحاب دون صعابها

ولم يؤمر بذلك قال اللّه سبحانه: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ينهد فيه الأشرار ويستذلّ الأخيار ويبايع المضطرّون وقد نهى رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرّين] زمان عضوض أي: كلب على الناس كأنّه يعضّهم وعضّ فلان على ما في يده أي: بخل وأمسك، وينهد فيه الأشرار أي: ينهضون إلى الولايات والرياسات ويكون فيه بيع على وجه الاضطرار والإلجاء كمن يبيع ضيعته اضطراراً.

وقال عليه السلام:

[يهلك فيّ رجلان: محبٌّ مُطْرٍ وباهت مفترٍ] قال السيّد «ره» وهذا مثل.

[قوله يهلك فيّ رجلان محبّ غال ومبغضٌ قال] فالمحبّ المطري بكثرة المدح كالغلاة والذي يبهته ويفتري عليه الخوارج.

وسُئل عن التوحيد والعدل فقال: **[التوحيد أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتهمه]** إذ الوهم إنّما يدرك المعاني الجزئية المتعلّقة بالمحسوسات واللّه منزّه عنها ومن لوازم العدل في أفعاله تعالى وأقواله أن لا يتهمه العبد بجبر ولا تفويض.

وقال عليه السلام في دعاء استسقى به: **[اللّهمّ أسقنا ذلل السحاب دون صعابها]** قال السيّد: وهذا من الكلام العجيب وذلك أنّه عليه السلام شبّه السحاب

الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة رسول اللّهﷺ ما المجاهد الشهيد في سبيل اللّه بأعظم أجراً ممن قَدَرَ فعَفَّ لَكَادَ أن يكون ملكاً من الملائكة القناعة مال لا ينفد

ذات الرعود والبروق والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التي تقمص براحلها وتتوقص براكبها وشبّه السحاب الخالية عن تلك الزوابع بالإبل الذلل التي تحلب طبعة وتقتعد مسمحة.

أقول: تتوقّص بركبانها أي: تنزو بهم نزواً يقارب الخطو، والزوابع: الأمور المخوّفة.

وقيل لهعليه السلام لو غيّرت شيبك يا أميرالمؤمنين، يعني بالخضاب بالحناء والكتم ونحوهما فقال: [**الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة رسول اللّهﷺ**] ولقد أجاد من اعتذر بقوله:

وحقّك ما خضبت بياض شيبتي … رجاء أن يدوم لي الشباب
ولكنّي خشيت تراد مني … عقول ذوي المشيب فلا تصاب

وقالعليه السلام:

[**ما المجاهد الشهيد في سبيل اللّه بأعظم أجراً ممن قَدَرَ فعَفَّ لَكَادَ**] العفيف [**أن يكون ملكاً من الملائكة**] أي: قدر على نيل شهوته فعفّ عنها وأعظم أنواع العفّة عفّة الفرج إذ كما قيل إذا قام الذكر ذهب ثلثا العقل، كان بعضهم يقول: ما غشيت امرأة قط في يقظة ولا نوم غير أم عبداللّه، يعني خليلته، وإنّي لأرى المرأة في المنام وأعلم أنّها لا تحلّ لي فأصرف بصري عنها.

وقالعليه السلام:

[**القناعة مال لا ينفد**] وقد مرّ نحوه، وقالعليه السلام لزياد ابن أبيه وقد

استعمل العدل واحذر العسف والحيف فإنّ العسف يعود بالجلاء، والحيف يدعو إلى السيف أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه ما أخذ اللّه على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يُعلّموا شرّ الإخوان من تُكلّف له

استخلفه لعبداللّه بن العباس «ره» على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج:

[**استعمل العدل واحذر العسف والحيف فإنّ العسف يعود بالجلاء، والحيف يدعو إلى السيف**] حذّر عليه السلام من حيف الناس وعسفهم وهو حملهم على المكاره، وظاهر أنّ الظلم يعود بجلاء المعسوف بهم عن أوطانهم أو لقيام السيف على الظالم من غيره.

وقال عليه السلام:

[**أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه**] لأنّه يدوم عليه لاستسهاله إيّاه حتّى يصير ملكةً وخلقاً لا ينفكّ عنه، بخلاف ما يستصعبه فإنّه يوشكّ أن يقلع عنه قبل استحكامه.

وقال عليه السلام:

[**ما أخذ اللّه على أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يُعلّموا**] إذ وجوب التعلّم على الجاهل مستلزم لوجوب التعليم على العالم، وفي الخبر: «من تعلّم علماً فكتمه ألجمه اللّه يوم القيامة بلجام من النار».

وقال عليه السلام:

[**شرّ الإخوان من تُكلّف له**] أي: من أحوج إلى الكلف لأنّ الاخوّة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوان وترك التكلّف من بعضهم لبعض.

إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه

وقال عليه السلام:

[**إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه**] ليس المراد أنّ الاحتشام علّة الفرقة بل هو دلالة وأمارة عليه؛ لأنّه لو لم يحدث عنده ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأُولى فالانقباض أمارة المباينة.

* * *

وهذا آخر ما وفّق اللّه سبحانه وقدّره من هذا التعليق النيّف والشرح الشريف المسمّى بنخبة الشرحين، والحمد للّه أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلّى اللّه على محمد وآله الطاهرين.

وقد وقع الفراغ منه على يد مؤلفه المذنب الجاني والأسير الفاني عبداللّه بن محمدرضا الحسيني الشبّري في ثاني عشر جمادى الأول عصرية يوم الخميس في السنة الحادية والأربعين بعد المأتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف صلاة وتحية، حامداً مصلّياً مستغفراً.

هذه صورة ما رقمه المؤلف أطال اللّه بقاه وجعل عدوّه فداه.

ثمّ وافق الفراغ من استنساخه على يد أقلّ الخليقة بل لا شيء في الحقيقة، المذنب الآثم الغريق في بحار الجرائم درويش بن المرحوم كاظم في ظهرية يوم الأربعاء يوم الخامس والعشرون من شهر محرّم الحرام من شهور السنة الثانية والأربعين والمأتين بعد الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أكمل الصلاة وأشرف التحيّة غفر اللّه لهما ذنوبهما وستر عيوبهما وحاسبهما حساباً يسيراً وأُوتيا كتابهما بيمينهما.

والحمد للّه وحده حمداً كثيراً كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، وصلّى اللّه على محمد عبده والطيّبين من آله وسلّم تسليماً.

فهرس الجزء الرابع